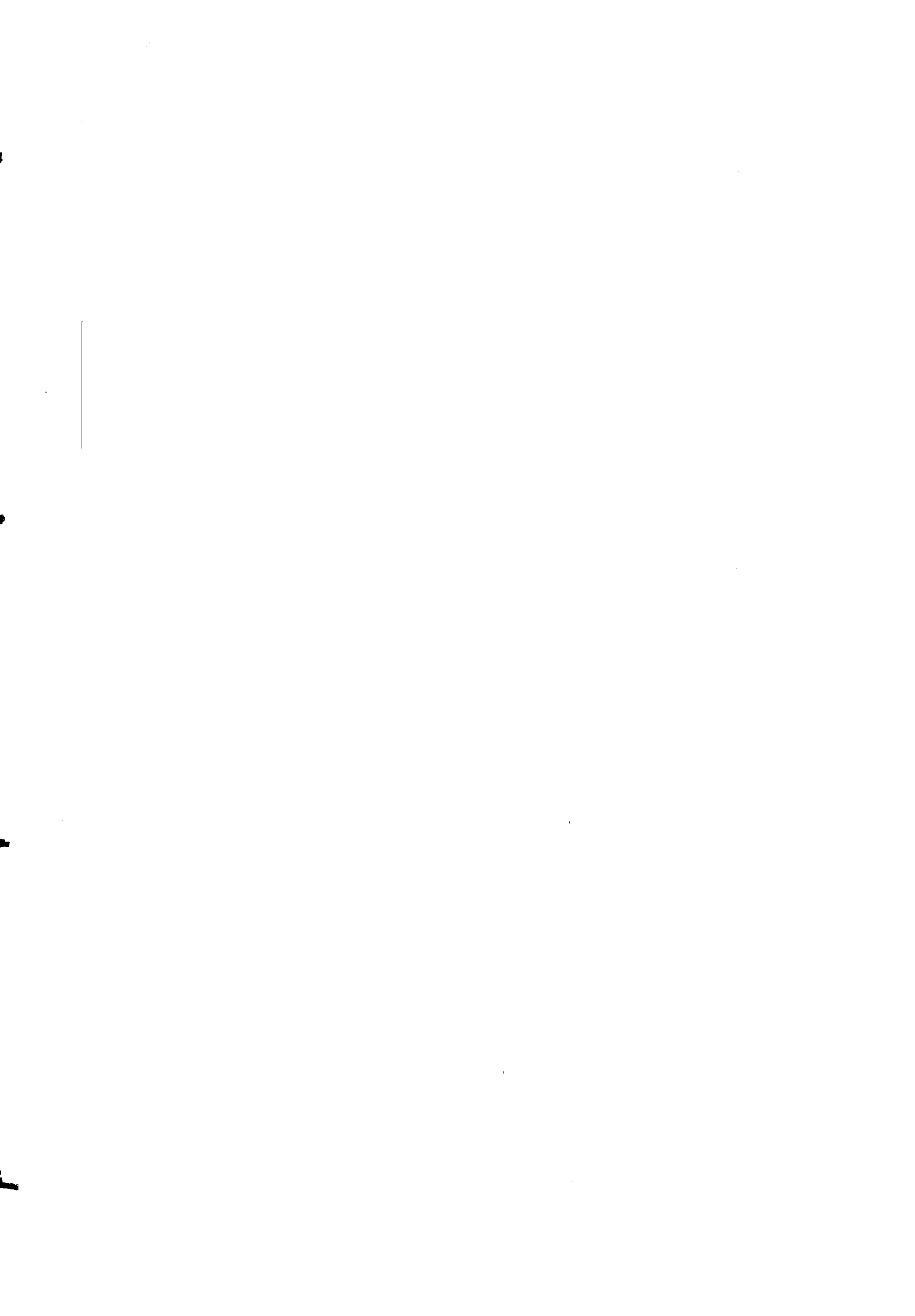
الدكتور علي علي مصطفى صبح

المذاهب الأدبية
في الشعر الحديث
لجنوب المملكة العربية السعودية



بسم الله الرحمن الرحيم

الناشـــر

تهـامــة

جـدة - المملكة العربية السعودية
ص.ب : ٥٤٥٥ - هاتف : ٦٤٤٤٤٤٤

المذاهب الأدبية

في الشعر الحديث

لجنوب المملكة العربية السعودية

مقدمة

الحمد لله تعالى الذى جعل الاسلام عقيدة وشريعة .. والصلاة والسلام على خير خلق الله ... كان خلقه — ﷺ — القرآن الكريم .. « وإنك لعلى خلق عظيم » .

فى العصر الحديث عاد إلى الشعر العربى وجهه المشرق ، وأصالته العربية الإسلامية العريقة فى جميع أنحاء العالم الإسلامى والعربى ، فأوت إليه الأصالة بعد الزيف والإسفاف ، والحيوية والتجديد بعد الجمود والتقليد . والإبداع والابتكار بعد النقل والتكرار .. والتحرر والرجوع إلى الذات بعد التقيّد والتبعية .

ولهذا نال الشعر العربى الحديث عناية الباحثين والدارسين ، لتحديد الدوافع لأصالته وعراقته ، وإبراز خصائصه وسماته .. واتجاهاته ومدارسه .. وطابعه ومذاهبه ، وخاصة فى المجالات التى لم تنل عناية الباحثين ، لما تحتاج إلى جهد فى تيسير الوسائل والأسباب ، وتذليل العقبات والصعوبات .

والشعر فى « المملكة العربية السعودية » حتى الآن من الحقول البكر ، التى تضطر إلى التوقف والتأمل كثيرا ، وإلى البحث والدراسة ، ولا زال الشعر السعودى يحتاج الى التقييم والتحليل والنقد والموازنة ، للتعرف على خصائصه الفنية ، ومدارسه الشعرية ، ومذاهبه الأدبية .

والدراسة التى دارت حوله حتى الآن أخذت اتجاها واحدا نحو الحركة الفكرية والتاريخ الأدبى ، فى مؤلفات نادرة ذات الطابع التاريخى فى أدب المملكة عامة أو أدب الجنوب خاصة ، أو أدب نجد وغيرها[1] .

---

(١) مثل : الحركة الأدبية فى المملكة العربية السعودية : د . بكرى شيخ أمين . دار صادر بيروت ١٣٩٣ — ١٩٧٣ واقتصر المؤلف على ذكر بعض أسماء الشعراء فى الجنوب لا غير — ومثل كتاب الحياة الفكرية والأدبية فى جنوب البلاد السعودية الى عام ١٣٥١ — ١٩٣٢ تأليف عبد الله محمد حسين أبو داهش — دار الأصالة بالرياض ١٤٠٢ هـ ، واقتصر المؤلف على شعراء التقليد فقط دون بقية المذاهب الأخرى، والبحث فى معظمه تاريخ فكرى وأدبى . ومثل شعراء الجنوب : للعقيلى والسنوسى واقتصر المؤلف على شعراء التقليد أيضا .

وهذا الاتجاه فى الأدب عامة ، يختلف فى منهجه وغايته عن الاتجاه فى هذا البحث ، فقد اختص بالشعر ، لا بالأدب عامة ، ولا فى تاريخ الشعر بالمملكة ، بل فى العصر الحديث ، ولا بالشعر الحديث فى المملكة كلها ، بل فى شعر منطقة متميزة من مناطقها المتنوعة ، التى تختلف باختلاف الطبيعة وواقع البيئة ، وليس فى شعر الجنوب « منطقة الجنوب » فى جميع ما يتصل به لأدنى ملابسة ، بل فى جزئية واحدة فقط من اتجاهات الشعر الكثيرة وروافده المتعددة ، بل فى المذاهب الأدبية الحديثة فى شعر الجنوب ، ومدارسها التي تنتمي إليها ، وهذا هو موضوع البحث .

ولم يكن هذا الاتجاه عن طريق الصدفة ، بل كانت من ورائه دوافع قوية متعددة الجوانب ، من أهمها الاتجاه « الأكاديمى » للبحوث فى كلية التربية ، فرع جامعة الملك سعود فى أبها ، والتى أعمل فيها عضوا من هيئة التدريس .. وهو البحث فى البيئة ، التى تحملت أعباءها المؤسسات العلمية والجامعية ومراكز بحوثها ، على النمط الذى تقوم عليه الأقسام العلمية فى حقول التجارب العملية لدراسة البيئة فى عسير من خلال مركز البحوث للكلية .. ومن هذا المنطلق « الأكاديمى » تحدد اتجاه البحث .

وعندما تكاملت فكرة البحث تقدم به « مركز البحوث » مع بحوث أخرى للاشتراك العلمى فى الاحتفال بمرور خمس وعشرين سنة على « جامعة الملك سعود » ورسالتها العلمية « اليوبيل الفضى » فى عام (١٤٠٢ هـ ــ ١٩٨٢ م)[(1)] .

ثم نمت عناصر البحث وتكاملت ، ونضجت معالمه ، وتحددت أبعاده فتدفقت روافده بين صفحات هذا الكتاب ، ليعبر عن التجربة الواقعية التى عشتها فى « منطقة الجنوب » للمملكة العربية السعودية .

ومن وراء هذا كله كان الشعر فى الجنوب يحث على الدراسة ، والاستمتاع به .. وهو شعر بكر ، نبع من منطقة متميزة بروعة بيئتها ، وسحر الطبيعة فيها ، والتنوع فى مجاليها ، فهى بحق كما وصفتها المملكة : بأنها من أهم المصايف لدول الخليج العربى .

ومن هنا كان مجال البحث محدودا ، لأنه فى منطقة واحدة متميزة ، وفى شعرها البكر ، الذى لم يتعرض للبحث حتى الآن ، وفى جانب واحد من الشعر لا فى شتى الجوانب ، التى تتعلق به فى المنطقة .

وينبغى منذ البداية أن يكون المنهج واضحا للقارىء الكريم ، فالمنهج يحدد الاتجاه والغاية التى تنتهى بالنتائج ، فيميز المذاهب الأدبية ، ويحدد اتجاهها وقيمها ، ليحكم بالتقليد ، أو التجديد ، أو الابداع .

---

(١) رسالة فرع الجامعة : كلية التربية فى أبها ــ العدد السابع ١٤٠٢/١/١٨ ــ ١٩٨٢/١/١٣ م فى الحوار الذى أجراه عبد الله دليم مع د . لطفى بركات أحمد مدير مركز البحوث ص ٣١/٢٧

فالقيم المنهجية التى سرتُ عليها كانت ـــ بالدرجة الأولى ـــ نابعة من واقع الشعر فى المنطقة حسب تطوره التاريخى فيها ، ثم تُستنتج النتائج وهذا هو الأساس الأول والأصل فى منهج البحث والوصول الى الغاية منه .. أما علاقة الشعر بالتيارات المعاصرة ، والمذاهب الأدبية العامة فى الشرق وفى الغرب كانت تابعة للأساس الأول ، ورافدا واحدا من روافده .

والحكم على المدرسة فى مذهبها الأدبى بالتقليد أو المحافظة ، أو التجديد ، أو الابداع يصدر أيضا نابعا من الاستقراء للشعر المنشور والمشهور ، ومن خلال التصنيف بين شعراء الجنوب وحدهم ، فالتفاوت بينهم يتم حسب المذهب الأدبى فى مدرسته ، لا بين غيرهم من شعراء المملكة ، وقد يتفق شعراء المملكة جميعا فى المذاهب الأدبية المتباينة ، وحينئذ يكون من الممكن أن ينتسب كل شاعر الى مدرسته الأدبية تبعا لاختلاف مذاهبهم وتطبيقها على الشعر الحديث عامة ، وهذا مجال لبحث مستقل آخر .

ومن المجازفة أن يكون البحث شاملا للمذاهب الأدبية فى شعر المملكة لأسباب من أهمها : أنها ستكون دراسة غير دقيقة ، لا تعتمد على جزئية واحدة فى مجال البحث العلمى ، وأنها أيضا ستواجه العقبات الصعبة فى الاستقراء أو الاستقصاء لهذا الشمول ، على العكس من الجزئية فى هذا البحث ، وأن الدراسة أيضا تستلزم تحديد أبعاد الجزئية ، لتتخذ طريق العمق والبناء السامق ، وإلا كانت الدراسة مسحا سريعا كالعدو وشمولا خاطفا كسرعة البرق .

ومن الممكن بعد الوصول الى الغاية من البحث أن يصح تطبيقها على نظائرها من المذاهب الأدبية فى بعض المناطق الأخرى للمملكة بنفس التخصص والاستقراء ، لأن معظم الروافد التى تغذى الشعر فيها واحدة غالبا إلا روافد خاضعة لبيئة المنطقة وخصائصها الطبيعية والبشرية ، ولو لم تكن البيئة والطبيعة فاصلا ومميزا ، لما تميز شعر الجنوب بسحر الطبيعة وروعة البيئة ، كما تميز شعراء الحرمين بالشعر الاسلامى والوجدانى بخصائص تتميز به كل من المنطقتين فيما بينهما ، كما تتميز كل منهما عن المناطق الأخرى .

وجمع مادة الشعر هنا ليس سهلا ، لا من شعراء المنطقة الذين ذهبوا مع الخالدين ، فلم تكن لهم دواوين منشورة ، وإن كانت ـــ وهذا نادر ـــ فتكاد أن تختفى عن الأنظار كالكنز الدفين ، فمن الصعب الحصول عليه ، ولا من كبار الأحياء من الشعراء المشهورين لعقبات لا تقل عن العقبات السابقة منها أن الديوان يطبعه الشاعر لحسابه ، أو يقوم النادى الأدبى بطبعه ، وفى كلتا الحالتين يكون التوزيع محدودا ، يعتمد على الهدايا الشخصية غالبا ، ولم يبق أمامى إلا وسائل الاتصال المختلفة والشاقة ، وعلى سبيل المثال : ديوان « القلائد » للسنوسى أبرز شعراء الجنوب ، نشر منذ أكثر من عشرين سنة فلم نجد منه إلا نسخة واحدة خاصة بالشاعر نفسه ، ضرب عليها الحصار ، حتى يعيد الطبع للمرة الثانية ، وتكررت مثل هذه المحاولات فى جمع مادة البحث .

والمذاهب الأدبية النابعة من مدارسها المختلفة ، والتى انتهيت إليها ، مذاهب ليست شرقية ولا غربية بل صدرت عن واقع الشعر فى الجنوب ، فقد يكون اتجاه المدرسة فى مذهبها غريبا فى أول الأمر ، مثل مدرسة « التجديد المحافظ » أو مدرسة « التحرر فى التجديد » ، لكن بعد التوغل فى أعماق المدرسة لا نجد غرابة ، بل نجد أن القيم الفنية نبعت فى المدرسة من الشعر ذاته .

لهذا جعلت المدارس الأدبية فى شعر الجنوب هى مدرسة « التقليد المتحجر » ومدرسة « المحافظين الحرفيين » ، ومدرسة « التجديد المحافظ » ، ومدرسة « التحرر فى التجديد » ولكل مدرسة اتجاهها وأسسها ، وخصائصها الفنية وشعراؤها ، وأغراضها وأسلوبها ، وتصويرها الأدبى وميزانها النقدى .. فى خطة للبحث تسير على النحو الآتى :

أولا : الإهداء .

ثانيا : مقدمة البحث .

ثالثا : تمهيد .. فى توضيح العوامل التى أثرت فى المذاهب الأدبية ـــ البيئة فى جنوب المملكة العربية السعودية ـالطبيعة الساحرة فى جنوب المملكة العربية السعودية .

رابعا : أبواب البحث وفصوله :

الباب الأول : مدرسة المحافظين

الفصل الأول : التقليد : خصائصه ـــ شعراؤه

ويضم هذه الموضوعات : مدرسة التقليد المجردة من الموهبة الشعرية ـــ سليمان بن سحمان وابنه صالح بن سليمان ـــ الشاعر على السنوسى ـــ الشيخ حافظ بن أحمد الحكمى ـــ شعراء آخرون .

الفصل الثانى : مدرسة المحافظين

ويشمل هذه الموضوعات : خصائصها الفنية ـــ شعراؤها ـــ الشيخ محمد سرور الصبان ـــ الشاعر معيض بن على البختيان ـــ شعراء آل الحفظى .

الفصل الثالث : شعراء آل الحفظى

ويضم أشهر الشعراء ـــ شعرهم فى الميزان ـــ التصوير الشعرى وخصائصه الفنية ـــ الأغراض الأدبية وخصائصها الفنية .

الباب الثانى : مدرسة التجديد المحافظ

الفصل الأول : الخصائص الفنية لمدرسة « التجديد المحافظ »

ويضم الموضوعات : أصول المحافظة على عمود الشعر العربى ـــ دعائم التجديد وخصائصه الفنية ـــ شعراء مدرسة المجددين المحافظين .

الفصل الثانى : الشاعر محمد بن على السنوسى

ويشمل : نشأة الشاعر وحياته ـــ الأغراض الأدبية فى شعره وخصائصهاالفنية ـــ التصوير الأدبى ـــ خصائص الألفاظ والأساليب ـــ خصائص الوزن والقافية ـــ التشخيص فى التصوير الأدبى ـــ الروح الاسلامية فى التصوير الأدبى ـــ الصورة الخيالية وخصائصها الفنية ـــ الوحدة الفنية ـــ موازنة ونقد .

الفصل الثالث : الشاعر محمد بن أحمد العقيلى

ويضم : نشأة الشاعر وحياته ـــ الأغراض الشعرية والتصوير الأدبى لها ـــ المدح وخصائصه الفنية ـــ الشعر الوطنى وخصائصه الفنية ـــ الشعر الاسلامى وخصائصه الفنية ـــ الشعر فى الحضارة العلمية وخصائصه الفنية ـــ الشعر الوجدانى وخصائصه الفنية ـــ الوصف وخصائصه الفنية ـــ الأناشيد .

الفصل الرابع : الشاعر زاهر عواض الألمعى

ويشمل : نشأة الشاعر وحياته ـــ الأغراض الشعرية وخصائصها الفنية ـــ التجربة الشعورية ـــ المناسبات فى الشعر ـــ الصدق الفنى ـــ الألفاظ والأساليب ـــ الخيال وصوره الجزئية ـــ الوحدة الفنية .

الفصل الخامس : الشاعى يحيى ابراهيم الألمعى

ويضم : نشأته وحياته ـــ الأغراض الأدبية فى شعره ـــ المدح وخصائصه ـــ الشعر الوجدانى وخصائصه ـــ الشعر الاسلامى وخصائصه ـــ الرثاء وخصائصه ـــ وقفات مع الشاعر فى التصوير الأدبى ـــ التصوير الأدبى ـــ البديع والضرورات ـــ معالم الجنوب فى شعره ـــ الوحدة الفنية وخصائصها .

الفصل السادس : شعراء آخرون

ويضم : الشاعر على خضران القرنى ـــ الشاعر على عبد الله مهدى ـــ الشاعر جبران محمد حسن قحل ـــ شعراء آخرين .

الباب الثالث : مدرسة التحرر فى التجديد

الفصل الأول : الخصائص الفنية لمدرسة التحرر فى التجديد

ويضم : التمييز بين « الرومانتيكية » الإبداعية وبين التحرر فى التجديد ـــ عوامل تكوين مدرسة التحرر فى التجديد ـــ الخصائص الفنية لمدرسة التحرر فى التجديد .

الفصل الثانى : الشاعر أحمد العسيرى

ويضم : نشأة الشاعر وحياته ـــ الأغراض الأدبية وخصائصها الفنية ـــ التصوير الأدبى ـــ التجربة الشعورية ـــ الألفاظ والأساليب ـــ خصائص الخيال والصور الشعرية ـــ الموسيقى الشعرية ـــ شاعرية العسيرى فى ميزان النقد .

الفصل الثالث : الشاعر أحمد بهكلى

ويشمل : نشأة الشاعر وحياته ـــ الأغراض الأدبية فى شعره ـــ التصوير الشعرى ـــ بين الوجدانى الذاتى والالتزام الموضوعى ـــ الوحدة الفنية فى شعره ـــ التشخيص فى التصوير الشعرى ـــ الخيال والصور الأدبية ـــ الإيقاع الموسيقى .

والله سبحانه وتعالى أسأل أن ينفع به .

المؤلف

تمهيد

١- العوامل التي أثّرت في المذاهب الأدبيّة .

٢- البيئة في جنوب المملكة العربيّة السّعوديَة .

٣- الطبيعة الساحرة في جنوب المملكة العربية السُعودية .

الشعر الحديث فى المملكة العربية السعودية بصفة عامة ، وشعر جنوبها بصفة خاصة ، تأثر بواقعه الذى عاش فيه ، وبيئته التى نبع منها ، ومن بواكير هذه المؤثرات :

دعوة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، التى حررت العقيدة والانسان ، والفكر والاتجاه والهدف ، فظهر شعر الدعوة ، وكان منطلقا للتحرر من قيود الجمود ، والتخلف ، والركاكة ، والفهاهة .. وما شابه ذلك(1) .

ثم تتابعت مؤثرات أخرى ، نبعت من واقع النهضة الكبرى للمملكة العربية السعودية ، والوثبة المذهلة التى غيرت مجرى الحياة : كوحدة الانسان لبناء الوطن ، وتحقيق الهدف لاعادة بناء الأمة الاسلامية المجيدة ، فيعود لها وجهها المشرق كما كانت فى الماضى .. والاهتمام بالتعليم فى شتى مراحله ، وبالصحافة ، وبالمجلات ، وبالاذاعة المسموعة والمرئية ، وكذلك العناية بالمطابع ودور النشر ، وإحياء التراث وجمعه من أقطار العالم الاسلامى وغيره ، والاهتمام بالمكتبات العامة الخاضعة للمؤسسات المختلفة ، وبالمكتبات الخاصة بالعلماء والأدباء والشعراء .

ومن أحدث المؤثرات فى الأدب السعودى الحديث ، هو التجاوب الفكرى والثقافى والعلمى والأدبى مع التيارات الأدبية المعاصرة ، والمذاهب النقدية الحديثة . فى مصر ، والعراق ، والشام ، وبلاد المغرب ، ثم الانفتاح أمام المذاهب الأدبية والنقد فى الغرب ، والتأثر بجوهرها ، واتجاهاتها ، وتطويع ما يتناسب مع القيم الاسلامية والعربية الأصيلة ، وطرح ما يتجافى مع الفطرة الشرقية الملهمة .

لاشك أن التجاوب الفكرى والأدبى كان أظهر وأقوى مع المذاهب الأدبية العربية العريقة ، التى أينعت فى الأرض الخصبة للعروبة والاسلام ، مثل التأثر بمدارس المحافظين ، ومدارس المجددين ، ومدارس المبدعين ، كالتأثر بمدرسة الديوان ، ومدرسة أبولو ، ومدرسة المهاجرة العرب ، ورابطة الأدب الحديث ، والمتمردين فى الشعر ، وغير ذلك .

تلك هى المؤثرات العامة التى أثرت فى الأدب السعودى ، ويكاد يسيطر عليه مؤثر ظاهر ، له دور خطير وعظيم وقوى ، وهو سيادة التيار الاسلامى فيه ، وسريان الشريعة الاسلامية بين جوانبه بصفة خاصة(2) .

---

(1) انظر : الأدب الحجازى فى النهضة الحديثة . نهضة مصر — القاهرة ١٩٤٨ ، الوحدة الاسلامية : زيد بن فياض . مطابع القصيم ١٣٨٨ هـ ، دورنا فى الكفاح : حسن عبد الله آل الشيخ : مطابع نجد : الرياض ١٣٨٣ هـ .

(2) انظر : الحركة الأدبية فى المملكة العربية السعودية : د . بكرى شيخ أمين . دار صادر بيروت . طبعة أولى ١٣٩٣ هـ/١٩٧٣ م ، قصة الأدب فى الحجاز : محمد عبد المنعم خفاجه وعبد الله عبد الجبار دار مصر — القاهرة ١٩٥٨ ، والتيارات الأدبية فى قلب الجزيرة العربية : عبد الله عبد الجبار وغيرها .

وبعد ذلك يأتى مؤثر متميز فى شعر الجنوب ، نبع من واقع البيئة العربية العريقة ، وهو ما يتميز به أدب الجنوب : من جمال الموقع ، وسحر الطبيعة ، وكرم السماء ، وتعانق السحب ، وفراهة الجبال ، ويفاعة الآكام ، وعمق الأودية ، ورحابة السهول ، وتدفق السيول ، وتراسل الشلالات ، وشموخ الأشجار المتعانقة ، وعذوبة المياه الرقراقة ، وتلاحم البسط الخضراء على قمم الجبال وفى السهول على السواء ، فى طبيعة أخاذة ، وحياة ساحرة ، وهواء طرىّ منعش ، ومناخ متقارب تتلاحم فيه فصول السنة فى توافق وانسجام ، فلا تدرى فى أى فصل تكون ، مع ما يتمتع به أهل الجنوب من برود الطبع ، ودماثة الخلق ، وسعة الأفق ، وحدة الذكاء ، وغير ذلك مما يلهم الشعراء ، ويعين على التأثر السريع بالمذاهب الأدبية ، التى تعشق الطبيعة ، وتهيم بجمال الكون ، وتذوب فى سحر الحياة ..

ويحتاج هذا المؤثر المتميز الأخير الى توضيح أكثر للبيئة ، التى نبت فيها شعراء الجنوب (منطقة : الجنوب) ، حيث تنوعت فيها مشارب الشعراء وتدفقت روافدهم من منابعها الصافية العذبة ، واختلفت اتجاهاتهم الأدبية ومدارسهم الشعرية .

(الجنوب) منطقة واسعة ، تصل مساحتها الى ربع المملكة العربية السعودية ، يقطنها سكان كثيرون ، فى عشرة آلاف قرية تقريبا ، وعاصمتها أبها ، ترتفع عن سطح البحر الأحمر بسبعة آلاف قدم ، وفى القرى تكثر الزراعة .. والبساتين لأصناف كثيرة : من الحبوب ، والفواكه ، والخضروات .

الأشجار الكثيفة والغابات الملتفة توجد فى بعض مناطق الجنوب ، مثل منطقة السودة ، وتهلل ، والباحة ، وتمنية ، وتهامة ، والقرعاء ، والجرة ، والمحالة وغيرها . أما مناخها فشبيه بمناخ لبنان فى سحره وجماله فى الصيف والخريف ولاسيما فى جبال السراة ، وفى الشتاء والربيع تشتد البرودة ، ويغطى الضباب جبالها وقراها أثناء الربيع من حين لآخر(١) .

ويصف الأستاذ يحيى ابراهيم الألمعى السودة وتهلل ، التى ترتفع تسعة آلاف قدم(٢) : « فانك تشعر بجمال الطبيعة ، وكمال حسنها ، لما يتوفر فيها من مناظر خلابة ، وأماكن شاعرية أخاذة ، غابات تتعانق فيها الأشجار المخضرة المخضلة ، وربوات ترى فيها الأزهار المورقة ، ذات الألوان المختلفة ، وتفوح منها رائحة عطرية عبقة ، تتناثر فى أجواء تلك الأماكن العالية .. ومن أشجارها المعروفة الوافرة : البلسان ، والأثل ، والعرعر ، والأقحوان ، وعندما يهب النسيم ، نسيم الصبا ، وتشرق شمس الأصيل على تلك الروابى والمرتفعات الشاهقة ، تمتزج هذه العطور الفواحة مع الرذاذ الذى يتساقط على الأرض كالدر أو اللؤلؤ ، من أثر الطل ، حينئذ تستمتع بمنظر جميل

---

(١) انظر : فى ربوع عسير : محمد عمر . العهد الجديد ــ القاهرة ١٩٥٤ ، تاريخ عسير فى الماضى والحاضر . هاشم بن سعيد النعمى .

(٢) رحلات فى عسير : يحيى ابراهيم الألمعى .

أخاذ ، يرغمك على التجوال بين غابات لا ترى لها نهاية ، وربما صادفك فى طريقك ما يشبه الشلالات ،التى تتدفق منها المياه الرقراقة العذبة ، وتنساب فيها الجداول الصغيرة الصافية .. أما تهامة وأخص بالذكر منها جهات معروفة ، فهى معتدلة ، لا حرٌ ولا بردٌ ولا سآمة ، وفيها كثير من الأشجار الباسقة ، ويعتمد معظم أهلها على الزراعة ، ولا تخلو جبالها أيضا من مراتع الأرانب والعقبان ، ومراعى الحجل والغزلان ، وفيها من الطيور : البلبل ، والحبارى ، والعندليب ، والخضارى ، والهدهد ، واليمامة » .

فى هذه البيئة الساحرة نبتت ونمت مؤسسات علمية وأدبية راسخة فى ظلال المملكة الرشيدة المعطاءة ، كان لها الدور الكبير فى تعميق الجوانب الفكرية والثقافية ، وتوسيع المجالات العلمية والأدبية وهذه المؤسسات الغلمية هى جامعة الملك سعود (الرياض) سابقا ، فرع أبها ، وتضم كلية التربية ، وكلية الطب ، ثم كلية الشريعة وأصول الدين ، وكلية اللغة العربية والعلوم الانسانية والاجتماعية ، التابعتين لجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، ثم الكليات المتوسطة للبنين والبنات التابعة لوزارة المعارف السعودية ، ثم النوادى الثقافية والاجتماعية والرياضية والأدبية فى جيزان وبيشه ونجران وخميس مشيط ، وأحد رفيده والباحة وأبها وغيرها ، ولقد اشتركت فى ندوات كثيرة فى بعض هذه النوادى مثل نادى (ضمك) بخميس مشيط ، ونادى (جرش) بأحد رفيده ، وفى أبها وغيرها .

واشتركت فى حفل افتتاح (نادى أبها الأدبى) حين شهدت أبها حفلا تاريخيا فى يوم ١٤٠٠/٣/١١ هـ : (نيابة عن صاحب السمو الملكى الأمير خالد الفيصل ــ أمير منطقة عسير ــ افتتح صاحب السمو الملكى الأمير فيصل بن بندر بن عبد العزيز ــ وكيل امارة منطقة عسير ــ نادى أبها الأدبى فى تمام الساعة الثامنة من مساء الثلاثاء الموافق ١٤٠٠/٣/١١ هـ بحضور عدد كبير من المسؤولين والمثقفين وأبناء المنطقة)[١]

وفى هذا الحفل حث المسؤولون الشباب والأدباء على الابداع العلمى والأدبى ، قال صاحب السمو الملكى الأمير فيصل بن بندر : (فلقد اهتمت حكومتنا الرشيدة ، وعن طريق احدى مؤسساتها .. لانشاء ورعاية وتأسيس النوادى الأدبية ، وقامت على دعمها بكل ما يساعدها لتحقيق أهدافها ، والتى على رأسها بعث تراث هذه الأمة المجيدة وأدبها وعلومها ، ودعم كافة الطاقات الشابة وحفزها لتقديم ما عندها من قدرات على الانتاج والابداع العلمى والأدبى)[٢] .

وباسم المؤسسات الجامعية العلمية فى الجنوب تحدث الدكتور مزيد ابراهيم عميد كلية

---

(١) كلمات وقصائد : نادى أبها الأدبى . المقدمة : مطبعة عسير ١٤٠٠ هـ .

(٢) المرجع السابق ص ٥ ، ٦

التربية فى أبها فقال : (لا يسعنا اليوم إلا أن نشكر الله عز وجل ، ونحن نشهد تدشين هذه المؤسسة الأدبية الثقافية ، التى تعتبر لبنة أساسية فى كيان الصرح الثقافى فى منطقة عسير .. أما المجتمع فعليه أن يدرك أيضا انتماءه العميق لهذا الجزء منه ، ألا وهو مؤسساته الثقافية ، فهى كما ورد الذكر ، لم توجد إلا لخدمته ، وهى المصدر الأساسى الذى يمده بالقوة البشرية المؤهلة للمساهمة فى تقدم البلاد وازدهارها)(١) .

ومما ذكره فى كلمته الأستاذ محمد عبد الله الحميد رئيس النادى : « ونحن فى هذه المنطقة الجميلة المعطاءة .. الموحية بالأفكار البناءة والأخيلة الشعرية الصافية .. أحوج ما نكون الى ملتقى فكرى يجمعنا .. ومنتدى أدبى نغذى به أرواحنا »(٢) .

ثم تتفجر شاعرية الأستاذ أحمد فرح العقيلان ـــ مدير ادارة الأندية بالنيابة ـــ فأنشد قصيدته من وحى الساعة ، بعنوان : « أبها الشاعرة » :

سلم على أبها وحىِّ جمالهـــا	واسأل عن السحر الحلال جبالها
نفسى الفـداء لها ربوع فضائـل	تتشرف الأرواح أن تهدى لهـــا
أنشد عن الطهر العفيف نساءها	واسأل عن الخلق الشريف رجالها
الأسـد فيها والظبـاء سـوانح	بأبى وأمـى ليثهـا وغزالهـا
قد كنت أحسبنى كبرت على الهوى	وتـركت أحـلام الصبا ودلالهـا
حتى رأيت ظبـاء أبهـا رتّعـا	والحب يرتـع والعفـاف حيالهـا
واذا الوقـار يلومنـى ويقـول لى	العب وشارك فى الصبا أطفالهـا
لـولا وفـائى للريـاض وأهلهـا	لنقلت عائلتى هنـا وعيالهـا
أو كنت أتركهم هنـاك وأمهـم	وأسوم بعض الطاهـرات حلالهـا(٣)
أبهـا مصيف الطيبيـن يؤمهـا	من كان ينشـد فى الحياة جمالها
بعض المصايف ضـلة وفضـائح	وهنـا فضائلهـا تمـد ظلالهـا
حـوريـة السروات أنت نمـوذج	للحسن ترسمه الحسـان مثالهـا
فى روض أبهـا كل شىء شـاعر	فالحسن يصقل فى النفوس خيالها
ولحكمـة رزقت أمـيرا شـاعـرا	والشعـر يرسـم للنفوس كمـالها
والشـعر عبر عصـوره أنشـودة	رسمت لروح التضحيـات مجالهـا
ما أروع الآداب إن هى أنهلـت	من منهل الخلق الكريم خصالهـا
أنـا لم أنل فى العمر صحبة خالد	لكن سمعت الحمـد ممن نالهـا

---

(١) المرجع السابق : ١٢ ، ١٣

(٢) المرجع السابق : ٨

(٣) ضج النادى بالتصفيق والضحك .

وقرأت فى صحف روائع شعره ما كان أحلى نظمها وصقالها
ورأيت فى أبها غراس يمينه نشرت على قمم الجبال ظلالها
ورأيت رأى العين إنجازاته غراء يسبق فعلها أقوالها
لا تعجبن فخالد من أسرة يتفيأ الشرف الرفيع ظلالها
عَفْوا شغلت بخالد عن فيصل حرس الإله حياته وأطالها
نور على نور بجانب خالد بهما غدت أبها تسوق دلالها[1]

ومن أشهر مناطق الجنوب : أبها ، وتهامة عسير ، أو رجال ألمع ، وبلاد الحجر ، والنماص ، وتثليث ، وجاش ، وظهران الجنوب ، وبلاد بلقرن ، وبلاد شهران ، ومحائل ، وجازان وغيرها ، وترجع القبائل فيها إلى أصول العدنانية والقحطانية ، وأشهر من فيها : رجال ألمع ، وآل حفظى ، وبنو شهر ، وبنو عمرو ، وبنو الأحمر ، وبنو الأسمر ، وبنو مسعود ، وبنو شهران ، وغيرهم .

ذكر الهمدانى المتوفى سنة ٣٣٤ هـ بلاد الحجر : (أن عبل من أوطان عسير ، ويقع فى بلاد بنى الأحمر ، وهم من رجال الحجر بن الهنو بن الأزد)[2] .

وقال الهمدانى أيضا : (وأول بلاد الحجر من يمانيها عبل : واد فيه الحبل ، ساكنه بنو مالك بن شهر . وصبح وادى زرع ، وباطنه بهوان : وادى زرع وأعناب ، وساكنه بنو شهر)[3] .

وفى الحجر نشأ الشنفرى الأزدى العداء المشهور ، صاحب اللاميّة التى أولها :

أقيموا بنى أمى صدور مطيكم فإنى إلى قوم سواكم لأميل[4]

فى هذه الطبيعة الساحرة ، والبيئة الأخاذة ، مر الشعر الحديث فى الجنوب ، بالأطوار التى مرت بالشعر السعودى بصفة عامة ، واتخذ فى سيره التاريخى مراحل متنوعة فى التطور والتجديد ، ويمثل فى كل مرحلة من مراحله مدرسة فنية ، ومذهبا أدبيا ، يتميز بخصائصه وسماته ، ومن خلال هذه المدارس الأدبية برزت معالم المذاهب الأدبية فى هذا الشعر ، وسنفصل القول فى أشهر هذه الاتجاهات المدرسية فى شعر الجنوب وذلك فى الأبواب والفصول التالية :

---

(١) المرجع السابق : ٢٣ ، ٢٧
(٢) صفة جزيرة العرب : تحقيق محمد بن بليهد النجدى ص ١١٨
(٣) المرجع السابق : ١٢١
(٤) انظر فى : ربوع عسير : محمد عمر رفيع ــ وانظر : تاريخ المخلاف السليمانى : محمد أحمد العقيلى ــ السراج المنير فى سيرة أمراء عسير : عبد الله بن على بن مسفر ــ تاريخ عسير فى الماضى والحاضر : هاشم سعيد النعمى ــ فى بلاد عسير : فؤاد حمزة ــ الحياة الفكرية والأدبية : عبد الله محمد أبو داهش ــ دار الأصالة ــ الرياض .

البابُ الأول

مَدرسَة المحافظينَ

الفصل الأول

التقليد
خصائصه - شعراؤه

١- مدرسة التقليد المجرد من الموهبة الشعرية .
٢- سليمان بن سحمان وابنه صالح بن سليمان .
٣- الشاعر علي السنوسي .
٤- الشيخ حافظ بن احمد الحكمي .

مدرسة التقليد المجرد من الموهبة الشعرية :

أصحابها هم الذين عكفوا على محاكاة الشعر ، الذى دار فى فلك العصر ، فقد ساد فيه الضعف الفكرى والركود الأدبى ، وضحالة الثقافة ، وخمود العاطفة ، وبلادة المشاعر والأحاسيس ، وجمود الحياة ، مما كان له آثاره الهابطة على الفكر والأدب ، فاصطبغ الشعر بالتكلف والتصنع ، واشتد الغرام بألوان البديع الباهتة ، وازدادت المبالغة فى التصوير ، حتى زاغ المعنى ، وضل الهدف ، وتكاثف الزخرف فى الأسلوب وأثقال الزينة ، فناء بحمل المعنى المراد ، واختفت شخصية الشاعر الفنية ، فتجرد الشعر من العاطفة الجياشة ، والأحاسيس الرقيقة ، والمشاعر الحية ، والخواطر الذاتية ، وشرف المعنى ، ونبل الهدف ، وأصبح الأدب لا يثير العاطفة عند الآخرين ، ولا يحرك مشاعرهم ، ولا يثرى فكرهم ، ولا يربى أذواقهم ، ولا يثير نخوة المنافسة بين المتطلعين الى الأدب ، مما أدى الى فقر ساحة الأدب والشعر ، وجدب المواهب ، وانهيار الذوق الأدبى ، وعزوب الأديب ، وندرة الشاعر[١] .

هذه خصائص الجمود فى الشعر ، تسربت سمومه القاتلة الى شعر المقلدين من شعراء جنوب المملكة ، الذين سلكوا هذا الاتجاه الجامد ، ولا حيلة لهم فى غير ذلك ، ما دامت هى السلعة الرائجة فى سوق العصر الراكد ، ومن أشهر شعراء التقليد ، الذين خضعوا لنوبة التقليد ، واتسم شعرهم بهذه الخصائص القاتمة الجامدة ، من أهمهم :

سليمان بن سحمان ، وابنه صالح بن سليمان :

نشأ سليمان فى قرية (السقا) إحدى قرى أبها ، حيث ولد فيها وعاش ما بين (١٢٦٦ — ١٣٤٩ هـ) ، وتتلمذ على والده ، الذى اشتهر بحفظ القرآن ، وتجويده ، وحسن الخط ، والاحاطة بالعلوم الشرعية والعربية ، ثم سافر هو ووالده الى الرياض ، ليتردد على حلقات العلم ويتتلمذ على يد كبار العلماء ، ومن أشهر مؤلفاته : (الأسنة الحداد فى الرد على علوى الحداد) ، وكتاب (كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأوهام) ، وكتاب (إرشاد الطالب إلى أسنى المطالب) ، وغيرها وله ديوان شعر (عقود الجواهر المنضدة الحسان)[٢] .

ومن نظمه العلمى التقليدى فى تعليم الكتابة :

---

(١) انظر : أدب الحجاز : محمد سرور الصبان — مطبعة مصر ١٩٥٨ ، قصة الأدب فى الحجاز : د . محمد عبد المنعم خفاجى ، وعبد الله عبد الجبار : القاهرة ١٩٥٨ ، الاتجاهات الأدبية فى العالم العربى الحديث : أنيس المقدس — دار الكتاب العربى — بيروت ١٩٦٠ م .

(٢) شعراء العصر الحديث فى جزيرة العرب : عبد الكريم بن حمد الحقيل — طبعة أولى ١٣٩٩ هـ ص ١١٣

أكتب ككتبى كما قد كنت أكتبه   كتبا ككتبى لهذا الكتب فى الكتب
سطر بسطر كهذا السطر أسطره   سطرا سليما سويا تسم فى الرتب
حرف بحرف على حرف كأحرفه   واحذر من الحيف فى حرف بلا سبب[1]

وهذا نظم ـ وليس بشعر ـ جامد جاف يتعثر فيه اللسان ، وحروف مكتظة تثاقلت بها الأفواه ، لهيام الشاعر بحشد الحروف الواحدة ، وتوارد المشتقات المتجانسة ، وترادف الجناس المتضاعف أضعافا مضاعفة مما أدى الى ركاكة النظم ، واضطراب الأساليب ، وضعف المعنى ، وضحالة الفكرة ، وجمود المشاعر ، وخمود العاطفة ، وذهاب ريح الشعر فى سرق التقليد النافقة الخاسرة .

ويقول ابن سحمان أيضا فى قصيدة يشيد فيها بجلالة الملك عبد العزيز رحمه الله تعالى :

هو الملك السامى الى منتهى العلا   وقد أمّه فى نيلها الطالع السعد
إمام الهدى عبد العزيز الذى به   تضعضعت الأملاك واستعلن الرشد
تحمل ـ هداك الله ـ منى تحية   هدية مشتاق أمض به الوجد
وأورى به من لاعج الشوق جذوة   ولكنه قد عاقه النأى والبعد
وخامره من نشأة البشر نشوة   وفى قلبه سكر من البشر ممتد
إلى الملك الشهم الهمام أخى الندى   مذيق العدا كأس الردى عندما يعد
ومن أصله المجد المؤثل والعلا   ومن جوده الجدوى لمن مسه الجهد[2]

فهذا الشعر **خلو من العاطفة الجياشة** ، **ومجرد من الاحساس** الدافق ، والمشاعر الرقيقة ، لأنه يقوم على رصف الألفاظ ، ونظم ورصّ الكلمات فى سلك البحر الخليلى ، والقافية العمودية ، هائما بالترادف بين (السامى ومنتهى ـ والعلا والطالع السعد ـ والنأى والبعد ـ وبين : أخى الندى ومن جوده) ، والتقابل بين (تضعضعت الأملاك واستعلن الرشد) وغير ذلك من أثقال اللفظ ، **وركاكة التعبير** ، واللعب بالزخرف .

وكذلك نجد فقدان العاطفة الجياشة فى شعر ابنه صالح بن سليمان (١٣١٩ هـ) :

الآن فليفتخر فى مصر واليها   ولتفتخر هى بالنيل الذى فيها
واليخت والبحر والسكان أجمعهم   بمن له الفخر لما حلّ ناديها
عبد العزيز مليك الناس قاطبة   براً وبحراً وحضاراً وباديها
من آل فيصل أمجاد غطارفة   شوس أماجد ما حيّ يحاكيها
يا أيها الملك الميمون طائره   يا ناصراً الملة السمحاء وحاميها

---

(١) الحركة الأدبية فى المملكة العربية السعودية : د . بكرى شيخ أمين ص ٣٧٨

(٢) ديوان عقود الجواهر المنضدة الحسان : ابن سحمان .

قلوبنا ارتحلت لما ارتحلت وقد   آبت بأوبتكم يا نور داجيها
فأبت بالسعد ميمونا تحفكمو   سلامة الله لا ينفك حاديها
فمرحبا بك يا شمس البلاد ويا   نور البسيطة قاصيها ودانيها[1]

لكن الشاعر تخفف من أثقال الزينة ، والمبالغة فى الزخرف والبديع ، ولا زالت مسحة قليلة منه ، أما المعنى فلا زال ضحلا والمشاعر ما زالت فوق السطح ، والأحاسيس ليست عميقة ، والصور الأدبية لا تنبض إلا بعرق واحد فقط وهو سلامة الأسلوب من الركاكة وترفعه عن القلق والاضطراب وخيط رفيع من **صدق العاطفة** ، **وحرارة الانفعال** .

الشاعر على السنوسى :

وهو من شعراء هذه المدرسة التقليدية (١٣١٥ هـ) ، ولد فى مكة المكرمة ، لكنه هاجر الى المراوغة وزبيد ، وعاش فى الجنوب ، ومن شعره يمدح الملك عبد العزيز رحمه الله تعالى فى درس نحوى يقول :

ومفرد بالمعانى جاء منحصرا   فى نعته المبتدأ المرفوع والخبر
وجازم الفعل والماضى بظاهره   ومن سواه ضمير جاء يستتر
والحذف والنقص من حرف البناء إذا   ما جاء فهو على شانيه ينحصر[2]

الشيخ حافظ بن أحمد الحكمى :

وهو من شعراء هذه المدرسة ، عاش فى جازان ، واشتهر بعلمه ومدرسته ، التى تعلم فيها هذا الجيل من أبناء جازان ، وما حولها وله ديوان (نيل السول من تاريخ الأمم وسيرة الرسول) ، وكذلك أربع رسائل شعرية وهى : (رسالة سلم االوصول فى التوحيد والسنة) ، و (رسالة ميمية الآداب فى الوصايا العلمية) ، و (رسالة نظم اللؤلؤ المكنون فى مصطلح الحديث) ، و (رسالة القصيدة اللامية فى الناسخ والمنسوخ) . يقول الشاعر الناظم فى سيرة الرسول :

مولده كان بعام الفيل   ونقل الخلاف عن قليل
ثانى عشر من ربيع الأول   فى يوم الاثنين بلا تحول
كم بدا فى ليلة الميلاد   من آية فى سائر البلاد
منها سطوع النور فى الأقطار   إضاءة كذا خمود النار
وارتج ايوان كسرى وسقط   منه الشرافات إلى الأرض تحط[3]

---

(١) شعراء العصر الحديث : عبد الكريم الحقيل ص ١١٦

(٢) الحركة الأدبية : د . بكرى شيخ أمين ٣٧٨

(٣) ديوان نيل السول : الشيخ حافظ بن أحمد الحكمى ص ١٦ ط البلاد السعودية ــ مكة المكرمة .

ويقول في أرجوزته أيضا في (سنة تسع من الهجرة) :

كان بها غزو تبوك في رجب وقصده الروم فإذ ذاك انتدب
معه ثلاثون من الآلاف مقاتلون كل ذي خلاف
وابن سلول عنه قد تخلفا في حزبه وبعض من قد تخلفا
عذرهم الحاجة إذ لم يجدوا نفقة وآخرون وجدوا(١)

ويقول أيضا في أحوال الأسانيد والمتون

والمتن ما إليه ينتهي السند من الكلام والحديث ما ورد
عن النبي وقد يقولون الخبر كما أتى عن غيره كذا الأثر
متابع وشاهد له انجلى ثم صحيح حسن قد قبلا
ومحكم معارض ومختلف وناسخ قابل منسوخا عرف
والراجح المرجوح ثم المشكل معلق ومرسل ومعضل
منقطع مدلس قد احتمل موضوع ومتروك وموهوم معل(٢)

يوضح الشيخ حافظ الحكمي في نظمه ـ لا شعره ـ هنا أصول الأسانيد : فمنها ما هو صحيح ، وحسن، ومحكم ، ومعارض ، ومختلف ، وناسخ ، ومنسوخ ، وراجح ، ومرجوح ، ومشكل ، ومعلق ، ومرسل ، ومعضل ، ومنقطع ، ومدلس ، وموضوع ، ومتروك ، وموهوم ، إلى آخر ما جاء في علم مصطلح الحديث وعلم الجرح والتعديل ، من علوم الحديث الشريف .

هؤلاء هم أشهر شعراء مدرسة التقليد في جنوب المملكة العربية السعودية ، ولم نذكر نماذج لشعر غيرهم ممن سار على نهجهم من هذه المدرسة اكتفاء منا من أن ذكر البعض يدل على تحقيق المنهج كله في بقية الشعراء ، ماداموا هم جميعا من مدرسة واحدة وهي مدرسة التقليد .

وهنا سؤال يطرح نفسه وهو : لماذا جعلت مدرسة التقليد داخلة وتابعة لشعر المحافظين ومدرسيهم ، كما هو واضح حيث كانت مدرسة التقليد فصلا ، بل أول فصل من فصول هذا الباب ؟

والرد على هذا السؤال واضح أيضا وهو : أن مدرسة التقليد أقرب الى مدرسة المحافظين من أي مذهب آخر فبعيد جدا أن يدخل في إطار مدرسة المجددين ، ولا في إطار مدرسة المبدعين .

---

(١) المرجع السابق : ص ٤١

(٢) نظم اللؤلؤ المكنون في أصول لأسانيد والمتون : الشيخ حافظ الحكمي مطابع البلاد ـ مكة المكرمة

وكذلك أمر آخر وهو أن المقلدين والمحافظين يجمعهم اتجاه واحد فى الشعر هو منهج القصيدة واحد والتزام عمود الشعر كذلك واحد ، والحرص على الوزن والبحر والقافية عندهما سواء .

وقبل هذين أمر جوهرى ، وهو أن مدرسة التقليد لا تقيم فى هذا البحث بابا مستقلا له فصوله الكثيرة ، وذلك لضعف شعرهم من حيث الكم والكيف معا ، وتعذر الحصول عليه ، حتى لو كان موجودا وعلى سبيل المثال ظللت سنوات للحصول على شعر الحكمى فى مشقة مضنية وقيود تحمل على اليأس وفقدان الأمل ، وأخيرا حصلت عليه ، وكأنى حصلت على كنز العمر كله .

ومادة الشعر لهذا البحث لقيت مثل هذا العنت فى جمعه وتحصيله لأن الشاعر يطبع شعره لحسابه بلا دار نشر وبهذا يحتفظ به لنفسه كالدر الثمين وقد يهدى منه ، ولا يفكر فى توزيعه عن طريق دار نشر حتى يتمكن الباحث من اقتنائه ، أو يطبعه النادى الأدبى فى مدينة من مدن المملكة ، وهنا تكون مشقة الحصول عليه أشد وأصعب لأن النادى لا يعرضه للبيع ، كما أن المهدى إليه يكون أشد حرصا على كتمانه .

ومع هذه الظروف القاسية حصلت على المادة الشعرية عن طريق رهط من طلاب العلم والأدب المخلصين ، الذين كانوا يجوبون الجنوب الوعر للحصول على دواوين الشعر ، والله سبحانه وتعالى وحده يضاعف لهم الأجر والثواب الجزيل .

لهذا السبب الجوهرى ، ولأن شعراء التقليد من الجيل السابق والماضى ، كان من المتعذر الحصول على شعرهم وكثيرا ما ألح علىّ المنهج فى أن أضم التقليد مع التمهيد ولهذه الأسباب رأيت أنه أقرب إلى الباب الأول من التمهيد ومن غيره .

ومن أشهر شعراء التقليد فى هذه الفترة أيضا : محمد بن مهدى بن أحمد الضمدى (١١٩٣ — ١٢٦٩ هـ) ، وعلى بن عبد الرحمن النعمى ، ومحمد حيدر القبى النعمى م(١٣٥١ هـ) وعلى بن ابراهيم النعمى (م ١٢٧٥ هـ) ، ومحمد بن على الادريسى (م ١٣٤١ هـ) ، والحسن بن أحمد بن عبد الله بن عاكش الضمدى (١١٩٣ — ١٢٦٩ هـ) ، والحسن بن خالد بن عز الدين الحازمى (١١٨٨ — ١٢٣٥ هـ) ، وأحمد بن الحسن بن على البهكلى (١١٥٣ — ١٢٣٣ هـ)[1] .

ولد الشاعر أحمد بن الحسن بن على البهكلى بالمخلاف السليمانى عام ١١٥٣ هـ وتلقى العلم على يد أخيه عبد الرحمن ثم رحل الى زبيد وصنعاء للتزود من العلم ليعود قاضيا على مدينة « صبيا » لكنه ما لبث أن سجن فى مدينة أبى عريش عام ١١٨٨ هـ ، ثم أطلق سراحه فهاجر

---

(١) انظر تاريخ المخلاف السليمانى : محمد أحمد العقيلى القسم الثانى .

الى اليمن وبقى فى صنعاء ، حتى رحل إلى بلده المخلاف السليمانى ومات بأبى عريش عام ١٢٣٣ هـ ومن شعره يقول :[١]

لخالقنا فى أمرنا الحل والعقد وليس لما يقضيه منع ولا رد
وأفعاله محفوفة بمصالح ولا شح يعلوها وإن جهل العبد
تنزه عن جور وظلم على الورى فما ان له فى عدله أبدا ند
رضينا بما قدرته يا مهيمن على كل حال يعترينا لك الحمد

فهو شعر فاتر المشاعر ـ ضعيف المعنى ، ضحل الفكرة ـ قلق الأسلوب مع أن الشاعر قد تخفف من ألوان البديع والزينة ، لكن القارىء مع ذلك يشعر بثقل البيت على السمع ولا يتلاحق الشعر مع قراءته لأنه وإن كان موزونا مقفى ، لكن الايقاع الموسيقى فى داخله لا ينساب مع المعنى والوزن ، لهذا كان الثقل فيه يرجع الى روح التقليد لا لأصالة فى قرض الشعر .

وأما الشاعر الحسن بن خالد الحازمى فقد ولد عام ١١٨٨ هـ بالمخلاف السليمانى وتعلم على يد القاضى أحمد بن عبد الله الضمدى ثم أصبح وزيرا لأمير المخلاف السليمانى ، وفتح المدارس ، وشجع العلماء ، وأصبحت بلاده مقصدا لطلاب العلم ، وله مؤلفات ورسائل وتوفى عام ١٢٣٥ هـ فى عسير أثناء اشتراكه فى قتال الترك[٢] . ومن شعره الذى يناصر به دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب قال :

الله أكبر كل هم ينجلى عن قلب كل مكبر ومهلل
وموحد لله جل جلاله والشرك عنه والضلال بمعزل
وبدايتى اسم الله فيما ابتغى من نظمى العذب الرحيق السلسل
ثم الصلاة على النبى محمد خير الورى النبأ العظيم المرسل
والآل أرباب الهداية والتقى من ودهم نص الكتاب المنزل
ولقد عثرت على نظام صاغه من رام نصحا شأنه لم يجهل

وأما الشاعر الحسن بن أحمد عاكش فهو من أسرة علمية مشهورة[٣] ولد فى بلدة« ضمد » بالمخلاف السليمانى فى عام ١٢٢١ هـ ورحل فى سبيل العلم الى بيت الفقيه ، وزبيد وصنعاء ومكة المكرمة ، وعاد الى بلده ليشتغل بالتدريس فأقبل عليه الدارسون من كل

(١) المرجع السابق : ج ١ القسم الثانى .
(٢) انظر : نيل الوطر : محمد محمد زباره ، عقود الدرر وحدائق الزهر : الحسن بن أحمد عاكش .
(٣) عقود الدرر : الحسن بن أحمد عاكش : ورقة ١٠٧

مكان وكان من أشهر أدباء هذه المنطقة وله مؤلفات كثيرة وتوفى عام ١٢٨٩ هـ ومن شعره يقول [1] :

لا تعجبوا إن صار خلى عاتبا إن الزمان اليوم بالمقلوب
ولئن غدا قلب الحبيب مصرفا فالقلب مشتق من التقليب
قد كنت أحسب عين دهرى أغمضت عينا ولكن وكّلت برقيب
صبرا على مضض الزمان وفعله والصبر منعقد بكل نجيب
إنى جفانى كل خل صادق فكففت فى الابلاج والتأويب [2]



(١) نيل الوطر : محمد زبارة .
(٢) مجموعة أشعاره : المكتبة العقيلية الخاصة ـــ جازان

الفصل الثاني

مدرسة المحافظين

١- خصائصها الفنية .
٢- شعراؤها .
٣- الشيخ محمد سرور الصبان .
٤- الشاعر معيض بن علي البختيان .
٥- آل الحفظي .

خصائصها الفنيـة :

وشعراء هذه المدرسة فى الجنوب ، هم الذين اتخذوا منهج الفحول من القدامى مذهبا فى شعرهم ، فحافظوا على نظام القصيدة القديمة ، وعلى عمود الشعر العربى فيها ، آخذين بما أخذه الفحول فى شعرهم من جزالة الألفاظ ، وإحكام التراكيب ، ودقة الأساليب ، وروعة التصوير ، وشرف المعنى ووضوحه ، ونبل الغرض ، والاهتمام بالهدف والمضمون ، والتزام الوزن والبحر والقافية كما جاء فى علم العروض والقافية للخليل بن أحمد ، وماجرى عليه الشعراء العرب فى الجاهلية وصدر الاسلام والتقارب فى التشبيه ، وقرب الاستعارة وما اشتهر فى استعمالاتها عند الفحول من الشعراء الرواد ، ثم الخيال القريب المألوف ، ثم الكناية المشهورة التى أصبحت كالمثل يضرب به . والبديع الذى يأتى عفوا من غير قصد وعلى سبيل الندرة ، وإشراق الديباجة ، وروعة الاستهلال ، ولطف الانتقال ، وغير ذلك من عناصر بناء القصيدة العربية القديمة على أساس عمود الشعر العربى المعروف فى شرح الحماسة للمرزوقى وفى الموازنة للآمدى ، وفى الوساطة للقاضى بن عبد العزيز الجرجانى وغيرهم[1] .

ويضاف الى خصائص عمود الشعر خصائص فنية أخرى فى شعر المحافظين فى الجنوب ، هى أن شعر عسير يصور واقع عصرهم ، الذى يعيش فيه الشاعر ، فيعالج القضايا التى تمس شغاف قلبه ، وتهز وجدانه ، وتتجاوب مع اتجاه عصره ، وأحداث زمانه .

وهذه المدرسة المحافظة ، قد انتهى الشعراء فيها الى اتجاهين مختلفين ومذهبين أدبيين متميزين :

أحدهما : مذهب المحافظين على تقليد الفحول من الشعراء القدامى مع بروز موهبتهم الشعرية ، وأصالة قريحتهم الصافية الصادقة ، من غير تجديد فى المعانى ، ولا فى الأغراض ، ولا فى الأسلوب .

ثانيهما : مذهب المحافظة ، لكنها فى ثوب جديد ، يتفق شعراؤها مع الفحول من الشعراء القدامى فى التزامهم بعمود الشعر العربى مع التميّز عنهم فى المعانى والأغراض ، وفى بعض الصور الأدبية التى تعبر عن ثقافة العصر وواقعه ، ثم التشخيص الحى فى التصوير الأدبى ، وكذلك يتميزون فى منهج القصيدة الحديثة ، وبوحدة الموضوع ، والوحدة الفنية .

---

(١) انظر كتابى (عمود الشعر العربى) دار الحارثى بالطائف السعودية ط أولى ١٤٠٢ هـ وفصلت القول فى عمود الشعر ، دفعا للتكرار .

وهذا المذهب الأدبى الجديد المحافظ ، هو المنطلق لبناء مدرسة المجددين فيما بعد ، وسنوضح هذه المذاهب ومدارسها كلا على حدة فى مكانه ان شاء الله تعالى .

أما مذهب المحافظة على تقليد الفحول من الشعراء القدامى فقد التزموا عمود الشعر العربى عندهم ، مترسمين خطى جرير والفرزدق ، وأبى تمام والبحترى ، وابن المعتز وابن الرومى والمتنبى والمعرى وغيرهم ، ويمثل هذا المذهب الأدبى ، ويشترك فى هذه المدرسة الفنية شعراء كثيرون فى جنوب المملكة .

الشاعر الشيخ محمد سرور الصبان :

ومن أشهر الشعراء الشاعر الشيخ محمد سرور الصبان ، ولد فى مدينة القنفذة ، من قرى الجنوب ، (١٣١٦ ــ ١٣٩٢ هـ) وهو من أعلامها ، ثم ذهب الى مكة المكرمة وجدة ليتعلم فى مدارسها حينئذ ، وبعد أن أخذ قسطا من التعليم المتواضع ، عمل أستاذا ، ثم تاجرا ، فموظفا حكوميا ، ثم وزيرا للمالية والاقتصاد الوطنى ، وأخيرا أمينا عاما لرابطة العالم الاسلامى ، ومن أشهر مؤلفاته ، (أدب الحجاز) وكتاب (المعرض) ، ومن شعره :

القوم قومك والبنون بنوك ... والطامحون الى العلا أهلوك
إن جد جد الأمر يا سورية ... فهم الذين جنودهم تحميك
وإذا الوغى قد صاح صائحها فلا ... تدعو الوغى إلا وقد جاؤوك
والعبقرية والحماسة والنهى ... صدق الذين بهن وصفوك
أدمشق يا بلد الكرام ومعقل الأبـ ... ـطال فى يوم القنا المشبوك
يا موطن الأحرار والسادات من ... أهل الوفا إذا دعا داعيك
أنت الفريدة بالسماحة والندى ... بالفضل والعلياء قد عرفوك(١)

ويقول الصبان أيضا :

من لى بشعب نابه متيقظ ... ثبت الجنان وصادق العزمات
من لى بشعب عالم متنور ... يسعى لهدم رذائل العادات
من لى بشعب باسل متحمس ... حتى نقوم بأعظم النهضات
من لى بشعب لا يكل ولا ينى ... يسعى الى العلياء بكل ثبات(٢)

---

(١) شعراء العصر الحديث : ص ١٦٢
(٢) أدب الحجاز : محمد سرور الصبان : ١٤٧ مصر عام ١٩٥٨ م

ويخاطب وطنه فيقول :

أنا لا أزال شقي حبـ ـك في كل واد
زعم العوازل أنني أسلو وأجنح للرقاد
كذبوا وحقك لست أقدر أن أعيش بلا فؤاد
ولسوف أصبر للمصا ئب والكوارث والبعاد
حتى أراك ممتعا بالعزة ما بين البلاد(١)

موهبة شعرية صافية ، وقريحة وقادة ، تتجاوب مع أصداء الحياة والوطن ، فى معان قوية ، وأغراض حية ، يسلكها فى أسلوب قوى ناصع ، وعبارات رشيقة محكمة ، وديباجة مشرقة ، ينساب الأسلوب عذبا رقراقا ، غير متعثر فى التقليد ، وقيود الزخرف والزينة ، فجاء شعره مطبوعا قويا ، اللهم إلا فى المقطوعة الأولى ، حيث بدت العاطفة الشعرية فاترة غير جياشة ،

ولذلك كان الأسلوب قلقا فى مكانه ، كما فى البيت الأول والثالث ، وقوله :

والعبقرية والحماسة والنهى صدق الذين بهن وصفوك

فهو ليس بشعر ، وإنما هو من كلام عامة الناس ، حينما يتناولونه فى أحاديثهم العامية ، ثم لا تجد انسجاما فى حرف الروى ، بل قلق واضطراب .

والصبان شاعر مقل فى شعره ، لم يجعل الشعر هدفه فى حياته فكان يقول القصيدة أو القصيدتين ، والمقطوعة بعد المقطوعة ، لكثرة أعماله ، واهتمامه بشتى المجالات ، ولكنه كان يعطى جهده الأكبر فى الدعوة إلى إعداد الوجه المشرق للأدب السعودى ، لا العلم والفكر وحدهما المقصوران على الخلافات فى رأى بين المذاهب الفقهية أو الحقائق التاريخية ، والأدب والشعر لهما دورهما الكبير فى صون اللغة واشراقها ، وتهذيب المشاعر ، وتنمية الحسّ اللغوى والذوق الأدبى ، وكان هذا هو الهدف من تأليف أول كتاب فى الأدب الحديث وهو (أدب الحجاز) ، فقسمه الصبان إلى قسمين : قسم للشعر ، وقسم للنثر الأدبى .

والصبان يعد من الرواد فى الأدب السعودى ، وأول الداعين بالنهضة الأدبية ، وتخليص الشعر من قيوده الثقيلة التى أذهبت قوته ، وقطعت صلته بالشعر القوى فى عصوره الذهبية ، وحملت مقطوعاته الشعرية دعوة التجديد كما فى المقطوعة الثانية هنا ، فهو يحث الى بناء أمة نابهة وشعب متيقظ وعالم متنور ومتحمس ليحقق أعظم النهضات ، ويسمو الى المجد والعلا ، وكان فى شعره القليل يمثل هذه النهضة الشعرية فى العصر الحديث ، فنجده أول من ينهض بالأدب ، ويخلص الشعر من كبوته ، ويجرده من أغلاله وأثقال الزينة ، ويحدد هدفه فى تربية الأذواق ،

(١) الأدب الحجازى : أحمد ابراهيم : ٩٧ — نهضة مصر القاهرة ١٩٤٨ م

ونهضة الأفكار وعمقها ، وتقدم الأمة ورقيها ، وظهر أثر دعوته وريادته فى شعر الشعراء الرواد فى المملكة العربية السعودية ، مثل شعر محمد حسن عواد ، فقد كان أصغر شاعر ذكره فى كتابه (أدب الحجاز) وغيره مما عاصر عواد[1] .

الشاعر معيض بن على بن محمد البختيان :

ولد الشاعر فى (تثليث) عام ١٣٧٠ هـ ، وتدرج فى مراحل التعليم متنقلا بينها وبين أبها والرياض فى جامعة الامام محمد بن سعود ، ثم تقلب فى وظائف مختلفة ، وله (ديوانان) صدر منهما ديوان (الهجير) عام ١٣٩٨ هـ ، أما الديوان المخطوط فهو (إلى سيدة القرية) ، وله كتاب مخطوط بعنوان (الشعر الملحون فى لغة العرب)[2] ، ومن ديوان شعره قصيدته (وعد) يقول فيها :

ذات العيون السود والألق   وغريرة الأحلام والحرق
آفاقها كالماس صافية   ونعيمها من ناعم الورق
يزهى بها قدح تراشفه   مزّ الهوى والعابس الومق
وتجنّ إن ألقت غلالتها   جن المحب المدنف الشفق
يا ومضة منداحة الأفق   والغيم فى زاد من الشفق
تدنى العشايا من نسائمها   نفثا مدى الأعصاب والحدق
هل تعذرين الصب سيدتى   بأن ضاع والآهات فى الطرق
وانسل منه الفرح وانصهرت   أحلامه فى عالم سحق
أم لى إلى غلواء فاتنة   سلت على تسبيحتى أرقى
وعد أغنى الغيد أفضله   روح الأصيل العذب والفلق

يترقرق فى شعر البختيان رونق الأصالة الشعرية ، وينبض بموهبة الشاعر الصافية ، فالمعانى فيه واضحة ، والألفاظ جزلة رشيقة ، والأسلوب محكم مترابط ، والصور الأدبية الجزئية على نمط الشعر العربى القديم ، فى خيال مشدود فى روحه ومنهجه وأصالته إلى الخيال الشعرى عند فحول الشعر العربى قديما ولا تجد قلقا فى الوزن ، ولا اضطرابا فى الايقاع ، اللهم إلا عدم التلاؤم فى حرف الروى مع الغرض من القصيدة حيث يتناسب مع الغزل حرف رقيق كالسين أو النون أو الراء مثلا ، أما القاف فهو حرف ثقيل غير رقيق يتناسب مع الحماسة ، وجلبة الحروب ، وقعقعة السلاح .

---

(١) أدب الحجاز : محمد سرور الصبان : انظر هذا الكتاب
(٢) شعراء العصر الحديث : ص ٢١

ويعتصم البختيان بمذهب القدماء فى منهج القصيدة العربية القديمة من الحفاظ على أركانها وعناصرها ، وخصائصها الفنية التى تقيم عمود الشعر ، وتطبق معالمه الفنية ، ولذلك فهو من شعراء هذه المدرسة المحافظة على طريقة القدماء من غير تجديد فى المعانى ولا فى الأغراض ولا فى التصوير الأدبى ، وسأتناول بعده شعر آل الحفظى بالتفصيل والتوضيح لابراز أغراضه الأدبية وخصائصها ، وتصويره الأدبى وسماته الفنية اكتفاء به عند التفضيل فى شعر البختيان ومن معه فى هذه المدرسة ، لما يقوم عليه شعر آل الحفظى من الخصائص الفنية للمحافظين ، التى تدل على تحقيقها فى بقية الشعر لشعراء مدرستهم الأدبية ، ولهذا خصصت فصلا كاملا بالتوضيح والتفصيل ، وهو فصل : آل الحفظى .



الفصل الثالث

شعر آل الحفظي

١- أشهر الشعراء .
٢- شعرهم في الميزان .
٣- التصوير الشعري وخصائصه .
٤- الأغراض الأدبية وخصائصها الفنية .

الشعراء :

ومن أشهر شعراء آل الحفظي فى ربوع عسير وجبالها ووديانها ، وخاصة فى حاضرة (رجال ألمع) ، منهم الشاعر الشيخ أحمد الحفظي الأول (١١٤٥ ـــ ١٢٣٣ هـ) ، والشيخ ابراهيم الزمزمى الحفظى (١١٩٩ ـــ ١٢٥٧ هـ) ، والشيخ على بن الحسين الحفظى (١٢١٧ ـــ ١٢٧٥ هـ) ، والشيخ عبد الخالق بن ابراهيم الحفظى (١٢٢١ ـــ ١٢٨٤ هـ) ، والشيخ أحمد الحفظى الثانى (١٢٥٠ ـــ ١٣١٧ هـ) ، والشيخ على زين العابدين الحفظى (١٣٠٥ ـــ ١٣٧٢ هـ) ، وسواهم من شعراء مضوا مع الخالدين وشعراء ما زالوا على قيد الحياة[1] .

والتقى هؤلاء الشعراء فى ديوانهم ، الذى نشر عام ١٣٩٣ هـ ـــ ١٩٧٣ م ، فقد صدر الجزء الأول منه ، على أن يتبعه الجزء الثانى بعد جمعه كما أشار إلى ذلك محمد بن ابراهيم وعبد الرحمن بن ابراهيم من آل الحفظى فى المقدمة ، وقد حاولت التعرف على موعد صدور الجزء الثانى من ديوانهم ، فعلمت أنه قد جمع والحمد لله ، وتسلمه (نادى أبها الأدبى) ، على أن يقوم بطبعه ونشره ، وذلك قريبا ان شاء الله تعالى ، كما وعد بذلك النادى .

والجزء الأول الذى تحت أيدينا ، يعطى الوجه الحقيقى للشعر عندهم ومنهجه ، ومدرسته ، وأغراضه وخصائصه الفنية ، بما يدل على شعرهم بصفة عامة ولا زال حتى الآن منهم الشعراء فى الجنوب الذين يسيرون على نهج آبائهم وأجدادهم ، بحيث لا تفوتهم المناسبات الأدبية والوطنية فى النوادى الأدبية والثقافية ، وذلك مثل شاعرهم الأستاذ الحسن بن على الحفظى مدير مدرسة حسان بن ثابت (برجال ألمع) ، ومن شعره الذى ألقاه بمناسبة افتتاح نادى أبها الأدبى عام ١٤٠٠ هـ ، التى تشارك بها تهامة السراة فى احتضان ناديها ، يقول :

يد من الدولة الغراء بيضاء ... مدت إلينا فأبها اليوم فيحاء
يد تشع على الآداب فانبثقت ... منها ينابيع ماء ما إن مسها داء
يد من الخالد المثلى فضائله ... كثيرة ما لها عد وإحصاء
ناد بأبها تراه اليوم مزدهرا ... وخالد الفيصل المقدام بناء
يرسى القواعد للنادى ويرفعها ... صرحاً مجيدا وزان الصرح إنشاء

---

(١) نفحات من عسير : جمعه ونسقه محمد بن ابراهيم الحفظى ، وعبد الرحمن بن ابراهيم الحفظى : عام ١٣٩٣ هـ/١٩٧٣ م مطابع عسير فى أبها .

إلى قوله :

تهامة وسراة الأزد فى جدل تختال ألوية النادى وأضواء
إنى سأعزف أنغامى بقافيتى فى نشوة يطرب الأسماع إصغاء
أرسلتها من ذرى العلياء فى أفق سامى الجلال ووهج العلم وضاء[1]

الشعر فى ميزان الرأى :

أشاد بأدبهم وعلمهم كثير من الأدباء ، نذكر منهم على سبيل المثال ، الأديب الشيخ عبد الله بن على حميد رئيس بلدية أبها سابقا ، قال مشيدا بآل الحفظى ، وبما جمعه الأستاذ محمد الهلالى من تراث ضخم لهم : لأولئك الذين طبقت شهرتهم الآفاق ، وضربت إليهم أكباد المطايا من كل حدب وصوب للاغتراف من مناهل العلوم الرقراقة .. ولما كانت أسرة آل الحفظى عريقة فى شتى المعارف والعلوم فإن التركة التى خلفها القوم حافلة بمؤلفاتهم العديدة .. بدليل انى اطلعت على ديوان ضخم عنوانه (الروض المرضى فى ديوان آل الحفظى) ، يضم بين دفتيه ما يدل على علو كعبهم ، وتضلعهم فى فنون العلم .. وغيرتهم على الدين ، وحرصهم على الأخذ بكتاب الله وسنة رسوله ، ومناصرتهم لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ومؤازرتهم لآل سعود .. وبقى أن أحيل القارىء إلى هذه المجموعة من القصائد بهذه المقطوعة القصيرة :

إذا كنت مشتاقا إلى ورد منهل يبل الصدى فى سبسب قل رائده
فدونك حوض من نمير مسلسل كأن رحيق النحل يمزج رافده
شتيت تنقاها الهلالى لنظمها بعقد تزين النحر منها قلائده
ليحيى آثار قوم تقدموا قد اقتنصوا لكل فرد شوارده
وكم سنة أحيوا وكم بدعة نفوا وكم أسندوا حقا بحق يسانده
فأرسوا منار الدين من بعد فترة وضاءت بهم سبل الهدى ومقاصده[2]

ويشيد بشعرهم الشاعر نديم الرافعى فيقول :

ديوان شعر قد بدا للنور فزهت بطلعته ربوع عسير
يروى لنا أمجاد آحاد الوغى لم يرو مجد العرب كل خبير
نسج اليراع لآل مقرن بردة بيضاء رمز قداسة التقدير
فغدت على الأيام حلة رفعة ومعزة وكرامة وسرور
صانوا المآثر والمفاخر للألى صانوا البلاد بشرعة الدستور
تهدى عيون الشعر وهى قلائد فى مدح كل معظم مشهور

(١) كلمات وقصائد : نادى أبها الأدبى ١٤٠٠ هـ مطابع عسير ص ٣٥/٣٨
(٢) نفحات من عسير : ص ١٤ ، ١٥

فى مدح بيت المجد بيت مليكنا ... يعتز بالتهليل والتكبير
صاغته من درر البحور قرائح ... تضفى على الأبرار فيض شعور
إلهامها القرآن مصباح الهدى ... والوحى صدق القول فى التبشير
ما مات من بالوعظ خلد دعوة ... خفاقة كالبدر فى الديجور(١)

خصائص شعرهم المحافظ :

آل الحفظى لهم ديوان كامل صدر منه الجزء الأول بعنوان (نفحات من عسير) جمعه المرحوم محمد ابراهيم زين العابدين الحفظى ، ونسقه للطبع عبد الرحمن بن ابراهيم زين العابدين الحفظى عام ١٣٩٣ هـ/١٩٧٣ م ، وسنعرض بعض شعرهم لنقف على الخصائص الفنية لمدرسة المحافظين فى الجنوب . يقول الشيخ أحمد الحفظى الأول فى قصيدته (أئمة حق) ، وهى تربو على ثمانين بيتا ، ومطلعها :

على العارض النجدى أهدى سلاميا ... وأذكى تحياتى لتلك الروابيا
سلام على أعلامها وآكامها ... سلام على حضارها والبواديا
سقاها الحيا المحيي ورعيا لحيها ... وحيا محيا وسعدا لثاويا
سلام على الشيخ الإمام (محمد) ... وصبت على مثواه سحب هواميا
سلام على عبد العزيز وأصله ... فإنهما كانا وكانا مواسيا
فقام وقاموا واستقاموا بحجة ... بحجة قرآن وضرب المواضيا
ولا سيما عبد العزيز فإنه ... هو القائم الفاروق بالعدل قاضيا
حمى بيضة الاسلام بالبيض والقنا ... وأجرى الى برك الغماد العواديا
وما زال فى بعث الجيوش مجاهدا ... وفى شن غارات وتجهيز غازيا
بنفس وأولاد وأهل وإخوة ... وكل نفيس والأسود الضواريا
وأنفق فى ذات الإله شبابه ... وشيبته داع وراع وساعيا(٢)

فالموهبة الشعرية أصيلة فى نفس الشاعر ، يسيل الشعر منها دفاقا بلا كلفة أو تعمل ، فكانت العاطفة فى هذه القصيدة صادقة مشبوبة ، يدفعها الاخلاص والحب لهؤلاء الأئمة المخلصين العادلين فى حكم الرعية ، صبها الشاعر فى ألفاظ قوية جزلة ، وأسلوب ناصع مشرق ، وصور أدبية ، تفيض حيوية ودقة ، وموسيقى شعرية منسابة مع المعنى والغرض ، وقافية يلتزمها الشاعر حتى نهاية القصيدة ، يلتزم فيها الشاعر بعمود الشعر العربى ، لكن القصيدة هنا تتميز بوحدة الموضوع والغرض ، بلا تعدد ولا مزاوجة .

---

(١) المرجع السابق : ص ١٦
(٢) نفحات من عسير : ص ٢٨

ولا تخلو القصيدة من ميل الى تكلف البديع نادرا ، والى الزخرف بقدر لا بإفراط ، مثل البيت الثالث ، وكذلك قوله : (فقام وقاموا واستقاموا بحجة ــ بحجة قرآن) ، والبيت الأخير فى شبابه وشيبته ، وداع وراع ، ويقول الشيخ محمد أحمد الحفظى فى قصيدته (دين الله باق) ومطلعها :

بدا الخير العظيم وقد تجلى — لنا نور الهدى والشر ولى
وصار الناس إخوانا جهارا — وولى الله كلا ما تولى
ودين الله باق فى ظهور — له كل العلو وليس يعلى
فعض عليه واستمسك بخير — وشد إليه راحلة ورحلا
وقول إلهنا غض طرى — جديد ليس يخلق ذا ويبلى
مكين فى الصدور له بيان — كذاك بألسن القراء يتلى
وهذه السنة الغراء فيها — بيان وهى بين الناس تملى
وقد روت الصحابة كل عدل — بلا علل لما علا وأملى
وما قرن من الأعوام إلا — وفيه مجدد كثرا وقلا
وفى هذا الزمان بلا خفاء — بدا تجديدها فرعا وأصلا
من الشيخ الامام أبى حسين — محمد الذى للحق جلى
وآزره الإمام أبو سعود — وسلسل مسند والسيف سلا[1]

وهكذا إلى نهاية القصيدة ، فى قوة شاعرية ، وسلامة فى التعبير ، وروعة فى التصوير ، وسيولة فى الألفاظ والتراكيب ، بلا تعمل أو تكلف ، مع شرف الغرض ، وسمو الهدف ، ونبل الغاية ، ووحدة الموضوع فى القصيدة من أول بيت فيها إلى نهايتها ، وتلاؤم فى التصوير الأدبى بين المعانى والأفكار وبين الألفاظ والأساليب والصور الخيالية ، وانسجام بين العاطفة الدينية القوية وبين صورها فى القصيدة مستخدما وسائل التعبير التى تتناسب مع الغرض الدينى من القصيدة ، وهذه الخصائص الفنية تسير على منهج المحافظين وطريقتهم الفنية .

وهذا الشاعر الشيخ محمد أحمد الحفظى ولد فى بلدة (رجال ألمع) فى ١٦/٥/١١٧٨ هـ ، وتلقى علومه على يد أبيه ، ثم رحل الى المخلاف السليمانى فى سبيل العلم ، ثم الى اليمن ليكمل علومه ، ثم الى حضرموت ، ثم الى بلدته ، وكان يحارب ببسالة مع الجيش السعودى ، ثم عين نائبا للقضاء ، ثم قاضيا فى عسير ، وله (الألفية الحفظية) و (درجات الصاعدين الى مقامات الموحدين) و (النفحات العنبرية فى الخطب المنبرية) و

(١) المرجع السابق : ص ٩٩

(ذوق الطلاب فى علم الإعراب) وغيرها . وتوفى فى (رجال ألمع) يوم الاثنين غرة ربيع الثانى عام ١٢٣٧ هـ رحمه الله تعالى[١] .

ويقول الشيخ أحمد الحفظى الثانى ، يدعو الى تطبيق الشريعة الاسلامية فى قصيدته (الشرع ينادى) :

الشرع نادى ملوك الأرض بل طلبا ... حكما صحيحا يزيل الشك والريبا
وقدم العرض لكن ما استجيب له ... وحقه فى ملوك الأرض قد وجبا
نادى بصوت بليغ للعباد معا ... إنى جعلت لأغراض الدنا سببا
وها أنا طالب منهم محاكمتى ... فصورتى قد بقيت والجسم قد ركبا
والناس فى غفلة عنى وقد شغلوا ... من الحطام بما يكفيهم نصبا
والله ما سكتوا عنى ولا غفلوا ... إلا لأغراض دنيا تجلب العطبا
كل يريد من الحكام مقربة ... ويطلب العز والأموال والرتبا
إن تنصرونى فإن الله ناصركم ... أو تخذلونى رأيتم كلكم تببا
أنا الذى أسس الرحمٰن بنيته ... وشيد المصطفى أمرى بكل نبا
أنا الذى قد بنانى المصطفى علما ... ركنا منيعا وأعلى منى القببا
وأنتم تهدمونى بعده علنا ... يا صنيعة العمر لما صرت مغتربا[٢]

وخصوبة الخيال فى القصيدة بثت الحياة فى القيم الاسلامية ، وحركت المعانى السامية المجردة ، وأقام الشاعر منها شخصا يناجى أمته وقومه ويعرض صفاته وأخلاقه ومبادئه وتشريعه عليهم ويحثهم على التمسك به والتعلق بأهدابه ، والعمل على نصرته ومؤازرته وعدم خذلانه ، وكيف تخذلونه والرحمن هو الذى وضع أساسه ، والمصطفى شيد بنيانه ، فأصبحت ركنا منيعا .

هذا تشخيص حى متحرك للقيم والمعانى المجردة منح المعانى والمجردات حيوية وقوة تركت أثرا واضحا فى التصوير الأدبى ، الذى يهز العواطف ، ويحرك المشاعر بالحب للشريعة الاسلامية والتعاطف معها فى سبيل نصرة دين الله ، وتطبيق شريعته الغراء ، وفى هذا دلالة واضحة على موهبة الشاعر الفذة وقدرته على التصوير الأدبى ، وهو يترسم خطى مدرسة المحافظين .

الأغراض الأدبية فى شعرهم :

يضم ديوان آل الحفظى (نفحات من عسير) أغراضا شعرية كثيرة على نمط الشعر

---

(١) المرجع السابق : ص ٤٤ ، ٤٥
(٢) نفحات من عسير: ص ١٠٥

العربى ، الذى كان فى الدولة الأموية ، والدولة العباسية من أغراض اشتهرت فى شعرهم .

وعنوان القصيدة عندهم لا ينص صراحة على الغرض منها ، ولذلك فإنى سأقف على الغرض منها من خلال مضمونها ، وما تدل عليه الأبيات والمعانى ، لأن شاعرهم لم يحدد الغرض منها فى الديوان ، ولكن وضع لها عنوانا وموضوعا يوهم الغرض أحيانا ، ولا يوهم حينا آخر ، ولذلك قمت بتصنيف الديوان الى الأغراض الأدبية التى اشتهرت قديما فى شعرنا العربى الأصيل .

أولا ــ المدح وخصائصه :

وهو أكثر الأغراض الأدبية فى شعر آل الحفظى ، وكان المدح فى قصيدة (أئمة حق ص ٢٨) ، وقصيدة (تهنئة بالفتح ص ٦٣) ، وقصيدة (ودّ وإخلاص ص ٦٥) ، وقصيدة (أمصباح مشكاة ص ٦٦) ، وقصيدة (شهدت شواهد ص ٧٤) ، وقصيدة (تداعت دواعينا ص ٧٨) ، وقصيدة (من النعم العظمى ص ٨١) ، وقصيدة (زبدة الأقوال ص ٨٥) ، وقصيدة (وسنة الله نصر الطائعين ص ٩٥) ، وقصيدة (رياض الأنس ص ١١٧) ، وقصيدة (من تبع الإخوة ؟ ص ١٢٠) ، وقصيدة (تهنئة بالفتح .. ونصيحة .. وحكم ص ١١٢) ، وقصيدة (هزائم جيش عباس بن طوسون فى عسير ص ١٢٦) ، وقصيدة (تهنئة بالنصر ص ١٣٥) .

وكذلك قصيدة (جبل الفخر ص ١٨٨) ، وقصيدة (عبد العزيز المفدى ص ٢٠٦) ، وقصيدة (تهنئة ص ٢٠٩) ، وقصيدة (ما كل بيضاء شحمة ؟ ص ٢١١)(١) .

ومن قصائد المدح السابقة قصيدة للشيخ ابراهيم الزمزمى بن أحمد الحفظى ، الذى ولد فى ١١٩٩/٣/٢٢ هـ ببلدة (رجال ألمع) ، ثم درس فى (أبى عريش) على شيخه أحمد عبد الله الضمدى ، حتى أجازه ، ثم رحل إلى اليمن ليأخذ عن علماء بنى الأهدل .. وله مؤلفات فى الزهد والنحو ، منها كتاب (عبق الجلاب) ، وكتاب (قيد الشوارد) ، وله رسائل وشعر كثير ، وقد ترجم له تلميذه القاضى العلامة الحسن بن أحمد عاكش فى كتابه (حدائق الزهر)(٢) .

وهذه القصيدة هى (تهنئة فتح .. ونصيحة .. وحكم) ، قال الزمزمى بمناسبة تغلب الأمير سعيد بن مسلط بمن معه من قبائل عسير ومنهم (رجال ألمع) على الترك ، واخراجهم من (طبب) سنة ١٢٣٨ هـ فى عهد الامام تركى بن عبد العزيز مهنئا ومناصحا ، قال :

ألا إنـــى أهنـــى للأمـــير بنصـــر الله والفتـــح الشـــهير

---

(١) نفحات من عسير .

(٢) المرجع السابق : ص ١١٥ ، ١١٦

وذاك عليه بل وعلى من جسيم حقه شكر الشكور
فلله الثنا وله سألنا دوام الشكر فى كل العصور
فإن الشكر للموجود قيد وصيد أوابد النعم النفور

إلى قوله :

ألا فتيقظوا يا ناس مهما بقت مندوحة فى ذى الدهور
وبالماضين فاعتبروا تفوزوا فيا سعدا لأرباب العبور
وعينكم الأمير حباه ربى وعوفى فى الحياة وفى المصير
سعيد طابق الاسم المسمى وشاهد ذا الفتوح مع النصور
عليك تحية تغشاه منى دواما بالأصائل والبكور[1]

وتقوم هذه القصيدة على غرض واحد ، يجمع فيها الشاعر الصفات الكريمة للممدوح ، والشمائل الفاضلة ، وكريم الأخلاق وما حققه من نصر مؤزر ، وتنبع هذه الصفات من روح الشريعة الاسلامية وأخلاقها ، مما يدل على تدين الشاعر وحسن أخلاقه .

ولم تتجرد القصيدة من فلتات لا تتناسب مع لغة الشعر الشاعرة كالأسلوب السهل القريب ، الذى قد ينزل أحيانا إلى مستوى الكلام العادى بين الناس فى حياتهم اليومية ، مثل (الفتح الشهير) و (شكر الشكور) و (يا ناس) ، بل قد يجره القرب والتداول فى التعبير الى الوقوع فى خطأ مثل قوله (بقت) فحذف لام الكلمة بلا داع للحذف مع أن الفعل لحقت به تاء التأنيث الساكنة ، ولا تحذف معها اللام والصواب (بقيت مندوحة) وهذا مما يستعمله العامة خطأ ، وأن الشاعر اضطره الوزن الى هذا الخطأ ، وكلاهما غير محمود ويؤخذ عليه .

وكذلك الشيخ على بن الحسين الحفظى ولد ببلدة (رجال ألمع) وعاش ما بين عامى (١٢١٧ — ١٢٧٥ هـ) ، وفى سبيل طلب تنقل الشيخ بين البلدان ، فغادر وطنه الى المراوغة باليمن ، قضى بها سبع سنوات ثم عاد ليتولى منصب القضاء فى عهد الأمير عائض بن مرعى ، واشترك معه فى الحروب ، وله شعر جزل فى المراسلات[2] .

ومن قصائده فى المدح قصيدته بعنوان (هزائم جيش عباس بن طوسون فى عسير) أنشدها الشاعر فى عهد الامام فيصل بن تركى ، حين غزت عسيراً جحافل الترك القادمة من مصر فى أيام عباس الأول بن طوسون سنة ١٢٦٨ هـ ، وهاجمت الكثير من البلاد : سراة وتهامة ، فهب أشداء العزم والبأس ، أقوياء الشكيمة الأباة أهل الاقليم جميعا ، بقيادة الأمير

(١) المرجع السابق : ص ١٢٢ ، ١٢٤
(٢) نفحات من عسير : ص ١٢٥

عائض بن مرعى لصد الجيوش المعتدية ، حتى هزموهم شر هزيمة فى عدة وقائع بأماكن كثيرة ، وبمناسبة هذا الظفر ، قال على بن الحسين هذه القصيدة فى عام ١٢٦٩ هـ ، ومطلعها :

أيا (أم عبد مالك)[١] والتشرد ... ومسراك بالليل البهيم لتبعد
ومأواك أوصاد الكهوف توحشا ... ومثواك أفياء النصوب وغرغد[٢]
فقالت رويداً يا أبا عبد إنما ... أضاق بنا ذرعا شديد التوعد
عرمرم جيش سيق من مصر معنفا ... يهتك أستار النساء ويعتدى
ويسبى ذرارى الأكرمين جهارة ... وينظم سادات الرجال بمقلد
فقلت لها من دونكن ودونهم ... ضروب حماة بالحديد المهند
وضرب يزيل الهام عما ربت به ... ويظهر مكنونات أجواف أكبد
قفى وانظرى يا أم معبد معاركا ... يشيب لها الولدان من كل أمرد
وفيها ليوث الأسد من كل شيعة ... يصالون نار الحرب حزنا لمفسد
وفيها رئيس عائض حول وجهه ... حياض المنايا أصدرت كل مورد

إلى قوله :

وأشرف على واد اليمامة[٣] قائلا ... ودمعك سفاحا على الخد والشدى
سلام على عبد العزيز وشيخه ... وتابع رشد للامام المجدد
دعا الناس دهرا للهدى فأجابه ... فئام فمنهم عالمون ومقتدى
وقفاهما حذوا سعود بسيفه ... مميز مجرد النقود من الردى
وعرج بها ذات اليمين وقد هوت ... على عرصات للرياض بمقصد
ونادى بأعلى الصوت بشرى (لفيصل) ... وفى نسل سادات الملوك مسدد[٤]

وقصائد المدح عند آل الحفظى تقوم على غرض واحد غالبا إلا نادرا فلا تتجاوز أغراضا أخرى غير المدح إلا فى قصيدة على بن الحسين حيث ابتدأها بحوار دار بين أبى عبد وأم عبد ، وإن كان سبب الحوار هو تلك المعركة التى انتصر فيها الجيش السعودى على المغيرين ثم تسلل الشاعر الى مدح الجيش ، وما حققه من نصر مؤزر فى ظل رعاية الامام تركى بن فيصل .

---

(١) هى أم عبد الله بن مسعود من غافل الهذلى ، وقد جرت عادة الأقدمين من شعراء العرب تصدير القصيدة بالحوار مع أم معبد وأم عبد فى المناسبات ، وسار الشاعر على هذا الحنو .
(٢) غرغد : شجر العوسج .
(٣) وادى اليمامة جبل يمتد بين الربع الخالى حتى سدير فى الجنوب .
(٤) نفحات من عسير : ١٢٦ ، ١٢٩

ومثلها أيضا هذه القصيدة التى سارت على منهج القدماء فى المدح ، فتصدرت بغرض آخر مع المدح ، قصيدة (رياض الأنس) للشيخ ابراهيم الزمزمى ، فقد استهلها الشاعر بمشهد من مشاهد الطبيعة الساحرة ، ثم انتقل الى مدح الامام سعود الكبير وتهنئته حين دخل مكة فاتحا سنة ١٢١٨ هـ قال فى المطلع :

رياض الأنس مزهرة توالى ... بها قطف دنى ما إن تعالى
وماء المأذنيات اللواتى ... تحاكى البحر لم تبق انتحالا
وفى ملد الغصون سمعت لحنا ... لطير السعد إذ ثنى المقالا
فأطربنى غناه وليس بدعا ... ولو نظمت فى السمط الثقالا
وإنى لا وقد أوفى علينا ... بشير للكآبة قد أزالا
بمقدم صدر أرباب المعالى ... حليف المجد من فى الله والى
ومن فى حلبة العلياء جلّى ... وصلى فاسألْن عنه الرجالا
(محمد) الذى حاز المعالى ... بوقت أهله عنها كسالى

ثم يتسلل من (محمد) ﷺ ، الذى أقام الهدى بمكة المكرمة الى مجيء الامام سعود اليها ، ليعيد اليها المجد كما كانت من قبل ، فيقول :

فلما جاء من نجد (سعود) ... تواروا لم يطيقوه نزالا
وأضحى الدين فى طرب وعز ... يغيظ قلوب من يهوى الضلالا [(١)]

وهكذا يسير فى المدح الى آخر القصيدة .

أما بقية القصائد فى هذا الغرض فقد خلصت للمدح من المطلع حتى نهاية القصيدة ، كما وضح ذلك من القصيدتين السالفتين .

التزم شعراء آل الحفظى فى مدحهم المنهج القديم فى شعر الفحول الذى يقوم على عمود الشعر العربى ، وعلى تصوير الخصال المألوفة فى المدح من الشيم المعروفة عند الشعراء القدامى كالشجاعة والنجدة والقوة ، وشدة البأس والنصر المؤزر ، والذود عن الشرف والكرامة والعرض ، ثم تصوير أخلاق الاسلام ، التى حفزت الرجال على النصر والدفاع عن أرضهم ، والذود عن نسائهم وأولادهم ، ورد كيد المعتدى .

ثم مدح أئمة البلاد ، فهم أئمة حق ، نصروا الدين وآزروه ، وثبتوا دعائمه فى ربوع البلاد بالحق والعدل والمساواة .

---

(١) نفحات من عسير : ص ١١٧ وما بعدها .

ويستعين الشاعر فى هذا الغرض بالصور الخيالية المتعارف عليها فى شعر المدح عند القدماء ، ليحافظ على منهج القدامى فى التصوير الأدبى ، وذلك مثل هذه الصورة من قصيدة (أئمة حق) .

حمى بيضة الاسلام بالبيض والقنـا وأجرى الى برك الغماد العواديا

وكذلك التصوير عند الزمزمى من خيال قديم معروف ، يقول :

فإن الشكـر للموجـــود قيـــد وصيـــد أوابـــد النعـم النفـــور

ثم الصور الخيالية فى القصيدة الأخيرة ، مثل (الليل البهيم) ، (عرمرم جيش) و (يهتك أسستار النساء) و (وضرب يزيل الهام) و (يشيب لها الولدان من كل أمرد) ، وغير ذلك مما لم نذكره فى ديوانهم الكبير الذى يسير على هذا النمط القديم فى التصوير الأدبى .

ثانيا ــ الشعر الإسلامى :

وهو أكثر الأغراض الأدبية بعد المدح ، ويشتمل على قصائد كثيرة أهمها للشاعر الشيخ محمد أحمد الحفظى ، وهى (عصائب فى نجد ص ٤٦)وقصيدة (تألق برق الحق ص ٥١) وقصيدة (إن النجائب ص ٥٤) ، وقصيدة (ودين الله باق ص ٩٩) ، وقصيدة (الحج والحجاج ص ١٠٤) ، وقصيدة (فى الصلح بين متحاربين ص ١٠٧) ، وقصيدة (جاءت الساعة فى أشراطها ص ١٠٩) .

أما عبد الخالق الحفظى فله قصيدة (ماذا بعد الممات ؟ ص ١٣٩) ، وأما قصائد الشيخ أحمد الحفظى الثانى هى : (فى وصف طه ص ١٤٥) ، وقصيدة (أسماء سور القرآن الكريم ص ١٤٨) ، وقصيدة (الشرع ينادى ص ١٥٠) ، وقصيدة (الله أكبر ص ١٨٦) ، وقصيدة (آخر سطر من عبس ص ١٩٠) .

وللشاعر الشيخ ابراهيم زين العابدين الحفظى قصيدة (عمرة المسجد ص ٢١٢) والشاعر عبد الخالق بن ابراهيم بن أحمد الحفظى الأول ولد عام ١٢٢١ هـ فى بلدة (رجال ألمع) ، ثم تعلم على يد والده ، ليرحل الى (أبى عريش) فيتزود بالعلم على يد علماء آل عاكش ، وتولى منصب القضاء فى عسير ، وبعد عودته من الحج توفى أثناء الطريق بالقنفذة عام ١٢٨٤ هـ رحمه الله تعالى[١] .

وله قصيدة (ماذا بعد الممات ؟) يصور فيها ما يلاقيه الانسان بعد الموت من أهوال القبر ، ويستعرض آلامه وأحزانه ، فتفيض القصيدة بالشكوى والألم ، ويخيم عليها مسحة الخوف من الله عز وجل ، الذى يرجو منه المغفرة والرحمة .

---

(١) نفحات من عسير : ص ١٣٤

ذكر الممات طوال الليل أرقنى والخوف أزعجنى والكرب آلمنى
وعاذلى لم يزل جدا يؤنبنى دع عنك عذلك لى يا من يعاذلنى
لو كنت تعلم ما بى كنت تعذرنى

الى قوله :

ماذا ألوذ به فى كشف مكربتى واستجير به من كل معضلة ؟
سواك يا من له ذلى ومسألتى وقد ترى يا إله الخلق مسألتى
فجد علىّ فليس الخلق ينفعنى
واغفر لى الذنب واصفح عن خطا زللى واستر على بستر مسبل عجل
وبدل السوء بالاحسان فى العمل وامنن على بعفو منك يا أملى
وجد على مذنب بالذنب مرتهن
فليس للعبد من يعفو برحمته ومن يجيب لمضطر برأفته ؟
سواك يا سامع الشاكى لفاقته ثم الصلاة على الهادى وعترته
والصحب ما غرد القمرى على فنن[1]

وهى طويلة اكتفيت بمطلعها ونهايتها ، وتبنى فى قالبها الموسيقى على نظام المخمسات ، فتمثل كل مقطوعة خمس شطرات ، يتفق حرف الروى فى الأربع من كل مقطوعة ، ويتفق فى الشطرة الخامسة فى جميع المقطوعات حتى نهاية القصيدة ، وفى هذا القالب تنوع فى الإيقاع والموسيقى ، وتطور فى نظام الموشحات الأندلسية ، مع الاحتفاظ بالبحر العروضى فى القصيدة كلها .

سيطرت الحقيقة على القصيدة فى التصوير الأدبى ، بما يتناسب مع الغرض وهو الشعر الاسلامى ، أما الصور الخيالية فلا تهز النفس ولا تحرك المشاعر ، فهى كتل جامدة ، وصور تقليدية مجردة من الحيوية وعلى سبيل المثال قوله : (الخوف أزعجنى والكرب آلمنى) ، فلا نشعر بحيوية الخيال والمشاعر الفياضة ، وغاية الخيال تظهر حينما تجرى الاستعارة بالكناية فنقول : شبه الخوف بانسان مزعج ، والكرب بانسان مؤلم ، ثم حذف المشبه به ، وبقيت صفة من صفاته ، وهى الازعاج والألم على سبيل الاستعارة بالكناية ، وليس هذا فى خيال شعر يصلح للتصوير الأدبى ، بل الصورة هنا الى الحقيقة أقرب .

ولا يغض هذا من قدر الشاعر ، وإنما قد يرفعه ، وقد يسمو به لأن الغرض الذى ينظمه الشاعر هو شعر اسلامى ، يقوم فى مضمونه على الحقائق التى لا يشتط بها الخيال ، ويعتمد

(١) وهى قصيدة طويلة تفردت وحدها من بين الديوان بهذا القالب الموسيقى ، نفحات من عسير : ص ١٣٩ ، ١٤٢

على التصوير القريب بلا مبالغة أو غلو أو افراط ، والمقصود من الخيال وصوره فى غير حقائق الاسلام أن يحقق فى السامع التأثير والاقناع ، والحقائق الاسلامية فى ذاتها تحتوى فى مضمونها على التأثير باعتبارها حقائق مذهلة لا يقدر عليها البشر ، ويسلم بها الانسان لقوتها فى الحجة والاقناع ، فلا يحتاج كثيرا الى الخيال ، الذى يعتمد على الايحاء البعيد فى الأضواء والظلال والاشعاع .

هذه الخصائص الفنية فى الألفاظ والأساليب والحقيقة والخيال وصورهما والموسيقى والايقاع هى من خصائص المذهب الأدبى لمدرسة المحافظين ، الذين اتبعوا مذهب القصيدة القديمة وخصائصها ، لكن من خلال شاعرية الشاعر ، وبموهبته الأصيلة ، من غير تقليد أعمى ، يسوده الجمود والتحجر ، ويتسم بالمحاكاة المجردة من الموهبة الشعرية ، كالشأن عند المقلدين من شعراء التقليد لا المحافظين .

ويسير على هذا المنهج الشاعر الشيخ محمد أحمد الحفظى فى هذا الغرض مثل قصيدته (تألق برق الحق) ، ومطلعها :

تألق برق الحق فى العارض النجدى	فعم حياة الكون فى الغور والنجد
وأورقات الأشـجار وانتهضـت بها	يوانع أنـواع من الثمـر الرغـد
دعانـا الى الاسـلام ديـن إلٰهنـا	وتوحيده بالقول والفعـل والقصـد
هـدانا به بعد الضـلالة والعمى	وأنقـذنـا بعـد الغـواية بالرشـد
حبانا وأعطانا الذى فوق وهمنـا	وأمكننـا من كـل طاغ ومعتـد
وأيدنا بالنصـر واتسعـت لنـا	ممالـك من كـل طاغ ومعتـد
فنسـألـه إتمـام نعمتـه بـأن	يثبتنـا عنـد المصـادر كالـورد[1]

ثالثا ــ فى الرسائل والاخوانيات الشعرية :

ويأتى هذا الغرض الأدبى عند شعراء الحفظى فى المرتبة الثالثة ويضم قصائد كثيرة من أهمها ما ينسب الى الشاعر الشيخ أحمد الحفظى الأول ، وهى قصيدة (والورد أهدى ص ٣٥) كتبها الى صديقه السيد أحمد ابراهيم الأخرس ، وقصيدة (وميض البرق ص ٣٦) كتبها الى ابنه محمد ، وهو مقيم بالقنفذة ، وأجابه عليها بقصيدة (الشمس أشرقت ص ٣٧) ، ومن قصائد الشاعر الشيخ محمد أحمد الحفظى كذلك (لك الحمد مولى الحمد ص ٥٦) ، كتبها الى إمام اليمن (المنصور على) يدعوه لمناصرة أئمة الحق فى نجد ، وقصيدة (أغراض الدعوة ص ٥٨) ، كتبها الى المخلاف السليمانى بأبى عريش فى منطقة جيزان الى الشريف على بن حيدر ، وقاضيه

---

(١) نفحات من عسير : ص ٥١ ، ٥٢

عبد الرحمن البهكلى ، وعلماء تلك المنطقة ، يدعوهم الى استجابة الدعوة فى نجد ، وقصيدة (حدا صيت الألحان ص ١١١) ، وكتبها عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الحفظى ردًّا على قصيدة (سرى بارق الأشواق) ، التى كتبها قاضى مكة المكرمة الشيخ عبد الله سراج بن عبد الرحمن وبعثها الى الشيخ محمد أحمد الحفظى ، ولكنها وصلت بعد وفاته ، فرد عليه ابنه عبد الرحمن بالقصيدة السابقة فقال :

حدا صيت الألحان فاحتد بى قصدى ... وغنى جلا ترجيعه شجن البعد
وذكرنى عهدًا عفا حق وصله ... وقد كان بالآباء فى طلعة السعد

وكانت ردًّا على قصيدة (سرى بارق الأشواق) ومطلعها :

سرى بارق الأشواق فاشتد بى وجدى ... وذكرنى مسراه عرب الحمى النجدى
وأقلقنى وادى رجال وشاقنى ... عبير شذى منه يفوق على النَد

وجاء فى هذا الغرض أيضا قصيدة (أيها البيت ص ١٨٩) للشيخ عبد الخالق خاطب بها ابنه أحمد الحفظى الثانى .

وأما الشاعر الشيخ على ابن زين العابدين الحفظى فقد ولد فى بلدة (رجال ألمع) ، وتلقى علومه على يد والده وأعمامه ، ثم رحل الى المراوعة بوادى سهام اليمنية ليتزود بالعلم ، فقضى بها خمس سنوات تتلمذ فيها على يد علماء الأهدل ، ثم سافر الى جزيرة جاوة فأقام بها سنوات ، ثم عاد الى بلده ليتولى القضاء ، وله مؤلفات فى الفقه والنحو والشعر ، ومات وعمره خمسة وستون عاما[1] وله قصيدة (دموع وأشواق) بعث بها الى عمه وشيخه الأول يقول فيها :

هب النسيم فقلبى كاد ينفطر ... والدمع يجرى على الخدين منحدر
شوقا الى اليمن الميمون مسكننا ... من فى (رجال) لنا الأسلاف قد عمروا
أيضا وذكرنى عهداً لإخوتنا ... فهم جنانى كذا السمع والبصر
مقدم الذكر شيخى قدوتى (حسن)[2] ... نجل الوجيه به الأيام تزدهر
علامة شرف الاسلام مجتهد ... مدرس فضله فى القطر مشتهر
يحيى النواوى فقها فهو (تحفتنا) ... (ومنهاجنا) وكذا (الأنوار) لا نكر
مصباحنا (حسن) أيضا (نهايتنا) ... (ارشادنا) من به الأزمان تفتخر[3]

(١) نفحات من عسير : ص ١٩٢
(٢) هو ابن عبد الرحمن محمد الحفظى .
(٣) نفحات من عسير : ص ١٩٣ ـــ ما بين الأقواس أسماء لبعض كتب الشافعية .

وتمضى القصيدة على هذا النحو حتى نهايتها من التكلف والتصنع ، الذى يظهر فى أسماء بعض كتب الفقه للمذهب الشافعى ، ليسلكها فى نظم الأبيات قسراً ، كما تسود طريقة التعبير فى النثر على القصيدة لا طريقة الشعر فيها ، مما كان لها أثر على الألفاظ الأخرى فى الأبيات ، فنشعر أن فى الأسلوب قلقا واضطرابا ، كما فى قول الشاعر : (مقدم الذكر شيخى قدوتى[حسن]) .

والمصطلحات العلمية واللغوية هى آفة الشعر ، تذهب برونقه ، وتطفىء ديباجته المشرقة ، وتجمد حيويته النابضة ، كما فى قوله : (علامة ــ شرف الاسلام ــ مجتهد ــ مدرس .. الخ البيت) ، فهذه المصطلحات (علامة ــ ومجتهد ــ ومدرس) أفسدت الشعر وجعلته نثرا أدبيا ، وكذلك الأمر فى أسماء الكتب ، التى أصر على ذكرها وهى : (النواوى ــ التحفة ــ الأنوار ــ الحسن ــ الارشاد) وغيرها ، أخمدت حرارة المشاعر ، وثورة الانفعال ، وتعثرت العاطفة ، فتصلبت الأبيات فى جمود وتحجر ، وفتور وضعف فى المشاعر .

وهذا يدل على أن شعر آل الحفظى فى ديوانهم لا يخلو من هنات العصر ، من التكلف والتصنع ، وإن كان قليلا بالنسبة لحسنات شعرهم بصفة عامة ، وليس هذا عيبا يؤخذ عليهم ، فهو أمر واقع حيث كانوا يمثلون بشعرهم مرحلة تاريخية ، لابد منها فى تطور الشعر السعودى فى الجنوب ، لينهض الشعر بعدها فى المرحلة المتطورة التالية ، التى سنراها فى تطور المذاهب الأدبية الحديثة من بعدهم .

رابعا ــ الشعر الوطنى :

الشيخ أحمد بن عبد الخالق بن ابراهيم بن أحمد الحفظى الأول ، ويطلق عليه أحمد الثانى ، ولد بقرية عثالف مستوطن أبيه ، ثم سافر الى (أبى عريش) ليتلقى العلم على مشايخه من آل عاكش ، ثم عاد الى بلده لكى يساعد والده فى القضاء والإفتاء ،حتى قبض عليه الأتراك مع صحبه ، وأرسلوه إلى استانبول لمدة ست سنوات ، حتى عاد سنة ١٢٩٣ هـ ، ولكنه ظل يدعو الى الوحدة الاسلامية ، فاعتقلوا ابنه عبد القادر تنكيلا بوالده ، لكنهم أفرجوا عنه بعد ذلك ، وظل الشيخ أحمد فى عثالف احدى قرى وادى حلى برجال ألمع ، حتى مات سنة ١٣١٧ هـ عن ٦٧ عاما ، ومن مؤلفاته : (فتح المنال) فى تفسير القرآن الكريم ، وله رسائل فى الفقه والأدب ، أما شعره فهو كثير ، كتب فيه بضعة أجزاء تحتاج الى النشر[١] .

والشعر الوطنى يكاد يكون مقصورا على الشيخ أحمد الحفظى الثانى المترجم له سابقا ،

---

(١) نفحات من عسير : ص ١٥٦

ومن أهم قصائده فى هذا الغرض الأدبى قصيدة (ذكرى وعتاب ص ١٥٨) كتبها وهو بالمعتقل الى بلده وأهله ، وقصيدة (لوعة وعتاب ص ١٦١) فى الحنين الى وطنه وقومه الأشاوس ، وقصيدة (الدهر والناس ص ١٦٣) يتذمر فيها من الحكام العثمانيين ، الذين ذاق منهم مرارة الاعتقال ، وعذاب الوحشة والعزلة ، وقصيدة (بين الماضى والحاضر ص ١٦٤) يحن فيها الى الماضى ذى العزة والفخار ، ويئن فى الحاضر من مرارة العيش بعد النعيم ، وقسوة الأيام بعد الرخاء ، وقصيدة (محاكمة ص ١٦٦) وفيها محاكمة وحوار يشف عن ظلم العثمانيين له ولأصحابه ، وقصيدة (ذكريات ص ١٦٩) يتذكر فيها حالته حينما كان عزيز الجانب فى الماضى ، وحالته من الأسر فى الحاضر ، وقصيدة (خماسيات ص ١٧٦ ــ ١٨٥) وكتبها بعد الانتصار فى حرب البلقان الى قومه ابتهاجا بعودته الى وطنه ، وسار على نظام تغيير القافية فى الموشحات ، وقصيدة (خواطر من أرض الروم) وأرسلها مع على بن طامى شعيب ، حين أطلق سراحه الى بنى عمومته ليعبر فيها عن حنينه الى وطنه يقول فيها :

خطرت ومنت فى لذيذ وصالها	فدهشت بين حديثها وجمالها
شمس تبدت من سماء فضائل	وتزينت ببهائها وكمالها
درية نورية عربية	فاقت ببهجتها على أمثالها
ترمى بنبل من قسىّ حواجب	عمداً فلم تخطىء برمى نبالها
قد أودع السحر الحلال بلفظها	ولحاظها فالسحر من أكحالها
لو أسفرت فى الجاهلية مرة	عن حسنها سجدوا لعذب مقالها
برزت من العلياء تنشر عرفها	كالعطر بين نسائها ورجالها
ورمت لنا طيب الحديث بلطفها	فشفت غليل الشوق من سلسالها
ما زلت أذكرها وأذكر حالها	حتى أتى ما صد عن أحوالها
مما جرى فى حال أسر شائع	أنسى لنفوس حليها ورجالها(١)
أسر به الأحوال صارت هكذا	شبك ترى ما كان من أشكالها
لم تؤخذ الأشياء حسب مرادها	أو يقتدى بحرامها وحلالها
صارت منازلها كأمس عابر	تبكى منازلها على حُلّالها
وأنا الأسير أسير سير مفكر	كيف النجاة لطامع فى حالها
فى بلدة الروم أسيرا مبعدًا	والنفس طول الوقت فى أهوالها
جعلت فروع أصولها أجدادها	أيضا كما أعمامها أخوالها
مالى وأرض الروم ماذا حل بى	وإن كان ذنبا فهو من أعمالها

(١) حلى : اسم مستوطن أبيه ، ورجال : وطنهما الأصلى وبينهما أربع كيلومترات .

لو يأخذ الله العباد بظلمهم ... لم يبق فى الدنيا سوى أحبالها
لكن رحمته لكل وسعت ... يا رب فاجعلنا على منوالها
لا تجعل (الحفظى) محروما بها ... من ذا سواك مفتح أقفالها
طلب التلطف والترحم سيدى ... منكم وأما الغير لا أرض لها
كل عبيدك بالسواء وإنما ... تعطى لمن ترضى أليم وبالها
لا ينفع العبد الضعيف لمثله ... إلا بأمرك فالرضا أولى بها
وأنا الصبور وليس حالى نازلا ... لتطلب الرحمات من عذالها
أقسمت ألا أصغى لقول معنف ... أو اشتكى إلا إلى فعّالها
ما لى وللأعداء أشابت مفرقى ... أقوالهم والموت فى أقوالها
لا تغترر بتبسم من ضاحك ... فالليث يكشر وهو من أهوالها

والسيف يلمع ضاحكا من صقله ... وبضربه ينهل عظم نصالها
فعدونا الشيطان أضحى ضاحكا ... والنفس لاعبة على أغفالها
ما لى وللدنيا أشانت كلما ... نلناه نحمده على أحوالها
هل كنت تبع حمير فى وقتها ... أو كنت سيف حرب ذى أطوالها
أو كنت قد جمعت أجناد الورى ... أو قد فعلت فواقرا يد نالها
قطع الرقاب وأسر كل مبعد ... بل كنت مفتقرا إلى أفعالها
(رب العباد) أسير ذنب خائف ... يوم الأراضى زلزلت زلزالها
ذاك المقام مقام صدق ظاهر ... إذ أخرجت أراضينا أثقالها
والأرض خاشعة لشدة هولها ... لما لها الإنسان نادى ما لها ؟
فيها تحدث للورى أخبارها ... أن الإله لأرضه أوحى لها
الناس أشتاتا تراهم كلهم ... لترى الجزا فى ذاك من أعمالها
من يعمل الخير القليل كذرة ... يوما يراه وشره أحوالها
يا نجل (طامى) أننى أودعتكم ... أسنى السلام لسائل بسؤالها
والله أسأله السلامة من لظى ... يوم القضا والنفس فى أهوالها
وعلى (عسير) جميعهم من مغرم ... أو فى التحايا من ذرا أجبالها
ما دام ذكر الله أو ما تليت ... خطرت ومنت فى لذيذ وصالها[١]

هذه هى القصيدة كلها ، بدأها الشاعر على عادة الشعراء القدامى فاستهل المطلع بالغزل العفيف ، وثنى بالغرض المقصود ، وهو الحنين الى أهله ووطنه وماضيه ، وأروع ما فى القصيدة

(١) نفحات من عسير : ص ١٧٢ ، ١٨٣

شاعرية المطلع الغزلى ، الذى فاض بوجدان الشاعر الصادق ، وعبر عن لظى مشاعره المتأججة من لوعة الفراق ، فخطرت له فى أبهى زينتها ، فسحرته بحديثها ، وبعينيها ، لتطفىء غليل الشوق ، لكن العاذل يترصده ليقطع وصل الحبيبين ، ألا وهو الأسر ، الذى أنسى النفوس أعز البلاد ، وأجمل الذكريات فى حلى ورجال ألمع ، وهكذا يتسلل الشاعر من الغزل العفيف الى الحنين للوطن ببراعة ولطف ، حتى لا يشعر القارىء بأن القصيدة تحتوى على غرضين ، وكان غزله بريئا ، يصور الخواطر النفسية ، وكيف تجاوب وجدانه مع سحر الوصل ، وجمال اللحظ ، وعذوبة الحديث ولطف الروح ، كما اغتلى وجدانه أيضا بظلم الأسر فى بلاد الروم ونار البعاد عن الوطن ، ولوعة الفراق عن الأهل والخلان ، فى تصوير أدبى رائع ، وشاعرية قوية متدفقة ، وعاطفة صادقة مشبوبة ، وذلك فى شعر يكاد يخلو من مسحة الكلفة والمبالغة ، حتى نشعر بأن أسلوب القصيدة وتراكيبها ، بلغت من العذوبة والسهولة مبلغ التعبير الدارج فى النصوص النثرية المألوفة ، ولولا توقد العاطفة ، وميزان الشعر من العروض والقافية ، لقلنا بأنها قطعة أدبية ، تدخل فى باب النثر الفنى الرفيع .

وسقطات القصيدة قليلة ، لا تغض من قوة الشاعرية ، أو تنقص من قدرة الموهبة الأصيلة فى الشعر ، فالقافية مثلا فيها ليست مركبا صعبا ، تنتهى اليها ، وهذه تعطى تجوزا للشاعر اذا لم تستجب بنية الكلمة القائمة على الهاء ، وجد الشاعر مهربا من حقله اللغوى الضيق الى كلمة أخرى يوصلها بالهاء المضافة ضميرا ، يرجع الى ما قبله ، وتلك توسعة على الشاعر حتى لا يخضع لضرورة القافية .

وعدم خضوع الشاعر لضرورة القافية يدل على تمكن الشاعر من معامل الاشتقاق اللغوى ، واستخدامه استخداما جيدا فى القافية ، ويعبر أيضا عن قدرة الموهبة الشعرية عنده ، وتلك براعة يتصف بها نوابغ الشعراء .

سرى الغموض فى بعض المعانى للقصيدة مثل هذين البيتين :

طلب التلطف والترحم سيدى ... منكم وأما الغير لا أرضى لها
كل عبيدك بالسواء وإنما ... تعطى لمن ترضى أليم وبالها

فلا أدرى المعنى فى قوله : (وأما الغير لا أرض لها) أيكون المقصود : أما غير الله فلا تطلب التلطف والترحم منه ، وإذا كان كذلك فيكون الغموض واقعا ، لا يقف عليه القارىء بيسر ، وذلك لا بسبب صورة شعرية موحية ، تبهره لوقت ما ، حتى يقع على المعنى فيرويه كما يروى الظمآن ولكن بسبب التعقيد فى التركيب ، حيث جعل الشاعر التلطف والترحم عند غير الله لا أرض له ، فكان الغموض فى اختيار لفظ (الأرض) وفى عود الضمير على اللفظ المؤنث للأرض من أجل القافية . بينما هو يعود على التلطف والترحم ، وكلاهما مذكر ، ليعود عليهما الضمير مذكرا لا مؤنثا ، والتقدير (وأما الضمير لا أرض له : أى للتلطف والترحم) .

وكذلك قوله : (تعطى لمن ترضى أليم وبالها) ، فكيف يعطى الله تعالى أليم العذاب ، بل من يرض عنه الله ، يفض عليه بالنعيم ، ومن يسخط عليه يصله بالعذاب الأليم ، وهذا تناقض فى المعنى .

ومما يذكر لبراعة الشاعر ، وموهبته الشعرية القوية أنه يستخدم البديع بلا كلفة ، بل يأتى منقاداً طائعا للمعنى ، مع تكرار اللفظ الواحد يقول الشاعر فى براعة : (وأنا الأسير أسير سير مفكر) .

وتظهر البراعة أيضا فى الاقتباس من القرآن الكريم والتضمين لصوره ومعانيه ، وتظهر روعة التصوير الشعرى فى اقتباسه لسورة (الزلزلة) فى أربع أبيات ، مثل قوله : (والأرض خاشعة لشدة هولها) .

خامسا ــ الشعر التعليمى :

ظهر الشعر التعليمى فى أربع قصائد وهى قصيدة (نصيحة لحاكم ص ١٧٤) التى رفعها رؤساء القبائل فى عسير ، يتزعمهم قائلها الشيخ أحمد الحفظى الثانى الى السلطان التركى عبد الحميد عام ١٢٩٠ هـ ، ينصحون الحاكم برفع ظلم العثمانيين عنهم ، وقصيدة (ذكر الحبيب ص ١٩٦) ، التى بعث بها الشيخ على زين العابدين الحفظى الى ابنه ابراهيم ليحثه على طلب العلم لدى بنى الأهدل فى وادى سهام باليمن ويقول فى مطلعها :

ذكر الحبيب لدى الساعات لم يزل   وماغفلت ودمعى فاض من مقلى
وبى من الحزن ما يكفى لمنتظر   شواهد الحال بالتعديل تشهد لى

وقصيدة (حادى المطايا ص ١٩٩) أرسلها الشاعر على زين العابدين لابنه المذكور .

والشاعر الشيخ أحمد الحفظى الأول بن عبد القادر من بلدة (رجال ألمع) ، ولد فيها فى ١٥/٤/١١٤٥ هـ ، وتعلم على يد والده وأعمامه ، ثم رحل الى (صبيا) لطلب العلم ، ثم الى اليمن ليتعلم على أيدى علمائها ، وأخيرا عاد الى بلده لينشر العلم وتعاليم الدين الحنيف ، ولما ظهرت دعوة التجديد على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمؤازرة الأئمة آل سعود ، نشر الشيخ أحمد الحفظى فكرها، ودعا بها ، وتوفى عام ١٢٣٣ هـ عن ثمان وثمانين عاما. وله مؤلفات كثيرة منها : (الأزهار الفاتحة فى أسرار الفاتحة) ، (ضياء الشمعة فى شرح خصوصيات الجمعة) ، (شرح عقد جواهر اللئال فى فضائل الآل) ، أما شعره فكثير(١) .

---

(١) نفحات من عسير : ص ٢٣ ، ٢٤

ولهذا الشاعر من الشعر التعليمى قصيدة (نصائح وحكم ص ٣٣) يقول فيها :

سم فى سمات سناها السموات واعمل بأعمال أعلام العبادات
واحضر جموع جماعات الصلاة فما أخس من فاته جمع الجماعات
وأجر للجار معروفا يجيرك من جور العذاب وإن جر الجويرات

وهكذا يسير الشيخ فى قصيدة ، يتعسف فيها الأسلوب المتكلف والتراكيب المثقلة بألوان الزينة والزخرف ، على عادة شعراء عصره لكى تصير الأبيات مثلا أو حكمة ، يتندر بها فى المجالس ، ولا تخلو من موعظة وحكمة ونصيحة ، وهذا وحده هو جوهر الحسن فيها .

سادسا : الرثاء :

وجاء غرض الرثاء عند آل الحفظى فى قصيدتين إحداهما للشيخ أحمد الحفظى ، يرثى بها والده المتوفى فى ليلة عيد الأضحى عام ١١٨١ هـ ، يقول فى مطلعها :

يا عين جودى بدمع قطره ديم يجرى على الخد منثور ومنتظم
وابك على الفضل طول الدهر وانتحبى حتى يرى الدمع يجرى فى الخدود دم[١]

وقصيدة أخرى بعنوان (روضة الحق) للشيخ محمد بن أحمد الحفظى بعث بها الى الامام سعود الكبير ، ليرثى فيها الامام عبد العزيز طيب الله ثراه ، ويعلن عن دوام مناصرته لدعوة التجديد يقول فى مطلعها :

خليلى هذه روضة الحق فأعدلا قلوصيكما فى طلها وطلولها[٢]

سابعا ـ الوصف :

وغرض الوصف فى ديوانهم يضم قصيدة (فى طريقه الى المعتقل) للشيخ أحمد الحفظى الثانى ، أنشدها الشاعر وهو فى طريقه الى تركيا حين اعتقله العثمانيون ، فوصف هذه الرحلة ، وفيها يقول :

شكاية مشتاق لدار ومعتقل وأهل وإخوان وخل ومنزل
وصحب وجيران وقوم أعزة لوافدهم حسن القرى والتجمل
مشى عنهم ليلا فلما اعتلى على حفير اللوى فى ليل ظلماء أليل
لاقتبس النيران من كل شاهق كمثل نجوم الصيف ذات التحول

---

(١) نفحات من عسير : ص ٤٢ ، ٤٣
(٢) المرجع السابق : ص ٧١ ، ٧٣

وهب نسيم البان من أيمن الحمى   فزاد فلما أن رآنى حنّ لى[1]

وقصيدة أخرى (تحية القنفذة) وهى له أيضا ، يقول فى مطلعها :

على البندر الغربى أهدى تحيتى   مضاعفة تترى بصافى المودة
تؤم رجال الخير والفضل والتقى   وكل أولى علم بتلك المدينة
بها أهلها كالغيث حل لجارهم   ووافدهم فيها بأوفر نعمة[2]



(١) نفحات من عسير : ص ١٥٢ ، ١٥٥

(٢) المرجع السابق : ص ١٥٦ ، ١٥٧

الباب الثاني

مدرسة التجديد المحافظ

الفصل الأول

الخصائص الفنية لمدرسة التجديد المحافظ

١ - أصول المحافظة على عمود الشعر العربي .
٢ - دعائم التجديد وخصائصه الفنية .
٣ - شعراء مدرسة المجددين المحافظين .

أصول المحافظة على عمود الشعر العربى :

عمود الشعر العربى له قواعد وأصول اصطلح عليها النقد العربى القديم الأصيل ، اذا ما توفرت فى القصيدة ، أطلق عليها النقاد ، أنها عمودية ، واذا التزم الشاعر المحدث بهذه القواعد والأصول أطلق عليها النقاد شاعرا محافظا ، لأنه حافظ على عمود الشعر العربى فى شعره ، ولهذا كان لابد أن نعرف هذه الأصول فى عرف النقد القديم :

فالأصول فى عمود الشعر هى تلك التقاليد الفنية الموروثة فى استخدام اللفظ والمعنى والخيال والصور والوزن والقافية ، ومنهج القصيدة عند الشعراء الجاهليين والاسلاميين فى القصيدة العربية ، حتى صارت هذه التقاليد الفنية الموروثة عرفا متبعا ، ومنهجا متوارثا لا يحيد عنه الشاعر ، وأصبح عمود الشعر مصطلحا نقديا مشهورا ومتداولا وخاصة عند النقاد العرب فى القرن الرابع الهجرى ، فقد نضج على أيديهم .

يقول الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى مقررا عمود الشعر : (هو كل التقاليد الفنية التى التزمها القصاد فى قصائدهم من الأفكار والمعانى والأخيلة والأوزان والقوافى ، والألفاظ والأساليب والصور وغيرها ، فهذه التقاليد جميعها هى عمود الشعر)[١] .

وأصول التقاليد الفنية تقوم على خصائص فنية لكل من اللفظ ، والمعنى ، والصور ، والأسلوب ، والوزن والقافية ، والمنهج فى القصيدة .

أما اللفظ فيقتضى الجزالة ، والاستقامة ، والمشاكلة للمعنى ، وشدة اقتضائه للقافية ، ومعنى جزالة اللفظ ألا يكون غريبا ولا سوقيا مبتذلا[٢] ومعنى استقامة اللفظ هو تناسق حروفه فى جرس متساوق ، وإيقاع رتيب ، فيسلم حينئذ من تنافر الحروف ، ومعاناة الثقل فى اللسان وعلى السمع . واستقامته أيضا تكون بدلالة اللفظ على أصله ومعناه فى اللغة[٣] .

ومعنى مشاكلة اللفظ لمعناه ، حيث لا يزيد على معناه أو ينقص عنه ؛ وشدة اقتضائه للقافية هى أن تقع الكلمة فى موطنها من القافية والوزن ، فلا يقبل غيرها ، لأنها هى الموعود المنتظر[٤] .

(١) فصول فى الأدب والنقد : ص ٨١ .
(٢) الصناعتين : أبو هلال العسكرى ص ٤٩ .
(٣) المرجع السابق : ص ٨٢ ، وشرح ديوان الحماسة : المرزوقى ص ٩
(٤) الصناعتين : أبو هلال العسكرى : ص ١٢٨

وأما مفهوم : خصائص المعنى ، فلابد من تحقيق الشرف والصحة ، والاصابة فى الوصف ، والمقاربة فى التشبيه ، ومناسبة المستعار منه للمستعار له ، ثم التحام أجزاء النظم والتئامها[1] .

ومفهوم الشرف فى المعنى هو الاغراب فيه واختيار الصفات المثلى ، والصحة فيه هو السلامة من الخطأ ، ومطابقة المعنى الموضوع له فى اللغة .

ومفهوم الاصابة فى الوصف هو ذكر المعانى العامة ، والابتعاد عن المعانى المجهولة والصفات الخاصة .

ومعنى المقاربة فى التشبيه هو ما لا ينتقض عند العكس ، ومناسبة المستعار منه للمستعار له هو ما تعارف عليه أهل اللغة فى المجاز[2] .

وأما خصائص الأسلوب والنظم فى الشعر فهى جودة السبك واحكام النسج وصحة التراكيب ، والتآخى بين المعانى والألفاظ فتوضع اللفظة بجوار أختها ، وفخامة الأسلوب .

فالأصمعى وابن سلام الجمحى يحرصان على فخامة الأسلوب ، ويقول أبو هلال العسكرى : وليس الشأن فى إيراد المعنى .. وإنما هو فى جودة اللفظ وصفائه .. من صحة السبك والتركيب والخلو من أود النظم والتأليف . ويقول ابن طباطبا : (وللمعانى ألفاظ تشاكلها فتحسن فيها وتقبح فى غيرها) ، ويقول المرزوقى : (والتحام أجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن)[3]

ويقول الآمدى : (وليس الشعر عند أهل العلم به إلا حسن التأتى وقرب المأخذ ، واختيار الكلام ، ووضع الألفاظ فى مواضعها) . ويقول أيضا : (صناعة الشعر وغيرها من سائر الصناعات لا تجود وتستحكم إلا بأربعة أشياء : جودة الآلة ـــ واصابة الغرض ـــ وصحة التأليف ـــ والانتهاء إلى تمام الصنعة من غير نقص فيها ولا زيادة عليها)[4] .

وأما مفهوم منهج القصيدة فهو حسن الانتقال من غرض إلى غرض ومن موضوع إلى موضوع . فينتقل الشاعر من ذكر الديار والأطلال إلى الحبيب والرحلة ثم إلى المدح وهكذا فى براعة وحسن تخلص . يقول ابن قتيبة : (إن مقصد القصيدة إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن

---

(١) شرح ديوان الحماسة : المرزوقى .

(٢) الموازنة للآمدى ص ٣٣ ، وشرح الحماسة للمرزوقى ص ٩ والطراز : يحيى العلوى ٢٤١

(٣) انظر : طبقات الشعراء لابن سلام ص ١٠٢ ، والصناعتين : ص ٥٧ ، وعيار الشعر : ص ٦ ، وشرح ديوان الحماسة : ص ٨ .

(٤) الموازنة : ٤٠١/١ ، ٤٠٢ .

والآثار ، فبكا وشكا ، وخاطب الربع واستوقف الرفيق ، ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها ، ثم وصل ذلك بالنسيب فشكا شدة الوجد وألم الفراق وفرط الصبابة والشوق ليميل نحوه القلوب ويصرف إليه الوجوه ، وليستدعى به اصغاء الأسماع إليه ، لأن النسيب قريب من النفوس لائط بالقلوب ، فاذا علم أنه قد استوثق من الاصغاء إليه ، والاستماع له ، عقب بايجاب الحقوق فرحل فى شعره ، وشكا النصب والسهر وسرى الليل وحر الهجير ، وانضاء الراحلة والبعير ، فاذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء ، ودمامة التأميل ، وقرر عنده ما ناله من المكاره فى السير ، بدأ فى المديح ، فبعثه على المكافأة ، وهزه للسماح ، وفضله على الأشباه ، وصغر فى قدرة الجزيل)[1] .

وأما خصائص القالب الشعرى فهى أن يلتزم الشاعر فى الوزن البحور التى سار عليها الشعراء القدامى والتى حصرها الخليل بن أحمد فى البحور والأوزان التى اشتهرت عند العرب فتقوم القصيدة على بحر واحد من المطلع حتى الخاتمة ويلتزم الشاعر أيضا مع البحر قافية واحدة متحدة الروى لا يعدل عنها فى بيت واحد .

أما من خرج عن البحر الواحد كشعر التفعيلة والشعر الحر فهو متمرد على عمود الشعر العربى فى قالبه الموسيقى وأما من عددت قوافيه فى القصيدة الواحدة كالشعر المرسل ، ونظام المقطعات فهو أيضا متمرد على عمود الشعر العربى فى القالب الموسيقى لأنه خرج عن وحدة القافية فى القصيدة ذات البجر الواحد .

هذه هى أصول عمود الشعر العربى وخصائصه الفنية بايجاز اصطلح عليها النقد العربى القديم وقد وضحته بالتفصيل فى كتاب مستقل[2] ، لأن الحاجة هنا تقتضى الإيجاز بقدر المطلوب .

دعائم التجديد وخصائصه الفنية :

ومدرسة المجددين المحافظين تسير فى مذهبها الأدبى الجديد على نحو من المزاوجة بين الحفاظ على عمود الشعر العربى السابق وبين التجديد بما يتناسب مع العصر والبيئة والثقافة والتقدم العلمى والفكرى وغيرها من مقتضيات العصر وظروفه وأحداثه ، ولذلك نرى شعراء هذه المدرسة مع محافظتهم يغترفون من الثقافة الحديثة أكثر من غيرهم ، ويتجاوبون مع التيارات الفكرية والعلمية والأدبية المعاصرة ، وكذلك المشكلات الاجتماعية والعسكرية ، والمجالات السياسية والاعلامية وغيرها .

---

(١) الشعر والشعراء : ٧٤ ، ٧٥

(٢) كتابى : عمود الشعر العربى : دار الحارثى بالطائف ١٤٠١ هـ.

وبهذا يتلقف الشعراء كل جديد فى مجال الثقافة والعلم والفكر والفلسفة والسياسة والاجتماع ، والقضايا الانسانية والعسكرية ، والمذاهب الأدبية والنقدية المعاصرة ، بل يتسارعون إليه ، ويقبلون عليه فى نهم وشوق .

وساعدهم على ذلك تيسير اقتناء الكتب والصحف والمجلات والدواوين من لبنان ومصر والعراق وتونس والمغرب وغيرها من شتى بقاع العالم .

وكان لأجهزة الاعلام المختلفة عن طريق السماع أو الرؤية تنقل إليهم الندوات ، والمحاضرات ، والمقالات ، والحوار وغيره مما يدور حول قضايا الفكر والأدب والنقد ومذاهبه .

وأخذ شعراء الجنوب يتجاوبون مع أعمال المازنى وشكرى والعقاد ، وطه حسين والزيات ، وأحمد أمين وزكى مبارك وسيد قطب ومحمود شاكر ، وأحمد الشايب وشوقى ضيف ، وعبد المتعال الصعيدى وسعيد العريان ، ومصطفى عبد الرازق ومحمد عبد المنعم خفاجى وحسن جاد وابراهيم أبو الخشب ، ومحمد سرحان وعبد السلام سرحان وغيرهم .

وتابع الشعراء المعارك الأدبية والنقدية بين المفكرين والنقاد ، وخاصة حول شعر شوقى وحافظ ، وشعر مدرسة الديوان ، ومدرسة أبولو ، ورابطة الأدب الحديث ، وشعر المهاجر العربية وغيرها .

وهز مشاعرهم شعر الزهاوى والرصافى فى العراق والبارودى واسماعيل صبرى والجارم ، وحافظ وشوقى ، ومحمود طه وأحمد زكى أبو شادى ، وناجى ومحمود أبو الوفا وشكرى والعقاد وغيرهم فى مصر ، وابراهيم اليازجى والأخطل الصغير ، وأبو ريشة وبدوى الجبل وفؤاد الخطيب فى سوريا ولبنان[1] .

وكان شعراء هذا المذهب الأدبى ينقسمون على أنفسهم ، فيشايعون مذهبا يفضلونه على آخر ، وشاعرا على آخر ، وناقدا على ناقد ، فمنهم من هام بشوقى ، وآخر من أحب محمود طه أو ناجى ، ومنهم من ناصر مدرسة الديوان ، وآخر سار على نهج مدرسة أبولو وهكذا ..

لذلك كله ترى روح التجديد للمحافظين من شعراء الجنوب فى الشكل والمضمون فكان شعرهم تجديدا محافظا فى المعانى والأفكار ، وفى الأغراض والأهداف ، وفى المنهج والأسلوب ، وفى الخيال والصور الأدبية وفى الموسيقى والايقاع ، بما يتلاءم مع ظروف العصر ، وحاجات المجتمع الجديد المتطور .

---

(١) انظر : الحركة الأدبية فى المملكة العربية السعودية : د . بكرى شيخ أمين ، الموسوعة الأدبية : عبد السلام طاهر الساسى .

شعراء مدرسة المجددين المحافظين :

وشعراء هذه المدرسة كثيرون وكلهم ينشرون فى مختلف المجالات والصحف والنوادى الأدبية الكثيرة فى أبها وجازان ونجران ، وخميس مشيط وبيش وغيرها .

ونذكر منهم على سبيل المثال الشعراء : أحمد بيهان وحسن يحيى ضائحى ، وعلى عبد الله مهدى ، وابراهيم مفتاح وأحمد باهى ، وعلى أحمد حيقل ، وعمر صعابى ، وجبران قحل ، وعمر سالم فرسانى وسواهم .

أما الشعراء الذين يمثلون هذا المذهب الأدبى أصدق تمثيل ليس بما نشروه فى وسائل الاعلام السابقة فحسب بل كانت لهم دواوين صدرت من أكثر من عشرين عاما وهؤلاء هم الشعراء الذين سيكونون محل الدراسة التفصيلية الأدبية النقدية للتعرف على الخصائص الفنية للتجديد المحافظ ومن أهمهم الشاعر محمد بن على السنوسى ، والشاعر محمد بن أحمد العقيلى ، والشاعر زاهر عواض الألمعى ، والشاعر يحيى ابراهيم الألمعى .



الفصل الثاني

الشاعر محمد بن علي السنوسي

١- نشأة الشاعر وحياته .
٢- الأغراض الأدبية في شعره وخصائصها الفنية .
٣- التصوير الأدبي .
٤- خصائص الألفاظ والأساليب .
٥- خصائص الوزن والقافية .
٦- التشخيص في التصوير الأدبي .
٧- الروح الإسلامية في التصوير الأدبي .
٨- الصور الخيالية وخصائصها الفنية .
٩- الوحدة الفنية .
١٠- موازنة ونقد .

نشأة السنوسى وحياته :

هو الشاعر محمد بن على السنوسى ، ولد بمدينة جازان عام (١٣٤٢ هـ) وأبوه شاعر وقاض سبق أن تحدثت عنه فى مدرسته ، ألحقه بمدرسة يديرها الأستاذ الشيخ على بن حمد عيسى رئيس كتاب محكمة جازان فى عام (١٣٨٠ هـ) فتعلم على يديه القراءة والكتابة والحساب ، ثم قرأ علوم العربية على والده ، وعلى الشيخ عقيل بن حمد ، ثم انكب على مطالعة مكتبة أبيه الزاخرة بالعلوم والآداب ، فاتسعت مداركه عن طريقه الذاتى .

ظهرت ملكته الشعرية ، وميوله الادبية فى وقت مبكر من حياته عام (١٣٥٩ هـ) وهكذا ظل يصقل فنه حتى سما الى مكانة مرموقة بين زملائه الرواد فى المملكة حتى نال الجائزة الأولى فى المسابقة الشعرية التى عقدتها (مجلة الرياض) السعودية عام (١٣٧٥ هـ) فى قصيدته : (حطم المارد القيود) .

التحق الشاعر بالوظائف الحكومية ، فعمل فى سلك الجمارك عام ١٣٥٧ هـ) وظل فيها ينتقل من منصب الى اخر حتى صار مديرا لها عام (١٣٧٠ هـ) ، وكان عضوا فى المجلسين البلدى والادارى . ثم عمل رئيسا لبلدية جازان ، ثم مديرا لشركة كهرباء جازان ، ثم تفرغ للأدب ولأعماله الخاصة وأخيرا هو الآن رئيس للنادى الأدبى الثقافى فى جازان[١] .

تأثر الشاعر بالفحول من الشعراء القدامى والمحدثين مثل أبى تمام والبحترى والمتنبى ، وشوقى وحافظ وعزيز أباظة ، فسار على منوالهم ونهج نهجهم .

ونشر شعره مبكرا فى مجلة (اليمامة) وجريدة (البلاد) و (أم القرى) و (الحج) و (الأضواء) و (الرائد) وتلقبه المجلات بشاعر الجنوب .

ترجمت بعض قصائده الى اللغة الايطالية ونشرت الترجمة فى مجلة « المشرق » الايطالية ، يقول عنه الدكتور كامل السوافيرى : والسنوسى غنى بشهرته عن التعريف وله مكانته بين شعرائنا البارزين ، وهو أول شاعر يترجم بعض شعره الى لغة أوروبية ، ومن أهم سماته أنه لا يتكلف ، أو يقول ما لا يعتقد ، أو يمدح من لا يرى أنه أهل للمدح[٢] .

---

(١) الحركة الأدبية : د . بكرى شيخ أمين ، شعراء العصر الحديث ، عبد الكريم بن الحقيل .
(٢) نفحات الجنوب : ص ٧ التقديم .

حـاز جائزة التكريم (ميدالية ذهبية) من جامعة الملك عبد العزيز ، وحصل على (ميدالية المتنبى) من وزارة الثقافة العراقية .

والسنوسى رائد من رواد الأدب فى المملكة العربية السعودية ، ويلقب شاعر الجنوب ، له حتى الآن خمسة دواوين شعرية هى على الترتيب حسب الظهور : القلائد عام ١٣٨٠ هـ ـــ الأغاريد ـــ أزاهير ـــ الينابيع ـــ نفحات الجنوب عام ١٤٠٠ هـ .

وله دراسات أدبية فى كتاب (مع الشعراء) ، وكتاب (رجال ومثل) تحت الطبع وكتب أخرى[١] .

يقول عنه الأستاذ محمد سعيد العامودى : (إن للسنوسى مكانة بين شعرائنا البارزين ، فهو صاحب القلائد ، وقد كان لديوانه (القلائد) وما يزال صداه الطيب الجميل فى أوساطنا الأدبية ، إنه أول شاعر من شعرائنا يترجم بعض شعره الى لغة أوروبية .. إن أهم سمات شاعرنا السنوسى فى اعتقادنا ، أنه لا يحاول أن يتكلف ، أو يظهر بغير حقيقته ، أو يقول ما لا يعتقد ، أو يمدح من لا يرى أنه أهل لثناء أو مدح ، وإنما هو فى كل ما طالعته من شعره ، لا أراه إلا حريصا كل الحرص على التزامه لهذه السمة ، سمة الصدق فى التعبير .. لعل ميزات السنوسى إكثاره من القراءة والاطلاع .. وإنى لأغبط السنوسى حقا ، أن أراه مولعا إلى حد النهم بالقراءة والاطلاع[٢] .

ويصف الشاعر السعودى عبد الله بن محمد بن خميس شعر السنوسى فيقول :

قـد عرفت القريض غضـا طريا   يصطفيـه جـازان مـن عليائـه
وقـف الشـاعـر المحلـق يروى   بهجـة العيـد حسنـه ورؤائـه
فوقفنـا الأسمـاع نلقط درا   أرخص الـدر منتقى مـن غـلائه[٣]

وكثيرا ما كان يحتفى به الشعراء والأدباء ، ويلتقون جميعا فى مواكب الفن ، فيتطارحون الشعر ، ويخوضون فى موضوعات شتى . فقد دعا الأستاذ عبد القدوس الأنصارى (صاحب مجلة المنهل) لفيفا من الشعراء والأدباء السعوديين فى حفلة تكريما لشاعر الجنوب الأستاذ محمد على السنوسى ، يقول أحد الشعراء المدعوين :

فى ندوة سمر ساحر جمعتنى دعوة كريمة من الأستاذ الجليل عبد القدوس الأنصارى (صاحب مجلة المنهل) بصفوة من الشعراء والأدباء السعوديين فى حفلة أقامها فى داره العامر ليلة

---

(١) المرجع السابق : التقديم .
(٢) الأغاريد : تقديم محمد سعيد العامودى ص/ك ، ل
(٣) نفحات الجنوب : ص ٨

الجمعة الموافق ١٣٧٦/٦/٢ هـ تكريما لشاعر الجنوب الأستاذ محمد بن على السنوسى ، وكانت بحق حفلة أنيقة حيث تبودلت فيها شتى الأحاديث الأدبية والاجتماعية ، ومما زاد الحفلة متعة وروعة ، طلب الأستاذ الأنصارى من المحتفى به إنشادنا آخر ما عنده من شعره الحديث ، فتفضل وأسمعنا قصيدة ممتعة من شعره الوثاب ، وتلاه الأستاذ حسن عبد الله القرشى ، فأنشدنا من ذاكرته القوية مطولة من شعره الواعى بعنوان (سجين الحياة) .. وكان من أبرز المدعوين إلى هذه الندوة الأدبية الأساتذة محمد سعيد العامودى ، وعبد المجيد شبكشى ، وحسن عبد الله القرشى ، وعبد الفتاح أبو مدين ، وأحمد السباعى ، وشكيب الأموى .. فإلى هؤلاء جميعا أبعث بهذه القصيدة (صوفية شاعر) تذكارا لهذه الندوة الأدبية وتقديرا للفن فى شخصيات رواد الأولمب الخالد ومطلعها :

ظلمـوه فعـاش فـى اخوانـه   يتلظـى علـى لظـى أحزانـه
أى ظلـم أشـد فـى النفس وقعـا   مـن أذى صحبـه وظلـم زمانـه
قـد رمـاه الصحـاب بالكبـر إذ كـا   ن يناجى بالبعـد طهـر جنانـه

الى قوله :

آمن الشاعر الغريب وقـد عاش   سعيـدا بمنتهـى إيمانـه
عـاش فـى نجـوة مـن النـاس يستـ   صغر معنـى النعيـم فـى تبيانـه
مستـلذا كـزازة العيـش فـى الـو   حـدة والليـل ضـارب بجرانـه
وصـلاة الصـوفى فيـض مـن الـرو   ح كفيـض العبيـر مـن ريحـانه
كـل نفس صوفيـة تتمنـى أ   ن تنال السـمـو فـى أحضـانه[١]

يقول صاحب مجلة المنهل عن الحفل وعن قصيدة محمود عارف السابقة : (وقد تلقى صاحب المنهل بعد يومين من الحفل القصيدة العصماء التى تلى هذه ، وهى من وحى الحفل ومن نظم الشاعر محمود عارف عضو مجلس الشورى[٢] .

والسنوسى يرى أن فنه الشعرى مستمد من فن شاعر العربية الأكبر أبى الطيب المتنبى . يقول :

يا أبـا الطيـب المحسـد إنـى   مستمـد مـن فنـك الفـذ فنـى[٣]

---

(١) القلائد : ٥٢/ ٦
(٢) مجلة المنهل : شهر جمادى الثانية سنة ١٣٧٦ هـ
(٣) نفحات الجنوب : ص ١٣١

ويصور شاعريته فى أبيات يصدر بها ديوانه الأول (القلائد) :

هـــذه ألحـــان قلبـــى وأغاريـــد شبـــابى
هـــى أحلامـــى وآمـــالى وكـــأسى وشـــرابى
وصبابـــاتى وأشـــجـانى وحبـــى وعـــذابى
إنهـــا صـــورة نفســـى قـــد تجلتْ فـــى كتابى[1]



(١) القلائد : ص ١

الأغراض الأدبية فى شعر السنوسى
وخصائصها الفنيـة

يتميز شعر السنوسى بأنه كثير الأغراض الشعرية العميقة ، ومتعدد الاتجاهات فى الأهداف الدقيقة ، ومتشعب الموضوعات الأصيلة والجديدة المعاصرة ، التى عاش الشاعر تجربتها الشعورية من واقعه المعاصر ، واقعه الاسلامى والعربى والانسانى والوجدانى ، وكان شاعر الجنوب بحق لغزارة شعره وتنوع الأغراض التى تبنى مجتمعا إنسانيا فاضلا ، وتحث على التئام الأمة الاسلامية ووحدتها فى جبهة واحدة لتواجه بقوة عصر التحديات الجماعية لا الفردية ، وعصر الماديات المشتركة فى السوق الأوروبية المشتركة وعصر الدول العظيمة فى تعاون الدولتين العظيمتين أمريكا وروسيا ضد غيرها من الدول فى الشرق وفى الغرب ، إنه شعر الأمة العربية الاسلامية التى يحيى فيها أمجادها وآمالها ، ويذود عنها ، ويدافع فى سبيلها ، سواء أكان الشعر فى العالم الاسلامى والعربى الكبير أو فى قضاياه الاسلامية والعربية المعاصرة ، أو كان فى وطنه السعودى الصغير ، أو كان من خلال وجدان العربى المسلم الثائر وجدان الشاعر السنوسى ، أو كان فى غير ذلك من موضوعات وأغراض من وحى العالم العربى والاسلامى والانسانى الكبير . وهذه هى أغراضه الشعرية حسب أهميتها وغزارتها وعمقها ، فى دواوينه الخمسة التى ذاعت فى العالم العربى الاسلامى بل والأوروبى على السواء .

أولا ــ الشعر الاسلامى :

هذا الغرض الأدبى يسيطر على شعر السنوسى فى دواوينه الخمسة ، تفجر من واقعه الذى يعيشه إيمانا بعقيدته ، وتمجيدا لمقدسات الاسلام وشعائره ، واعتزازا وفخرا بحضارته وانسانيته ، وسموا بمبادئه وتعاليمه ، وكشفا عن المثل العليا للبشرية إيمانا وقدوة ، وتصويرا لقادة الاسلام ، ودفاعا عن تشريعاته وحرماته ، وثناء على حماة الاسلام ودعاته ، وحرصا على العمل به ، والجهاد فى سبيله ، وحفزًا للهمم القوية والعزائم الشديدة .

والشعر الاسلامى عند السنوسى عميق فى جوانبه الكثيرة ، وخصب فى معانيه واتجاهاته ، وواسع الأفق تزهر تحت سمائه الاسلامية قضايا العالم الاسلامى والعربى ، والحق الانسانى بصفة عامة ، لذلك تدفق شعره الاسلامى فى اتجاهين كبيرين هما :

الاتجاه الأول :

وهو الشعر الاسلامى الذى يتناول الرسول محمدا ﷺ ، وأصحابه رضى الله عنهم جميعا ، والتشريع الاسلامى وحضارته ، وتعاليم الشريعة الغراء وسماحتها ، وهو الدين الحق والشامل ، الذى يصلح للناس والحياة فى كل مكان وفى جميع الأزمان الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وقد احتوى هذا الاتجاه قصائد كثيرة هى :

صور الشاعر هذا الاتجاه فى الديوان الأول (القلائد)[1] فى قصيدة (أم القرى) التى كانت من وحى المؤتمر الاسلامى المنعقد فى موسم حج عام ١٣٧٤ هـ يقول فى مطلعها :

نور على البطحاء لماح الذرى ... يهدى القرون ضياءه والأعصرا
أنست فيه سنا من االقبس الذى ... (موسى) تشوفه هدى وتنورا
ينصاح من فلك الرسالة (فجره) ... ويشع من فلق (النبوة) نيرا
فى هالة يحنى الرؤوس جلالها ... عظة ويجتذب النفوس تذكرا
لمعت على الوادى المقدس شعلة ... تركت دجى الدنيا نهارا مسفرا
مست شرارتها الحياة فأشعلت ... (مثلا) أشف سنا وأكرم جوهرا
هزمت أشعتها الظلام وزلزلت ... (كسرى) وراء الخافقين (وقيصرا)[2]

وقصيدة (قوسُ حاجب ص ٨٢ ، ٨٧) ويصور فيها لمحات من التاريخ الاسلامى المجيد ، وقصيدة (ليلة الهجرة ص ١٩٢ ، ١٩٦) ومن قصيدة قوس حاجب :

بنى العروبة إن الحادثات وإن ... جلت هى الريح نستشرى بها لهبا
(القوة) اللغة الفصحاء وعصركمُ ... أصم لا يسمع (الأشعار) والخطبا
هزوا الجزيرة من أركانها حرداً ... وأشعلوا الشرق من أقطاره غضبا
ذودوا عن الحق إيمانا بقوته ... من غالب الحق عدوانا به غلبا
واسترشدوا بهدى القرآن تنجدكم ... عزائم صرع الباغى بها وكبا
وجددوا عزة الاسلام إن له ... فى جيد كل عظيم منة وحبا[3]
إن الحياة جهاد والجدير بها ... من غالب العاصفات الهوج والنوبا

---

(١) القلائد : محمد بن على السنوسى : تقديم عبد القدوس الأنصارى ، مطبعة دار الكتاب العربى بمصر عام ١٣٨٠ هـ القاهرة ، فى حجم متوسط يضم ٢٢٠ صفحة وهو أول ديوان يصدر للشاعر ، وهو رائد من رواد الأدب السعودى الحديث .

(٢) القلائد : ص ١٢/١٩

(٣) القلائد : ص ٨٥ ، ٨٦

وفى الديوان الثانى (الأغاريد) نجد قصيدة (هى الجزيرة ص ١ ، ٣) وقصيدة (أجنحة التاريخ ص ٤ ، ٥) ، وقصيدة (طيبة ص ٦ ، ٨) ، وقصيدة (خلق المسلم ص ٩ ، ١٢) ، وقصيدة (رمضان ص ١٣ ، ١٧) ، وقصيدة (هوية الانسان ص ٦٢ ، ٦٤) يقول السنوسى فى قصيدة (طيبة) التى فازت بجائزة وزارة الاعلام للتلحين والغناء ، منها :

هذه طيبة فحىِّ الرسولا ... بوركت منزلا وطابت نزيلا
هذه طيبة التى خصها الله ... بما خصها به تفضيلا
هب منها الهداة وانطلق الإ ... يمان والمؤمنون صفا طويلا
ومشى فى ظلالها موكب الحق ... إلى العالمين يهدى السبيلا
عبّ من فيضها الوجود جمالا ... وجلالا وحكمة وأصولا
إنها روضة أفاض الله عليها ... من فضله عطاء جزيلا
فدع القلب يستجم ويرتا ... ح ويطفى الصدى ويشفى الغليلا[1]

وفى (الينابيع) نجد قصيدة (الرسالة والرسول) ، التى ألقاها فى المؤتمر الأول للأدباء السعوديين المنعقد بمكة المكرمة فى ١٣٩٤/٣/١ الى ١٣٩٤/٣/٥ هـ ، بجامعة الملك عبد العزيز بحدائق الزاهر فى العاصمة المقدسة ، يقول[2] :

من الجزيرة من أرضى ومن بلدى ... تألق النور نور الحق والرشد
ومن رباها رباها الطاهرات ثرى ... أبيض تنفس الصبح من بدر ومن أحد
نور تألق من نور فرق به قلب ... الحياة ونض الصخر بالبرد
وفاض عبر شعوب الأرض مندفقا ... يحيى القلوب ويشفى ثغر كل صدى
جرى فأخصبت الدنيا ندى وهدى ... تمارجا كامتزاج الروح بالجسد
وأشرقت (بابن عبد الله) واتلقت ... (رسالة الله) زاه نورها الصمدى
(محمد) خير خلق الله قاطبة ... خَلقا وخُلقا على السراء والنكد
نديم (جبريل) يسقيه فما لفم ... (وحيا) يرتله شاد إلى غرد
أحلى من الشهد آيات مفصلة ... تهدى إلى البر فى قول ومعتقد
تنزلت بالهدى والنور فى لغة ... تلألأت بمعان فذة جدد
تُبلى الدهور ولا تَبلى نضارتها ... صفاء لفظ ومعنى خالد أبدى

---

(١) الأغاريد : ٨/٦

(٢) الينابيع : محمد بن على السنوسى ، نادى جازان الأدبى ــ المدينة للطباعة ــ جدة وهى فى حجم كبير ، يضم ١١٠ صفحة ص ١٤/٣ ذكرت القصيدة كاملة فى كتابى (حضارة الاسلام فى الشعر العربى الحديث : تحت الطبع)

كانت ولما تزل تمحو أشعتها ضلال كل ذوى أمت وذى أود
حكم وعلم وأمثال فلسفة وحكمة لو وعاها ذو الضلال هدى

وهكذا يمضى السنوسى فى ستة وتسعين بيتا ، يصور فيها الشريعة الاسلامية وسماحتها ، وحضارتها ، وفضل محمد ﷺ على البشرية ، وما قام به السلف الصالح من ترسيخ الحضارة الاسلامية .

وليت الشاعر أتى بلفظ (صدر) مكان كلمة (ثغر) فى البيت الرابع مع الاحتفاظ بصحة الوزن ، لكانت الصورة الأدبية أدق وأعمق ، لأن ريّ الثغر ، الذى قد يكتفى فيه بالبلل وترطيب الجفاف ، لا يسمو إلى ريّ الجسد كله بما فيه القلب والعقل والعاطفة والوجدان ، فتدب الحياة فيه بعد ظمأ الموت ، وينبض القلب بالقوة فى تجويف الصدر ، فيتدفق الجسد كله بالدم والحرارة والنشاط .

وكذلك قوله فى البيت الثامن : (نديم جبريل يسقيه) ، فالشاعر يقصد جليس جبريل على حد قول النبى ﷺ (مثل الجليس الصالح إلى آخر الحديث الصحيح) ، وجليس لفظ يتضمن معنى أدق وأفضل ، وأوقع وأجمل فى هذه الصورة الشعرية الرائعة ، فكلمة (جليس) وزان كلمة (نديم) ، التى وردت فى مقام النبوة مع الوحى ، وهذا المقام الجليل تتلاءم معه كلمة توحى بالاجلال والتقدير ، وينأى عن كل كلمة يتسرب اليها أى احتمال لا يليق بهذا المقام الرفيع ، فالمعنى الذى يقصده الشاعر فى الصورة الأدبية من وراء كلمة (نديم) هو مجالسة النبى لجبريل فى مدارسة القرآن الكريم ، وهذا جائز فى باب المجاز والخيال ، لكن التصوير الحقيقى هنا خاصة أولى وأفضل ، فلابد لكلمة (جليس) — وهى لفظ حقيقى — فى تصوير المعنى ، فقد أشرفت على الغاية ، لتعلم أن التصوير الأدبى باستعمال اللفظ الحقيقى قد يكون أبلغ فى التأثير والاقناع من التصوير الأدبى باستعمال اللفظ المجازى الخيالى . وبهذا لا نترك لأعداء الاسلام منفذا يتسللون منه فى الجدل والتمحل بلا وجه حق فيتذرعوا بالمعنى الذى يظهر على سطح لفظ (نديم) الذى يعبر عن واقعه المحس ، المأخوذ من (المنادمة) ، وأعتقد أن الشاعر لا يقصد هذا مطلقا ، وإنما الذى أقصده هنا هو من باب (سد الذرائع) أمام أعدء الاسلام .

وقصيدة (ثانى اثنين) فى خمسين بيتا ، يصور فيها عظمة الصديق رضى الله عنه ومطلعها[1] :

يا ثانى اثنين فى دار هى الغار إن اختيارك للمختار مختار
ويارفيق الهدى والليل معتكر والأرض ترجف والأهوال إعصار

(١) الينابيع : ص ١٩/١٤

وهكذا يمضى الشاعر مع الصديق صاحبا للرسول ﷺ ، ومصدقا ومهاجرا ، ومؤازراً ، وخليفة للمسلمين ، وقائد لحروب الردة ، ومنتصراً على الالحاد والنكوص ، ثم ينخطف الى عصرنا الحديث ليناجى منه أبا بكر الصديق ، ويستغيث ليقيم بحزمه المعروف حربا شعواء ضد الردة فى العصر الحديث ، وما أقساها مرارة على المسلمين ؟!! يقول :

فى ردة من ثياب العصر لابسة ... تحرر قيل عنها وهم آصار
تفرق الجميع وانحلت شكيمتهم ... وانهار إيمانهم بالله فانهاروا
نقلد الغرب إلحاداً وزندقة ... ومن (تحلله) نجنى ونشتار
ولا نقلده علما وتقنية ... ولا انطلاقا له نفع وإثمار
يا ثانى اثنين فى ذكراك موعظة ... وفى جهادك للسارين أنوار[1]

وقصيدة (رصيد الحياة ص ٢٠ ، ٢٢) ، وقصيدة (أذان الفجر ص ٢٣ ، ٢٥) ، وقصيدة (نور القلوب ص ٢٦ ، ٢٧) ، وقصيدة (الحق المهان ص ٤١ ، ٤٢) ، وقصيدة (التضامن الاسلامى ص ٤٤) ، وقصيدة (دعوة الحق) يقول :

على التاريخ أن يصغى إلينا ... ويملأ سمعه مما لدينا
فنحن حماته سلما وحربا ... ونحن بناته دينا ودنيا
ونحن هداته قولا وفعلا ... ونحن كماته شدا ولينا
أضاء على منابرنا نجوما ... وأطلق فى مواكبنا لحونا
وكنا خير أمته خلالا ... بدين محمد متمسكينا
طريقا واضحا لا أمت فيه ... ولا عوجا هداة مهتدينا
فماذا ينقم الأعداء منا ... وماذا يدعون ويفترونا
سوى إيماننا بالله ربا ... وبالاسلام تشريعا متينا
أبى الاسلام ينبزنا الأعادى ... كفى شرفا بذلك لو يعونا
لنا اسلامنا ولهم هواهم ... سواء كان (مركس) أو لينينا

فقد وضح الطريق لكل سار ... وكان الحق منبلجا مبينا
أترحمنى يد بالأمس كانت ... تصافحنى وتملئنى يقينا
ويغدر بى أخ قد كنت أسمو ... به ظنا وأحسبه أمينا
ومن هدى الجزيرة وهى مهد ... لنور (محمد) فى العالمينا
تطلعت الشعوب إلى شعاع ... محا ظلماتها والظالمينا

(١) الينابيع : ص ١٩

وكان لهم منارا فى خضم وكان حيا أغاث الظامئينا[1]

وفى ديوانه الأخير (نفحات الجنوب)[2] قصيدة (أيهاالانسان) يقول[3] :

أيها الانسان فى كل مكان يا أخى قلبا ولبًّا وكيان
حبك الأوطان لا يعميك عن حبك الانسان فى أى لسان
اجعل الحب شعارا ثابتا وانتزع عنك طباع الحيوان
وليفض قلبك خيرا ولتفض بالندى من ساعديك الراحتان
وتكلم بلسان هادىء فى الخلا فات ودع عنك الحران
شابت الأرض وما زلت فتى أرعنا تفرض رأيا بالسنان
حطم المدفع لا تحمله ثم حا ورنى بفكر وبيان
ولتكن مفتاح خير وهدى ولتكن مغلاق شر ودخان
نحن إن فكرت شيء واحد نحن إنسانان أنا توأمان
ما الذى تطلب منى إننا إن تأملت كلانا فانيان
فاملأ الأرض سلاما ورضى علنا نحيا عليها فى أمان
سوف تطوينا غدا أحشاؤها يستوى رب العصا والصولجان

فى هذه القصيدة يناجى السنوسى الشاعر الانسان ، مهما اختلفت أجناسه فى جميع أنحاء العالم ، ليعشق السلام ، وينشر رايته ، ويعيش فى ظله ، ويمتلىء قلبه بالحب لأخيه الانسان ، ليكون الشعار الدائم لكل انسان الذى يؤثره أى فرد عن حب الأنانية فى الأوطان ، لأن الوحشية والكره والحقد والعداوة ليست من طبيعة الانسان ، ولكنها فى تكوين الحيوان ، ولنكسّر السلاح ، ونحطم المدافع ، وندفن الأحقاد والشرور ، ونبدد دخان الحروب ، لنفتح الصدور للحوار الفكرى ، والرأى السديد بلغة صريحة ، وأسلوب واضح مكشوف ، فهو السبيل الى الحب والسلام ، ودونه الحرب الزؤام ، فتفيض الأرض سلاما ووئاما ، وتزدهر حبا وأمانا ، لأنها فى الغد القريب ستطوى العالم فى أحشائها ، فيستوى بين جوانبها الغنى والفقير ، والمتكىء على عصاه ، والذى يضرب بالصولجان .

أدب انسانى عالمى استمد السنوسى انسانيته العالمية من رسالة الاسلام العالمية ، التى

---

(١) الينابيع : ص ٢٩/٢٨

(٢) نشر عام ١٤٠٠ هـ ــ مطبوعات نادى جيزان الأدبى ــ مطابع الروضة بجدة وهو فى حجم متوسط يضم ١٣٦ صفحة أهداه إلى والده القاضى العلامة الشاعر الأديب على بن محمد السنوسى تغمده الله برحمته ص ٥

(٣) نفحات الجنوب : ص ٦٠/٥٩

تجاويت مع كل الأجناس من بنى الانسان ، فشريعة الاسلام هى التى كرمت الانسان لأنه (إنسان) قال تعالى (ولقد كرمنا بنى آدم) ، (ولقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم) ، (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .

ومن تكريم الاسلام للانسان ، أنه جعل من طبيعة تكوينه الأنس والوئام والمحبة والسلام ، قال تعالى : (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) ، وما يتجافى مع طبيعة الأنس فيه مرفوض مذموم ، وهو العداوة والبغضاء ، والحقد والجفاء ، والظلم والاعتداء ، قال تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) .

وكذلك قصيدة (أخى المسلم) يقول فى مطلعها[1] :

أخى المسلم الداعى إلى الرشد والهدى ... حرى بداعى الرشد إن يك أرشدا
لقد طال مسعاك الحميد فلا تكن ... عنيفا فإن العنف يغرى التمردا
وكن هادئا فى قوله وفعاله ... رفيقا فإن الرفق ما زال أحمدا
وصية طه المصطفى وهو قدوة ... لكل دعاة الرشد شيخا وأمردا
فخذ بيد الغاوى ومهد سبيله ... إلى الرشد يمشى مستقيما مسددا

الاتجاه الثانى :

ويتناول فيه السنوسى الجهاد فى سبيل الاسلام والدفاع عن مقدساته وتشريعاته ، والذود عن المسلمين فى أنحاء العالم الاسلامى ، ودفع الظلم عن الانسان فى كل مكان ويتناول أيضا قضية الحرية ، وتحرير أراضى المسلمين والأراضى المقدسة ، وحث المسلمين على الجهاد فى سبيلها ، والوقوف صفا واحدا أمام الطغاة المستعمرين المستبدين ، ثم قضية المؤاخاة بين أفراد الأمة الاسلامية ، والتعاون بين شعوب الأرض ، والتضامن فى سبيل نصرة الاسلام ورد حقوق الانسان .

والشعر الاسلامى فى هذا الاتجاه ليس أقل من الاتجاه الأول بل كثير وكثير ، فأما الديوان الأول (القلائد) فقد اشتمل على قصيدة (حطم المارد القيود) بمناسبة (جلاء) الانجليز عن جزء من أجزاء الأمة الاسلامية العربية ، عن مصر عام ١٩٥٤ م ، وقد فازت بالجائزة الأولى التى أقامتها مجلة (الرياض) فى جمادى الآخرة سنة ١٣٧٤ هـ ، ومطلعها[2] :

---

(١) نفحات الجنوب : ص ٩٧/١٠٠

(٢) القلائد : ص ٢٠/٢٣

هتــفت والشعـــور روح وراح ويـك غـرد فقـد أضـاء الصباح
الصباح الـذى لـه مـن منـى النفـ س انبـلاج ومـن هـواها انصيـاح
قـف على قـمة الزمـان مـع التـا ريـخ واهتـف يهــزك الارتيـاح
وتـأمل شـواطىء النيـل والبشـ رى علـى ضفتيـه والأفـــراح
هـدأت ثـورة الخصـم وقـرت ونجــا بالسفينـــة المـــلاح
وثبتْ (مصــر) وثبـة فـى سمـاء يحسـد البـرق فـى مداهـا الرياح
إنهـا وثبـة يـرن صداهـا عاليـا ملؤهـا العــلا والنجـاح
هـزت (الغـرب) فـى محافلهـا الكبـر ى وقـد صفقـت مـن الشـرق راح
وعلـت رايـة العـروبة شمـاء يزيـن السمـاء منهـا وشـاح

إلى قولـه :

عبـروا عـن مرادهـم فـى (جـلاء) يدعـم الحـق فـى سـناه الكفـاح
طلبـوا المـوت فـى ثراهـا ففازوا بحيـاة كريمـة لا تتـاح
حطـم المـارد القيـود فـلا النيـل فرات ولا (الفــرات) قـراح
لا (قنـاة السـويس) حـوض ولا (البيضـاء) روض ولا (البريمى)مـراح
قـد تلظـى اللهيـب فـى كـل فـج رق فيـه الصبـا ورف الأقـاح
واعتصمنـا بعـروة الوحـدة الوثقـى وشـدت علـى القـلوب الصفـاح
وأضاءت لنـا الطريـق معـان وأمـان غـر وضـاء وصـاح
وانطلقنـا تهـز أقدامنـا الأرض ويطـوى السـماء منـا جنـاح
هـدف واحـد تلاقـت عليه مهـج حـرة النيـات صحـاح

وهكذا إلى آخر القصيدة فى فرحة الانتصار لعضو من أعضاء جسد الأمة الاسلامية « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر » ، وقصيدة (العالم العربى ص ٦٢ ، ٧٢) يحض فيها الشاعر العالم العربى على الوحدة أمام أعدائها ، والتمسك بأمجاد الأمة الاسلامية والسير على منهج السلف الصالح .

وقصيدة (تأميم وتصميم) بمناسبة تأميم قناة السويس فى مصر ومطلعها[1] :

أجـل إنها الحرب الصليبية الأخرى وإن جعلوا حوض القناة لها سترا
لـم تـك اسرائيـل إلا ذريعـة قد اتخذوا منها لأهدافهم جسـرا

(١) القلائد : ص ١٢٤/١١٥

فجند لها الأرواح والمال والقوى | وجرد لها الايمان والعزم والصبرا
وثق أن للايمان بالحق قوة | وأن له فى كل معركة (بدرا)
تلفت (انطونى) و (موليه) رهبة | وقد صكت الآذان خطبتك البترا
تعاووا كما تعوى الذئاب وأجلبوا | إلى بلد كانت لقواتهم (قبرا)
وفى الجانب النجدى حشد وفيلق | يقود (سعود الشرق) راياته الخضرا
تحفز عملاق الجزيرة وانبرى | يصب على أعدائها الويل والقهرا
يساورهم فى كل ركن وبقعة | ويفضحهم فى كل مؤتمر (جهرا)
لنا الحق فى بترولنا وبلادنا | وخيراتنا والحق لا يقبل الحجرا

وهى قصيدة طويلة تصور وحدة الأمة الاسلامية العربية أمام أعدائها فى كل عصر ، يقول السنوسى فيها أيضا :

أخى فى ضفاف النيل ليتك أمة | ترى كل شبر من مواطنها (مصرا)
ونحن على الأحداث أبناء وحدة | تبض دما حرا (عروبتها) الحمرا
على (القدس) فى (الأرض) زحف وثورة | وفى (جلق) الشهباء تعبئة كبرى[1]

وقصيدة (بطولة الجزائر ص ١٤١ ، ١٤٩) ، وقصيدة (اليقظة العربية) . ومنها :

حى صقر الجزيرة العربيه | بطل الشرق نخوة وحميه
حَى صقرا محلقا بجناحيه | على قمة المعالى السنيه
من هنا من ذرى الجزيرة من | وديانها الفيح من رباها الرويه
راية لم تنزل بكف (سعود) | أمل العرب فى الخطوب الدجيه
إرث آبائه الكرام المغاوير | حماة الحقائق السلفيه
ضاربا حولها نطاقا من الاسلام | حكما ومنهجا وقضيه
سار فى ظلها الدعاة الى الحق | نقيا لما رأوها نقيه

وهى قصيدة طويلة تصور يقظة الأمة العربية الى أمجادها والى عقيدتها الاسلامية ومنهج شريعتها المستقيم ، الذى أقام أعظم حضارة فى تاريخ العالم كله .. وكذلك قصيدة (جنكيز خان ص ٢٠٤ ، ٢٠٧) يصور فيه الشاعر كفاح الجزائر ، ومشاركة الأمة الاسلامية لها فى جهادها المقدس ضد أعداء الانسانية والاسلام فى جهادها المرير ضد فرنسا المستعمرة الغاصبة .

(١) القلائد : ص ١٢٠

وأما القصيدة التى فى ديوان (الأغاريد) هى قصيدة (انتصار الحرية ص ١٨ ، ٢١) ، وأما القصائد فى ديوان (أزاهير) فهى قصيدة (اليوم الخالد ص ٢٠ ، ٢١ ، و قصيدة (خواطر لاجىء ص ٤٤ ، ٤٧) ، وقصيدة (يوم الكرامة ص ٥١ ، ٥٣) ، وقصيدة (جهاد واتحاد ص ٥٤ ، ٦٠) ، وقصيدة (حديث فدائى ص ٦١ ، ٦٣) ، وقصيدة (يا فتح ص ٦٤ ، ٦٧) ، وقصيدة (فرحة اليمن ص ٦٨ ، ٧١) .

وأما ديوان الينابيع نجد قصيدة (عقدة الأسى ص ٣٨ ، ٤٠) وقصيدة (المدنية العسكرية ص ٤٣) ، وقصيدة (التضامن الاسلامى ص ٤٤) ، وقصيدة (الزعيم العظيم ص ٤٧ ، ٤٨) ، وقصيدة (الأرز والنخيل ص ٤٩ ، ٥٠) ، وقصيدة (الكيان الكبير ص ٥١ ، ٥٤) ، وقصيدة (فيصل الهدى والسؤدد ص ٥٥ ، ٥٨) ، وقصيدة (وافيصلاه ص ٥٩ ، ٦٢) ، وقصيدة (المغرب الأقصى ص ٧٩ ، ٨١) ، وقصيدة (المعهد العلمى ص ٨٥ ، ٨٦) .

وأما القصيدة التى فى ديوان (نفحات الجنوب) فهى (ارتيريا الباسلة ص ٨٩ ، ٩١) وهى تصور كفاح المسلمين ضد أعداء الانسانية والاسلام نظمها الشاعر فى ١٣٩٨/٥/٩ هـ ومطلعها :

ثورة الشعب من رحاب مصوّع ثورة نورها من الحق يسطع
إنها ثورة الغيارى على الايمان والعرض تستباح وتصرع

إلى قوله :

فأفيقى (أديس أبابا) أفيقى فجرنا يصدع الظلام ويصفع[1]

وحينما ينادى السنوسى بقصيدته (انتصار الحرية) فى الجزائر ، أعد هذا شعراً اسلاميا ، لأن الجزائر كان عضوا مشلولا من الاستعمار الفرنسى فى جسد الأمة الاسلامية ، ثم أصبح بعد تحرره عضوا حيا قويا فيها ، يقول الشاعر[2] :

مرحبا (بالجزائر) العربيه دولة حرة الكيان فتيه
وسلاما لها شبابا وشيبا ولأبنائها فتى وصبيه

إلى أن يقول :

عزة (غافقية) وإباء (مضرى) ونخوة (طارقيه)
فسلام لهم وطوبى لأرض أنجبتهم سهولها السندسيه
وسلام (لدولة) يفخر الضا د ويزهو بها ويشدو تحيه

(١) نفحات الجنوب : ٨٩/٩١
(٢) الأغاريد : ١٨/٢١

فهذا الشعر وإن كان يتجه إلى إقليم عربى مسلم معين كالجزائر أو اليمن أو فلسطين أو السعودية أو غيرها إلا أنه جزء من الأمة الاسلامية الكبرى الذى ينتمى الى الوطن الاسلامى العربى الكبير ، مهما اختلف الجزء فى شكله وحجمه وبنائه الدولى ، فانه يمثل عضوا من جسد الأمة الاسلامية وإن كان مختلفا عن بقية الأعضاء فاليد غير القدم والعين خلاف السمع ، لكن الجسد الواحد لا يستغنى بعضو عن الآخر ، فالعين لا تحل محل السمع ولا الرجلان تحلان محل اليدين وهكذا ، قال تعالى (وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) ، (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) ، (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) .

وحين يترجم السنوسى فى صور شعرية (حديث فدائى) يتحول هذا الحديث إلى شعر إسلامى ، يقول :

أأنت تقول إن يدى قصيرة وإن عشيرتى بئس العشيره
وان مدافعى خطب طوال وأسلحتى (تصاريح) مثيره
وإنى لن أعود إلى بلادى ولن ألقى مغانيها النضيره
كذبت فإنى وأنا الفدائى سليل أبى عبيدة والمغيره
جعلتك يا ابن اسرائيل رعبا تعيش من المخاوف فى جزيرة[1]

وجعلت من الشعر الاسلامى أيضا الشعر الذى يقوله الشعراء مدحا أو رثاء فى القادة والزعماء ، الذين كان لهم دور بارز وفعال فى كيان الأمة الاسلامية ، بحيث يمثل جهادهم وكفاحهم طورا تاريخيا بارزا من تاريخ الاسلام ، وتترك بصماتهم دلالات واضحة فى تاريخ أمتنا الرشيدة ، ليبقى خالدا بخلود الاسلام ، ويظل علما شامخا من أعلامه وقد حفر الملك الزعيم فيصل طيب الله ثراه مجلدا خالدا فى التاريخ الاسلامى ، كالشمس التى تغشى الأبصار حينما تستبطن أغوار الحقيقة ، فالحقيقة أكبر مما نعرف ويعرف الجميع . فالله وحده هو الذى يوجه جنده المخلصين للذفاع عن دينه ، يقول السنوسى فى قصيدة (فيصل الهدى والسؤدد) :

هو فيصل علم الهدى والسؤدد فاصدح بألحان البيان وغرد

إلى قوله :

يا صاحب الرأى الصريح اذا رأى رأيا تبلور فى الفعال الأمجد
إن الكنانة نورها يك (أنور) ودمشق حافظها يلوّح باليد

---

(١) أزاهير : ٦١/٦٣

لما وقفت بكل ثقلك فى الوغى ترمى العدو وتسحق الغر الردى
وتصول بالرأى الحصيف موحدا شمل العروبة فى الصراع المجهد
وتهز أعمدة السياسة معلنا أن العروبة لن تلين لمعتد
الحق غايتنا ومهما أجلبوا فالحق يهزم كل طاغ مفسد
والزيت فى يدنا وكل محرك للشر يشدخ رأسه كالأسود
فتجاوبت بصداك آفاق النهى فى كل معترك هناك ومشهد
فاسلم فانك للعروبة فيصل هزت به الدنيا أجل مهند(١)

حتى الرثاء لتلك الشخصية الفذة فى عالمنا المعاصر ، والنموذج الرائع فى تاريخنا الاسلامى ينبغى ألا يكون رثاء شخصيا ، لأن هذا النموذج ذاب فى الأمة الاسلامية كلها ، لذلك لا يصح أن نرثيه لشخصه وإنما نرثى الأمة الاسلامية كلها ، ومن هنا كان منطقيا وواقعيا أن يكون الرثاء لشهيد الاسلام والعروبة — (فيصل) طيب الله ثراه — شعرا إسلاميا ، لا رثاء شخصيا فرديا ، يقول السنوسى فى قصيدته (وافيصلاه) :

رنّ فى سمعى فكذبت صداه نبأ روع قلبى وشجاه
(فيصل) مات ولكن ذكره يغمر العالم والدنيا شذاه
مات جسما وتوارى هيكلا وهو حى فى قلوب وشفاه

إلى قوله :

فى أياديه التى خلدها تغمر الشعب بفيض من نداه
ومساعيه التى قلدها أمة الاسلام فى أقصى مداه
ومعانيه التى رددها لبنى العرب جميعا فى حداه
ومباديه التى أعلنها عالى الصوت فخافتها عداه
قطب أقطاب العلى كيف انتهى عجبا هل يقتل الابن أباه
لم يغب عنا مليك صنعت يده التاريخ فينا وبناه
يا عظيم الشرق يا مصباحه فى لياليه ويا فجر دجاه
كيف ضم القبر طودا شامخا كيف بالله طواه واحتواه
حفظ الله علينا (خالدا) ورعى (فهدا) أخاه وحماه
وسقى الرحمن قبرا طاهرا مرغت فيه أنوف وجباه(٢)

وبهذا يكون هذا الاتجاه جديدا فى بنائه وأفكاره ومعانيه والغاية منه .

---

(١) الينابيع : ٥٥/٥٨
(٢) الينابيع : ٥٩/٦٢

ثانيا ــ الشعر الوجدانى :

هو الغرض الثانى عند السنوسى ، جاء بعد الشعر الاسلامى مباشرة ، ولم يكن هذا الغرض غزلا بالمعنى المعروف فى الشعر العربى القديم ، فالفرق بينهما كبير فى نظرى ، مما يجعل هذا الغرض يتصل بالوجدان : وجدان الشاعر أكثر من الوصف الغزلى الخارجى للمرأة ، فقد كانت القصيدة الغزلية قديما تعتمد على أساسين هامين :

أحدهما : انبهار الشاعر بمفاتن المرأة ، وسحر أجزاء البدن فيها ، فيأخذ فى تصوير هذه الأجزاء جزءا جزءا ، وقد يتعرض لما هو أخطر من ذلك ، فيصور العلاقة بينه وبينها تصويرا ظاهرا مكشوفا ، وواضحا مفضوحا ، من غير رعاية لحرمات ، أو محرمات ، وهو الجانب الحسى فى الغزل القديم كما فى غزل امرىء القيس ، وكثير عزة ، وعمر بن أبى ربيعة وغيرهم .

وقد تطور هذا الغزل الحسى إلى غزل آخر عرف بالغزل (العذرى) فى تاريخ الأدب العربى ، ترفع قليلا عن الفحش الظاهر فى التصوير الشعرى ، لكنه وقع فيما هو أخطر من ذلك ، وهو (الفناء) أى فناء العاشق فى سبيل المعشوق ، وفناء المعشوق فى سبيل العاشق ، فيذهبان معا ضحية للحب العذرى ، مثل عذرية جميل وبثينة ، وقيس بن ذريح وغيرهما .

والغزل الحسى والعذرى كلاهما مسرف فى اتجاهه ، فالأول مسرف فى الجانب الحسى المرذول والمبتذل ، والثانى مسرف فى الجانب المجرد الذى يؤدى الى الفناء . وكلاهما أيضا بعيد كل البعد عن الاتزان الاسلامى فى معالجة عاطفة الحب ، وضبط شهوات النفس ، لتنسجم مع الفطرة السليمة ، فى معالجة هذا البناء الاجتماعى عند الفرد .

ثانيهما : والأساس الثانى وهو أثر الغزل الحسى والغزل العذرى بالمعنيين السابقين فى وجدان الشاعر ، وهذا نتيجة للأساس الأول ، فالوجدان عند الشاعر فى الغزل الحسى وجد ان ليس محموما ، ولا حارا متدفقا ، لأن صاحبه قد أرضى نزواته وشهواته من مفاتن المرأة فى تصويره الحسى الماجن ، فتطفىء كل صورة من شعره جمرة من وجدانه وهكذا ، واذا ما انتهت القصيدة صورة صورة ، لا تجد عرقا ينبض من وجدان ، فى نفس الشاعر ، وتلك طبيعة الشهوة البهيمية ، التى يجب أن يترفع عنها المسلم .

أما الوجدان عند الشاعر العذرى ، فهو وجدان يغتلى ويفور ، ويلتهب فيحرق العروق ، التى تنبض بالحياة ، لأن الشاعر لم يضبط وجدانه المسرف ولم يحدد مساره وطريقه ، فهو أشبه بنار تندلع فى هشيم الجسد ، فيأتى عليه ، فلا يترك أثرا ولا بقية .

وكلاهما أيضا وجدان هابط ، لا يسمو الى شرف الانسانية ، ومعدوم لا ينبض بالحياة ، لأنه هبط بالشاعر الحسى الى مستوى الحيوان ، فلا يكون فى عداد الأناس الذين يعيشون

بوجدانهم الصادق والمتزن معا ، وكذلك أسرف الشاعر العذرى فأفناه الغلو والمبالغة والاغراق فهما معا لا يتلاءمان مع الطبيعة البشرية والفطرة الانسانية ، لا الغريزة الحيوانية ولا الشهوة البهيمية ، ولا التجرد الآدمى ، ولا الانعتاق المطلق .

وشعر الوجدان والتأمل عند السنوسى يختلف كثيرا عما سبق فى الأساسين ، فلا هو هذا ، ولا هو ذاك ، فلا هو غزل حسى ، ولا هو غزل عذرى ... وإنما هو وجدان شاعر ، استغرق فى تأملاته العاطفية ، بلا هبوط ولا إسراف ، بل فى اتزان الشاعر المسلم ، الذى يعبر عن وجدانه فى صدق فنى ، وترفع عن الصغائر الحيوانية الصرفة ، وعن الاسراف البالغ ، لأنه وجدان شاعر يحب ويهوى ، لكن فى أدب وخلق ، وعفة واتزان ، وهذا ما أردت به (شعر الوجدان) والتأمل فى أعماق النفس .

وعلى هذا فشعر الوجدان يشمل جوانب أخرى غير حب المرأة ، تقوم على الحب المجرد ، الذى يشمل ما فى الوجود كله ، مثل حب الحياة ، وحب الناس ، وحب الطبيعة ، وحب الانسان وحب المبادىء السامية ، وغيره ، لكن كل هذا من خلال الوجدان الذاتى للشاعر ، لا من خلال موضوع يصطبغ بوجدانه ، فلو كان الوجدان من خلال موضوع ما ، لانتقلنا من شعر الوجدان الى غرض أدبى آخر غير الشعر الوجدانى .

والشعر الوجدانى جاء فى ديوان (القلائد) متمثلا فى قصيدة (عودة الماضى ص ٣٤ — ٤١) يصور فيها وجدانه فى الماضى ، فى تأملات عميقة ، يلتقطها الشاعر من وراء الحس الظاهر وهى تسير على نظام المقطعات ، وهو أقصى ما يخرج فيه الشاعر على القالب الموسيقى القديم ويعد هذا الخروج المحافظ جديدا فى شعره كله ، يقول :

فى لحظة من لحظات الهوى ... والنفس فى فردوس أحلامها
تهتز أشجانا وتهفو جوى ... على لياليها وأيامها
تلوذ الماضى بها وانزوى ... فى صور الذكرى و (أفلامها)
ماضى برغمى قد مضى وانطوى ... بلحن أيامى وأنغامها

* * *

لاح لعينى وفى ناظرى ... ظلال أيام براها الضنى
وفى سماء الفكر من خاطرى ... أضواء (حب) قرمزى السنا
أحبابه فى عالم ساحر ... وردية أحلامه والمنى
صبابة من حلم عابر ... دنا كلمح البرق ثم انثنى

* * *

هيجت قلبا لج فى كبره جفا الهوى والنفس تشتاقه
صد وملء الكف من بدره ما يستثير القلب إشراقه
مالى وقد مالت على صدره أغصانه خضرا وأوراقه
إذا هفا يوما إلى زهره أبت معانيه وأخلاقه(1)

وهكذا يتأمل الشاعر فى أعماق نفسه عن وجدان يلتهب فى ذكريات الماضى ، فيعيد صورها ويستعرض (أفلامها) على حد تعبيره من غير ابتذال فى وصف حسى للمحبوب ولا تفانى فى سبيله حتى التبتل والرهبة لا هذا ولا ذاك ، وإنما هى هبوب عاصفة الذكريات الماضية لتؤجج نار الوجدان بمقدار عبورها ، ليعود كما كان ، بل أكثر ثباتا واتزانا ، لأن قلبه الذى يضم وجدانه لج فى كبره ، وعاف الهوى ، ومع غريزة الشوق فى النفس كفطرة انسانية ، فالقلب والوجدان ثابت لا يذل للحب والهوى ، ولا تستثيره جمراته ، لأن المعانى السامية والأخلاق الفاضلة هى التى تضبط الوجدان ، وتسمو بالقلب والعاطفة فى اتزان خلق المسلم كما ينبغى أن يكون ، أليس هذا اللون جديدا فى الغزل يسمو به ويرتقى إلى غرض جديد هو شعر الوجدان والتأمل . وكذلك قصيدة (فارس الأحلام ص ١٠٢ — ١٠٨) من قصص المجد ، وقصيدة (دارة جلجل ص ١٠٩ — ١١٤) صور من الأدب العربى القديم يصورها السنوسى من خلال وجدانه ، وقصيدة (قصة شعرية) يترجمها الشاعر من خلال وجدانه عن الكاتب العالمى (مكسيم جوركى) ليضعها فى إطار الشعر العربى ، بعد أن صبغها بفنه الشعرى ووجدانه الذاتى ، لتقرب من الذوق العربى الشفاف وأطلق عليها (أنشودة الصقر ص ١٣٠ — ١٤٠) يقول فى آخر مقطوعة منها :

واستمرت أنشودة الصقر تنساب بألحانها على الأكوان
يطرب النفس وقعها وتثير الفكر أصداؤها وتحيى الأمانى
فى تلاحينها من السحر ألوان ومن فتنة الجمال معان
نغم ساحر الصدى ونشيد من صميم الشعور والوجدان(2)

أما (الأغاريد) فنجد قصيدة (إغراء الحب ص ٣١ — ٣٢) ، وقصيدة (باقة إلى عابرة ص ٣٦ — ٣٧) ، وقصيدة (ماء ونار ص ٣٨ ، ٤٠) ، وقصيدة (أنشودة ص ٤١ — ٤٣) ، وقصيدة (إفاقة ص ٤٧ — ٥٠) ، وقصيدة (عصفور قلبى ص ٥٤ — ٥٧) ، وقصيدة (حيرة ص ٧٧ — ٧٨) .

---

(١) القلائد : ٤١/٣٤

(٢) القلائد : ١٤٠/١٣٠

وأما شعر الوجدان فى ديوانه (أزاهير) ، فقد ضم قصيدة (أخت القمر ص ٣٥ ــ ٣٧) ، وقصيدة (حسناء الريف ص ٣٨ ــ ٤٠) .

وأما ديوانه (الينابيع) فنرى شعر الوجدان والتأمل فى قصيدة (أمامك الدنيا ص ٣٠ ــ ٣٢) ، وقصيدة (الموج والشاطىء ص ٣٣ ــ ٣٤) ، وقصيدة (المنظار الكاشف ص ٣٥) ، وقصيدة (لمع السراب ص ٣٦ ــ ٣٧) ، وقصيدة (الحب الكاذب ص ٧٥) ، وقصيدة (الفيلسوف والطائر ص ٨٣) ، وقصيدة (شد الحزام ص ٩٣) ، وقصيدة (كيف أسلوك ص ٩٥) .

وأما ديوان السنوسى (نفحات الجنوب) فيضم قصيدة (عصفور شبابى ص ٢٤ ــ ٣١ فى عام ١٣٩٦ هـ) ، وقصيدة (وحشة قلب ص ٣٢ ــ ٣٦) فى عام ١٣٩٦ هـ ، وقصيدة (رماد شهاب ص ٣٧ ــ ٤٠) فى عام ١٣٩٧ هـ ، وقصيدة (وجدتها ص ٤١ ــ ٤٣) فى عام ١٣٩٧ هـ ، ويتأمل فيها الشاعر ، ويغوص فى أعماق وجدانه ، ليصور فى دقة أحلام الصبابة فى المرة الأولى :

طواها الأسى واليأس حتى كأنها ... بقايا حطام من رماد شهاب
فمالك يا نفس تعيدين ذكرها ... وتودين عن جمر الحنين خوابى

ويصور فى المرة الثانية ضالته ، التى يبحث عنها ، ليصل الى القاعدة التى يستقر فيها آمنا مستكينا ، فوجدها فى الدين والخلق القويم ، يقول :

من أى قاعدة وأى رصيف ... تجرى سفين مشاعرى بحروفى

فيبحث عنها فى قلبه وهو ينزف بالأسى ، أو فى أدبه ، وهو يلفح باللظى ، أو نظره وهو يغشى بالقذى ، أو فكره وهو مجروح بالهوى أو سمعه وهو مقصوف بالردى ، أو من طبعه وهو موقوف ، أسير للتيار ... ليس فى هذا كله ... لكنه وجده فى قوله :

لا لن أضل فقد وجدت سكينتى ... فى الدين وهو دليل كل كفيف
فانضح نهاك به وقلبك إنه ... رىّ الصَّدِىّ وجنة الملهوف

واجعله نهجا فى الحياة وواقعا ... تحياه لاكتا وراء رفوف
فالدين ظل الله فى ملكوته ... والله بالانسان جد رؤوف
من قال إنه أفيون الورى ... فهو الشقى بعقله المخطوف[1]

---

(١) نفحات الجنوب : ٤١/٤٣

وقصيدة (القلب الكبير ص ٥٢ ـــ ٥٤) ، وقصيدة (طبيب العيون ص ٥٥ ـــ ٥٨) ويقول فيها :

يا طبيب العيون شكوى عيونى | من لحاظ حورية التكوين
وهى عين لا تعرف النظر الشزر | ولم تكتحل بغير الفتون
فترفق بها ففى نومها المكنون | أسرار عالم مكنون
إن فيها أحلام قلبى وأشواق | وأطياف صبوتي وشجون
وهى أغلى من العشيرة والمال | وأغلى من كل شيء ثمين
إنها يا طبيب نافذتى الكبرى | على الكون والرؤى والفنون
وهى جسرى الى الحياة ومنطادى | وفى بحرها العميق سفينى
وهى تصبو إلى الحسين فما تنفك | نشوى من حسن ذاك الحسين
وهى ترنو الى الحزين فتبكى | حزنا من أسى لذاك الحزين
وهى ترنو إلى المشين فتقذى | رحمة لا شماتة بالمشين
وهى تواقة إلى كل سطر فى كتاب | وهامش فى متون
وهى ماء فكيف تستخرج الماء | من الماء بالشبا المسنون
كيف تجرى السكين فيها وفيها | رقة لا تطيق همس الجفون
وهى من لفظة تذوب حياء | من عتاب الهوى ولوم الخدين
فلتكن فى يديك أسرار عيسى | وهداه ومعجزات الأمين
يا إلهى سملت للطب عينى | وأنت الطبيب فالطف بعينى[1]

وقصيدة (الظل والضوء ص ٦٨ ـــ ٧٠) ، وقصيدة (قصيدتى فيك ص ٩٥ ـــ ٩٦) ، وقصيدة (مسافر ص ١٠١ ـــ ١٠٣) .

ومما فاض به وجدان الشاعر قصيدة (حب ونار) يقول فيها :

لعينيك فى قلبى رموز وأسرار | ودين من الأهواء يجنى ويشتار
يرنحنى منها صفاء مشعشع | كما انعكست فوق البحيرة أنوار
ويسحرنى منها حياء مهذب | كما انكسرت من مقلة الشمس أزهار
ويأسرنى منها لقاء محبب | كقطر الندى يلقاه فى الروض نوار
إذا عانقتنى رفة من جفونها | ودغدغنى منها ابتسام وإسفار
تطلعت مشبوب الجوانح والجوى | وبى وله يحتاجنى منه إعصار

(١) نفحات الجنوب : ٥٥/٥٨

وحومت كالطيـر الذى شفه الصدى ... ورفرف من شوق جناح ومنقار
فررت فرار الحلم من عين نائم ... صحا فإذا الرؤيا قفار وآثار
فتونك يدنينى إليك فأنتشى ... وصوتك يقصينى فأصحو وأحتار
فيا أنت يا أنت البخيلة بالهوى ... على كبد كانت من الحب تنهار
لمرآك فى قلبى نعيم وفى دمى ... جحيم وفى عينى غيم وأمطار
رضيت بما يرضيك قسراً وليس لى ... خيار ولو خيرتنى كيف أختار ؟
تحيرت فى أمرى وأمرك واستوى ... لدى الدجى والنور والماء والنار[1]

فالشاعر هنا يغتلى وجدانه ، وتلتهب مشاعره فى سبحة شاعرية يتأمل فيها أحاسيسه ، ويتجاوب مع وجدانه ، وجدان الحب الطاهر لا فى وصف حسى يثير الشهوات والنزوات كما فى الغزل الحسى ، ولا فى غزل عذرى ، يعزله عن الناس والحياة والأعمال ، بل الشاعر كما نعرفه لا يزال يخوض غمار الأعمال ، وإدارة المؤسسات بقدرات الرجال ، وعزيمة المؤمنين .

ولذلك كان غزله تأملا ووجدانا يعبر فيه عن حب الانسان الذى يوقر أخاه الانسان ، ويحافظ على مشاعره وانسانيته ، ويتضح خصائص الشعر الوجدانى عند السنوسى على النحو الآتى :

١ ــ السحر فى عينها ترك قلبه فى حيرة وتأمل ، وصرع عقله برمزه ولغزه ، ليظل حائرا لا يستقر على الحقيقة ، مما شبب هواه ، وأثار وجدانه لكنه هوى مصون بالعفة ، ووجدان مأسور بالدين وحسن المعاملة ، كذلك السحر فى جمالها رقيق طاهر كانعكاس أنوار الحياة على صفحة الماء الرقيق الطاهر .

٢ ــ ليست حبيبته فاجرة عانسة ، لأن السحر فى حيائها وأخلاقها المهذبة كحياء الأزهار من مقلة الشمس ، وهذا ما يستبد بعقله ويأخذ بمجامع قلبه ، لا تبذل ، ولا فحش ــ لكنه كالندى حين يصافح الورود والأزهار فى وقت الصباح .

٣ ــ أما تراسل الأجفان ، وبرق الابتسام ، وبريد جمال الوجه يشب فى وجدان نار ، ويغتلى صدره جوى ، ويجتاح جسده إعصار فيه نار ، فيشفى غلته بالرؤيا والنظر ، كما يحوم الطير من بعيد ، ليلطف حرارة الشوق بنشاطه وجهده كما تلطف رفرفة الجناحين حرارة الجسد ولهيب الأحشاء ، وليس هذا على سبيل الحقيقة والواقع لأن دينه وخلقه يمنعه من ذلك ، لكنه على سبيل الحلم والخيال والتأمل والوجدان ، يقول :

فررت فرار الحلم من عين نائم ... صحا فاذا الرؤيا قفار و آثار

---

(١) الأغاريد : ٣٨/٤٠

٤ ـــ فتنة الحبيب تقربه اليها ، فيزداد وجدا على وجد ، إلا أن صوتها الانسانى يوقظه إلى ما يجب عليه من حقوق الحب الطاهر ، فيعود ثانية الى لهيب الوجدان ، ليناجيها بالبخل على كبد ذاب حبا ، ونفس انهارت وجدا ، فرؤيتها نعيم ، لكنه يترك وهنا فى الجسد ، وحيرة فى العقل ، وعينا تسبح فى الدموع ، وتذهب فى الغيوم ، وأصبح من الحيرة فى حياة استوى فيها الظلام والنور ، والماء والنار .

٥ ـــ لا تجد فى القصيدة لفظا فاحشا ، ولا عبارة بذيئة ، ولاتصويرا وضيعا ، ولا شهوة محرمة ، ولا نزوة حيوانية ، وإنما غاية الصبابة عنده وجدان يغلى وشعور فياض ، وتأمل وحيرة ، وسياج من التشريع والخلق يمنعه إلا بحقه ، ولا عيب فى حب الشاعر ، فهذا أمر فطرى ، ولكن العيب والأسى فى اتخاذ الحب طريقا لا يرضى عنه صاحبه ، ولا ترضاه القيم الفاضلة ، ويخضع له معذبا تائها على وجه الأرض .

وترى السنوسى إذا أسرف على نفسه فى الغزل يكون محتفظا فى تصويره ، يقول فى (حسناء الريف) :

ريفيـــة تهتـــز أعطافهـــا ... خصـوبة مـن مـرح وارتيـاحْ
ترعـرعت بـين ظـلال الـربى ... ونسمـة الـوادى وعـزف الريـاحْ
تحيـة منـى إلـى (غـادة) ... هيفـاء لفـاء كعـاب رداحْ
فـى الشمس والظـل نمـت واستـوت ... فهـى مثـال للجمـال الصـراح
تختـال مـن دل ومـن صبـوة ... فـى حسنهـا النشـوان من غير راح
لا مـا رأتْ عينـى علـى مـا رأت ... مـن الحسـان الرائعـات الصِّباح
مثـلا لهـا فـى حسنهـا غـادة ... بـاح لهـا الحسـن بما لا يباح
عينـان مـا عيـن المهـا والظبـا ... وقامـة مـا البـان ؟ مـاذا الرماح ؟
وغـرة مـن غيـر (تسريحـة) ... تربـع السـحر بهـا واستـراح(١)

وهذه القصيدة هى الفريدة من نوعها فى شعر السنوسى ، قصدت ذكرها حتى لا أترك احتمالا من بعدى ، وقد اجتمع فيها من التصوير الحسى للمرأة ما لم يجتمع فى غيرها من شعره الوجدانى ، ومع ذلك تجد أن التصوير فيها لا يعدو منهج الشاعر فى غزله من التحفظ وطرح الفحش والابتذال المعروف فى شعر الغزل الماجن ، وعلى سبيل المثال : فاهتزاز الأعطاف (لا الردف) ، وخصوبتها ، لا عن مجون وخلاعة وفحش ، بل عن طبيعة أصيلة نشأت عليها ،

---

(١) أزاهير : ٣٨/٤٠

وتكونت من النعيم والوفرة والسخاء ، فقد عاشت فى بيئة مترعة معشوشبة ، غنية بالزروع والأشجار والثمار ، تداعبها نسمة الوادى بأوتار الرياح ، وهى تروح وتغدو بين أشعة الشمس ودفئها ، وبين حنان الظلال ورقته ، وتزهو بسحرها فى دلال النساء ، وصبوة الحسن ، ونشوة الجمال ، لا نشوة الخمر ، ولا دلال الراح ، وتضاءلت عيون المها والظبا ، أما جمال عينيها وجف غصن البان عند قدها الطرى ، وتصلب الرماح بجوار خصوبة قامتها ، وأما وجهها ، فلا يحتاج الى صناعة النساء اليوم من التسريحات والتشكيلات ، لأن السحر قد أقام عندها واستراح .

هذه الأوصاف التى تصور جمال المرأة لا يستغنى عنها الشاعر وإنما الذى أسف فيه شعراء المجون أنهم صوروا نزواتهم وأبرزوا شهواتهم عند كل وصف ، وشاعرنا السنوسى ليس من هؤلاء الشعراء ، بل ترفع فى غزله وخلقه عن ذلك ، ولهذا أطلقت على شعره فى الغزل شعر الوجدان والتأمل .

ولهذا كان الشعر الوجدانى والتأملى لا يشمل الغزل وحده ، ولكن قد يصور فيه الشاعر تأملاته فى الحياة ، كما فى قصيدته (أمامك الدنيا) يقول[1] :

أمامك الدنيا ترهق القلب والعقلا	فيا خاطرى رفقا وناظرى مهلا
تحير فيها المصلحون وأعجزت	نهى الفيلسوف الفذ والشاعرالفحلا
طلاسم تعيى الفكر فهمافينحنى	خضوعا لها مهما تكبر واستعلى
يعيش بها الانسان طفلا وإن بدا	لعينيه كهلا ثم يتركها طفلا

إلى قوله :

ولُذْ بحمى الايمان وارض بما قضى	به الله واعلم أن حكمته أعلى
فللدين فضل فى الحياة لأنها	بغير الهدى تغدو جحيما به نصلى
وثق أن من أعطى الحياة جمالها	وأقواتها لم يهمل الدود والنملا

ومثل قصيدة (الموج والشاطىء) ، وقصيدة (لمع السراب) التى يقول فيها :

أرح عينيك من لمع السراب	وقلبك من أمانيه العذاب
وعد عن قشور وإن تراءت	رقاقا فى الضباب وفى السحاب
فقد فاض الطلاء على حياة	تفيض بها الكؤوس بلا شراب
يضوع عبيرها من غير عطر	وتزخر كالبحور بلا عباب
وتزهو بالرياض بلا زهور	وتزهو بالثمار بلا لباب

(١) الينابيع : ٣٢/٣٠

يشيب شبابها من غير شيب ويبدو شيبها مثل الشباب
تتيه بها الجسوم بلا علوم وتفتخر الفهوم بلا كتاب
مموهة تروق العين حسنا خضاب في خضاب في خضاب
فقد صبغ السراب حياة عصر مخضبة الأظافر والإهاب
وصرت أشك حتى في مياه أخوض بها ولو بلت ثياب(1)

ثالثا ــ شعر الطبيعة :

تعاطف السنوسي مع مفاتن الطبيعة ، ومظاهر الحياة الجذابة ، في ابداع أدبي ، وموهبة شعرية صافية ، وقريحة وقادة ، وعاطفة مشبوبة بالمدينة التي نشأ فيها لا ينساها ، بل تؤجج ذكراها شاعريته من حين لآخر ، فمرة يناجيها ، وثانية يتعاطف مع جبل (فيفاء) فيها ، وثالثة يغني له ، ويغرد به ، ويعزف بأوتارها لحن الخلود ، في شعره الخالد ، لتظل القرية وجبل فيفاء وأغانيها مشدودة بالأرض ، بل تسمو خالدة في أسماع الزمان ، ويصير لحنا يعزف ، ووترا يضرب ، في كل قرية وجبل ، وأغنية حبيبة الى نفس عاشقها ، وحصاد أرضها ومائها ونبتها هو شعر السنوسي الذي يتفجر عن تجربة ذاتية للشاعر .

فأما القصائد التي جاءت في ديوان (القلائد) منها (اللحن السجين ص ٧٢ ــ ٧٥) ، وقصيدة (شذى الرياض ص ٧٦ ــ ٨١) ، وقصيدة (موكب السحاب) في سماء تهامة وخاصة أيام فصل الربيع يقول ، منها :

هب والأفق ديمة وغمامة وجبين السماء بادي الجهامه

إلى قوله :

عيلم تسبح الكواكب فيه وتشق الدجى به عوامه
ضربته الرياح فاستقبل الأر ض حثيثا ينثها آلامه
ثائر والسكون يضفي على الكو ن جلالا والليل يرعى نيامه
جلل الأرض والسماء واعيا صائل الرعد أن يدك ركامه
غدق أيقظ الحياة على الأرض وأحيا من الوجود رمامه
سال عبر الفضاء ذوب لجين واستفاضت به البطاح مدامه
وجرى في الشعاب تبرا مذابا وسجى عسجداً وفاض رخامه
دوحة عند جدول وغدير عند عشب وظبية وبشامه
ومروج تهدلت تملأ الوادي وتستوقف النسيم سلامه

---

(1) الينابيع : ٣٧/٣٦

سطعت فى ظلالها لمع الشمس ورقت بها دموع الغمامه
ومشت حولها المها تقطف الزهـ ـر وتحسو الندى وترعى الخزامه
وشدا فى الفروع صادح أيك جاوبت لحنه الرقيق حمامه[1]

وقصيدة (ساعة فى الريف ص ١٥٨ ــ ١٦٢) ، وقصيدة (ليلة الرابية ص ١٧٠ ــ ١٧٢) ، وقصيدة (الجنوب الخصيب) منها :

ويا وطنى وأنت ولا أغالى نجى الشعر شطآنا وغابا
قرأت على شواطئك القوافى محبرة تفيض بها عبابا
خضما تغرف الأمواج منه صدى حلواً وأنغاما عذابا
تنام على جوانبه الرابى معطرة مخدرة كعابا
وتغضو فوق ضفته الرواسى نواهد عز خاطبها وغابا
تضم صدورها أغلى الأماني وأحلاها وأكرمها رغابا
عذارى لم يفض لهن ختم ولا كشف النقاب لها نقابا
فهل لى أن أراك وقد تجلت بك الأحلام رائعة عجابا[2]

وأما فى ديوان (الأغاريد) فقد ضم قصائد هى : قصيدة (عودة الى الطبيعة ص ٢٢ ــ ٢٥) ، وقصيدة (جبل فيفاء ص ٢٦ ــ ٣٠) ، وقصيدة (حديث من الظهران ص ٦٥ ــ ٦٨) ، وقصيدة (أغنية فيفاء ص ٧٩ ــ ٨١) ، وقصيدة (يا ربيع الحياة ص ٨٢ ــ ٨٥) .

وأما ديوان (أزاهير) فذكر السنوسى فيه قصيدة (جازان أغنية ص ٣٠ ــ ٣١) ، وقصيدة (شمعة على الطريق ص ٣٢ ــ ٣٤) ، وقصيدة (عرس الفجر ص ٤١ ــ ٤٣) ، وقصيدة (تحية الى أبها ص ٧٤ ــ ٧٦) .

وأما ديوان (الينابيع) فاشتمل على قصيدة (الليل والريف ص ٩٠) . وأخيرا ديوان (نفحات الجنوب) يضم قصيدة (نفحة الياسمين ص ٦٢ ــ ٦٤) ومنها :

عرفتك يا نفحة الياسمين كما يعرف العطر جانى الزهر
فأجبت فيك جلاء الحياء وعز الإباء وطهر الخفر
وأكبرت فيك ضياء النهى ولمع الذكاء وصفو الفكر

---

(١) القلائد : ٩٦/١٠١
(٢) القلائد : ١٧٣/١٧٨

أشاعرة أنت واستضحكت وغرد ثغر أغن أغر
ثملت بألحانه الحالمات ورفرفت كالطير بين الشجر
يرقرقه نغما صافيا شهى الحلاوة عذب الشجر(١)

وقصيدة (لؤلؤة الخليج ص ١١٢ ــ ١١٩) ألقاها الشاعر فى قاعة المحاضرات بالمجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون بدولة البحرين الشقيقة ، وذلك فى الأمسية الشعرية ، التى أقامها المجلس تكريما لأعضاء الوفد الأدبى السعودى ، أثناء زيارته لدول الخليج ، وكان الشاعر أحد أعضاء الوفد ، وهم : الأساتذة أحمد فرح العقيلان ، المستشار الثقافى بالرئاسة العامة لرعاية الشباب ، والأستاذ الشاعر حسن عبد الله القرشى ، السفير بوزارة الخارجية ، والأستاذ الشاعر محمد على السنوسى رئيس النادى الثقافى بجيزان ، والأستاذ الشاعر الباحث والمحقق أبو عبد الرحمن بن عقل الظاهرى ، رئيس نادى الرياض الأدبى ، والأستاذ محمد هاشم رشيد ، عضو النادى الأدبى بالمدينة المنورة ، والأستاذ الأديب حمد القاضى ، مدير تحرير مجلة (المجلة العربية) يقول فيها :

ما بين كاظمية وبين زرود والمنذر العملاق والجارود
أطرقت أصغى للخليج تهزه نغمات طرفة وارتجاز لبيد
والبحر تلثمه الرياح فينثنى باللؤلؤ المنثور والمنضود
والمسك من دارين معطار الشذى يهفو النسيم به ونفح العود
والسفن تمخر والضفاف يزينها عزف القيان وزغردات الغيد

إلى قوله :

يجرى العباب بها فتجرى حفلا بالدر بين فريدة وفريد
تهدى الى التيجان كلّ يتيمة ملء العيون سنا كل مجيد
أيام كان الدر سلعة تاجر وركاز سلطان وذخر عميد
حر الأصول كريمة أعراقه صان من التصنيع والتقليد
يحظى بتقدير الملوك وعزهم ويصان من عبث ومن تبديد(٢)

وقصيدة (أبو ظبى) ألقاها الشاعر فى قاعة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب بدولة الامارات العربية المتحدة (بأبى ظبى) فى ١٣٩٩/٧/٢٣ هـ ويقول ، منها :

---

(١) أزاهير : ٦٢
(٢) نفحات الجنوب : ١١٩/١١٢

رفقـا بقلبك من ظبـاء (أبو ظبـى) فالســحر فـى تلـك المحـاجر مختبى
وحـذار مـن تلـك العيـون فإنهـا لتعيـد قلـب الشيـخ يخفـق كالصبـى
يـا حلـوة العينيـن حسبـى من هـوى عينيـك تسهيـدى فغنـى واطربـى
صحراؤنـا العـذراء لا ينمـو بهـا إلا الهـوى العذرى والحسن الأبى[1]

ودائما تغريه الطبيعة لأنه أحبها ، وتلوح له بالمشاركة لأنه امتزج بها وتهمس إليه بأسرارها فيفيض بها فى شعره ، وتحنو عليه ، فتلتهب عاطفته ، وتشرق له بابتسامتها وزروعها وأزهارها وثمارها فيخلدها فى شعره ، لأنها تستحق الخلود ، فهى تعطى وتنشر الرخاء ولا تضمر كيدا ولا أذى لأحد لأنها مسرح الجمال ، وموطن المتعة والانبهار ، كيف تكون ؟ والشاعر على أرضها قطع عمره فلم تبتئس وتقصر عن أداء واجبها ، وتفجرت أحشاؤها بالعطاء الجزيل لينعم الانسان عليها فهى جديرة بالحب من الانسان ، وحرية بالمشاركة والتعاطف والحنين ، وفى النهاية نحن البشر منها واليها (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) ، والقرآن أعطى صورها بأنها كائن حى يعطى كعطاء الانسان وتضن حين تبخل السماء قال تعالى (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى أحياها لمحى الموتى انه على كل شىء قدير)[2] ، (وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج)[3].

وكثيرا ما يعود السنوسى الى الطبيعة ، وفى (عودة الى الطبيعة) يقول :

قريتـــى قريتـــى الوديعـــة يا عــ ش ويــا مقــر جنــاحــى
طبــع الله حبــك العــذب فى قلبــى ولــم يمحــه ســوى الله ماحــى
يا ربــى لــج بى هــواها فمــا ينــ فــك نشــوان من هوى ملحــاح
كــم ترشفــت من جمــال لياليــك فتــونا مــن الصبــا والمــراح
وتنشقــت مــن حــلال مجاليــك فنــونا مــن الشــذى الفــواح
فــى الدجــى والنجــوم تغــزل أحــلا م العــذارى على صــدور البطــاح
والضحــى والغيوم ترسم فــى الوا دى ظــلالا نديـــة الأرواح
والنسيــم النشــوان يحتضــن الزهــر رفيقـــا كطيبـــة الفـــلاح
الــذى قلبــه أرق مــن الطــل وأصفــى مــن الــزلال القــراح
والذى يــزرع الحقــول بــذورا وزهـــوراً بهمـــة وكفـــاح
والــذى يمــلأ القــلوب شعــورا بجمـــال الطبيعـــة الممـــراح

(١) نفحات الجنوب : ١٢٠/١٢٣
(٢) سورة فصلت : آية ٣٩
(٣) الحج : آية ٥

إلى قولـه :

قريتـى قريتـى الوديعـة يا عـــ ش فـؤاد ويا مقـر جناحـــى
كلمـــا ضمنـــى دجـاك ورقــت نفحـــات الصبـــا علـى الأدواح
وانتشـى الكــون بالعبيـــر وراح السيـــل يختال فى السهـول الفســاح
يغمــر الأرض بالنعيـــم غزيــرا ويهـــز القـــلوب بالأفـــراح
نعمــت روحـى الكئيبــة بالصفــو وصحـت من الأســى والجـــراح(١)

وهكذا الى آخر القصيدة ، فى طبيعة هادئة وديعة ، يحتضن القلب بدفئها وحنانها ويستقر الانسان ويسعد فى أحشائها ، لأن الله فطر القلب على محبتها ، فلن يتزحزح من موطنه مهما عصفت العواصف ، فمن رحيق الليالى يرتشف الجمال من الصبا والمراح فتونا وألوانا ، ويستنشق من الحدائق الطيب الفواح والنشر الشذى ، وفى الليل تجسم النجوم أحلام العذارى حقائق الخير على وجه الأرض ، والضحى والغيوم ترسم ظلالا ساحرة بالندى الفواح ، والنسيم رقيق طيب كرقة الفلاح ، فالطبيعة عنده هى المعلمة والقدوة تعلمه الرقة وتطبع فيه الصفاء ، فالرقة ارتشفها من الزهر ، ومن الطل ، والصفاء انساب فيه من الماء العذب الزلال ، تجاوب بين الانسان وبين الطبيعة ، فيهتز الكون طربا بالعبير ، ويتدفق السيل يختال فى السهول ،وتنغمر الأرض بالنعيم ، وتهتز القلوب بالأفراح والسرور .

تلك هى خصائص الفن الرفيع فى شعر الطبيعة الساحرة ، التى أحبها الشاعر وأحبته ، وتعاطف معها وتعاطفت معه ، وهام بها فألهمته أسرارها ، وأنس اليها ففاضت عليه من خيراتها ، فبادلها من شعوره شعرا خالدا لتبقى خالدة ما دامت الحياة .

والسنوسى يعشق وطنه ، الذى نشأ فيه وترعرع ، فيتغنى بسهوله وجباله ، وحواضره وبواديه ، فيشدو بمدينة جازان ويقول :

جيــزان يا درّة الجنـــوب البـــاسم الناعـــم الخصيب
لكـــل قلب الـــيك شوق مضمـح من هوى وطـــيب
وأنت فى روعـــــة المجالى وسحرهـــا الفاتـــن اللعـــوب
عروسة الشعـــر والأغـــــانى منيـــة النـــفس والقلـــوب
وأنت أنت الهوى المصفـــى للفـــن وللـــحب والحبـــيب(٢)

ويحيى أبها عروس الجنوب فيقول :

(١) الأغاريد : ٢٥/٢٢
(٢) أزاهير : ٣١/٣٠

تنــورتها من وراء السحــاب ... وبى ولــه نحوهــا وانجذاب
فلاحت لعينـــــى داراتها ... لآلىء منشــورة فى الشعــاب
تألقـن والليـل وصف الدجـى ... وأشرقن والصبح كث الضباب
نشاوى ترفــرف أنفاسهـــا ... بروح الصبا وعـبير الشبـــاب
تنـــام بأحضانها الأمنيـــات ... كنوم الجداول فى حضن غاب
وأبهاء من وطنـــــى درة ... يفـوق المدى قدرها والحساب
ترى الشمس فى جوها لوحة ... وتحسبها صورة فى كتـــاب
وتبـدو الكــواكب فى أفقهــا ... على قاب قوسين من كل باب
تبرح فيها جمال السمـــــاء ... وألقــى غلائلـــه والنقـــاب
وبــاحت بأسرارهــا الكائنــات ... فشف السنــا وتجلى اللبـــاب
كأنك فيها على ربـــــوة ... من النجم أو رفرف من سحاب(١)

وجبل (فيفاء) متحف رائع يلهم السنوسى فنه ، فهو مصدر الشعر ينفث لسانه سحرا ، وقلمه بيانا ، وخواطره فكرا وعبرا ، ووجدانه خيالا وانطلاقا :

متحـــف مـــن أشعـــة وظــــلال ... فـى اطــار مـن نضــرة واخضـــلال
ســابح فـى الفضـــاء يغمــره النــور ... بفيــض مـن السنـــا والجـــلال
مسرح الشعـر والبيـان ومســرى ... لمحة الفــكر وانطـــلاق الخيـــال(٢)

ويقول فى (أغنية فيفاء) :

لست فيفـــا أنت جنـــة ... تلهـــم الشاعـــر فنـــه
إنـــــه فوق بيـــــانى ... جل من أبـــدع فنـــه
كل شىء فيك حلـــــو ... أنت يا فيفــــاء جنـــه(٣)

رابعا : المدح :

شعر المدح عند السنوسى محدود ، لم يستغرق كثيرا من دواوينه ، فقد سبق أن نوه النقاد بأن الشاعر لا يتكلف القول ، ولا يقول ما لا يعتقد ، ولا يمدح إلا من يستحق المدح ، ولا يثنى على أحد إلا بما هو أهل الثناء والتقدير ، ولا يمدح إلا من يرى أنه أهل للمدح ، وإذا مدح كان صادقا فى مدحه ، قوى العاطفة فى ثنائه وتقديره ، فى تجربة شعرية متدفقة قوية عميقة

---

(١) أزاهير : ٧٦/٧٤
(٢) الأغاريد : ٣٠/٢٦
(٣) الأغاريد : ٨١/٧٩

خصبة فى معانيها وخيالها وصورها الأدبية كالشأن فى سائر الأغراض الأدبية فى شعره .

فأما المدح فى ديوانه(قلائد) فقد اشتمل على قصيدة (درة التاج ص ١ ، ٢) يمدح فيها الملك سعود فى ملكه وحكمه ، وقصيدة (البيعة ص ٣ ، ٥) يمدح فيها الملك سعود وولى عهده الفيصل ، وقصيدة (خطاب العرش ص ٦ ، ٧) يمدح فيها ملوك العرش السعودى ، وقصيدة (وعد ملكى كريم ص ٨ ، ٩) يمدح الملك سعود رحمه الله تعالى .

وأما المدح فى ديوانه (الأغاريد) نجده فى قصيدة (أجنحة التاريخ ص ٤ ، ٥) ، وقصيدة (وردة ص ٨٩ — ٩٢) مهداة للشاعر الكبير عبد القدوس الأنصارى ، وقصيدة (سوزان ص ٩٣ — ٩٦) مهداة للشاعر عبد الله القرشى تحية لديوانه (سوزان) ، وكذلك (نشيد الجيش العربى السعودى ص ٩٧ ، ٩٩) ، وقصيدة (لم يفتك القطار ص ١٠٠ — ١٠٢) مهداة لصديقه الأستاذ شكيب الأموى .

وأما ديوانه (أزاهير) فقد ضم قصيدة (البلبل الحيران ص ١٧ — ١٩) مهداة الى سمو الأمير عبد الله الفيصل ، وقصيدة (من شعاع القناديل ص ٢٤ ، ٢٥) مهداة الى الشاعر الكبير الأستاذ أحمد قنديل ، تحية لروحه الشاعرة ، وفكاهته الساحرة .

وأما ديوانه (الينابيع) فنجد قصيدة (لقاء القائد بالشعب ص ٤٥ ، ٤٦) ، وقصيدة (البحر الأخضر ص ٦٧ — ٧٠) تحية وتهنئة ، مهداة لصديقه الشاعر محمد حسن عواد بمناسبة انتخابه عضوا بالمجلس الأعلى للعلوم والآداب والفنون ، ورد عليها العواد بقصيدة يمدح فيها السنوسى بعنوان (مواطن العطاء فى الانسان) يقول فى مطلعها :

والوشى جاء منمقا ومنمنما … والظرف طالعنا بها متبسما
واللمس كان موشحا والحسن كان … مصرحا واللطف كان مسلما
غرا من جيزان يرقصها النهى … تيها ويمنعها الحياء تقدما
أ (محمد بن على) العالى الذرى … نسبا سلمت إذا ابن آدم سلما(١)

وأما ديوانه (نفحات الجنوب) فقد ضم قصيدة (نايف فى جازان ص ٤٤ — ٥١) استقبل بها السنوسى سمو الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية لمنطقة جازان ، للتعرف على مطالبها واحتياجاتها ، فى شعبان ١٣٩٨ هـ ، ومنها :

لك يا صاحب السمو مواقف … أنت فيها ملء النهى والعواطف
كان عبد العزيز يرنو بنور الله … لما ولدت سماك نايف

(١) جريدة البلاد بتاريخ ١٣٩٤/١١/١٧ هـ

غمرت بالشذى الشواطىء والأرياف ... حتى الـذرى وحتى النتائـف
تحملـت فـى سبيـل الرعـايا ... وقـدة الصيـف والريـاح العواصـف
وهكـذا كـل حاكـم مستنيـر ... راحـة الشـعب همـه لا المصايـف
قالها قبل أن أقـول أبـو حفـص ... فكانـت أنموذجـا للخـلائـف
أنـا لـو ضـاع فـى العـراق بعير ... جئـت يوم الحسـاب والحشـر خائـف

إلى قولـه :

إن جازان سلة الخبـز ما زالت ... تعـانى عوائقـا وصـوارف
قيـدت خطـوات وشـلت قواهـا ... فهـى ظمـأى وأنـت كالغيـث وأكـف
فلمـاذا جـازان يبـدو محياهـا ... كئيبـا وثغرهـا الحـلو كاشـف
وهى أم الحقول والزروع والضـرع ... وبنـت السيـول طـام وجـارف
وهى مرسـى الجنـوب تكتـظ بالتفريغ ... والشـحن مـن تليـد وطـارف
نحـن فـى عصـر نهضـة وانطـلاق ... عزمهـا للصعـاب والصخـر ناسـف
وحرىّ بأمـة أنـت منهـا ... أن تراهـا على السحـاب نوائـف[1]

وقصيدة (رشة عطر ص ٧٥ ، ٧٦) أهداها السنوسى لأخيه غازى القصيبى ، تحية لهديته النفيسة ديوانه (أبيات غزل) فى عام ١٣٩٦ هـ ، وقصيدة (ضياء الدين رجب) ، لكنها أنين وأسى من خلال مدح السنوسى له .

والمدح فى شعر السنوسى اصطبغ بصبغة طريفة ، وارتدى ثوبا جديدا ، فلم تغلب عليه النزعة الفردية ، ولم تسيطر فيه عناصر المدح القديمة الشخصية ، فالممدوح كالهزبر لا يشق له غبار سيفه بتار ، وكالبحر جودا ، وكالشمس رفعة ، والقمر ضياء ، يفك العانى ، ويعفو عن الجانى ، وهو الكريم الشجاع الهمام ، ذو المروءة ، والنجدة ، وسليل المجد والرفعة والشرف ، وهكذا مما استغرق فيه الشعراء القدامى .

لكن السنوسى لم يسلك هذا الطريق من المدح ، بل كان المدح عنده يأخذ اتجاهين :

أحدهما : المدح للملوك والقادة ،ولم ينهج فيه منهج السابقين من المدح الفردي والشخصى ، وإنما خرج عنه ، وجعله مدحا اجتماعيا لا شخصيا وتمجيدا للقيم والمبادىء المتمثلة فى الممدوح لا ثناء على الفرد وحده بصفاته الذاتية ، ليقوم المدح عنده على المشاركة بين الممدوح وبين شعبه ورعيته ، وهو شعور متجاوب بين الحاكم والمحكوم فى بناء الوطن الحبيب ، وهكذا السنوسى كان فى مدحه للملك عبد العزيز طيب الله ثراه ، وابنه الملك سعود فى القلائد ،

---

(١) نفحات الجنوب : ٥١/٤٤

ومدحه للملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله تعالى فى قصيدته (لقاء القائد بالشعب) يقول فيها :

يا أبا خالد يحييك شعب	حبه فيك قد أذاب فؤاده
أنت أعطيته الرعاية والعطف	فأعطاك قلبه ووداده
أنت أعطيته السعادة والعز	فأعطاك مخلصا أكباده
أنت حققت حلمه وأمانيه	وحسدت بالفعال مراده
كل يوم لنا ابتهاج وعيد	بأياديك نهضة وإشاده
أى شعر يوفيك حقك والشعر	عيى وإن أجاد جياده
أنت فوق القصيد فوق الأناشيد	خلالا وعزة ومجاده
غير أن الشعور يتخذ الشعر	سبيلا الى العلا مستجاده
وإذا الروض جاده القطر	غنى كل طير ورغردت كل غادة
عشت يا فيصل العروبة للشعب	إماما وفى يديك القيادة(١)

وأشاد السنوسى بالملك فيصل فى قصائد كثيرة ذكرتها فى مكانها من الغرض الأول وهو الشعر الاسلامى ، لأننى رأيت فيصلا فيها قد أصبح شخصية عالمية ، وزعامة اسلامية كبرى ، ذابت فيها فرديته فى قضايا الأمة الاسلامية ومبادئها السامية ، فأصبحت هذه القصائد ، لا تمجد شخصه ، وإنما هى تصوير لواقعنا الاسلامى والعربى ، وتعبير عن مبادىء التشريع الاسلامى ، فخرجت عندى بذلك على قصائد المدح المعروف ، والتى دخلت فيها القصيدة السابقة (لقاء القائد بالشعب) لأنها أدخل فى باب المدح ، لكنها مع ذلك ليست مدحا فرديا لكنه مدح تجاوبت فيه أصداء الراعى مع الرعية يتمسكون جميعا بالقيم والمبادىء فى سبيل نهضة بلادهم ووطنهم السعودى ، فهو مدح جديد وهو (المدح الاجتماعى) .

ولست مع الدكتور بكرى شيخ أمين فى أن السنوسى كان معظم شعره فى الغزل والمدح كسائر الشعراء فى عصره فيقول ما نصه :

« فريق من الشعراء انحاز الى الموضوعات التقليدية فكانت معظم قصائده فى الغزل أو المديح أو فى غيرهما كابن عثيمين ، وعبد الله الفيصل ، وغادة الصحراء ، ومحمد بن على السنوسى ، وفؤاد شاكر ، وأحمد الغزاوى ، وأحمد جمال »(٢).

والسنوسى ليس كذلك ، فقد رأينا أن معظم الأغراض عنده غلب عليها غرض الشعر

---

(١) الينابيع : ص ٤٥/٤٦

(٢) الحركة الأدبية فى المملكة العربية السعودية : ص ٢٧٤/٢٧٥

الاسلامى ، ولم يكن عنده غزل بالمعنى التقليدى الذى ذكره ، ولكن غزله صبه الشاعر فى شعر وجدانى تأملى جديد وكذلك المدح لم يكن تقيلديا كما قرنه بغيره من الشعراء ، بل صبغ مدحه بصبغة جديدة فى ثوب طريف وهو المدح الاجتماعى لا الفردى .

ثانيهما : والاتجاه الآخر فى مدحه جديد كله ، فى طريقة عرضه وفى موضوعه ، وفى طريقة أدائه ، وفى مزجه بالطبيعة ومظاهر الحياة ، فهو مدح للعلم والشعر فى ذات عالم وذات شاعر ، أخذ إطاراً محدودا محليا ووطنيا ، لا إطارا عالميا حضاريا كما سنرى فى غرض عند الشاعر أطلقت عليه شعر الحضارة والعلم وسيأتى بعد ، ومن شعره فى هذا الاتجاه الثانى قصيدة (البلبل الحيران) التى أهداها الشاعر إلى صاحب السمو الملكى الأمير الشاعر المبدع (عبد الله الفيصل) قال(١) .

رب لحن جماله لا يبيدُ ... صاغه للقلوب قلب عميدُ
نحسد الطير فى رباها ولا ... نعلم ماذا يكابد الغريد
ووراء السنا فؤاد شقى ... ووراء الدجى فؤاد سعيد
قلت للصادح المرفرف فى ... الروض علام الأنين والتسهيد
ولك الظل والشذى والأزاهير ... نشاوى يحلو بين الوجود
والزلال النمير والنور والنوار ... والنبع صافيا والورود
والندى والنسيم والأفق الطليق ... ورحب من الفضاء مديد
والندى والنسيم والأفق الطليق ... ورحب من الفضاء مَديد
وسماء كما تشاء وآفاق ... كما تشتهى وكيف تريد
ولك الأمس مشرق يملأ النفس ... جلالا واليوم زاه مجيد
فشدا شاكيا وردد صوتا ... عبقريا له جمال فريد
ماج فى رحبة السكون وفا ... ضت فى معانيه روعة وخلود
كان (وحى الحرمان) من فيضه السمح ... ومنه أنغامه والقصيد
فى طراز من البيان رشيق ... لا غموض فيه ولا تعقيد
فى ثغور الحسان منه أغاريد ... ومنه على النحور عقود
وله فى فم المغنى أناشيد ... وفى عوده له تغريد
وهو كالماء سلسبيلا وكالنور ... صقيلا قديمه والجديد

---

(١) ردًّا على قصيدته (حيرة) التى أهداها إلى الشاعر السنوسى فى جريدة البلاد — عدد ٢٩٣٠ بتاريخ ١٣٨٨/٧/٨ هـ ومطلعها :

أنا فى حيرة أموت وأحيا ... كل يوم وأدمعى فى شهود

كان (ابن المعتـــز) يعتـز بالشعـــب وإن رفـــرفت عليـــه البنـــود
ومضـى واسمـــه يردده التـــاريخ لحنـــــا يزينـــــه الـــترديـــــد
وحيـــاة الهنـــا أجـــل وأبقـــى يا أمـــير العـــلا رعتـــك السعـــود

فالسنوسى هنا لا يمدح سمو الأمير الشاعر بصفات المدح التقليدية المشهورة عند الشعراء القدامى ، ولكنه يمدح عبقريته الشعرية ، وإلهامه الأدبى فى القصيد ،.فالشعر الجميل لا يبيد ، لأن عميد الشعر صاغه للقلوب من وحى عبقريته ، التى امتزجت بالطبيعة والحياة ، فهى خير وسيلة للوحى والالهام ، لأننا لا ندرى لغة التغريد عند الطيور ، ولا ما وراء السنا ، ولا فى حنايا الظلام والظل ، والشذى والأزاهير ، والزلال النمير والنور والنوار ، والنبع الصافى ، والندى والنسيم ، والأفق الطليق ، والفضاء الواسع ، والماء والآفاق ، والأمس المشرق ، والنهار الصافى ... لا ندرى ما وراء ذلك ، لكن (وحى الحرمان) صور كل ذلك من فيض الشاعر السمح ، وأنغامه فى بيان رشيق ، لا غموض فيه ولا تعقيد ، فأصبح فى ثغور الفاتنات أغانى وأناشيد ، وعلى نحورهن عقود ولآلىء ، وفى الحياة كان ماء عذبا سلسبيلا ، ونورا مشرقا مصقولا ، لأنه لحن الخلود ، الذى يبقى يردده التاريخ ، كما رددته من قبل ألحان الخليفة الشاعر (ابن المعتز) ، يرن صداه خالدا فى جنبات الخلود .

وأظنك أنت معى الآن فيما اتجهت اليه ، وهو أن هذا المدح جديد فى أسلوبه ومنهجه ، حيث تقمص مظاهر الطبيعة ، لتعبر بوحيها كما يهدف الشاعر ، ولها من الايحاء والألغاز والأسرار ما يبهر العقل ، ويستبد بالقلب ، ومن وحى الطبيعة وأسرارها كان ديوان الشاعر (وحى الحرمان) ، وليس فيه نبرة من مقومات المدح القديم ، اللهم إلا أن الشاعر شبه الملوك بالملوك ، شبه الأمير عبد الله الفيصل بالأمير العباسى عبد الله بن المعتز ، إن كلا منهما ملك شاعر سطر التاريخ لهما الخلود بشعرهما وإبداعهما الفنى .

ومن شعر المدح للسنوسى فى هذا الاتجاه قصيدة (من شعاع القناديل) التى أهداها الشاعر إلى أخيه الشاعر الكبير أحمد قنديل يقول[1] :

حلـوة هـذه القنـاديل حلـوه فترنـم بهـا سـرورا ونشـوه
مـرح آسـر ولفـظ ضحـوك لطفـه يجـذب الكسـائى نحـوه
كلمـا تمـوج بالهـزل والجـد وفـى هزلهـا وفـى الجـد صحـوه
تنطوى فـى دعابهـا حكـم الـ عقـل رقاقـا بـلا جفـاء ونبـوه
صاغهـا شـاعر يرفـرف كالطيـر علـى نبعـه ويختـار صفـوه
شـعره مثـل روحـه رفـة الزهـ ـر رواء ورنـة العـود غنـوه

(١) أزاهير : ٢٥/٢٤

وكذلك قصيدته (وردة) التى أهداها إلى الأستاذ الكبير عبد القدوس الأنصارى تحية لكتابه (تاريخ جدة) ومطلعها :

أضاف إلى سنا التاريخ جده كتاب صيغ فى (تاريخ جده)

إلى قوله :

كتابك تحفة للتاريخ فنا وأسلوبا وتحقيقا وجوده
زففت به الى الدنيا عروسا لأعتاب مقدسة وسده
تألق حسنها وأضاء حتى أعاد شبابها للبحر مده
ففاض على جوانبها غزيرا ومد ذراعه خيرا وزنده
وصفق قلبه الجياش شوقا إلى ثغر الحجاز وهز قده
وغازل فى شواطئها الأمانى ترف نضارة وتموج رغده
وغرد للجمال وقد تجلى يضم الروض سوسنه ورنده
بلغت أبا نبيه ذرى المعالى بنفس للمعالى مستعده
ومن حمل اليراع وكان جلدا على تبعاته أعطاه مجده[1]

وفى هذه القصيدة يمدح السنوسى العلم والتاريخ فى شخص العالم المؤرخ ، لا على طريقة المداحين المقلدين للقدماء ، ولكن فى نهج جديد ، وأسلوب طريف ، فكتاب الأنصارى تحفة فى التاريخ أسلوبا وتحقيقا وجودة ، وعروس زفت الى الدنيا على أبواب الأرض المقدسة الطاهرة ، وفى حصن من حصونها ، فأشرق جمالها على الحياة ، وأعادت للبحر سيادته وقوته ، ففاض غزيرا على جوانبه ، يصفق قلبه شوقا الى ثغر الحجاز فى رقصات رشيقة ودلال مع الشواطىء ، يرف نضارة ، ويموج ثراء ، ويعزف أوتارالجمال ، فتهتز الأزهار والسوسن طربا وشوقا ، لأن كتابه قد بلغ المعالى ، بهمته العالية ، ومنحه التاريخ مجدا وخلودا .

لا تجد وصفا من أوصاف المدح التقليدى فى هذه الأبيات التى اقتصرت عليها ، وبقية القصيدة التى تسير على هذا النهج والأسلوب والطريقة الجديدة فى المدح والثناء .

وكذلك مثل قصيدة (سوزان) فهى كما يقول السنوسى باقة من شعور كريم ... مهداة للصديق الشاعر حسن عبد الله القرشى تحية لديوان (سوزان) ومطلعها :

(سوزان) هذا الاسم من ركبه يا ما أحيلاه وما أعذبه
من ذوب السكر فى جرسه فذاب حتى كدت أشربه

---

(١) الأغاريد : ٩٢/٨٩

وهكذا الى آخر القصيدة ، وكذلك قصيدته (البحر الأخضر) مهداة للصديق الشاعر محمد حسن عواد ومطلعها :

الأرض يحييهـا السـحاب إذا همـر ويحيلهـا قلبـا وينطقهـا فمـا[1]

وهكذا فى قصائد كثيرة وردت فى الينابيع والأغاريد والأزاهير والقلائد ، تسير على هذا النمط من المدح فى ثوب طريف واتجاه جديد .

خامسا ــ الشعر الاجتماعى :

وهذا الغرض لا نستطيع أن نحكم عليه بأنه غرض أدبى قديم بل هذا الغرض لابد أن يكون جديدا ، لأنه يصور المجتمع الذى يخالطه الشاعر ، ولاشك أن هذا المجتمع يختلف عن المجتمعات التى سبقته بما يتناسب مع المرحلة التاريخية ، التى يعيشها الانسان ، فإنسان اليوم الاجتماعى غيره بالأمس ، والمجتمع فى المستقبل يختلف كثيرا ، لأنه يمثل مرحلة تاريخية نابعة من عصره ومجتمعه ، ولذلك كان هذا الغرض جديداً فى أسلوبه ونهجه ومعانيه وموضوعاته .

وجاء هذا الغرض فى بعض دواوينه مثل قصيدة (صورة شعرية ص ٤٤ ، ٤٦)[2] ، وقصيدة (اليتيم السعيد)[3] ، وقصيدة (أتمنى)[4] ، وقصيدة (لكل صابون ليفة)[5] ، وقصيدة (كوكب الشرق)[6] .

وفى (صورة شعرية) يقول السنوسى فى مقدمتها : (مهداة الى كل وزير فى بلادى الفتية) منها :

يا معالى الـوزير إن الوزاره علـم رائع السنـا بـل مناره
يرقـب الشـعب نورهـا وصـداها أينمـا حـل ليـلـه ونهـاره
مثـل مـا ترقـب المراصـد نجمـا تجتـلى نـوره وترعـى مـداره
ومـن الشعـب تستمـد المعـالى مـا لهـا مـن جلالـة ونضـاره

---

(١) الينابيع : ٦٧/٦٩
(٢) الأغاريد : ٤٤/٤٦
(٣) الأغاريد : ٨٦/٨٨
(٤) أزاهير : ٩/١٢
(٥) أزاهير : ١٣/١٤
(٦) الينابيع : ٨٧/٨٩

والوزيــر العظيــم يحتضـن الشعـ ـب وآمـــاله ويلقـى دثـــاره
يتبنــى أحلامـــه وأمانيـــــه بـــروح قـــويــة جبـــاره
يسهــر الليـــل كى يحقــق رؤيــا قومــه فــى تقــدم وحضــاره
واضعــا عينــه على كـل فــرع وجهـــاز وشعبــــة واداره
يتقصـى ويستحــث ويوصـــى ويهـــز الكراســـى الـــدواره
ويمـــد الموظفيـــــن بـــروح منـــه وهاجـة تشـــع حـــراره

وهكذا الى آخر القصيدة ، التى يصور فيها كل وزير فى أى بلد كان ، ولا فى تصويره ما يشير الى الحدود الوطنية ، ولا الى بلد معين ، بل جعل صورته الشعرية الى كل مسؤول وزيرا كان أو غيره ، فى تصوير عام يشمل كل من يتحمل مسؤولية الشعب ، وينوب عن المجتمع فى كل مشاكله ويسهر على راحته ، ليحقق آماله وأمانيه ، ويدفع الأذى عنه ، ويرفض التأخر والرجعية ، وذلك بروحه القوية الجبارة ، وبمدده البناء الوهاج ، حتى يدفع أمته قدما الى الأمام ، لترقى الى مدارج الرقى والحضارة .

وهذا تصوير اجتماعى لكل وزير ، بل لكل مسؤول فى أى موقع من مواقع العمل والانتاج ، فى أى بقعة من بقاع العالم ، ولذلك احتل شعره الاجتماعى مركزا عالميا ، فهو شعر انسانى عالمى بروح اسلامية عالمية ، تحب الخير للانسان فى أى مكان ، فكان السنوسى الشاعر السعودى الوحيد التى ترجمت قصائده الى لغة أوروبية ، ولعل هذا الجانب الانسانى الاسلامى العالمى فى شعره هو الدافع الأساسى لانتشار شعره فى العالم الغربى بلغة أخرى غير لغته العربية .

ومن روائع شعره الاجتماعى قصيدته (اليتيم السعيد)(١) :

راح يزهــو عليــه ثــوب جـديد وعلــى ثغــره ابتســـام سعيـــد
(برعم) مــن براعــم الجيــل مازا ل طريــا غصينـــه الأمـــلود
أيقظتــه أشــعة (العيــد) ينســا ب علـى الكــون فجرهــا المولـود
فصحـــا تشــرق البــراءة فـى عيـ نيــه والطهــر والرضــا والسعــود
هــب مـن نومــه يغنـى كمـا غنى علــى الأيــك بلبــل غريـــد
وارتــدى ثوبـه القشيــب وهــزت قلبــه الطاهــر النقــى البــرود
فمضـى يمــلأ الشـــوارع رقصـــا وغنــاء يفيــض منــه الوجــود
مرحــا فـى طفـولة يسـتحب الـر قــص منهــا ويستــلذ النشــيــد

★ ★ ★

(١) الأغاريد : ٨٦/٨٨

مرّ من جانبي يزقزق (كالعصفور) في كل خطوة تغريد
فهفت مهجتي إليه حنانا أبويا يضمه ويزيد
وتأملته مليا وفي قلبي سؤال به لساني يميد
وسألت الوليد في نشوة العيد وقد سر بالسؤال الوليد
أين من أنت يا بني ؟ وأصغيت إليه وبي اشتياق شديد
فرنا باسما إلي بعين شاع في لحظي الجواب السديد
أنا يا سيدى يتيم ولكني (سعيد) لا بائس أو شريد
سكني وارف ومأئي مسكوب وزادي مرفه منضود
وفؤادي تربة من يد العلم يدبره وقلب ودود
فانتشى قلبي المغرد وانثالت قوافيه واستفاض القصيد

صورة شعرية طريفة ، تجسدت في تجربة شعرية عميقة وصادقة لكل يتيم ، لا في شخص اليتيم الذي تسلطت عليه منافذ الادراك عند الشاعر أثناء التقاطه الصورة الحية النابضة ، فاليتيم صوره الشعراء قديما وحديثا ، ولكن السنوسي تميز عن غيره من الشعراء في طريقة العرض ، ومعالجة الموضوع ، من أهم المميزات :

أولا : أقام الشاعر حوارا قصصيا بينه وبين اليتيم ، الذي خدعه عن اليتم مظهرُه وشكله ، وصرفه عن الحقيقة فرحه وبهجته بالعيد ، حتى تورط الشاعر في سؤال ، قد تكون عاقبته غير محمودة لو كان الولد يتيما بائسا شقيا ، لأن صورة اليتيم في القصيدة تتحرك في إطار مجتمع مثالي ، يؤمن بواجبه نحو الضعفاء والمساكين ، فلا يرضون لأنفسهم أن يتجمد عضو مشلول في جسد الأمة الواحدة التي توحد بينها صفة الانسانية والعلم والمعرفة ، وحينما يكون المجتمع كذلك ، يصير مجتمعا أخلاقيا مثاليا رفيعا ، لا تجد فيه بائسا ولا شقيا ، بل ترفرف على الجميع ألوية السعادة وبنود الحبور ، يقول اليتيم :

أنا يا سيدى يتيم ولكني سعيد لا بائس أو شريد
سكني وارف ومأئي مسكوب وزادي مرفه منضود

ثانيا : أن الشاعر جعل سبب الأسباب في سعادة اليتيم لا ترجع إلى العطف والحنان ، ولا في كفاية الزاد والكساء ، ولا في بحبحة العيش والثراء ، وإنما ترجع الى العلم ، فهو وحده كفيل بتحقيق السعادة لليتيم ، فبالعلم والمعرفة تعمر القلوب والعقول ، فتفيض بالبر والخير والمودة والمحبة ، لأن العلم هو الغنى الحقيقي ، والثراء الدائم ، الذي يظل كنزا خالدا لصاحبه .

والعلم والشريعة والقرآن يسمو باليتيم محمد ﷺ إلى شرف الرسالة ، فيكون خير البشر

جميعا وأشرفهم وأفضلهم عند الله عز وجل ، وعند الناس خلودا وبقاء وتشريعا ونورا ومعرفة واستقامة وبناء وتقدما وحضارة .

وفـؤادى تربـة مـن يـد العـــلـم يدبـره وقلـب ودود
فانتشـى قلبـى المـغرد وانثـالـت قوافيـه واستفـاض القصيـد

ومن شعره الاجتماعى أيضا قصيدته (أتمنى) ومطلعها[1] :

أتمنـــى أننـــى لا أتمنـــى فلقـد بـت بآمـالى معنّـى
المنـى يا للمنـى من زورق مـارسا يومـا ولا نحن وصلنـا

يصور صديقا ، يتمنى له موفور السعادة وراحة البال ورضى النفس ، لأنه يطوى بين أحشائه قلبا فاسدا ، وصدرا يغتلى حقدا ، ونفسا تفيض حسرة وألما ، وفكرا محموما بالبغض والكراهية .

ثم يتمنى لعدوه أن يبصره الله بالحق ، وأن يدير يديه لا بالسلاح والنار ، ولكن بالدليل والعقل والبرهان ، وإلا كان فظا غليظ القلب ، جهولا لدودا .

ثم يتمنى لرئيسه حكمة وللمرؤوسين نشاطا وأمانة ، كل يؤدى واجبه ، مهما كان الانسان مظلوما .

ثم يتمنى لوليده أن ينشأ نشأة صالحة مثله ، ينزع فى شبابه عن إجلال وحب ورياسة مترفعا عن صغائر الأمور ، عاشقا للمعانى النبيلة والأخلاق السامية .

وفى المقطع الأخير يتمنى لمجتمعه أن يكون رائد الفكر قوى المشاعر ، ميقوظ الوجدان ، يرفض الزيف ، ويعشق المجد ، ويسمو إلى المعالى فى فكر أصيل ، ومنهج قويم ، وضمير حى طاهر ... يتمنى كل ذلك لكن الأمانى زورق تتلاعب به الأمواج وتعصف به الرياح ، ويرتطم بالصخور والعقبات عبر الأزمان والأجيال يقول فى المطلع الأخير :

أتمنـى أن أرى مجتمعـــــى لوذعـى الفـكر مصقـول الشعـور
يرفـض الزيـف نهـاه ويـرى وعيـه اليقظـان مـا خلـف القشـور
يعشـق المجـد ويمشى للعـلا مستقـل الفـكر شـفاف الضميـر
آلمنـى يا للمنـى مـن زورق لـم يـزل يجرى بنـا عبر العصـور

أما قصيدته (لكل صابون ليفة) يصور فيها (النفاق والمنافق) فى أبشع صورة ، وأقبح

---

(١) أزاهير : ص ٩ وما بعدها

منظر ، فهو كالحرباء ، يتلون حسب أغراضه وحاجاته بألوان كثيرة ، بل الحرباء قد استحيت منه ، لأنه قد بلغ فى طبعه المرّ ، وخداعه العلقم ، ونفاقه اللاذع حداً ، اندفع به إلى مواطن الخزى والاعتداء ، حين أخذ المنافق مكان الحرباء ودورها ليؤدى وظيفتها التى خلقت من أجلها (وخلق كل شيء فقدره تقديرا) ، (إنا كل شيء خلقناه بقدر) ... يقول السنوسى[1] :

أصدقائى أم أصدقاء الوظيفة ... أنتم يا ذوى النفوس الضعيفه
الأولى تهزأون بالمثل العليا ... وتلهون بالمعانى الشريفه
بسمات ملونات وأخلاق ... وصولية غلاظ سخيفه
ونفاق ملون تخجل الحرباء ... منه فتنثنى مكسوفه
تتدلى وتستكين وتنماع ... وتغدو لكل صابونة ليفه
فاذا ولت الوظيفة ولوا ... وأثاروا عليك حربا عنيفه
خلق يشمئز منه كريم النفس ... والطبع والخصال المنيفه
يا لنفسى من أنفس تقذف الحبر ... عداء من الثياب النظيفه
وعلى كل جانب من قذاها ... قذر يزكم الأنوف وجيفه
خضت فى بحرها وكنت غريرا ... فطفا موجها وكانت حصيفه
أوجه كالبلاط لا تنبت الزهر ... وإن كانت المياه كثيفه
وقلوب مثل الكهوف ظلاما ... والضحى يغمر الوجود مخيفه
غير أنى وإن تألم قلبى ... فهو ما زال كالظلال الوريفه
لست خبا والخب قد يخدع البّر ... وهذه حكاية معروفه

* * *

سادسا : شعر الحضارة الحديثة :

ومن الأغراض الجديدة فى شعر السنوسى ، ما أنشده فى التقدم العلمى والأدبى الحديث ، ومظاهر الحضارة المعاصرة ، فيصور هذا التقدم من خلال مشاعره وخواطره ، فى تجربة شعورية مشحونة بالعاطفة القوية التى تجاوبت مع أحداث عصره ، واستجابت لوسائل التقدم الحضارى ، فأخذت موقعها من شعره ، بعد أن أخذت مواقعها من حياتنا كلها العملية والنظرية على السواء ، فالشعر القوى النابض والصادق هو قطعة من الحياة التى يعانى تجربتها الشاعر ، ومقطع من شريط الدنيا له منزلة كبيرة بمقدار ما يسهم فى تطور الحياة ويشارك فى بناء حضارتها كجزء من أجزاء التاريخ البشرى إلى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا .

---

(١) أزاهير : ص ١٤/١٣

فأما الديوان الأول (القلائد) فنجد قصيدة (فى موكب الفن ص ٤٢ — ٥١) يصور فيها السنوسى شخصيات رواد الأولمب الخالد ، تقديرا لفنهم الشعرى الذى يمثل حضارة الأدب السعودى المعاصر ، وكانت هذه الندوة فى هذه المرة فى دار الأستاذ عبد القدوس الأنصارى صاحب مجلة المنهل تكريما للسنوسى فى ١٣٧٦/٦/٢ هـ وفيها كوكبة من شعراء الأولمب وأدبائه سبق ذكرهم ، وقصيدة (أحمد أمين العالم والأديب المصرى الكبير ص ٨٨ — ٩٥) يسمو بما قدمه الرجل للعلم والأدب والنقد فى عصره ، وهذه أبيات منها :

ثمن المجد أن تعيش غريبا ... فيلسوفا أو شاعرا أو أديبا
تتحدى عواصف الفكر والرأى ... وتلقى سلم النهى والخطوبا
يا حياة كانت على العلم أزكى ... من حياة الربيع خصبا وطيبا
فجرت فى مسارب الكون نبعا ... وهى تستقطر الحياة حبوبا
(فجرها) و (الضحى) على الأفق ... العلمى مجدا يخلدان الغروبا
حملت من رسالة الفكر نورا ... ومضت تنشر اللواء القشيبا
تستثير الحقول من كلّ فن ... من فنون النهى وتحيى الجديبا
دقة العالم الذى يزن اللفظ ... ويستخلص النضار المشوبا
وخيال الأديب وهو شعور ... جنحت روحه وهبت هبوبا
أيها الباحث المجدد للشرق ... تراثا يحيى النهى والقلوبا
عجب هذه الحياة وسر ... أعجز العلم كشفه والطبيبا
فى رحاب الوجود تحتل ذكراك ... مكانا من الخلود رغيبا
عاليا عاليا تمر به الأيام حسرى ... والدهر يمشى دبيبا(١)

وقصيدة (المنهل ص ١٧٩ — ١٨٦) بمناسبة اليوبيل الفضى للمجلة وما شاركت به فى بناء حضارة المملكة فى الفكر والأدب ، وقصيدة (مولد النور ص ١٩٧ — ٢٠٣) بمناسبة افتتاح محطة الكهرباء بجازان فى الليلة الأولى من شهر ذى القعدة عام ١٣٧٨ هـ ومنها :

قلت ماذا أرى وقد برق النور ... ولم ترتجز هناك بروق
تتسامى إلى الفضاء ويعلو ... كعمود الصباح منها العمود
تتدلى بها المصابيح (كالطلح) ... على كل (قائم) عنقود
لا فتيل ولا ذبال ولا شمع ... فماذا إذن وكيف الرقود
همست كهرباؤنا وأجابت ... وعلى ثغرها المشح نشيد

---

(١) القلائد : ٩٣/٨٨

إننى شعلة تحكم فىّ العلم ... والعلم حاكم لا يحيد
موقدا ما تشاء منى إذا أحببت ... نورا مطفئا ما تريد
أنا من (طاقة) يولدها الماء ... ومن قوة حواها الحديد
جل من سخر السموات والأرض ... وما فوقها لمن يستفيد
إن (فلتا) وإن (واتا) و (أمبيراً) ... عقول عظيمة وجهود
تلك أسماؤهم تشير إليهم ... فى رموز لها جمال فريد
أى عصر هذا وأية دنيا ... شادها سيد البلاد سعود
المطارات والقطارات والأضواء ... والهاتفات والتعبيد
والرقى الحديث والعمل البناء ... والانطلاق والتشييد
قد قرأنا عن الحضارة والعمران ... والملك وما روته الجدود
واستمعنا إلى التاريخ والأسفار ... تبدى حديثها وتعيد
ورأينا حضارة ما رآها ... (قيصر) فى جلاله و (الرشيد)
إى وربى لم يركب (التكسى) ... هارون ولا سار فى القطار (الوليد)
سهر الليل بالقناديل كسرى ... وعلى الشمع كان يقرأ (يزيد)
أين تلك العصور من عصرنا العلمى ... نورا لا يعتريه الخمود
ويصوغ الأقمار تجرى مع ... الأفلاك سيارة مداها بعيد
خضعت للورى المسافات فيه ... وتهاوت حواجز وحدود
وتساوى بنعمة العلم ... والآلات والفن سيد ومسود
وجرت هذه الحياة كما تجرى ... الينابيع كل يوم تزيد
لو رآها (لبيد) ما سئم الدنيا ... ولا ضاق بالحياة (لبيد)[1]

وهكذا إلى آخر القصيد من مطلعها حتى نهايتها تصور حضارة العلم الحديث وما قدمه للبشرية من وسائل التقدم والرقى التى لا تحتاج إلى جهد فى أناقة ورقة وانتظام فقد تعددت وسائل الحضارة فى القصيدة التى تفجرت عن الكهرباء وهى التكسى والقطار ، والهاتف والمطار والطيران وتعبيد الطرق وتشييد العمارات والمؤسسات ، والأقمار الصناعية العابرة للقارات والمحيطات ، والطاقة والذرة ، والآلات والمعدات الحديثة ، وغيرها من وسائل التقدم العلمى والحضارى فى تصوير أدبى رائع وخيال خصب موفور وأفكار عميقة رحبة وصور شعرية غزيرة بالأضواء والألوان والظلال ، والإيحاء والأشعة التى تخطف الأبصار ويغوص فى أعماقها العقل — عقول عظيمة وجهود — فى رموز لها جمال فريد ، والرموز هى (الفولت — الوات — الامبير) . أى عصر هذا وأية دنيا ؟؟!

(١) القلائد : ١٩٧/٢٠٣

وقصيدة (جامعة سعود ص ٢١٢ ــ ٢١٩) التى توارت وراء جامعة الرياض حينا ، ليعود سعود إليها كما كانت من قبل جامعة الملك سعود بعد خمس وعشرين عاما من افتتاحها وذلك فى الاحتفال باليوبيل الفضى لها فى عام ١٤٠٢ هـ ، ومطلعها :

العلم أقوى سلاح فى يد الأمم ... فاصرع به الجهل تحيا خافق العلم
واملأ حجاك به نورا فإن له ... فجرا من الحق يجلو كل مبهم
وجددوا عزة الأجداد وإنكمو ... أحفاد قوم محو أمية الأمم
كانوا أساتذة الدنيا وسادتها ... فى الحرب والسلم والتشريع والنظم[1]

وأما الحضارة فى (الأغاريد) فى قصيدة (طموح ص ٥١ ــ ٥٣) ، وقصيدة (إلى غزاة الفضاء) ، ومنها[2]:

عيشوا على الأرض أحبابا وإخوانا ... ونسقوها أزاهيرا وريحانا
وطهروها من الأحقاد واتخذوا ... طريقكم فى سبيل الحق أعوانا
وانفقوا ذهب الدنيا وفضتها ... للخير والبر أرواحا وأبدانا
وانقذوها من الوحش الذى ابتليت ... به الحضارة آمادا وأزمانا
وامشوا على ظهرها هونا فما برحت ... تحس فى خطوكم بغيا وعدوانا
ليس الحضارة (صاروخا) و (قنبلة) ... ولا التمدن (أقمارا) و (أفرانا)
إن الحضارة أسماها وأرفعها ... أن تحسن المشى فوق الأرض إنسانا

إلى قوله :

(محمد) رائد الدنيا وقائدها ... إلى المحبة أجناسا وألوانا
شريعة كشعاع الشمس نيرة ... الناس فى ظلها كالمشط أسنانا
فاءت إليها شعوب الأرض واعتصمت ... بحبلها وسمت أمنا وإيمانا
من المدينة من أطوادها انطلقت ... لا من (نيورك) ولا (موسكو) وإيفانا
(مدينة النور) عاد النور منطلقا ... من لا بتيك قويا مثل ما كانا

وفى (أزاهير) من الحضارة العلمية (رحلة القمر ص ٢٦ ، ٢٩) ، وفى (الينابيع) قصيدة (تحية المعهد العلمى ص ٨٥ ، ٨٦) ، وفى (نفحات الجنوب) قصيدة (جزيرتى ص ٩ ، ٢٣) فى عام ١٣٩٧ هـ ، وقصيدة (على آلة التلفاز ص ٧١ ، ٧٤) فى عام ١٣٩٧ هـ ومطلعها :

---

(١) القلائد : ٢١٢/٢١٩

(٢) الأغاريد : ٧٣/٧٦

على آلـة (التلفاز) للفـن ألـوان بها ابتسمت أبها وأشرق جازان
ضغـطت على أزراره فتألـــقت بشاشته البـيضاء حور وولـدان
روائع علم أتقـن العقـل صنعها وكم رفـع الانسان علـم وإيمان
رأيت بها من صحن بيتى عوالما تطالعنــى والجو برق وهتــان
لقيت بها صحبى وبينى وبـينهم مسافات أبعــاد طوال وأزمــان(١)

وقصيدة (المنهل فى عامه الثانى والأربعين ص ٧٧ ـــ ٧٩) فى عام ١٣٩٧ هـ ، باعتبارها تؤدى رسالتها العلمية والأدبية والحضارية ، فى اثنين وأربعين عاما مضت عليها ، وقصيدة (هموم الحياة ص ٩٢ ـــ ٩٤) يصور فيها الحضارات المعاصرة ، من فلسفات شيوعية ورأسمالية ، وكيف هوت وسقطت أمام حضارة الاسلام ، وشموخها فى كل عصر ، فالسكينة والنور واليقين فى الاسلام ، ومطلعها :

يا هموم الحيـــاة إن فؤادى لا يبالـــيك فاقصرى أو تمادى
إننى فى سكينة من هدى الدين ونــور اليـــقين ذخـــرى وزادى
كتب الله لى حيــاتى ورزقى فتنحى يا (فلسفات) العبـاد
من (شيوعية) يصير بها الانسان ترسا فى آلــــــة الحداد
و (رأسمالية) يزيد بها الانسان بؤسا فى سعيــه لازديــاد
أنا آمنت بالـذى خلق الكـون ومـا فيــه من هدى وفساد(٢)

وقصيدة (على ضفاف دجلة) ألقاها الشاعر فى قاعة ابن النديم بمقر اتحاد الأدباء العرب ببغداد ، فى الملتقى الأدبى الذى أقامه الاتحاد تكريما لأعضاء الوفد الأدبى السعودى ، وكان السنوسى أحد أعضاء الوفد(٣) .

أما قصيدة (العقاد العملاق) يقول فيها السنوسى ، منها :

عاش للفكـــر عيشة الزهـــاد وهــــو فى ثروة من الأمجاد
ثروة ثرّة من العلــــم والجـ ـسم تجلى بها رفيـع العمــاد
علــم تنتهى إليـــه ذرى الأ علام والنابـــغين والـــرواد
كان فى الشرق قلعة من قلاع الـ ـفكر جبــارة لصد الأعــادى

---

(١) نفحات الجنوب : ٧٤/٧١
(٢) نفحات الجنوب : ٩٤/٩٢
(٣) نفحات الجنوب : ١١١/١٠٤

لم يكن ينحنى لغير جلال الحـ ... ق والحق منطـــق العقـــاد
قلـم رائـع البيـان وعقـــل ... عبقـــرى ذو قوة واعتـــداد
إن أفـاض الحديث قلت جرى ... السيل وفاض العباب من كل واد
وإذا أوجـــز الكـــلام ترامت ... قطرات النـــدى على الأوراد
وإذا ما عدا يوضح فهمـــا ... نشر النـــور فى سواد المداد
وإذا ما مضى يجادل خصمـــا ... جاء برهانه كما الفجـــر هادى
حجـة النابـــغين فى أدب الضا ... د ونبراس كل هاد وشاد
كم له من يد على اللغـــة الفصـ ... ـحى وتاريخهـــا تبـــزّ الأيـــادى
تحتمـى فى ذراه من كل أفـــا ... ك وتزهـــو به على كل ناد
مات يا للمصاب .. الله .. إنى ... لأحس الأسى يذيب فؤادى
لا لم يمت أبـــو (العبقريـــا ... ت) النشاوى و (الترجمات) الجياد

إلى قوله :

وأفاقـــوا على الحقيقـــة (والمذ ... ياع) يهتـــز من فم رعـــاد
كان صوت العقـاد يصهـل من ... فيه فأضحى صدًى لذاك الجواد
رحم الله ذلك الكـاتب العمـلا ... ق فى كل مذهب واعتقـــاد(١)

لا أظن أحدا يقول أن هذه القصيدة فى رثاء العقاد ، فنبرات الحزن والأسى والدموع التى تسير فى ركاب الرثاء لا نحس بها هنا ، وإنما الذى نراه ونسمعه هى شموخ العقاد العملاق الذى ما زال خالدا فى التراث الحضارى من بعده ، الذى ملأ الأفق ، مما جعل السنوسى ينسى الغرض وهو الرثاء ، ويصور ما هو أهم وأجدى للبشرية ، وهو الأعمال الجبارة التى شيدها العقاد فى الفكر والعلم والأدب والفلسفة والاسلام واللغة الفصحى وسواها من موسوعات العقاد ، فى كل مذهب واعتقاد .

لهذا يا أخى لا تلمنى إن قلت إنّ هذه القصيدة وأمثالها والتى تسير على نهجها مدحا أو رثاء هى أدخل فى غرض الحضارة لا فى غرض الرثاء ، كما لا أرضى أن تكون هذه مرحلة متطورة من مراحل تطور الرثاء ، لأن شعر الحضارة فى العصر الحديث ينبغى ألا يكون غرضا أدبيا تابعا بل يجب أن يكون غرضا أساسيا يقف شامخا بجوار الأغراض الأدبية الأخرى ، كيف لا ؟ وقد أصبحت وسائل التقدم الحضارى تسد الأفق ، وتسيطر على الحياة وتأخذ المنزلة الرفيعة فى قلوب الناس وعقولهم إنها ليست غرضا مستقلا فحسب بل هى أساس الأغراض ومصدرها ، وفى النهاية غرض الأغراض الأدبية الحديثة .

---

(١) الأغاريد : ٦١/٥٨

ومثل هذا الغرض الجديد فى شعر السنوسى يسمو بالشاعر إلى منزلة رفيعة بين شعراء العصر الحديث ، الذى يعيش مع عصره بعقله وقلبه ووجدانه وعاطفته وأدبه وتصويره الشعرى .

سابعا ــ الوصــف :

والوصف من الأغراض الأدبية فى شعر السنوسى ، نجد فى ديوانه (الأغاريد) قصيدة (يا قلمى ص ٣٣ ــ ٣٥) ، وقصيدة (الكتاب ص ٦٩ ــ ٧٢) ، وفى (أزاهير) نجد قصيدة (الحصان المقيد ص ٧٢ ، ٧٣) يقول فى (قلمى) :

هلــــم إلى يا قلمـــــى ... هلـــم فقــد طغــى ألمى
فأنت إذا أشرت يدى ... وأنت إذا صرخت فمـــى
وأنت نجى آهـــــــاتى ... وأنـــاتى ونـــبض دمـــى
وأنت إذا بكـــــيت أسى ... دموعى فضن فى كلمـــى
وأنت إذا صبـــوت هوى ... وغنـــيت الهوى نغمـــى
وأنت ملاذ آمـــــــالى ... إذا ضاقت بها هممـــى
أبثّك ما أنـــــوء به ... من الأرزاء والنقــــــم
فتصغــى لى بلا ضجـــر ... ولا ملــــــل ولا سأم
حملــتك فى سبيـــل الحق ... والآداب والــــــــقيم
وكـــنت ومـــا أزال بها ... رضيعـــا غير منفطــــم
أهيم بها وإن جرحت ... منـــاى وحطـــمت حلمـــى
وأعشقهـــــــا على الآلا ... م والضراء والسقـــــم
وأسرى فى ظلام الـــــدر ... ب مرفوعـــا بها علمـــى
كما سار الدليـــــل على ... ضيـاء النجـم فى الظلـم(١)

مع أن خصائص الوصف تقوم على تصوير ظواهر الأشياء من غير استبطان لأعماقها ، وتجاوب معها لهذا انصرف السنوسى عنه إلى الأغراض الحية النابضة ولم نجده إلا فى ثلاث قصائد . لكن الشاعر تجاوب مع القلم وكأنه صديق له ونجى يناجيه ويبث إليه آلامه فهو هواه ونغمه الشجى يبثه همومه ، فيصغى إليه بلا سأم ولا ضجر ، وهو خير من يحمل الأمانة فى سبيل الحق والعلم والآداب والقيم ، مهما لقى فى سبيل ذلك من العنت والآلام وتجشم الضراء والأسقام ، يسير إلى غايته مرفوع الجبين فى ظلام الليل وعقبات الحياة لتحقيق الهدف الواضح أمامه كوضوح النجم فى الظلام الدامس .

(١) الأغاريد : ٣٣/٣٥

فالشاعر جعل من القلم شخصا يحس ويتألم ويتحمل الأمانة ويدافع عنها فى سبيل الحق والقيم ، إنه إنسان عاقل له رسالة يؤديها فى الحياة كالشاعر تماما ولولا أن القلم لا يدخل فى مظاهر الطبيعة لقلنا بأن القصيدة من شعر الطبيعة لما فيها من تشخيص قوى نابض ، وهذه أهم سمات الوصف عند السنوسى .

ثامنا ــ الرثاء :

والرثاء هنا يسير على النمط التقليدى القديم غالبا ، على العكس من القصائد التى رثى بها الشاعر الملك فيصل فى (وافيصلاه) فقد غلب على القصيدة معالجة القضايا الاسلامية والعربية ، ولذلك أدخلتها فى غرض الشعر الاسلامى .

وكذلك قصيدة (العقاد العملاق) ، فقد أخضعها السنوسى بموهبته الشعرية وثقافته الواسعة إلى شعر الحضارة والفكر التقدمى المعاصر ، لذلك أدخلتها فى شعر الحضارة كما سبق .

أما غرض الرثاء فيظهر عنده فى (القلائد) مثل قصيدة (دمعة وفاء ص ٢٠٨ ــ ٢١١) فى ذكرى الفقيد محمد سعيد بامهير ، الذى كانت حياته فى جازان مثلا رائعا للتضحية فى سبيل الوطن ، ونموذجا ساميا من التفانى فى خدمة الصالح العام .

وفى (الينابيع) قصيدة (أبو حسن ص ٦٣ ــ ٦٦) يقول الشاعر فى مقدمتها (دمعة حزن وأنة أسى على فقيد الأدب والنبل والشهامة والمعالى المرحوم الشيخ محمد سرور الصبان الذى وافته المنية فى القاهرة بتاريخ ١٣٩١/٢/٢ هـ) يقول :

(أبا حسن) لا الحزن يجدى ولا الدمع ... وإن كان فى قلبى لوقدهما لذع
تصاممت لما قيل مات (محمد) ... سرور قلوب كم به جبر الصدع
فلما تبينت الحقيقة لم أجد ملاذا ... سوى ما سنـــه الله والشرع
إلى الله إنـا راجعون وكلنـا ... سيــذهب لا فرد سيبقــى ولا جمع
أبا حسن ما العمر إلا مسافة ... من المهد حتى اللحد غايتها القطع
مشيت إليها فى أناة وحكمـــة ... بخطو رصين لا غبار ولا نقع
وكـــنت المجلى سيرة وشمائـــلا ... يهيم بها الرائى ويعشقهـا السمع
مضيت كما يمضى الشجاع مخلفـا ... وراءك ذكرا دونه الومض واللمع
وأنت العصامى الذى شاد مجده ... بنفس لها فى كل مكرمة صنع
تساميت حتى بات كل مثقـف ... يجلك إجلال الهوى والهوى طبع
يرى فيك أخلاق الكرام تجسمت ... ممثلة يزهـو بها الأصل والفـرع
أبا حسن غاض السرور الذى جرى ... على كل قلب من تدفقه نبع
وضوع روض كان فى كل مهجة ... بك اتصلت يندى بها النبت والزرع

وهكذا إلى نهاية القصيدة فى وصف محاسن الممدوح الشخصية وشمائله التى اتصف بها فى حياته ، وعصاميته التى شاد بها مجده وخلقه الكريم الذى يتسامى به الأصل والفرع ، وغيرها من الصفات ، التى لا يجدى على صاحبها الحزن ولا يرده الدمع ، ولا يجبر الصدع ، وليس أمام الانسان إلا أن يلوذ بربه ويرجع ، ويصبر ولا يجزع فالبقاء لله وحده سبحانه وهذه صفات فردية تتصل بشخص المرثى ، ولم يصورها الشاعر فى قيم مطلقة بل كان الحزن فى الرثاء يتجه إلى شخصه لا إلى الاشادة بالقيم وتمجيدها لذاتها ، كما فى قصيدة رثاء الملك فيصل والعقاد وغيرهما ، وعلى ذلك يكون هذا الغرض الأدبى من الأغراض القديمة التى سار فيها الشاعر على منهج القدماء فى فن الرثاء .

تاسعا ــ الهجاء :

والهجاء عند السنوسى من الأغراض التى تناولها فى شعره ، لكن فى ثوب جديد يخرج عن الهجاء التقليدى عند القدماء ، لأن الشاعر لا يهجو شخصا بعينه ، ولا يهجو بألفاظ واضحة فى السباب ، أو صريحة فى الشتم ، فيهجو الانحراف الذى يخالف ما عليه المجتمع من تقاليد وعادات ، ويذم التفسح الذى يخرج به عشاقه عن العرف السائد ، وذلك فى قصيدته (القدر الفنان) يقول فى مقدمتها : (رمزنا بها إلى بعض الشباب المتفسح)(١)

رأيته وهو يمشى مشى فنان ... كأنه فارس فى وسط ميدان
يهز عطفيه إعجابا بحلته ... ويمسح الشعر من آن إلى آن
فى (بدلة) تبرز الأعطاف ماثلة ... أركانها وزواياها (كفستان)
فقلت ماذا أرى يا قوم هل مسخت ... طباع صحبى وإخوتى وأقرانى
إنى أرى بينكم قردا فكيف أرتى ... وكيف ألبستموه لبس إنسان
فقال شيخ طريف الروح يعجبه ... حبك الفكاهة فى جد وإتقان
لا يا أخى إنه (قرد) مثقفة ... أخلاقه عبقرى الفكر والشان
وسوف تسمع منه كل رائعة ... من البيان المصفى والنهى البان
(فكان ما كان مما لست أذكره) ... من الهراء ومن إسفافه الدانى
فقلت للشيخ إعجابا بنكتته ... وبالطرافة فى أسلوبه القانى
القرد قرد وإن رقت شمائله ... وإن تعلم نطق الإنس والجان
تراه يرقص فى جد وفى هزل ... ليضحك الناس منه مثل (طرْزان)
يلغو ويلهو ويأتى من عجائبه ... بالمضحكات كأحلى قرد فنان

---

(١) أزاهير : ١٥/١٦

فالسنوسى هنا ساخر أكثر منه هجاء ، وهجاؤه ليس على النهج التقليدى من التصريح بالمهجو حتى يلصق العار باسمه وشخصه ، ولم يتخذ ألفاظ السباب والقبح والفحش مادة لتصويره الأدبى ، وإذا اضطر إلى ذلك اكتفى بالتكنية والرمز والايحاء إلى ما يريد فى لفظ عف ، وتعبير غير مسف ، يترفع السنوسى عن ذكره فيقول مثلا (فكان ما كان مما لست أذكره) .

وكذلك فالشاعر أدار حوارا فى الهجاء بينه وبين شيخ صاحب تجربة وخبرة فى السخر والفكاهة ، ليفيض شعره بالحركة والحيوية ، ويكون أقدر على تصوير السخر وأوقع فى النفس .

وكذلك جعل الشاعر الهجاء فى قضية عامة ، طرحت على العرف السائد فى عادات قومه وتقاليدهم ، فهو يهجو القضية ذاتها ، ولا يهبط إلى هجاء شخص بعينه ولا إنسان باسمه ، وإنما يهجو صورة هذا التغير ، ويسخر من ذلك التطور ، الذى خرج على عادات قومه وتقاليدهم .

والسخر أقوى من الهجاء فى الشعر ، بل هو المرحلة المهذبة من مراحل تطور الهجاء فى أدبنا العربى ، لأن الهجاء شتم وإقذاع للتشفى وردع الخصم بألفاظه المعروفة بلا حجة ولا تعليل ، فالمهجو هكذا أمره من الأوصاف الخبيثة مما لا يحتاج إلى برهان .

أما السخر فهو هجاء يقوم على المقدمات والأسباب ، ويستقر فى النفس عن تعليل وتدليل ، ويأخذ بالقلب والعقل معا عن حجة واقتناع .

وابن الرومى كان يمثل مرحلة التطور فى الهجاء العربى ، حيث تطور الهجاء على يديه فى بعض القصائد والمقطوعات إلى السخر ، وإن ابن الرومى قد برع فى الهجاء المكشوف ، والبذىء فى قصائد أخرى ،لكنه يعد أول شعراء العرب الذين نقلوا الهجاء إلى طور آخر أسمى منه وهو (السخر) ، وشعره الساخر اشتهر بين الأدباء والنقاد ومنه قوله فى البخيل :

يقتـــــــر عيسى على نفسه وليس بباق ولا خالـــد
فلـــو يستطيـــع لتقـــتيره تنفس من منخـــر واحـــد

ولقد ميزت بين الهجاء والسخر والضحك والعبث واللعب بصورة واضحة ، حتى لا اضطر إلى التكرار(١) .

عاشرا ــ الأناشيد :

للسنوسى مهارته الشعرية فى الأوزان الخفيفة العذبة السائرة ، والتوقيعات الموسيقية ، التى تحمل المعانى الانسانية والوطنية ، والاسلامية ، فيتغنى بها أبناء الوطن لخفتها وعذوبتها ،وما تحمل

---

(١) البناء الفنى للصورة الأدبية فى شعر ابن الرومى : للمؤلف

من شحنات قومية ووطنية وإسلامية ، وما تهدف إليه من سمو الهدف ورفعة المقصد ، وذلك فى أناشيده التى سارت مع الزمان والمكان فى المناسبات الوطنية والرسمية ، مثل (نشيد الجيش العربى السعودى) :

نحن أبطـــال الجزيـــره المثنـــــــى والمغيره
نحن جيش الحق والحق علـــــم
قد رفعنـــــاه على أسمى القمـــــم
وجعلنـــــاه منـــارا للأمـــــم
نحن أبطـــال الجزيـــره المثنـــــــى والمغيره

نحن جيش وحد الله ولبى وأجاب الدعوه الكبرى وهبـــا
ومضى يضرب فى الآفاق ضربا فى سبيل الله جل الله ربا
نحن أبطـــال الجزيـــره المثنـــــى والمغيـــــرة(١)

وكذلك نشيد (الحرس الوطنى ص ١٠٥ — الينابيع) ، ونشيد (طلبة مدارس الحرس الوطنى ص ١٠٦ ، ١٠٧ — الينابيع) .

وله أناشيد أيضا فى ديوانه (نفحات الجنوب) مثل (نشيد العروبة ص ١٢٧ ، ١٢٨) ، ونشيد (الفرسان ص ١٢٩) ، ونشيد (فرحة العيد ص ١٣٠) ، يقول فى (نشيد العروبة) :

أحب الحجـــــاز أحب اليمن ونجدا أحب وأهـــــوى عدن
وأعشق لبنـــان مأوى النجـــوم وأهـــوى الكنانـــة أخت الهرم
بلادى بلاد الهدى والشيم
وفـــاس ووهـــران والرافديـــن وعمـــان والقـــدس صنـــو الحرم
وأصبـــو إلى جلـــق والكـــويت وأهـــوى المنامـــة ذات الخضم
بلادى بلاد الهدى والشيم
بلاد العروبـــة أنى تكـــون بلادى العزيـزة ابنـــا وعـــم
أحب هواهـــــا وشطـــآنها وأهـــوى منـــازلها والقمـــم
بلادى بلاد الهدى والشيم
وصنعـــاء صنعـــاء ذات الـــذرى ومسقـط مهـوى النـدى والكـــرم
يرف على جانـــــبيها الشذى ويهفـو الصبـــا نحوهـــا والـــنسم
بلادى بلاد الهدى والشيم(٢)

(١) الأغاريد : ٩٧/٧٧
(٢) نفحات الجنوب : ١٢٨/١٢٧

الحادى عشر ـــ الشعر الوطنى :

وتناول السنوسى فى الشعر الوطنى بناء الوطن السعودى والسمو به فى منازل الرقى والحضارة وحث أبنائه على المشاركة فى البناء والاسهام فى التقدم ، والعمل المتواصل فى المشروعات الضرورية التى تدفع بالأمة إلى الرخاء والكفاية . واشتمل ديوانه (القلائد) على قصيدة (نداء ص ١٠ ، ١١) لأبناء المملكة العربية السعودية ليشاركوا فى فجر النهضة يقول فى مطلعها :

بنى وطنى إنا على فجر نهضة ... تصد الدجى أنى تدجى وتصدع

ومنها :

مضى السلف الأبرار يعبق ذكرهم ... فسيروا كما سار على الدهر واصنعوا
وما الفخر بالماضى إذا لم يكن له ... من الحاضر الزاهى بناء مرفع
خذوا بأكف الأسد من أسهم العلى ... نصيبا فإن الحاضر اليوم أوسع
يد الدهر لا تسخو بمجد لعاجز ... ضعيف ولا تندى ولا تتبرع
وما قيمة الأوطان إن لم يكن لها ... (رجال) يلوذون الشقاء لينفعوا
جرت حكمة الدنيا على الناس أنها ... تصد لمن صدوا وتسعى لمن سعوا
حصدنا الضنى لما زرعنا له المنى ... وجل حصاد المرء من حيث يزرع(١)

وقصيدة (قطوف وأصداء) قالها الشاعر بمناسبة أنباء المشروع الزراعى فى جازان ، التى كانت حديث النوادى والأسمار ، واستحوذت أصداء هذا المشروع على اهتمام الجمهور ، لما ينطوى عليه من بشائر النهضة والعمران ، ومن خلجات القلوب المتعطشة إلى الحياة السعيدة والمجد الأثيل ، فكانت هذه القصيدة تحية للفجر المرتقب والأمل المنشود يقول فيها(٢) :

أمل لاح فى سماء الوجود ... ذهبى السنا زكى الورود
لبسته تألقا وأذالت ... فيه (جازان) ضافيات البرود

ومنها :

شاقها مولد (النهوض) فهبت ... تتبارى إلى احتضان الوليد
وجلته طوالع اليمن والمجد ... وحفت به نجوم السعود
وأظلت (رؤاه) أضواء (فجر) ... لغد أسعد وعيش رغيد

---

(١) القلائد : ١١/١٠
(٢) القلائد : ٣١/٢٤

هاتف فى مواكب (النهضة الكبرى) وفى مطلع النجاح الأكيد
يعلن الفرحة التى أعلنته بلسان العلى رجال السدود
تلك بشرى النهى بإقبال عصر من عصور التقدم المنشود
أشرقت فى جلاله الأرض بشرا ومشت فى ركابه المشهود
إنما هذه (الزراعة) أصل لفروع ولبنة لمشيد
فى تضاعيفها بشائر مشروع لعذب من المياه برود
أصبحت كالجنان وارفة الظل على منهل شهى الورود
نحن فى فترة التطور والتكوين والانتقال والتجديد
فاحشدوا حولها الكفايات وامضوا حسرا عن سواعد من حديد
واستحثوا الخطى هوى واشتياقا نحو مستقبل أغر مجيد

وقصيدة (آل سعود فى التاريخ) يشيد فيها بآل سعود وما حققوه للوطن من مجد وتقدم ورقى وحضارة بعد كفاح طويل وجهاد فى سبيل الله ، يقول[1] :

عرش على الشرق للدنيا وللدين أشم يختال بالشم العرانين
مدعم بالهدى والحق متشح بالنور يسطع من وحى وتلقين
أحيا النفوس وأجرى فى أعنتها روح التحرر من غل الشياطين
سما (بآل سعود) فرعه ورسى بهم على الدهر فى عز وتمكين
أبطال معركة الاسلام فى زمن مضرج بالضحايا والقرابين
يضمخون ثرى الأوطان من دمهم عطرا ويفدونها من كل (نيرون)
وينثرون على الآفاق (أمثلة) من الشمائل عطراء الرياحين
بعرشهم رفع الاسلام رايته على الجزيرة خضراء الأفانين
وأشرق الحق كالصبح المبين سنا وأصبح العدل مضبوط الموازين

إلى آخر القصيدة وقد اقتصرت على بعض أبيات منه ، وكذلك قصيدة (القهر) ، وهو جبل يبلغ ارتفاعه حوالى (٢٩٠) كيلو مترا ، وقد اشتهر هذا الجبل بصعوبة مسلكه ، ووعورة أخلاق ساكنيه ، وهم قبائل بدوية تدعى الريث ، لعبت فى تاريخ الجنوب أدواراً عديدة غايتها السلب والنهب وكان آخرها حركة التمرد والعصيان التى قامت بها القبائل عام ١٣٧٥ هـ فى عهد جلالة الملك سعود المعظم ، وهذه القصيدة صدى من أحداث الماضى والحاضر[2] ومنها :

(١) القلائد : ١٢٤/١٢٩
(٢) القلائد : ١٥٠/١٥٧

أدر اللحـــن رائعـــا جبـــارا كصدى (الرعـد) يملأ الأقطـارا
وأتـل من رائـــع البطـــولات فصلا عربيـا يخلـد الأشعـــارا
إنــه موقــف يلـــوح محيـــاه جلالا وعـــزة وانـــــتصارا
قهـر (القهـــر) غازيـــا ومـــغيرا وأذل الـــــــعصاة والأشرارا
أوقـــدوا فتنـــة فكـــانت وقـــودا للظاهـــا تأججـــا واستعـــارا
أيقظت فى (تهامة) و (عسير) أنـــفسا حرة وقومـــا غيـــارا
عقـــدوا الرايـــة السعوديـــة الخضراء وساروا فى ظلهـــا أحـــرارا
يعلنـــون الـــولاء محضا لعــــرش رفــــع الله سمكـــــه وأدارا
أقبلـــوا فى قبائـــــل وحشود تخذت حبها (سعـــودا) شعـــارا
إنها دولـــة لها جعـــــل الله من الحق والحق أنصارا
هى لم تأهم أنـــاة ولم تب خل عليهم رويـــة واصطبـــارا

إلى آخر القصيدة وقد اقتصرت على بعض أبيات منها ، وهى تصور رأب الصدع فى هذا الجبل وعودة الريث إلى المشاركة فى بناء الوطن الحبيب .



التصوير الأدبى فى شعر السنوسى

خلعت صحافة المملكة العربية السعودية على شاعرها السنوسى « شاعر الجنوب » فهو بحق رائد من رواد الشعر الحديث فى المملكة ، ورائد الشعرِ فى الجنوب منطقة عسير . يقول أحد رواد الشعر الحديث فى المملكة يصف زميله فى الريادة الحديثة وهو الشاعر الكبير محمد حسن عواد يصف السنوسى :

ولطالما عبق (الجنوب) وطالما صدح (الجنوب) بلحنه وترنما[1]

وهذه المنزلة السامقة ترجع إلى موهبته الشعرية الرائدة ، وشاعريته القوية المتدفقة ، فقد كان أكثر شعراء الجنوب شعرا ، إذ صدر له حتى الآن خمسة دواوين : القلائد ــ الأغاريد ــ أزاهير ــ الينابيع ــ نفحات الجنوب ، وما زال ينشر الجديد من شعره فى الصحف والمجلات والندوات حتى الآن . يقول عنه صاحب مجلة (المنهل) الأستاذ عبد القدوس الأنصارى :

(قدم الصديق الأديب الأستاذ محمد بن على السنوسى من جازان وهو شاعرها) . ويقول الشاعر محمود عارف : (فى ندوة سمر ساحر جمعتنى دعوة كريمة من الأستاذ الجليل عبد القدوس الأنصارى صاحب مجلة(المنهل) بصفوة من الشعراء والأدباء السعوديين فى حفلة أقامها فى داره العامرة ليلة الجمعة الموافق ١٣٧٦/٦/٢ هـ تكريما **لشاعر الجنوب** الأستاذ محمد بن على السنوسى)[2] .

ولقد كان للديوان الأول (القلائد) وحده صدى عميق فى أرجاء العالم العربى ، هز به مشاعر الأدباء والنقاد والشعراء حتى أخذ منزلته السامية بين شعراء العصر الحديث المجددين على مستوى العالم العربى ، يقول عنه الشاعر الدكتور مختار الوكيل :

(إن شعر السنوسى يمتاز بذلك الصفاء الروحى الأصيل ، ويبرز لنا صوفية عذبة رقيقة مستحبة ، ولعله أقرب ما يكون شبها بشاعرين من إخواننا الشعراء المصريين هم الأستاذ حسن كامل الصيرفى ، والأستاذ صالح جودت ، وهما من رفاقى فى رحاب أبولو)[3] .

ويقول الأستاذ عبد القدوس الأنصارى أيضا :

---

(١) جريدة البلاد : ١٣٧٤/١١/١٧ هـ

(٢) مجلة المنهل : جمادى الثانية ١٣٧٦ هـ

(٣) نفحات الجنوب : التقديم

(هو شاعرنا الذى تعتز به المملكة العربية السعودية ، وتضعه فى الصف الأول من بين شعرائها الأبرار .. شعراء الشباب المبدعين .. شعراء الأدب الرفيع ، واللسان العف ، والضمير النقى من الشوائب والأوضار)[١] .

والسنوسى الشاعر فى مدرسة التجديد المحافظ هو خير من يسير على المنهج فى المذهب الأدبى لهذه المدرسة الجديدة فى الشعر السعودى الحديث ، فهو فى تجديده يحافظ على الأصالة العربية الاسلامية فى المعانى والأغراض — والألفاظ والأساليب ، والنظم والتراكيب — والخيال والصور — والوزن والقافية — والاتجاه والمذهب — وسوى ذلك من خصائص هذه المدرسة التى سبق أن وضحناها بالتفصيل .

خصائص الألفاظ والأساليب :

والسنوسى مع تطلعه المستمر إلى التجديد يحافظ على أصالته العربية الاسلامية فى شعره ، فما زالت ألفاظه جزلة فخمة قوية ، وكلماته عذبة سهلة منسابة كانسياب الماء الصافى الزلال ، وأساليبه متينة محكمة ، وتراكيبه رصينة متلاحمة ، ونظمه دقيق متفجر بالمعانى والايحاءات الشاعرية . يقول الأستاذ محمد سعيد العامودى :

وأعتقد أن لثقافة السنوسى المتعددة الجوانب أثرها فى شعره بصورة عامة إلى جانب موهبته الفنية المعطاءة ، ولعله من هنا يبدو لنا ما نلمسه فى شعره غالبا من نبض فى الأسلوب ، وحيوية فى الألفاظ وعمق فى المعانى ، وسمو فى الأغراض)[٢] .

فالأسلوب النابض هو المتدفق بالمشاعر ، والمتفجر بالشاعرية والألفاظ الحية هى التى أخذت مكانها من النظم ، فمنحها الحركة والحيوية ، وانتقلت بذلك إلى عالمها المحس لا المجرد فى أوضاع اللغة مع سلامتها من الوحشية والغرابة ، وتنافر الحروف وثقلها . لأنها نبعت من عاطفة شاعر متمكن فى اللغة .

« ما أروع الشعر ، ينبع من عاطفة شاعر متمكن فى اللغة ، جامع لأعنة الأسلوب العربى الرائع ، مع سعة أفق وذهن وإخلاص مبدأ ، وصدق عاطفة ، وصحة بيان .

وهذه الصفات اللامعة احتشدت كلها فى هذا الديوان الأغر (القلائد) الذى يخرجه للناس شاعر ضليع ، ذو قوة فى البيان وإشراقة فى الفكر ، وروعة فى المنطق ، وجدة فى الأسلوب »[٣] .

---

(١) مقدمة القلائد : ص — ذ

(٢) مقدمة الأغاريد : الأستاذ محمد سعيد العامودى — ل

(٣) مقدمة القلائد : الأستاذ عبد القدوس الأنصارى — ز

وحينما نقلب النظر فى تأمل مع ما ذكرناه من شعره ستقف على هذه الخصائص الفنية للألفاظ والأساليب ، ولا يمنع هذا من وضع اليد والحس عليها هنا من خلال هذه الأبيات لنؤكد ما سبق ولنشخص المعالم بالتحليل والنقد ، يقول السنوسى فى الطبيعة :

يا ربا لج بى هواها فما ينـ ـفك نشوان من هوى ملحـاح
كم ترشفت من جمال لياليك فتونا من الصبا والمراح
وتنشقت من جلال مجاليك فنونا من الشذى الفواح
فى الدجى والنجوم تغزل أحلا م العذارى على صدور البطاح
والضحى والغيوم ترسم فى الوا دى ظلالا ندية الأدواح
والنسيم النشوان يحتضن الزهـ ـر رقيقا كطيبة الفلاح
الذى قلبه أرق من الطل وأصفى من الزلال القراح

إلى قوله :

كلما ضنى دجاك ورقت نفحات الصبا على الأدواح
وانتشى الكون بالعبير وراح السيل يختال فى السهول الفساح
يغمر الأرض بالنعيم غزيرا ويهز القلوب بالأفراح
نعمت روحى الكئيبة بالصفـ ـح وصحت من الأسى والجراح[1]

ترى الجزالة والفخامة فى الألفاظ ، فى موسيقى قوية تدخل الآذان بلا استئذان فى : (نشوان ــ ترشفت ــ فتونا ــ الصبا والمراح ــ جلال مجاليك ــ الشذى الفواح ــ أحلام العذارى ــ صدور البطاح ــ ندية الأدواح ــ النسيم النشوان ــ الزلال القراح ــ إلى آخره من الألفاظ) .

وكذلك التراكيب محكمة رصينة ، والأساليب قوية متماسكة فلا ترى فيها قلقا ، ولا اضطرابا ، ولا ضعفا ولا تهتكا ، ولا لحنا وسوقية .. فالنجوم تغزل أحلام العذارى على صدور البطاح ــ والضحى والغيوم ترسم فى الوادى ظلالا ندية الأدواح .. وهكذا وهكذا .

أما صور الخيال التقليدية فى هذا النص فناهيك عنها ، انها تطل برأسها فى كل بيت ، فالصور القديمة نراها فى (يا ربا لج بى هواها) ــ (ترشفت من جمال لياليك) ــ (فتونا من الصبا والمراح) ــ (تنشقت من جلال مجاليك فنونا من الشذى الفواح) ــ (تغزل أحلام العذارى على صدور البطاح) ــ (ترسم فى الوادى ظلالا ندية الأدواح) ــ (والنسيم النشوان

---

(١) الأغاريد : ٢٣ ، ٢٤

يحتضن الزهر) ــ وهكذا تكون الخصائص الفنية التى تدل على الأصالة الأدبية فى الألفاظ والأساليب والصور القديمة . وأقرب شعره إلى الأصالة العربية الذى تسير على منهج الفحول من الشعراء القدامى ديوانه الأول (القلائد) يقول فى (شذى الرياض) ، منها :

هب نفح الصبا فقم حى نجدا — وتنشق شذى الرياض المندى
واعتصر من هواك لحنا ذكيا — ريقا كالنسيم صفوا وبردا
وتمهل فهذه جلبة الشعر — ومجرى الجياد قبسا وجردا
سرح الخاطر المشوق وجدد — (امرأ القيس) والنوابغ عهدا
تلك آثارهم وهذى مغا — نيهم وروض الشباب ما زال يندى
كلما هبت الصبا هبت (الروح) — طيوفا وردد الفكر أصدا
نفحات من الفراديس رفت — أقحوانا وأرجوانا ورندا
عب منها الهواء عطرا وذابت — فوق صدر الفضاء مسكا وندا
أرج شيق العبير وروح — عطر الكون بالجمال وندى
يسكب النور والعطور ويضفى — من ظلال النخيل والروض بردا

حى لحن الصباح وأبسط ذرا — عيك وضم النسيم شوقا ووجدا
وامتزج بالصبا الشغوف وقبل — نفسا قبل الخمائل خدا
نسج الفجر فى غلائله الطل — وجاك السنا حريرا وسدى
واصطفاه (رسالة) من ربا — نجد وأنفاسها سلاما وودا
ترد (النيل) و (الفراتين) و (الأر — ز) و (غمدان) و (الخليج) و (بردى)
وترود الضفاف تهمس (للزيتو — ن) نجوى و (للجزائر) وعدا[1]

وهكذا إلى نهاية القصيدة (وهى طويلة) تعود بنا إلى عصر أبى تمام والبحترى وابن المعتز والمتنبى وغيرهم من فحول الشعراء .

الوزن والقافية :

السنوسى يعشق أوزان الخليل وقوافيه ، ويعد الخروج على عمود الشعر فى الموسيقى تمرداً على الأصالة ، وتمزقاً لطبيعة الشعر الأصيل المتميز على النثر الأدبى ، والشعر المنثور ، وإذا ما تجوز فى موسيقاه ، كما يتجوز شعراء عصره ، نراه ينزل إلى مستوى الموشحات الأندلسية كالمخمسات ،والمقطعات الشعرية ، التى تختلف فيها القافية فى كل مقطع مع الاحتفاظ بالبحر

---

(١) القلائد : ٨١/٧٦

العروضى حتى نهاية القصيدة فى كل المقطعات ، هذا أقصى ما يخرج به الشاعر عن السمت الخليلى ، وذلك مثل قصيدة (عودة الماضى) تسير على نظام المقطعات وسبق ذكرها(١) ، وقصيدة (أتمنى)(٢) وقد مرت هى كذلك .

ولا يكتفى السنوسى بالمحافظة على القالب الموسيقى ، والالتزام به فحسب ، بل كثيرا ما يقلقه الخروج عليه ، والتمرد على الخليل بن أحمد ، من شعراء التفعيلة الذين يطيرون وراء كل هيعة ، ويرددون صدى كل ناعق ، فيهجم عليهم وعلى عشاق الشعر الحر ، تارة بالافصاح عن اللحن الشعرى القوى الذى يعبر فيه الشاعر عن أصالته العربية فى الشرق والغرب :

نغمة من لغـة الانسـا ن فى شرق وغـــرب
يفهــم القـــلب معانيـــهـــا بلا حرف ولا كتب
ويـــعيها غير محتـــا ج إلى ضم ونصب
وإلى أنغامهـــا الحلـــــ ــــوة يهفـــو ويلبـــى
وينـــاغيها إذا ناغت بتحنـــان وحـــدب
إنها أفصح من أفـــــصح شعــــر المتنبـــى
إى وربى إنـــه ابنـــى إنــه (عصفـــور قلبـــى(٣)

ويعبر عن أصالة الشاعر أيضا فى قصيدته (الكلمات والشاعر) :

فى عالم الكلمـــات دنيـــا للشعـــر والشعـــراء عليـــا
فى ظلها للفكــر منطلـــق ولـــــلأرواح لقيـــــا
فى عالم الكلمـــات دنيـــا سقيـــا لها منـــى ورعيـــا
كم بت فى أحضانها أستلهـــم الأضواء وحيـــا
وأساهـــر الأشواق منطلقـــا بها فكـــــرا ورأيـــــا
وأذيب أنفـــاسى وأمزجهـــا بها راحـــــا وأريـــــا
وأزفهـــا للظامـــئين حيـــا وللغافـــــقين وعيـــــا
والشاعـــر الفنـــان دنيـــاه من الكلمـــات تحيـــا(٤)

وتارة يتفجر السنوسى ثائرا على الشعر الحر ، وعلى شعراء التفعيلة ، والخارجين على الشعر

---

(١) القلائد : ٤١/٣٤
(٢) أزاهير : ١٢/٩
(٣) الأغاريد : ٥٧/٥٥
(٤) مجلة الأديب : ١٣٩٤هـ

العمودى ، وذلك فى ثورة عنيفة ، ولهيب مشتعل ، شاعرا وناقدا ومؤرخا وثائرا . يقول فى قصيدته (الشعر الحر)(١) :

لا العود عودى ولا الأوتار أوتارى … ولا أغاريدكم من شدوى وأطيارى
من أين جئتم بهذا الطير ويحكمو … لا الريش ريشى ولا المنقار منقارى
إنى أرى فى جناحيه وسحنتــــه … سمات (اليوت) لاسيماء (بشار)
وصرت أسمع ألفاظـــا مقلقـــلة … طرق المسامير فى دكان نجار
ألبستمـــونى ثيابـــا لا تشرفنــى … كأنها فوق جسمى حبل قصار
سود وحمر وصفر لا انسجام لها … كرسم (بيكاس) يعى فهمه القارى
ماذا تقولون : تجديد ؟ لقد هزلت … وسامهـــا كل مهـــذار وثرثـــار
ما الشعر ؟ هل هو ألفاظ مسيبة … بلا قيـود ردىء للمنطـق الهارى
الشعر هندسة كبرى تكـاد ترى … فى النسج واللفظ منه روح فرجار
والوزن للشعر روح وهى إن فقدت … أضحى جسادا بلا حس كأحجار
قصيدة النثر مثل المشى جامـدة … والشعر كالرقص فى سيقان أبكار
ورب حرف صغير الشأن يرفضه … لحن المشاعـــر فى ترنيم قيثـــار
تأبى الحروف التى صيغت نماذجها … من رعشة الروح فى أعماق أسرار
إن تلتقى معكم فى سبق خاطرة … عرجـاء تحجـل فى ميثـاء مهيار
لكـــل فن أصول يستقــــل بها … شتـان ما بين سبـــاك وعمـــار
تبينـوا بعض ما تبغـون وانطلقـوا … فى الروض ما بين أزهار وأثمار
وجنبونـــا غثـــــاء لا جمال له … ولا رواء ولا يوحـــى بإكبـــار
إن كان لابـــد من فن نجدده … فجـــددوا فى مضامين وأفكـــار
وأنطقـوا الصخـر فى ترنيم قافيـة … كرعشة الضوء فى لمع السنا السارى
حريـة الشعـر فى إشراق فكرتـه … وفى تساميـه عن لغـو وإقـــذار
وأن يكون لكم فى كل معترك … رأى جهير وعـــــزم غير خوار
أمـا كفـى أننا فقـــر ومخمصة … نستورد الغرب نيكلا بخسا بدينار
والشعـر نور ونـار والنفـــوس لها … طبع الفراشات عشق النور والنار
ورب ذى قلـم أعطـــى لأمتـــه … ما ليس يعطيه فيها نهرها الجارى

فالسنوسى شاعر عمودى ، يسير على درب القدماء فى المحافظة على البحر العروضى الخليلى ، والالتزام بالقافية ، لأنها روح الشعر ، ودونها يكون جسدا بلا روح ، وجمادا لا يشعر

---

(١) الينابيع : ٩٦/٩٨

ولا يحس ، بل نثرا يقوم على توقيعات جامدة أشبه بالمشى الذى لا يثير انتباها ، ولا يوقظ حسا .

أما إيقاع الشعر فهو كرقص الغادة ، تعزف بسيقانها موسيقى شجية تثير المشاعر ، وتستلهم الوجدان ، لأن الشعر هندسة كبرى ، وانسجام بين الألفاظ بعضها مع البعض الآخر ، وترابط بينها وبين معانيها .

بينما الشعر الحر يقوم على حشد الألفاظ بلا روابط وانسجام بين إيقاعاتها ومعانيها ، بما يتجافى مع طبيعة الشعر ، ومنطق العقل ، لأنه غريب على الذوق العربى الأصيل ، يحمل فى طياته سمات الغرب ، وينزف بدم (اليوت) لا بسمات الشرق ونشره الفواح ، الذى يعبق الدنيا بطيب (بشار بن برد) ، فالشعر الحر ثرثرة وهذر وغثاء لا روعة فيه ولا جمال ، ولا رواء ولا إكبار ، وإذا كان للشعراء من دور لابد منه فى التجديد ، فليتسابقوا ويتنافسوا إلى التجديد فى المنهج والمضمون ، لا فى اللغو والعبث ، وليتباروا فى المعانى البكر ، والأفكار الجادة البناءة ، لا فى هدم مبانى الشعر ، وتمزيق طبيعته ، ليكون الشعر جنديا ، يدفع بالأمة إلى الحضارة والرقى فى عزم وشجاعة وقوة ، لنحافظ على الأصالة العربية الاسلامية ، ونترفع عن التقليد الأعمى للغرب فى كل شىء ، بما لا يتناسب مع الروح الشرقية وعراقتها ،فقد كان الشعر ولازال ناراً ونوراً ، وينبغى أن يكون كذلك ، لأن الانسان لا يزال يعشق نور العلم ، ويدفع عن نفسه بنار الحرب ، فكثيرا ما أعطى الشعر ، ولا يزال يعطى الشاعر لأمته لبناء الأخلاق والأجيال ، أكثر مما تعطيه الأرض من الطعام والشراب فهما معا قوام الحياة وركيزة الحضارة الانسانية .

وبهذا يحافظ السنوسى فى مذهبه الأدبى على الأصالة العربية الاسلامية فى شعره ، كما رأينا ، وهو فى نفس الوقت يعشق التجديد فى المضمون والمعانى والأفكار ، والمغازى والأغراض ، والخيال والصور . وسبق الحديث عن التجديد فى الأغراض ، فقد لبست معظمها ثوبا جديدا قشيبا فى معانيها ومضامينها وموضوعاتها وغايتها ومغزاها . وسنتحدث عن التجديد فى الخيالات والصور الأدبية فى مجال التصوير الأدبى .

التشخيص فى التصوير الأدبى :

خيال السنوسى بعث الحياة فى المعانى والمجردات ، وحرك الأفكار والجمادات فى صور أدبية حية تموج بالحركة والحياة ، وتنبض بالحيوية والقوة . وتشع منها الألوان والأضواء والظلال ، وترتسم فى شكل يتناسب مع طبيعة الغرض ، وحجم يتفق مع المغزى وغير ذلك من عناصر التصوير الأدبى الغنى بالخيال الخصيب العميق .

فالجبل (فيفاء) ليس صخرا ولا حجرا ، ولا ترابا ولا مدرا ، ولكنه بخيال الشاعر إنسان

قوى يتحدى العواصف والزلازل ، وشجاع شامخ يصاول العوالى والمعالى ، يترفع عن الأرض وهو منها وعليها ، ليعشق النجوم فى السماء وهو غريب عنها وتحت ظلالها ، ويزاحم فى ذلك كواكب السماء ، وهم أحق وأجدر بمن فى الأرض .

مهابته مشرئبة فى صلف وغرور ، وشموخ وكبرياء ، قد تجلت هامته بالخضرة اليانعة ، وتعممت بالزهور الفواحة ، وهكذا يكون دور الخيال فى التشخيص وبعث الحياة وبث الروح يقول السنوسى :

(جبل) تعشق النجوم مجاليه ... وتصبو إلى ذراه العوالى
يزحم النيرات منكبه الضخم ... ويحتله بالسها والهلال
مشرئب إلى السماء برأس ... صلف فى شموخه متعال
أخضر السفح أزهر السطح مصقو ... ل الحواشى زاهى الربى والتلال[1]

فعناصر التصوير الأدبى تظهر فى الحركة المتجددة فى استمرار من استعمال الفعل المضارع (تعشق — تصبو — يزحم — يحتك) الذى يدل على الحدوث والمستقبل والاستمرار ، وتظهر فى الألوان الزاهية : فى خضرة المجالى وذرى المعالى والسفح الأخضر ، والسطح الأزهر ، وصقل الحواشى ، وزهو الربى والتلال ، ولمعان السها ، وبريق الهلال ، وتظهر فى حجم الجبل فهو ضخم من الرواسى يتربع على الأرض متطلع إلى المعالى وإلى السماء ، وتظهر فى شكل (فيفا) فهو إنسان لا جبل له منكب يشرئب برأسه فى شموخ وتعال وكبر وصلف وغرور قد تعممت هامته بالخضرة ، وفاحت منها نشر الزهور ، وهكذا أحكمت الصورة الأدبية بعناصر التصوير الشعرى التى تثريها بالألوان والأضواء والحركة والحجم والشكل[2] .

أما ليل السنوسى فى الريف غير الليل فى المدن ، فهو ملك ضافى الجناحين يضم الحياة والأحياء فى دفء وحنين ، يسرى إلى النفس ليداعب العينين بالنوم ، وهو فيلسوف فى سكونه ووقاره ، يتأمل ويتدبر أحوال الناس فيطرق عجبا وخجلا من هفواتهم ، وهو شاعر عبقرى سابح فى وحيه وإلهامه ، لا يدرى عن عمره شيئا ، وهو طاهر متجرد عن المفاسد والمعاطن ، وعاشق ذاب غارقا فى حبه ، لا يعنيه شىء كان أو لم يكن ، وهو صامت يحلق بالأرواح فى العالم الغنى بالجمال ، يسرى هدوؤه وسجوه بين الأحشاء فى نعومة وصفاء ، ليؤلف بين روح السماء

---

(١) الأغاريد : ٢٧
(٢) ميزت بين الروافد فى الصورة الأدبية وبين العناصر فيها — انظر كتابى : الصورة الأدبية — تأريخ ونقد ، دار الحارثى بالطائف عام ١٤٠١ هـ

وجسم الأرض متجسدا فى أسمى المعانى وأروع الصور . يقول السنوسى فى (الليل فى الريف)[1] :

الليل فى الريف غير الليل فى المدن فافتح ذراعيك للأرياف واحتضن
واستقبل الليل فيها إنه ملك ضافى الجناحين يغرى العين بالوسن
كأنه فيلسوف مطرق عجبا مما يرى فى حياة الناس من درن
أو شاعر عبقرى الفكر منغمر فى لجة الوحى لا يدرى عن الزمن
أو خاطر فى ضمير بات منفصلا بطهره ومزاياه عن الإحن
أو عاشق غارق فى حب فاتنة فليس يعنيه شىء كان أو لم يكن
صمت يحلق بالأرواح فى أفق من الكون ثرى بالجمال غنى
يضفى الهدوء عليه من نعومته صفو يضىء به الاحساس فى البدن
وتلتقى فى معانيه وصورته روح السماء وجسم الأرض فى قرن

الروح الاسلامية فى التصوير الأدبى :

الخيال فى الشعر قد ينحت صوره الأدبية من صُخور الطبيعة وجبالها وأنهارها وبحارها ، وأرضها وسمائها ، وطيورها وبلابلها ، وزروعها وأشجارها ، وقد ينسجها الخيال من تاريخ أمة قد اندثرت حضارتها ، وحطم الفساد شموخها ، وأذل الضلال أنوفها .

وقد يمتح صوره من حضارة خالدة ، ورسالة طاهرة ،شع نورها فى جنبات الدنيا ، وتردد صداها بين جوانب الحياة ، وهذا الخيال هو الذى سيطر على شعر السنوسى ، فترى الصورة عنده تستمد روافدها من نبع الاسلام الصافى ، وتتلاحم عناصرها من نور الحضارة الاسلامية ، ويكون ذلك بالضرورة إن كان الغرض إسلاميا ، مثل قصائده فى الشعر الاسلامى التى سبق ذكرها فى فصل الأغراض مثل قصيدة(الرسالة والرسول) ، وقصيدة (ثانى اثنين) ، (أذان الفجر) ، (دعوة الحق) وغيرها .

وحينما يتخيل السنوسى (الجزيرة) العربية ، يصورها بقوله :

---

(١) الينابيع : ص ٩٠

هى الجزيرة فاقبس أيها السارى هدى من البيت أو نورا من الغار
واستلهم الرشد من آى ومن سور وضاءة وأحـــاديث وآثـــار
ترقرقت فى شفاه الضاد وامتزجت بقلبه وجـرت كالسلسل الجارى
واطلعت أمـة كالشمس عاليـة هى العروبة ذات المجد والغـار
مجد يدعمه الاسلام لا صنـم من الأساطير مشدود بأحجـار[1]

وهكذا إلى آخر القصيدة حيث يريد الشاعر أن يتحدث عن الجزيرة العربية ذاتها وعن أهلها الذين اشتهروا بالكرم والنجدة والمروءة ، فاذا بخياله يجتاز التاريخ بسرعة فينسى منه كل شيء إلا نور الاسلام الذى تبددت أمامه أساطير الجزيرة ، وتجسدت عروبتها فى البيت الحرام والوحى والغار ، والقرآن والحديث ، والسير والآثار ، وغيرها من الصور الرائعة التى نسجها من نور الاسلام لا من أساطير الجزيرة ومتاهاتها وغيلانها وجنها وشياطين الشعراء .

وربما يرد على الخاطر أن الشاعر مضطر إلى صبغ صوره الخيالية بالروح الاسلامية حين يكون الغرض فى الشعر الاسلامى بالذات ، فهذا القول مردود لأمرين :

أحدهما : أن الشاعر قد يستغنى عن التصوير الخيالى بالتعبير الحقيقى كما هو الحال فى شعر آل الحفظى السابق ، وعندهم قد خلا الشعر من الصور الخيالية الرائعة ، التى توقظ الاحساس وتلهب العواطف ، وليس السنوسى كذلك ، بل نسخ خياله بالصور الأدبية من النبع الاسلامى الصافى .

ثانيهما : وهو أدل من الأول أن الصور الخيالية التى نبعت من الروح الاسلامية عند السنوسى سيطرت على شعره كله فى جميع الأغراض حتى فى شعره الوجدانى وغزله العفيف ، فترى الصور الاسلامية تطل فى الغزل من حين لآخر ، يقول فى (رحلة القمر) :

قال لى وهـو ساخـــر وهـو لا يحسن السخـر
أيها الشاعـــر الكـــبير أمـــــا جاءك الخبر
وصل القـــوم للسمـــا ء وطافـــوا بها زمـــر
واستفـــاقت حبيبتـــى من خداع ومـــن خدر
لم يعـــد حسن وجههـــا أبـــدا يشبـــه القمـــر
بعـــد ما ديس وجهـــه ومشى فوقـــه الـــبشر

(١) الأغاريد : ٣/١

قلت مهـــلا خلنـــى من هواء وهــــذر
ذاك شيء علمتــــه منـذ وعـى قلبـى الفكــر
كانت الأرض والسما ء أمـــا تقـــرأ السور
فتــــق الله رتقهـــا فاندحــى الكـون وانتثــر

إلى قولـه :

سوف تبقـــى حبيبتـــى أبـــداً تشبـــه القمـــر(١)

فهو مستمد من قوله تعالى : (أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حى أفلا يؤمنون)(٢) .

ومن قوله تعالى : (والأرض بعد ذلك دحاها)(٣) .

ويقول السنوسى فى (حسناء الريف) :

تختـــال من دل ومـــن صبـــوة فى حسنها النشوان من غير راح(٤)

فهى تزهو بجمالها وتختال بدلالها ، وتميس بحسنها كالنشوان لا من خمر وراح ، فقد حرمها الاسلام ، ولكن من سحر حلال وجمال مشروع ، وليس هذا القول مردودا بقول السنوسى فى آخر بيت لهذه القصيدة وهو :

فإنها فى مهجتـــى منيـــة وفى فمى لحن وشهد وراح

فالراح فى البيت الأخير على العكس من الراح فى البيت الأول ، الذى لا يحتمل فى معناه غير الخمر ، بدليل أن الشاعر نفاه بكلمة (غير) ، أما الراح فى البيت الثانى ، فيحتمل الطيب أو الراحة أو الخمر ، واحتماله الخمر بعيد ، لأن المقصود من الخمر أثرها فى نشوة القلب والعقل والبدن ، ولا عبرة فى تذوقها بالفم ، لأن التذوق بالفم ليس هو مقصودها ، فالشاعر يريد من الراح الثانية مجرد الطعم والتذوق وليس السكر فى الصورة ، بدليل أن الشاعر جعل اللحن أيضا من مذوقات الفم (وفى فمى لحن) بينما الأذن تهتز للّحن وتطرب لا الفم ، إلا إذا قصد الشاعر أن يتحدث الفم عن طرب الأذن باللحن الجميل .

---

(١) أزاهير : ٢٧/٢٩
(٢) الأنبياء : آية ٣٠
(٣) النازعات : آية ٣٠
(٤) أزاهير : ٣٩

وأما سبحات السنوسى فى الليل ، فيحلق خياله بين دياجيره لينسج صوره مما طواه الليل بين صفحاته من نور الاسلام وحضارته يقول فى قصيدته (الليل والشاعر) :

هدأ الليل فاهدئى يا مشاعر ودعينى من الرؤى والخواطر
هدأ الليل وانطوت فى دياجيه قلوب كليمه ونواظر
بات قلبى يحن شوقا إلى الماضى وروحى تئن حزنا لحاضر
أنا من أمة رعى الله ماضيها لقد كان جوهرا من جواهر
كان منها الهادى إلى الحق والحامى حماه من كل طاغ وفاجر
كان منها محمد وأبو بكر وعثمان والزبير وعامر
وعلى وطلحة والمثنى وأبو حفص والشهيد ابن ياسر(١)

الصور الخيالية :

للسنوسى صوره الأدبية التى صاغها على النهج القديم على نحو ما عند الشعراء الفحول ، وسبق أن ذكرت بعضها فى الحديث عن الأسلوب .

وله أيضا صوره الخيالية الجديدة والمبتكرة ، التى نبعت من حياته وعصره ، وتجربته الذاتية التى تعبر عن شخصه ، فهى توحى بأنه أول من استولدها على نمط لم يسبق إليه ، وذلك حين يصور ترفّع الصائم عن الكذب والزور والإثم بصورة المستاك مما يضر الفم والأسنان والجسد كله فيقول :

واستاك إذ يستاك من كذب وزور واحترام(٢)

وحين يصور العابرة الفاتنة فى أناقتها ورشاقتها وتقاسيمها وتوقيعاتها يصورها بلحن مناسب ، وتوقيع موسيقى مراق ، وجلال ملائكى طاهر ، لا جمال بشرى .

خطوات ممسوقات وجسم فى تقاسيمه لحون مراقه
غيد آسر ودل فتون وجمال ملائكى الطلاقه (٣)

وحين يحلق خياله فى أبها ، وهو محلق بالطائرة فى الفضاء ، يتنورها من وراء السحاب فى وله وشوق ، والطائرة تطوى الأفق طى السجل الكتاب تتهادى فى حمحمة ، لتستوى على الجو

(١) أزاهير : ٤٨
(٢) الأغاريد : ١٦
(٣) الأغاريد : ٣٦

اندفاعا كالعقاب ، وتطفو فوق الذرى كالحباب ، وإذا بدارات أبها كاللآلىء المنثورة فى الشعاب ... صورة أدبية بديعة للطائرة ، وهى تحمحم فى سماء أبها ، وتطوى السحب طيا ، وهى من الصور الحديثة والجديدة فى شعرنا العربى الحديث يقول السنوسى فى قصيدة (تحية إلى أبها) :

تنــــورتها من وراء السحـــــاب ولى ولـــــه نحوهـــــا وانجذاب
وقـــد طار فى نحوهـــا طائـــر طوى الأفق طى السجل الكتاب
تهادى وحمحــــم ثم استـــوى على الجو منطلقـــا كالعقـــاب
وحـــوّم يلـــوى الـــذرى الشامخا ت وينساب من فوقها كالحباب
فلاحت لعينــــــــــــى داراتها لآلىء منثـــــورة فى الشعـــاب
تألقـن والليـــل وحـــف الدجـــى وأشرقـن والصبح كث الضباب(١)

ومن الصور البديعة التى اخترعها خيال السنوسى فى شعر عسير من الأدب السعودى صورة (المنظار الكاشف) :

قالها لى وهـو يستزيـد المرايـــا شكـل نظارتـيك حلـــو الزوايـــا
قلت لكنها ترينــــــــــى قشورا حين أرنـو ولا ترينـــى الخفايـــا
لم ؟ لم يخترع لنا العلم منظارا يرينــــــا ماذا تسر الحشايـــــا
قال : لو كان ذاك أقفرت الدنيا ولم تأتلـــــف عليها البرايــــا
هبه . قد كان . لا . ولن ترنى بعد إذا ما كشفت عنّيا(٢)

وهى من الصور الأدبية الكلية ، التى تعبر عن لقطة واحدة من مشاهد الحياة بعمق ودقة ، مع أنها تضم بين أجزائها صورا جزئية لا تقوم بذاتها ، ولكن يحتاج القارىء فى فهمها أن تكون متلاحمة مع ما قبلها وما بعدها ، لتعطى تصويرا كليا دقيقا عن المنظار المكبر ، وما يوحى بالطلاء الكاذب ، حين تصور الأشياء على غير ما تراه العين المجردة القوية ، حتى تنقل الشىء المرئى بدقة دون خداع وتزييف للحقائق .

ويوم أن يكون للمنظار الكاشف دور فى إظهار ما يخفيه الانسان ستكون نهاية التآلف والتواد ، لأن البشر ، لا يخلو من عوارض النقصان ، الذى هو من طبيعة الانسانية ، عند ذلك لا تجد صاحبا ولا صديقا ، ولا معينا ولا أخا .

---

(١) أزاهير : ٧٤

(٢) الينابيع : ٣٥

لذلك كان الاسلام حكيما حينما بنى أحكامه على التنفيذ والعمل والتصرف والفعل والسلوك ، لا على النية وحدها مجردة من العمل لأن الانسان قد يضمر شرا لآخر ، فإن رجع عنه أو بقى فى صدره ولم يخرج إلى حيز التنفيذ لا يعاقب عليه صاحبه ، إلا إذا تحولت النية إلى سلوك ، وحينئذ يستحق الانسان العقاب .

صورة أدبية كلية بديعة رائعة ، لأنها أوحت إلينا بتلك المعانى البكر عن طريق ذلك المنظار الكاشف ، وهى آلة حديثة من وحى علم العصر الحديث .

ومن الصور الكلية الفريدة فى شعر الجنوب ، صورة (لمع السراب)(١) :

أرح عينيك من لمع السراب ... وقلبك من أمانيه العذاب
وعد عن القشور وإن تراءت ... رقاقا فى الضباب وفى السحاب
فقد فاض الطلاء على حياة ... تفيض بها الكؤوس بلا شراب
يضوع عبيرها من غير عطر ... وتزخر كالبحور بلا عباب
وتزهو بالرياض بلا زهور ... وتزهو بالثمار بلا لباب
يشيب شبابها من غير شيب ... ويبدو شيبها مثل الشباب
تتيه بها الجسوم بلا علوم ... وتفتخر الفهوم بلا كتاب
مموهة تروق العين حسنا ... خضاب فى خضاب فى خضاب
فقد صبغ السراب حياة عصر ... مخضبة الأظافر والإهاب
وصرت أشك حتى فى مياه ... أخوض بها ولو بلت ثياب

وفى قصيدة (وحشة قلب)(٢) يقول فى مطلعها :

عالم صاخب ودنيا عنيفه ... ميكانيكية الحياة مخيفه
كهربتنا سلوكها بسلوك ... أحرق الروح والمعانى اللطيفه
كل شىء فيها تعقد حتى ... الأكل والشرب والتحايا الخفيفه

إلى قولد :

حرت يا نفس فيك فالتمسى دربا ... وعيشى أحلامك الفيلسوفه
تعسفت من حضارة ما لها قلب ... ولا للسلام فيها وظيفه

(١) جريدة المدينة المنورة رقم ١٣٩٣/٤/١٧/٣٣٧٦ هـ

(٢) نفحات الجنوب : ٣٦/٣٢

صور أدبية رائعة نبعت من تجارب الشاعر فى حياته ومن واقع عصره ، الذي يعيشه بوجدانه ومشاعره ، وجدان الشاعر ، ومشاعر الأديب ، عاش السنوسى ردحا من حياته مديرا لشركة كهرباء جازان ، تصدع أذنيه حركة الماكينات المولدة للكهرباء بأصواتها القاسية العنيفة ، وأسلاكها المعقدة الكثيفة ، فيكاد الانسان أن يفقد نفسه وسط هذا الزحام الصاخب ولا ترتد إليه حتى يعود إلى سحر الطبيعة والحياة الفطرية ، التى نأت بعيدا عن تعقد الانسان باسم الحضارة والتقدم .

هذا المقطع (الميكانيكى) الصغير المعقد ، انتقل إلى العالم الصاخب ، والدنيا العنيفة ، فأصيبت هى الأخرى (بميكانيكية) مخيفة ، كهربت سلوكها سلوك الانسان ، فأحرقت القيم والمبادىء الانسانية فى الحياة لا الأسلاك ، فتعقد فيها كل شيء ، حتى الأكل والشرب والتحية ، لهذا أصبح القلب فى وحشة والنفس فى حيرة من هذه الحضارة التعيسة ، فلا قلب فيها ينبض بالحياة ، ولا مكان فيه للأمن والسلام .

صورة بديعة جديدة نبعت من واقع عصر الشاعر وحياته ، وتجربته مع الحياة ... إنها صورة قاتمة حزينة ، تعبر عن وحشة القلب ، وغربته فى هذا الزمان .

وعناصر الصورة قد تلاحمت من هذا القتام ، فالحركة بطيئة من كثرة المدات فى الكلمات (حروف اللين) . وألوانها قاتمة ، فالصخب والعنف والميكانيكية والخوف والكهربة والحرق ، والتعقيد والحيرة والفلسفة والتعاسة .. كلها توحى باللون القاتم ، والضباب المحير ، والتيه الضليل . وطعم ذلك كله مر وعلقم ، ورائحته تشمئز منه النفوس ذات عادم يخنق النفس .

تلك عناصر التصوير الأدبى من حركة ، ولون ، وطعم ، ورائحة فى هذه الصورة الأدبية البكر الرائعة .

وفى قصيدة (الظل والضوء) يقول السنوسى[1] :

أعيش فى الظل أو فى الضوء سيان ... خرافة كل مفتون بها فان
الظل والضوء ألوان وأصبغة ... لا باهت ثابت منها ولا قانى
فهم ووهم ولا شيء خلافهما ... الوهم من مارج والفهم روحانى
فان ركبت جناحا وانطلقت به ... محلقا غير آفاق وألوان
فلا تظنن أن الأرض قد ذهبت ... أو أنها خليت من كل إنسان

(١) نفحات الجنوب : ٦٨/٧٠

الأرض ثابتة والنفس ذاهبة وأنت منها ، وفيها عائد ثانى
ضحكت من زمنى هزؤا وسخرية وربما ضحك المجنى للجانى
ترف شم الرواسى نضرة وندى وملء أعماقها نيران وبركان
وتغضب القمة القعساء إن سقطت فيها النسور وأضحت وكر غربان
فعش حياتك مرفوع الجبين ولا تكن عبدها فى أى ميزان

التقسيم العقلى يفسد الشعر ، وينقله من عالمه إلى عالم العلم والمنطق ، والتدليل الصريح على الحقيقة فى الشعر يتناقض مع منهجه لأمرين لا ثالث لهما ، هما : فهم أى (عقل وحق) ، ووهم أى (وسوسة وباطل) ، فالأول مصدر الدين والروح ، والثانى يتفجر من مارج من نار .

فالعجيب ليس فى هذا التقسيم العقلى ، ولكنه فى الشاعر ذاته ، كيف نبضت صورته الشعرية هنا بمشاعره ، واصطبغت بوجدانه المحموم ، وسرى الروتين العقلى فيها ، كما يسرى النسيم على الطل والندى والشذى ، فيتضوع الجو أريجا رقيقا كرقة مشاعره فى هذه الصورة الشعرية البديعة .

كما نجد ابداع السنوسى فى تصوير التناقض على نحو غير مألوف ومتعارف ، فيصور الانسان الضعيف المغلوب على أمره ، المهزوم من دهره بصورة القوى المنتصر ، الذى لا يأبه لأحداثه ، فيضحك وهو الضعيف المجنى عليه من الدهر وهو القوى الجانى استهزاء وسخرية .

وكذلك يصور هذا التناقض بصورة الجبل الذى ازدهى بالخضرة ، وتوقر بالنضرة ، وتلطف بالماء والندى ، ولكنه فى باطنه يتفجر لهيبا وبركانا ، ويندلع موتا ونيرانا .

وكذلك تغضب الشوامخ ، موطن النسور ملوك الطيور ، حين يعشش فى جنباتها الغربان ، وبين أوكارها الخسيس من الطيور ، لأن شموخها يناجى شوامخ الطيور ، ويأبى فى جنباته سواقطها ، التى تجد السكن والأمن فى أوكاره .

صورة أدبية رائعة تفيض بعناصر التصوير بما يتناسب مع الظل ، وهو (الباطل والفساد والشيطان والضلال) ، وما يتلاءم مع الضوء ، وهو (الحق والعقل والدين والخير) ، فيمنح الشاعر صوره الأدبية عناصرها الشعرية بما ينسجم مع الظل أو الضوء : فالوهم نار ، لونها أحمر حارق ، وريحها سموم لافح ، وطعمها لاذع يكوى ، والفهم روحانى ، لونه لطيف ، وريحه نسيم عليل ، وطعمه حلو كحلاوة الايمان ، والوهم أيضا كالبركان فى أعماق الجبال ، والبركان نار ولهيب ، لها لونها وطعمها وريحها كما سبق ، والفهم كذلك كالنضرة والخضرة والماء فى شم الرواسى ، لونها أخضر ، وطعمها لذيذ وممتع ، ورائحتها طيبة زكية ، وحركتها تتماوج مع النسيم فى الصباح ، وتتعانق مع الرياح فى النهار والليل .

إنها صورة شعرية اكتملت فيها عناصر التصوير الأدبى من لون ، وحركة ، وطعم ، ورائحة ، مثل القطعة الحية من الطبيعة الساحرة ، والحياة النابضة .

ومن الصور الجديدة البديعة التى تسير مع عصر الشاعر ، وتتجاوب مع أصداء الحياة العالمية ، وما يموج فيها من طغيان وظلم ، للذين أزهقت أرواحهم ، وانتزعت أموالهم ، واستعمرت أوطانهم بالباطل ... وباسم المبادىء الانسانية المتحضرة ، وباسم حرية الانسان فى عصر استعمار الانسان لا حريته ، يقول السنوسى فى (الحق المهان)[١] :

يخزى الضمير ويجرح الإحساسا	حق يهان فلا يثير النـاسا
وعجيبة أن تستمر عصابة	تطأ الهدى وتلوث الأقداسا
رعنا أسكرها الغرور فأمعنت	بطرا وزادت خسة وشراسا
تلهو وتعبث لا تقيم لمنطق	وزنا ولا لمبادىء مقياسا
ومنظمات الحق .. كل جهودها	للحق لا تتجاوز القرطاسا
لا مجلس الأمن استعاد وقاره	وأقام هيبته وثار حماسا
كلا ولا جمعية الأمم انتهت	يوما إلى حكم يرد شماسا
ويقال إن العصر عصر مبادىء	فضلى تقيم الوزن والقسطاسا

الوحدة الفنية :

قضية الوحدة فى القصيدة من أهم قضايا النقد الحديث ، الجديرة بالدراسة والتطبيق فى الشعر ونقده الحديثين ، فقد شغلت النقاد والشعراء على السواء ، وخاصة بعد المنافسة بين المذاهب الأدبية الحديثة ومدارسها النقدية ، مثل مدرسة المحافظين ومدرسة الديوان ، ومدرسة أبولو ، ومدرسة المهاجر ، وكذلك المذهب (الكلاسيكى) ، والمذهب (الرومانسى) ، والمذهب (الواقعى) ، وغيرها ، ووقف الجميع فى صمود يدافع عن الوحدة الفكرية فى بناء القصيدة ، بل بالغ بعضهم فى تطبيق الوحدة العضوية على الشعر الغنائى أيضا ، كالشأن فى الموضوعى والمسرحى والتمثيلى ، وأن منهج القصيدة القديمة التى تقوم على تعدد الأغراض والموضوعات لا يتناسب مع هذا العصر ، الذى يتسم بالتقدم فى العلوم والفنون والآداب على أساس من الذوق الرفيع ، والفكر العميق ، والعقل التجريبى .

لذلك كان من الضرورى أن تكون القصيدة الشعرية صدى لهذه الحضارة العميقة ، فتقوم على أساس من الوحدة الفكرية والموضوعية فى بناء فنى متكامل ، وتصوير أدبى ، تنسجم فيه

(١) الينابيع : ص ٤١

الصور الجزئية والألفاظ والأساليب والإيقاع والموسيقى مع المعانى والأفكار والغرض والعاطفة والتجربة الشعورية ، فى تلاحم قوى وتلاؤم انسيابى ، فلا يصطدم الذوق الأدبى حين يتذوق القصيدة باضطراب فى أسلوبها أو تناقض فى معانيها ، أو تعدد فى أغراضها ، أو يفزع بنشاز فى إيقاعها أو بقلق فى موسيقاها ، ولا يشعر بتهتك يبدد تلاؤم الصورة مع الخيال والعاطفة والمعانى ، وغير ذلك مما يؤثر فى تمزيق الوحدة الفنية فى القصيدة فتنهار فى ميزان النقد المستقيم .

وعلى ذلك فالوحدة الفنية هى : أن تتلاءم التجربة الشعورية والعاطفية والخيال والمشاعر والأحاسيس والمعانى والأفكار والغرض والمغزى وغير ذلك مما يتصل بالمضمون والمحتوى للقصيدة فيتلاءم هذا كله مع البناء الفنى لها ، وهو انسجام الألفاظ والأساليب والصور الجزئية والتجسيم والتشخيص ، والإيقاع الداخلى والخفى والموسيقى الخارجية فى الوزن والقافية ، لتتلاحم هذه العناصر كلها فى انسجام وتناسب ، واتساق وتلاحم ، كالشأن فى المخلوق السوى ، الذى تكاملت أجزاؤه فى أحسن تقويم(١) .

والسنوسى فى شعره يلتزم الوحدة الفنية غالبا ، فتقوم القصيدة عنده من المطلع إلى آخر بيت على غرض واحد ، تدور حوله الأفكار والمعانى ، وتتجاوب مع المشاعر والعاطفة والخيال فى البناء الفنى للقصيدة وحينئذ يتلاءم المضمون فى العمل الفنى مع الألفاظ والأساليب والصور والموسيقى والإيقاع .

ولا تجد قصيدة فى دواوين السنوسى الخمسة قد تعددت فيها الأغراض ، بل تحقق الاتساق والتلاحم بين الغرض وبين تصويره الأدبى . وهذا لا يحتاج إلى ذكر أمثلة وشواهد ، فقد سبقت قصائد كثيرة فى باب الأغراض ، وبقية القصائد فى الدواوين تسير على هذا النهج من الوحدة الفنية .

لكن الذى يحتاج إلى التنصيص عليه ، هو ما يخرج فيه الشاعر عن الوحدة الفنية من صور لا تتلاءم مع الغرض فى القصيدة ، وهذا قليل ومتناثر بالنسبة لمنهجه فى الالتزام بالوحدة الفنية فى شعره ، وسأوضح بعض الشواهد على ذلك بالتحليل والنقد .

صور غير متلائمة :

الرثاء غرض أدبى ينصهر فى بوتقة التجربة الحزينة وفى محمى العاطفة الشعورية القاتمة ،

---

(١) انظر كتابى : البناء الفنى للصورة الشعرية : دار الحارثى بالطائف . فقد وضحت فيه الوحدة الفنية دفعا للتكرار . نشر عام ١٤٠١ هـ

فتقطر أسى ، وتذوب ألما وحزنا فإذا ما جاء الشاعر بلفظ أو صورة من حقل الاعجاب والبهجة والسرور ، يبدد شمل الوحدة الفنية ، ويذهب بتلاحمها .

وهذا ما حدث للسنوسى عندما كان يرثى معالى الشيخ محمد سرور الصبان ، الذى وافته المنية فى مصر بتاريخ ١٣٩١/١٢/٢ هـ يقول(١) :

تصامت لما قيل مات (محمد) سرور (قلوب) كم به جبر الصدع

فلا محل لذكر سرور القلوب هنا ، لأنه يبدد قتام الحزن المتلائم مع الرثاء ، وكذلك قوله فى نفس القصيدة :

أبا حسن غاض السرور الذى جرى على كل قلب من تدفقه نبع
وضوح روض كان فى كل مهجة بك اتصلت يندى بها النبت والزرع

فالسرور وإن غاض بموته ، لكنها تبرق بالبهجة ، مما لا يتناسب مع الرثاء والحزن ، وكذلك الروض الذى كان يفوح طيبه فى حياة المرثى ، فيزدهر به النبت والزرع ، يبدد قتام الحزن فى القصيدة ، لأن نشر الروض وازدهار الزرع والنبت ، كان ينبغى ألا يكون لها مكان من التصوير الأدبى ، لعدم التلاؤم بحال مع الرثاء والحزن .

ومما يؤخذ على الشاعر تمزيقه جمال التصوير الشعرى بكلمة ليست هى من حقل الشعر ، وإنما هى من حقل العلوم ، ومن مجال العقل لا العاطفة ، مثل كلمة (مقياس) :

يا فتنة القلب ومهوى البصر جاوزت مقياس جمال البشر(٢)

وكذلك الكلمتان (إيجاز — والمختصر) ، فهما يختصان بعلوم البلاغة ومنطق العقل أكثر من التصوير الشعرى يقول(٣) :

ورق فى خصرك حتى استوى إيجازه فى قدك المختصر

وكذلك مما يبدد التصوير الأدبى العربى الأصيل استعانته ببعض الكلمات الأجنبية ، التى يمجها الذوق العربى السليم ، مثل كلمة (الديزتو)(٤) :

---

(١) الينابيع : ٦٣
(٢) أزاهير : ٣٥
(٣) أزاهير : ٣٥
(٤) أزاهير : ٣٤

تجرى علـــيك (الديزتـــــو) تختـــال والفـــــرد فرهـــا

وكذلك قولـه :

زاره ساكـن (الألب) (أبوللـو) رائـــدا ينشد الجمـال المثـــالى

موازنة ونقـد :

السنوسى شاعر محافظ فى تجديده ، يتجاوب مع الواقع الذى يعيشه ويحياه ، فالشعراء القدامى صوروا النغم والغناء فى الشعر العربى القديم ، وخاصة الشاعر المصور ابن الرومى ، وتناوله كذلك شعراء فى العصر الحديث مثل العقاد والمازنى وابراهيم ناجى وغيرهم[1] وتأثر الجميع كثيرا بابن الرومى فى تصويره الغناء الساحر الجذاب فى قوله يصور صوت (وحيد) المغنية :

ظبية تسكـن القلـوب وترعـا ... هـا وقمريـة لها تغريـد
تتغنـى وكـأنها لا تتغنـى ... من سكون الأوصال وهى تميد
لا تراهـا هناك تجحظ عين ... لك فيها ولا يدر وريـد
من هدوء ليس فيـه انقطـاع ... وسجـو ومـا به تبليـد
مدَّ فى شأو صوتها نفس ... كاف كأنفـاس عاشقيها مديـد
وأرق الـدلال والغنـج منـه ... وبـراه الشجـا فكـاد يبيـد
فتـراه يموت طورا ويحيـا ... مستلـذ بسيطـه والنشيـد
فيه وشى وفيه حلى من النغـ ... ـم مصوغ يختال فيه القصيد
فى هوى مثلهـا يخف حليم ... راجـح حلمـه ويغـرى رشيـد
ما تعاطى القلوب إلا أصابت ... بهواهـا منهن حيث تريـد
وتـر العـزف فى يديها مضاء ... وتـر الرجـف فيه سهـم سديد
عيبها أنها إذا غنت الأحـرا ... ر ظلـوا وهـم لها عبيـد[2]

فالصوت الشجى مع هدوئه متصل لا ينقطع ، ومع سموه حى غير متبلد ، مديد كأنفاس العاشقين ، ساعد فى مده طول النفس ، وأرقه الدلال ، ولطفه الوله ، حتى كاد أن يختفى ،فيموت طورا ويحيا طورا ، ويتعانق النغم على مسرح الغناء فيتخذ قبة تحيط بالسامعين ،

---

(١) عقدت موازنة نقدية فى كتابى : البناء الفنى للصورة الأدبية عند ابن الرومى . نشر عام ١٩٧٦ م

(٢) المرجع السابق ص ٢٢١ ، ٣٦١

فى صورة حية نابضة ، ينسجم فيها الوشى المنساب مع الألوان ، ويتجاوب فيها اللحن المتماوج مع موجات الهواء ، فيتراقص معه القصيد ، ويختال فيه النشيد ، فيستبد بالقلوب ، ويشنف الآذان ، فيعشقه المستمع ، ليقع فى غرامه لا فى غرام وحيد . ويصور ابن الرومى الغناء أيضا فى صورة أخرى فيقول :

كل طفل يدعى بأسماء شتى ... بين عود ومزهـــــر وكـــــران
ذات صوت تهزه كيف شاءت ... مثل ما هزت الصبا غصن بان
يتثنـــى فينـــفض الطـــل عنـــه ... فى تثنيه مثـل حب الجمـــان
صيغ من طبع صوتها كل لحن ... معهـا من لحون تلك الأغـانى(١)

ويأتى السنوسى فى العصر الحديث ليصور هو أيضا الغناء فى سحر وقوة متأثرا بابن الرومى فيما سبق ، لكنه يتجاوب فيه مع أصداء عصره ، فيقول الشاعر فى صوت (كوكب الشرق أم كلثوم) :

يا كوكب الشرق طال الليل بالسارى ... فقصريـــــــه بألحان وأوتـــــــارى
وسلسلى فيـه صوتـا ملء نبرتـه ... صفو الندى والشذى والكوثر الجارى
ورددى فى دجاه شدو ساجعيـه ... يذوب بين يديها كل قيثــــار
مديه فى الليل ينداح الصباح سنا ... وفى الضحى يتردى ثوب أقمـار
فنانة الضاد كم للضاد من نغم ... على شفاهك منه ذوب مضمـار
جلوتـه فجلـــوت الفـــن مرتفعـــا ... يموج بين أغاريــــد وأشعـــــار
صوت إذا حركته فى الدجى سحبت ... أردانها الـريح فى غينـاء معطـار
يلقاك بالسحر فى الألفاظ منطلقا ... وبالحنـان المصفـــى والجوى النـــار
وغنة ما وعت أذن ولا سمعت ... بمثلهـــا منـــذ أزمـــان وأدهـــار
كأنما فى أغـــانيها وفى فمهـــا ... أنغـام إسحـــاق أو ألحان موزار
تهزه فتهز الشرق أجمعـــــــــه ... قلبـــا بقـــلب وأفكـــار بأفكــــار
يصغى إليها كما يصغى الحبيب ... إلى حبيب فى مناجـــاة وأسرار
إن قلت : يا ليل قال الليل من طرب ... أو قلت يا عين لم تهدب بإشقار
تعلـو به طبقـات الجو صادحـة ... فينتشى كل نجم فى الدجى سار
آنـــا تضخمـــه آنـــا ترققـــه ... فعـل الهوى والتصابى بين سمار
كأنـــه فى يديها غصن ناضرة ... تسمو به ثم تدنو ذات منقار
كم بات يصغى إليها كل ذى كبد ... حرى اللواعـج من شوق وتـذكار

---

(١) المرجع السابق ص ٢٢١ ، ٣٦١

فراغ يطغى صداه وهى صادحة ... بصوتها العذب من سيل وأنهار
غنت للشرق ألحان الخلود هوى ... وللعروبة لحن المجد والغار
من كان يجهل شوقيا وقد صدحت ... بشعره آب عنه كاتبا قارى
ولا يرى فى غناها ذو الحجى حرجا ... وذو وقار يزرى به زار
قمرية النيل ما للنيل واجمة ... ضفافه وأساه مائج جار
غاضت بعينيه أنوار الهوى وذوت ... بكفه خضر أوراق وأزهار
ولاح فى صفحتيه ذعر شاكله ... وحيدها بعد سن يائس هار
ما كل طير هزازا حين تسمعه ... كلا ولا كل ذى ريش بطيار(١)

صورة أدبية كلية رائعة لتصوير النغم والغناء ، تسير على النهج الفنى لصورة ابن الرومى ، فكلاهما يهزان الوجدان والنفس هزا قويا ، لدقتهما فى التصوير ، وقوتهما فى التأثير ، وقد اتفق الشاعران فى خصائص ، وافترقا فى أخرى ، فأما الخصائص التى اتفقت عند الشاعرين — والفضل لمن سبق — هى :

أولا : كلاهما وصف المغنية بالجمال ، وصورها بصورة جميلة فى الطبيعة الساحرة ، فمغنية ابن الرومى (وحيد) ظبية وقمرية فى الليل ، ومغنية السنوسى كوكب الشرق فى الليل السارى وقمرية النيل .

ثانيا : سحر الغناء عندهما ينساب إلى الأسماع ، ويتسلل إلى القلوب فى خفاء ، حتى لا يشعر السامع بمصدر اللحن ، فالمغنية (وحيد) ثابتة الأوصال منسابة العينين بلا جحوظ ولا حملقة ، ولا معاناة فى إخراج الصوت ، ولا انتفاخ فى الأوداج والعروق ، فيخرج النغم هادئا متصلا ، لا انقطاع فيه ولا عواصف ، بل يتصاعد ساجيا ممدودا دافئا كأنفاس العاشقين . وأما ألحان (كوكب الشرق) فتتسلل كالندى الصافى ، وتفوح كالشذى المعطر وتعذب كالكوثر الجارى ، فهو ينداح فى الليل ممدوداً ، حتى يفجر إشراق الصباح ونور الضحى .

ثالثا : الشاعران مزجا سحر النغم بالسحر المذاب فى مظاهر الطبيعة فالصوت تهزه (وحيد) كيف شاءت ، يستجيب له كل المعانى والألفاظ طائعة منقادة ، مثل ما يستجيب غصن البان لريح الصبا ، ويهتز طربا له ، فيتثنى ذهابا وإيابا ، ويتناثر الطل كحبات الفضة ، أما نغم (كوكب الشرق) فينساب فى الليل والدجى والصباح والضحى ، ويعلو طبقات الجو ، فينتشى النجم طربا ، وينقاد طوع أمرها كالغصن اللين ، الذى يتراقص مهتزا على أنغام الطير الصداح ، وهو كالسيل فى تدفق الأنهار ، وكالماء فى النيل عذوبة ، وليس كل طير يمتع فى الغناء

(١) الينابيع : ٨٧/٨٩

فصفة النفاق تأصلت فى المنافق كالشأن فى شجر الخلاف ، فمنظره ساحر فتان ، ومخبو مر خداع ، كالغصن الأخضر أخاذ الشكل والرونق مرير الذوق كالعلقم .

ويدل على أصالة النفاق فى المنافق ، ما توحى به الصورة من التجدد والاستمرار عن طريق الفعل المضارع (يورق — ويأبى) وكذلك القصر بتقديم الخبر (وما له ثمر)[1] .

يقول عبد القاهر : « انظر إلى المعنى فى الحالة الثانية ، كيف يورق شجره ويثمر ، ويفتر ثغره ويبسم وكيف تشتار الأرى من مذاقه كما ترى الحسن فى شارته »[2] .

وصورة أخرى لابن الرومى فى النفاق يقول :

ملك النفـاق طباعــه فتثعلبـا ... وأبى السماحة لؤمـه فاستكلبـا
فترى غرورا ظاهـرا من تحتـه ... نكـد فقبـح شاهـدا ومغيبـا
ولشر من جربتــه فى حاجـة ... من لا تزال به معنى متعبـا

أما شاعرنا السنوسى فيصور النفاق فى قصيدته (لكل صابون ليفه) :

بسمـات ملونـات وأخـلاق ... وصوليـة غلاظ سخيفـه
ونفاق ملـون تخجـل الحربـاء ... منـه فتنثنـى مكسوفـه
تتـدلى وتستـكين وتنماع ... وتغـدو لكـل صابونـة ليفـه
فإذا ولت الوظيفـة ولـوا ... وأثـاروا عليـه حربـا عنيفـه
خلق يشمئز منه كريم النفس ... والطبـع والخصال المنيفـه
يا لنفسى من أنفس تقذف الحبر ... عداء من الثيـاب النظيفـه
وعلى كل جانب من قذاهـا ... قذر يزكم الأنـوف وجيفـه
خضت فى بحرها وكنت غريرا ... فطفا موجهـا وكانت حصيفـه
أوجه كالبلاط لا تنبت الزهر ... وإن كانت الميـاه كثيفـه
وقلوب مثل الكهـوف ظلامـا ... والضحى يغمر الوجـود مخيفـه
غير أنى وإن تألم قلبـى ... فهـو ما زال كالظـلال الوريفـه
لست خبـا والخب قد يخدع ... البرّ وهـذه حكايـة معروفـه[3]

---

(١) انظر كتابى : شاعرية ابن الرومى بين الأصالة العربية والدعوى الرومية دار المريخ — الرياض ١٤٠٢

(٢) أسرار البلاغة : ص ٩١

(٣) القصيدة كاملة سبقت فى الشعر الاجتماعى

ولا كل ريش يستطيع الطير فى الهواء ، فهو صوت فريد فى مجال اللحن والغناء .

ومع ذلك فقد غلب على تصوير ابن الرومى للغناء التجرد عن مظاهر الطبيعة وخاصة فى القصيدة الأولى ، وساد عند السنوسى تجسيم الغناء فى مظاهر الطبيعة .

أما ما اختلف فيه الشاعران فهو مدى استجابة المستمعين للغناء ، فجمهور (وحيد) تجاوزوا حب الطرب والغناء إلى ما هو أكثر من ذلك من الغرام والإغراء ، مما يخشى على العاقل الذى رجح عقله ، ويخاف على الرشيد ، لأنها تصبى القلوب بحبها فالجمهور عندها مزعزع الايمان ضعيف العقيدة ، يخشى على دينه ، ويخاف من الوقوع فى حبال الشياطين .

لكن جمهور كوكب الشرق يحب غناءها المجرد عنها ، فذو العقل لا يتردى فى حرج من غنائها ، وذو الوقار والاتزان يجد فى وقارها واتزانها ما تستجيب له نفسه يقول :

ولا يرى فى غناها ذو الحجى حرجا وذو وقـــار ولا يزرى به زار

لأنها غنت للشرق الاسلامى ألحان الخلود فى حضارة الاسلام وغنت للعروبة ، التى سما بها الاسلام فى سماء المجد ، كما غنت للرسول ﷺ الذى نزل عليه الوحى ، وصاحب الغار والذى أقام حضارة الاسلام بعد الهجرة النبوية المباركة .

فجمهورها قوى فى إيمانه متمسك بعقيدته ، يزداد إيمانا حينما ينساب الغناء فى حضارة الاسلام فتسبد بقلبه تلك الحضارة فيزداد اقتناعا بعقيدته وحبا لها لا لكوكب الشرق ، التى لم تتخذ الدلال وسيلة للاغراء فى الغناء ، كما اتخذته (وحيد) مغنية ابن الرومى .

ومن الصور التى تأثر بها السنوسى صورة المنافق فى الشعر العربى القديم ، ذكر عبد القاهر الجرجانى فى تعليل بلاغة الكلام قول ابن لنكك :

فى شجـــر السرو منهم مثـــل له رواء ومــــــــــا له ثمر

وقول ابن الرومى :

فغـــدا كالخلاف يورق للـــعين ويـــأبى الإثمار كل الإبـــــاء

وقوله الآخر :

وإن طرة راقـــتك فانظـــر فربما أمر مذاق العود والعـود أخضر[1]

---

(١) أسرار البلاغة : عبد القاهر الجرجانى ص ٩١ تحقيق محمد رشيد رضا

والتأثر ظاهر بصورة النفاق بين الشاعرين وبخاصة فى صورة ابن الرومى الأخيرة ، فالمنافق فى مكره ، ودهائه ، ورداءة طبعه كالثعلب يؤثر منفعته ، ولا يسعى إلا لحاجته الذاتية ، فهو ثعلب فى طباعه يسير هادئا لينا فى خفاء وتحفظ كالقط الأليف . والمنافق فى لؤمه كالكلب المسعور يهش للقادم سماحة ، ويداعبه غدرا ، لينقض على فريسته كالذئب فى غدره وخيانته ، فهو فى الظاهر مستوى الخلقة ، متكامل السمت ، يتستر وراء الغرور والوقار ، ويتشدق بالنصيحة ، ويتلاعب بالحكمة ، لكنه من الباطن يتفجر عن غدر ونكد ، وينطوى على حقد وشر ، فلا يسلم من يتعامل معه من مخالب الغدر ، فيظل يعانى منه آلاما ومرارة ومتاعب .

والمنافق عند السنوسى كالحرباء ، بل الحرباء تخجل منه ، وتعرض عنه مكسوفة ، وتلك طبيعة المنافق فى تكوينه ، يلبس لكل حال لبوسها ، ويتقلب حسب الأغراض والأهداف ، كما تتأقلم الحرباء حسب اختلاف البيئات ، وتغاير الألوان فى الجبال والرمال ، لتكون قطعة متجانسة مع الأرض التى يعيش عليها .

لكن الصورة عند ابن الرومى أدق وأعمق حين صور المنافق بالثعلب والكلب المسعور ، لأن المنافق غالبا ما يخدع الناس لحسن ظنهم فيه ، وينال منهم كما ينهش الكلب المسعور فريسته ، بعد الهدوء والمسالمة وحلاوة اللسان على العكس من الحرباء فتتلون ولا تؤذى أحدا .

أما السنوسى يصور المنافق حين يتعامل مع الآخرين ، الذين لا يسلمون من شره وأذاه ، كمن يلطخ الثياب البيضاء بالحبر الأسود ، والمنافق أشد من الوباء الذى يعدى فى خفاء ، فيزكم الأنوف بمرضه ، ويقتل النفوس بجيفته المنتنة .

ويصوره أيضا بأرض بور ، بل كالبلاط الذى لا ينبت زهرا ولا يجلب خيرا ، مهما فاضت المياه ، ويصور قلب المنافق فى ظلمه وظلامه كالكهوف المظلمة تغشيها الدجنة باستمرار ، فتأوى إليه الحيات والعقارب ، والحشرات السامة ، ومع كل ذلك فهو ضعيف لا يقوى على مواجهة الحق ، رقيق كالظلال الوريفة تمزق النسيم اللطيف .

وتلك صورة جديدة تفرد بها السنوسى عن سابقيه ، وكذلك موضوع القصيدة ، كانت منه لفتة لطيفة وطريفة حين طوع المثل العام ، الذى يجرى على كل لسان وهو (لكل صابونة ليفه) ليجعل منه موضوعا شعريا وغرضا أدبيا ، ليفيض الشعر عليه بالإيحاء والقوة والشاعرية ، والموضوع فى ذاته صورة جديدة للمنافق فى عصرنا الحديث .

والسنوسى بهذه الصورة الطريفة للمنافق ، التى أطنب فيها ، حتى صارت قصيدة ، تضع الشاعر فى مكانه البارز بين شعراء عصره ولا تقل عن صورة المنافق فى الشعر القديم ، وإن اتصفت بالايجاز والقصر ، لأن للشعراء السابقين فضل السبق ، ولشاعرنا السنوسى فضل الزيادة

فى صوره الجديدة التى تتناسب مع عصره ، ولو خلت منها قصيدته لما وجدت طريقها إلى قلب القارىء ، ولما أخذت مجالها فى النقد والموازنة الأدبية .

وبهذا يكون الشاعر السنوسى أشهر شعراء الجنوب فى منطقة عسير ، بل شاعر الجنوب كما أطلقت عليه صحافة المملكة ومن الرواد الأوائل لشعراء المملكة الذين كان لهم دور كبير فى القفزة السريعة للشعر الحديث حتى تعددت مدارسه ومذاهبه الأدبية ، وكان أيضا أشهر شاعر فى مدرسة التجديد المحافظ فى مذهبها الأدبى لشعر الجنوب خاصة وشعر المملكة عامة .

ولقد كانت الدراسة السابقة للسنوسى التى قامت على التحليل والنقد ، والاستقراء والموازنة ، ووضعت هذه الدراسة الفنية علامات بارزة على الطريق من أهمها :

أن السنوسى كان مجددا فى معظم الأغراض الأدبية وفى الموضوعات وكذلك فى معظم الأفكار والمعانى وخاصة بالنسبة للشعر السعودى خاصة ، والشعر العربى بصفة عامة .

« إن للسنوسى مكانته بين شعرائنا البارزين ، فهو صاحب « القلائد » ولقد كان لديوانه القلائد وما يزال صداه الطيب الجميل فى أوساطنا الأدبية ، إنه اول شاعر من شعرائنا يترجم له بعض شعره إلى لغة أوربية .. إن أهم سمات شاعرنا السنوسى فى اعتقادى أنه لا يحاول أن يتكلف أو يظهر بغير حقيقته ، أو يقول ما لا يعتقد ، أو يمدح من لا يرى أنه أهل لثناء أو مدح ، وإنما هو فى كل ما طالعته من شعره لا أراه إلا حريصا كل الحرص على التزامه لهذه السمة ، سمة الصدق فى التعبير »(١) .

ويكفى للشاعر الفذ أن يكون فى شعره صادقا يعبر بصدق عن شاعريته وهل يحتاج التجديد فى الأغراض الأدبية إلا الصدق الفنى ، الذى كان من أبرز مظاهر التجديد فى الشعر الحديث بعد الركود والجمود فى العصر السابق الذى قضى تماما على الصدق الفنى فى الشعر . وقال باحث عن السنوسى : « ومن أهم سماته أنه لا يتكلف ، أو يقول ما لا يعتقد ، أو يمدح من لا يرى أنه أهل للمدح »(٢) .

ويقول صاحب المنهل : وأعتقد أن ديوان القلائد لصاحبه الشاعر الأستاذ محمد بن على السنوسى (والاسم هذا كالمسمى) .. سيثبت بصدوره أن الشعر العربى الأصيل الذى جمع بين المبنى والطرافة والتجديد فى المعنى هو حى ولا يزال حيا ذا تأثير فعال فى المجتمع والأفراد .. يؤز

---

(١) الأستاذ محمد سعيد العامودى ــ مقدمة الأغاريد ك . ل

(٢) د . كامل السوافيرى

النفوس الظامئة إلى الحياة الطامحة أزا ، ويدفعها إلى محيط العمل والنشاط دفعا ، ويوقد فيها جذوة الحرية والحماسة ، ويخلق فيها الحركة والانطلاق إلى الأمام على الدوام .. ويساند حركات الاستقلال والاستبسال فى نيل المطالب العليا ، كما كان من قبل ألف عام .. أيام البحترى وأبى تمام ، وأيام أبى الطيب المتنبى ، وأخيرا أيام البارودى ، وشوقى ، وحافظ ومن سار على دربهم من فحول الشعراء »(١) .

والسنوسى كان مجددا فى تحفظ للتصوير الأدبى كما رأينا ذلك فى مكانه ، فقد بعث الحياة والقوة فى الألفاظ الشعرية وأساليبه وأعاد لها عراقتها الأصيلة كما كانت عند الفحول من الشعراء ، كما أنه طوع الأساليب فى جزالة وعذوبة وقوة وإيحاء لقضايا عصره وفكره واتجاهاته. وكذلك كان خياله عميقا خصبا يمنح صوره الأدبية جدة وابتكارا ، مما دفع النقاد إلى أن يسجلوا له هذه الخطوات المباركة فى التجديد ، يقول أحدهم :

« إن شعر السنوسى يملأ نفسى ويشعرنى أنه يخرج من نفس عربية مؤمنة صادقة قوية اليقين بعروبتها وإسلامها »(٢) .

ويقول الأستاذ محمد سعيد العامودى :

« وأعتقد أن لثقافة السنوسى المتعددة الجوانب أثرها فى شعره بصورة عامة إلى جانب موهبته الفنية المعطاءة .. ولعله من هنا يبدو ما نلمسه فى شعره غالبا من نبض فى الأسلوب ، وحيوية فى الألفاظ وعمق فى المعانى ، وسمو فى الأغراض »(٣) .

وأما الموسيقى الشعرية فقد اتخذ الشاعر القالب الموسيقى العربى العمودى ، فالتزم بحرا واحدا وقافية واحدة فى القصيدة الواحدة ورأينا ثورته العنيفة على الشعر الحر ، فى القصيدة التى سبق ذكرها والتى أعلن فيها أن طبيعة الشعر العربى الأصيل تأبى ذلك كل الاباء وإذا كان ولابد من التجديد فيكون فى المعنى والمضمون بما يتناسب مع العصر الحديث وقضاياه الكثيرة .

ولم يتزحزح السنوسى عن القالب الموسيقى إلا قليلا وذلك فى نظام المقطعات القائمة على البحر العروضى مع تعدد القافية فى كل مقطع من مقاطع القصيدة ، وليس هذا غريبا على طبيعة الشعر العربى بل هو مثل نظام الموشحات الأندلسية مثل قصيدة (أتمنى) السابق ذكرها .

---

(١) الأستاذ عبد القدوس الأنصارى : مقدمة القلائد : ج

(٢) مقدمة : نفحات الجنوب ص ٨

(٣) مقدمة الأغاريد ص . ل

وأشاد بشعر السنوسى الشاعر الأمير عبد الله الفيصل بقصيدة عنوانها (حيرة) يقول فى مطلعها :

أنا فى حيرة أموت وأحيا كل يوم وأدمعى فى شهود[1]

ويصف الشاعر محمد حسن عواد أحد رواد الشعر العربى فى السعودية شعر السنوسى ويشيد بروعة شعره فى قصيدته (مواطن العطاء من الانسان) منها هذه الأبيات :

الوشى جاء منمقا ومنمنما والظرف طالعنا بها متبسما
واللمس كان موشحا والحسن كان مصرحا واللطف كان مسلما
غراء من جيزان يرقصها النهى تيها يمنعها الحياء تقدما
أنسيت أنك آنذاك منشأ فى حلبة والنسج لم يك محكما
إنى وأنت مواطنى ومسايرى فى الشعر أصمت إذ أراك ملعثما
لكن سواك من الذين تعاظموا أو كابروا الفكر القوى القيما
من كل من جعل التشاعر مهنة فإذا انبريت له أسف وبرطما
فقد امتطوا عوجاء حين تأثموا والفكر أكبر أن يرام تأثما
والفن يرفض أن يكون ممرغا والحسن يشجب أن يداهن نوما
مسخ الفتى منهم رواء شبابه فكأنه هرم ولما يهرما
ورسالة التجديد عند لفيفهم (خطب) يراه مذمما ومحرما
هى ذى المفاهيم التى أصليتها نقدا وكان كما عرفت مسمما
هم هؤلاء ــ ولست أنت ــ هم الأولى قد خوصموا نقدا مضى متجهما
عش للوفاء (أبا على) مثلما يرجو الوفاء من الوفاء وفوق ما
ولأنت من أهليه فابق أرومة عربية نسلت عزيزا مسلما[2]

والسنوسى .. « شاعر ضليع ، ذو قوة فى البيان ، واشراقة فى الفكر ، وروعة فى المنطق ، وجدة فى الأسلوب ، هو شاعرنا الذى تعتز به المملكة العربية السعودية ، وتضعه فى الصف الأول من بين شعرائها الأبرار شعراء الشباب المبدعين .. شعراء الأدب الرفيع ، واللسان العف والضمير النقى من الشوائب والأوضار[3] .

(١) جريدة البلاد : عدد ٢٩٣٠ ــ ١٣٨٨/٧/٨ هـ
(٢) جريدة البلاد ١٣٩٤/١١/١٧ هـ
(٣) عبد القدوس الأنصارى : مقدمة القلائد : ذ

الفصل الثالث

الشاعر محمد بن أحمد العقيلي

١- نشأة الشاعر وحياته .

٢- الأغراض الشعرية والتصوير الأدبي لها .

٣- المدح وخصائصه الفنية .

٤- الشعر الوطني وخصائصه الفنية .

٥- الشعر الإسلامي وخصائصه الفنية .

٦- الشعر في الحضارة العلمية وخصائصه الفنية .

٧- الشعر الوجداني وخصائصه الفنية .

٨- الوصف وخصائصه الفنية .

٩- الأناشيد .

نشأة العقيلي وحياته :

هو الشاعر محمد بن أحمد العقيلي ، ولد في مدينة (صبيا) عام (١٣٣٦ هـ — ١٩١٦ م) .

تلقى علومه على أحد المدرسين ، وعلى والده ، وعلى الشيخ عقيل بن أحمد فى الفقه والنحو والصرف وعلم المعانى وعلم البيان وغيرها من علوم العربية .

تقلب فى وظائف مختلفة فى الهيئات الحكومية ، واشتهر فى المملكة بكتاباته الصحفية التى كانت تستهوى القراء والعلماء والباحثين ، يقول الأستاذ حمد الجاسر فى ذلك :

« لقد عرفت الأستاذ العقيلى أول ما عرفته مؤرخا وباحثا حينما كان يمد مجلة (اليمامة) منذ تسعة عشر عاما بأبحاثه التى كنت أحس وأنا أقرأها بأننى أجد فيها ما لا أجده فى غيرها من أبحاث كثير من كتابنا ، مما تزخر به صحفنا ، ثم يقول : إننى أوفيته حقه في كتاب :(مؤرخو الجزيرة) .. »[١] .

واشتهر العقيلى بمؤلفاته وتحقيقاته ، منها : (المخلاف السليمانى) فى ثلاثة أجزاء ، وتحقيق ديوان « القاسم بن على بن هثيميل » ، « التصوف فى تهامة » ، وديوان « السلطانين من شعراء القرن السادس » ، وديوان « الجراح بن شاجر الأروى » ، وكتاب « شعراء الجنوب » بالاشتراك مع محمد بن على السنوسى[٢] .

وفى عام (١٣٩١ هـ — ١٩٧١ م) صدر ديوان (الأنغام المضيئة — نشر دار اليمامة بالرياض — ومن الغريب أن صاحب كتاب شعر العصر الحديث الذى كانت طبعته الأولى عام ١٩٣٩ هـ ١٩٧٩ م) لم يذكر هذا الديوان ، بل أغفله تماما مع العلم بأن ديوان العقيلى منشور قبل ذلك بثمانى سنوات[٣] .

---

(١) الأنغام المضيئة : المقدمة ص ٦

(٢) انظر الترجمة فى « مؤرخو الجزيرة » : حمد الجاسر ، وكتاب شعراء العصر الحديث : عبد الكريم الحقيل ٢٠٨ وغيرهما

(٣) الأستاذ عبد الكريم الحقيل : صاحب كتاب شعراء العصر الحديث فى جزيرة العرب

وقسم الشاعر ديوانه إلى فصول ، أعطى لكل فصل عنوانا على النحو التالى : سعوديات ــ فى ربوع الوطن ــ عربيات ــ حضارة ــ الغزليات ــ تحيات ــ الوصف ــ أناشيد .

والعقيلى شاعر معروف بين شعراء المملكة العربية السعودية بشعره الاسلامى المشرق والعربى الناصع ، الذى يغلب الالتزام بتصوير المعانى السامية والأخلاق الفاضلة من نفس مؤمنة مفعمة بالايمان الصادق ، والاخلاص للمسلمين ، والوفاء لوطنه والقائمين عليه ، وهو من أشهر شعراء الجنوب الذين كان لهم دور كبير فى مدرسة التجديد المحافظ ، يقول الأستاذ حمد الجاسر :

« ولكن إذا قصد بالشعر التعبير عن المعانى السامية والأخلاق النبيلة والاتصاف بها ، ففى شعر العقيلى ما يعبر عن عمق إيمانه بالله سبحانه وتعالى ، وصدق إخلاص ، ووفاء لأمته ووطنه ، وصادق ولاء لمن ولاهم الله أمر هذه البلاد ولاء قائما على المحبة الخالصة ... ولعل نظرة العقيلى إلى الشعر تتفق مع نظرته إلى الأدب .. ومن ثم يصح القول بأنه يرى الشعر ما عبر عن كريم الخلال ، وأبرز مجالى الحسن وقوم معوج الخلق سيرا على أن الغايات ــ لا الوسائل ــ هى أولى ما يجب أن يعنى به ويتجه إليه ولا شيء سوى ذلك »(١) .

والشاعر العقيلى تناول فى (الأنغام المضيئة) أكثر الأغراض الأدبية التى سيطرت على الشعر فى الجنوب ، وسنوضح هذه الأغراض وخصائصها الفنية فى الموضوع والمعانى والألفاظ والأساليب والخيال وصوره الأدبية والموسيقى الشعرية وغيرها من القيم الفنية فى العمل الأدبى .



(١) الأنغام المضيئة : حمد الجاسر ص ٧

التصوير الأدبى للأغراض الأدبية

أولا ــ المدح وخصائص التصوير الأدبى :

تناول الشاعر العقيلى فى ديوانه غرض المدح فى قصائد كثيرة ذكرها فى موطنين : **أحدهما** : تحت عنوان (السعوديات) وتشمل هذه القصائد قصيدة (على صهوات الجو ص ١٣) ، وقصيدة (تألفت فى سماء الشرق ص ١٨) ، وقصيدة (عهد الخلفاء الراشدين ص ٢٣) ، وقصيدة (يوم على صفحة التاريخ ص ٢٧) ، وقصيدة (باقة شعر ص ٣٠) ، وقصيدة (موكب التاج ص ٣٥) ، وقصيدة (تحية التاج ص ٣٨) ، وقصيدة (فى سنا تاجه وصولجانه ص ٤٠) ، وقصيدة (لك الود ص ٤٣) ، وقصيدة (أبو الشعب ص ٤٦) ، وقصيدة (الفرحة الكبرى ص ٤٨) ، وقصيدة (تلألأ الحق ص ٤٩) ، وقصيدة (يا ابن عبد العزيز ص ٥١) .

ثانيهما : تحت عنوان (تحيات) ويضم هذه القصائد وهى : (حى الشباب ص ١٢٣) يحيى شباب مدرسة جازان عام ١٣٦٨ هـ ، وقصيدة (تحية الجيش ص ١٢٥) ، وقصيدة (عين من الخلد ص ١٢٧) ، وهى عين ماء جازان ، وقصيدة (قصر الامارة فى جازان ص ١٣١) ، بمناسبة اضاءة القصر بنور الكهرباء ، وقصيدة (تحية الشعر ص ١٣٦) قالها العقيلى فى تكريم الأستاذ الشاعر عبد الله بن خميس يمدحه فى جازان بتاريخ ١٣٨٨/١٠/٢ هـ ـــ ، وقصيدة (زهرة ص ١٣٨) يمدح بها الشاعر الأستاذ حسين سرحان .

يقول العقيلى فى إحدى قصائده التى يمدح فيها صاحب الجلالة الملك فيصل المعظم ، ومطلعها :(١)

شذى يتعالى بالتجلة أو شدوا ... تضوع من فيفا عبيرا ومن رضوى
ورن بها جازان علويــــة الشذى ... سماوية الأنفاس وقدسية النجوى
لها ومضات البرق فى كل مطلع ... سطوعا وصوت الرعد مرتجزا دوى
وأنسام أزهار الفـــراديس نفحــــة ... على الأفق المخضل والمنظر الأحوى

---

(١) الأنغام المضيئة : ص ٤٣/٤٦

إلى قولـه :

طلــعت بعهــد عبقـــرى طرازه ... تطـاول أمجاد أوراق الدنـا صفـوا
مواسم للإصلاح فى كل مرفــق ... وأعياد أعمال تفوق الـورى شأوا
مضت لم تشاهدها الجزيرة أو ترى ... لها فى تقصى عهد سالفها صنوا

إلى أن يقول :

لك الود منا خالصا لا يشوبه ... رياء ولا يلتات بالزيف والدعـوى
يمجـد فيك الفكـر ريـان مشرقـا ... ويكبر فيك العقل والخلق الأقوى
وعزمـــا لإنهاض البـــلاد بهمـــة ... (سعودية) التصميم (نجدية) العزوى

وهكذا يسير المدح على النمط من المدائح ، التى تقوم على استقلال القصيدة على غرض واحد من المطلع ، حتى نهاية القصيدة بلا تعدد فى الأغراض ، وهذا منهج فى القصيدة ، يخالف منهج القدماء فيها ، حيث تعددت فيها الأغراض كما هو معروف فى الشعر العربى القديم .

ومن الخصائص الفنية فى مطالعه أنه يشرك الطبيعة فى الابتهاج بالممدوح فهى تتغنى معه بالثناء على الممدوح والحفاوة به ، وذلك فى الأبيات الأولى من القصيدة .

وكذلك فالقصيدة التى معنا تعتمد على ذكر الصفات الخاصة بشخص الملك فيصل المعظم ؛ فهو عبقرى جند نفسه لاصلاح بلاده ، وسمت أعماله فيها إلى درجة التمجيد والبهجة والسرور مثل بهجة الأعياد ، وقد سبق سلفه فيها تقدميا ورقيا . كما يتصف أيضا بالفكر العميق المثمر ، والعقل الكبير ، والخلق القوى ، والعزم الشديد لانهاض بلاده بهمة اشتهرت بها الأسرة السعودية ، وبتصميم نجدى فى المضاء والانجاز .

وتلك صفات شخصية يمدح بها الملك لا يتعدى أثرها انهاض المملكة العربية السعودية ذلك الوطن العربى السعودى فقط ، ولذلك أدخلت هذه القصيدة فى غرض المدح .

أما التصوير الأدبى عند الشاعر فى المدح فقد امتازت الألفاظ والأساليب بالجزالة والفصاحة ، والأسلوب بالوضوح والسلامة من الخطأ ، وإن كنت أرى أن بعض الأساليب تجد قلقا فى مكانها من البيت بلا احكام قوى فى التركيب مثل قوله : (وأعياد أعمال تفوق الورى شأوا) والمعنى وأعمال سارة كالأعياد البهيجة ، ولكن هذا المراد من العسير اخراجه بسرعة من هذا الأسلوب وهو أعياد أعمال .

والتصوير الأدبى يعتمد على العقل والفكر أكثر من اعتماده على الخيال بصوره البيانية ، ومن التعبير العقلى الحقيقى قوله (لا يشوبه رياء ولا يلتات بالزيف والدعوى) فالشوب والزيف

والدعوى تعبيرات عقلية لا خيالية ، وحين نتذوق صورة خيالية عنده مثل (شذى يتعالى بالتجلة) نحس فيها بالجمود لا الحركة والحيوية فالشذى يتضوع أو ينساب أو يعبق أو يسمو ، ولا يتعالى بالتجلة ، فليس ذلك مألوفا مع الشذى .

وأما الموسيقى الشعرية فالشاعر ملتزم بالعمود الشعرى والقالب الخليلى من المحافظة على البحر والقافية .

ثانيا ــ الشعر الوطنى وخصائصه الفنية :

وهذا الغرض فى الديوان تحت عنوان (فى ربوع الوطن) وضم قصائد وهى : قصيدة (المشاعر المقدسة ص ٥٥) ، وقصيدة (الجزيرة العربية ص ٥٨) ، وقصيدة (جازان ص ٦١) ، وقصيدة (صبيا ص ٦٤) ، وقصيدة (جبل فيفا ص ٦٦) ، وقصيدة (البلاد العربية ص ٦٨) ، وقصيدة (بين جمال الطبيعة وجلال البحر ص ٧١) ، يقول العقيلى فى قصيدة (الجزيرة العربية)[1] :

شبه الجزيرة منعة وإباء ... وحمى العروبة منبرا ولواء
وفضاء أرض قد تألق وازدهى ... أفقا يشع رسالة وهناء
أرنو إليك فأستشف جلاله ... شماء توحى العزة القعساء
أعتز بالماضى العظيم وأنتشى ... أملا بات يفرع الجوزاء
أرضا على التاريخ من أمجادها ... عبق يردده الزمان ثناء
خفقت بأعلام الفتوح فحدثت ... أمما وعممت الوجود رخاء
حملت مصابيح الحضارة للورى ... تبنى الشعوب وتنشر الآراء
تتوسدين ذراع أحمر زاخر ... كالتبر ذوبا والشعاع رواء
متلألىء الأمواج فى رأد الضحى ... متألقا ضافى الجلال مساء
يرتاد منه اللحظ أضفى زرقة ... من (لازورد) يغمر الأحياء

إلى قوله :

حى الخليج وحى بحرا ماؤه ... در على وجه الخضم تراءى
حيث المعادن والكنوز دفينة ... والزيت منبجس العيون سخاء

وهكذا إلى آخر القصيدة ، التى يحدد معالم وطنه العزيز والمفدى ويوضح حدود الجزيرة ،

---

(١) الأنغام المضيئة : ص ٦١/٥٨

وهى البحر الأحمر الزاخر بالتبر والشعاع المتألق ، والمحيط فى الجنوب ، والخليج العربى ، الذى فاض بكنوزه ، ومعادنه الثمينة ، وتفجر البترول من أحشائه فعم الثراء فى الوطن وسادت حضارته قديما وحديثا .

والقصيدة هنا وغيرها من القصائد فى هذا الغرض تقوم على غرض واحد فقط ، تدور معانيه حول موضوعه ، كما هو واضح من قصيدة الجزيرة العربية ، فاتجهت عناصر القصيدة ومعانيها وخواطر الشاعر فى الموضوع وتلك هى الوحدة الموضوعية التى التزمها الشاعر فى أغراضه الأدبية .

والألفاظ والأساليب جاءت هنا جزلة قوية عذبة ، والتراكيب محكمة قوية رصينة ، وأما الخيال كان عميقا ، وما زالت الحيثيات العقلية تستحوذ على شعره مثل لفظ (حيث) ليس من حقل الشعر ، وإنما هو من ألفاظ العقل والأسلوب العلمى لا الأدبى .

ثالثا ــ الشعر الاسلامى وخصائصه الفنية :

تناول العقيلى هذا الغرض الأدبى تحت عنوان (عربيات) ويشتمل على قصائد هى : قصيدة (هزوا اللواء ص ٧٥) ، وقصيدة (تحية الأقطاب الكبار ص ٧٩) ، وقصيدة (يوم الجزائر فى جيزان ص ٨٢) بمناسبة استقلال الجزائر ، يقول العقيلى فى (تحية الأقطاب الكبار) بمناسبة الاجتماع التاريخى فى جدة عام ١٣٧٤ هـ لأقطاب العالم العربى الكبار[(١)] :

روعـــة الفتـــح وشاع الجلال ... قد أعادوهـــا على أسمى مثـــال
ورنـــا التـــاريخ فى ذروتـــه ... ساطعـــا والشرق وهـــاج الخلال
وخطـــا خطـــوة جبـــار إلى ... ساحة العـــز وأجـــواء الكمـــال
هتـــفت أصواتـــه قاصفـــة ... تملأ الدنيـــا بأمجاد الفعـــال
أى روح أيقظوهـــــا فسمت ... تلـــهب الشرق حماسا واشتعـــال
نفثـــوا فى كل صقـــع قوة ... للكفـــاح الحر فى دنيـــا النضال
فأقضوا مضجـــع البغـــى على ... قدم العهـــــد وإفساح المجال
فى الجنوب الحر فى الأردن فى الـ ... مغرب الأقصى وفى سوح القتال
لم يفـــق من غشيـــة الهول على ... صفعـــة إلا وأخـــرى فى القـــذال
خطـــط محكمـــة التـــدبير فى ... سرعـــة التنفيـــذ من جد النضال

---

(١) الأنغام المضيئة : ٨٢/٧٩

إلى قوله :

حيـوا أقطابـا كبـارا وثبـوا وثبـةً عظمـى إلى أسمى مجال
دعمـوا الوحـدة من أساسهـا وبنوا صرح العلا سامى المثال
فى اجتماع وجـف الغـرب له واحتفى العرب به أى احتفال
أطلـع الشرق بهم فى أفقـه فيض أضواء (شموس) وجـلال
سادة من أعظـم القـادة فى منهج الـرأى وميـدان القتـال
ينضح الاخـلاص من أعطافهـم عبـق المجد ولألاء الخصال
نذروا الأنـفس للذود عن الـ ـوطـن الأكبر أرواحـا ومـال
وبنـاء الوحـدة الـكبرى على كرم الأهداف لا حلف الضلال
مستمديـن على إخلاصهـم ناصع التاريخ فى أزكى الخلال
إنها التهيئـة العظمـى لمن يثبت الذات على أسنى مثال
وبنـاء لوجـود صادق فى صراع الكون إن جد النضال
وانتفـاضات حيـاة حرة وارتعـاشات بها التـاريخ صال
هزت الأمـة من أطرافهـا هزة البـعث لأجيـال طوال

إلى قوله :

شهـدت مكـة فى ساحـاتها موكب القادة يسمو فى اختيال
تخفـق الأعـلام نشوة عزة وتميـد الأرض فخـرا والجبـال
الشموس الغر من يعـرب قد سطعت فى مكـة ذات الجلال

الأبيات كلها تدور حول الغرض منها وهو وحدة الأمة الاسلامية فى كفاحها ضد أعدائها ، فأقضوا مضاجع البغاة وارتجف الغرب ، فى تصوير أدبى يقوم على ألفاظ جزلة وكلمات فخمة ، وأسلوب قوى ، أحكم صنعته ، وعاطفة صادقة مشبوبة ، ومشاعر حية نابضة ، لكن لا أدرى كيف ينضح الاخلاص من الأعطاف ؟

أما الموسيقى الشعرية فى القصيدة فلا تتناسب مع الحماسة فى الغرض ، الذى يقوم على حفز همم القادة ، والأمة العربية ضد الغرب أعداء الاسلام والعربية ، وهذه الحماسة تقتضى بحرا كثير التفاعيل ، وقد كان هذا على نحو ما ، لكن الذى لم يكن الإيقاع المناسب للغرض ،

فالحماسة تقتضى إيقاعا عنيفا يعصف بالحمم ، وموسيقى داخلية ثائرة تتفجر بركانا ملتهبا ، والعنف والعاصفة ، والثورة والبركان تتنافى مع كثرة حروف اللين والمدات فى داخل الأبيات ، التى تحدث رخاوة وهدوءا وبطأ وامتدادا ، انظر إلى حروف اللين فى البيت فى أصواتها الرخية التى تحتاج إلى نفس طويل لا أنفاس حماسية متتابعة مما يجعل اللسان يتعثر فى النطق بهما بما لا

يتناسب مع السرعة فى الحماسة فمثلا فى البيت الأول فيه (شاع الجلال ــ أعادوها على ــ أسمى ــ مثال) ثمانى مدات فى بيت واحد ، وفى البيت الثانى (رنا ــ التاريخ ــ فى ــ ساطعا ــ وهاج ــ الخلال) سبع مدات بالاضافة إلى تعثر اللسان بشدتين فى التاريخ وفى وهاج ، مما يزيد التثاقل والبطء وهكذا فى كل الأبيات حتى نهاية القصيدة وكان الأولى بالشاعر تبعا للحماسة أن يستبدل كلمات يحل السكون فيها محل حروف اللين وكلاهما واحد فى مقياس التفعيلة والوزن ولكنهما مختلفان فى الايقاع المناسب للغرض فاللين يتناسب مع الأغراض التى تحتاج إلى تأمل وطول نفس كالرثاء والاعتذار وشعر الوجدان أما التسكين لما فيه من القطع والعنف لا الرخاوة والامتداد يتناسب مع الحماسة والمدح والفخر ، وأغراض القوة كلها .

وكذلك كان الأمر فى القافية ، فقد أخل حرف اللين مما ينبغى أن يكون فى الحماسة من القوة والدفقة العنيفة التى لا تتأتى من حرف اللين فى القافية وإنما يوحى بها السكون الذى يجزم الأصوات ولا يمط فيه ، وإذا أعدنا النظر إلى القافية كلها لكان الأمر كذلك مثل (مثال ــ الخلال ــ الكمال .. الخ) .

رابعاً ــ شعر الحضارة وخصائصه الفنية :

وجاء هذا الغرض فى الديوان تحت عنوان (فى الحضارة) واشتمل على قصائد ، منها قصيدة (برسى شيلى ص ٨٩) وهو من أشهر شعراء الانجليز ١٧٩٢ ، ١٨٢٢ م ومن دواوينه (أدونيس) ومن أشهر كتبه (ثورة الاسلام) ومطلعها(١) :

روح على الفن من إشعاعه ألق ... يلوح فى ومضات الفكر يأتلق
وشعلـــة من ذكاء ظل يلـــهبها ... قلب غدا بأوار الحب يحتـــرق

وقصيدة (قمة افرست ص ٩٢) بمناسبة اكتشاف القمة الخالدة ، وقصيدة (القنبلة الذرية) ومطلعها : (٢)

صدى نبأ قد رددتـه الجوانب ... وسر اكـتشاف حققتـه التجـــارب
أصاخت له الأفلاك والدهر واجف ... وحارت له الأفكار والكون واجب
به رجحت للسلم فى الكون كفة ... وأدرك أسمى غايـة الـنصر غالب
قوى طاقة الذر الذى فى اكتشافها ... تحـقـق من أسمى المطامع جانب
قوى لو بها راموا البناء أحدثت ... أمـورا تعـم الكـون منها الغـرائب

---

(١) الأنغام المضيئة : ٩٢/٨٩
(٢) الديوان : ٩٨/٩٣

قوى من شعاع لا تقاس إذا بدت ... تزلـزل من شم الجبال المنـاكب
إذا فجروهـــا غيم الجو فجـــأة ... وسح رذاذ يغمـر الأرض ساكب
وأظلم قرص الشمس وامتقع الضحى ... وذاب الثرى قد صهرته الكهارب
ودوى انفجار ترجف الأرض رهبة ... وترتج منه الشهب والنجم ذائب
أمن (ذرة) لا تبصر العين جرمها ... ولا لمستها فى الأكـف الرّواجب
هبـاء من الأجـرام طار مفرقـــا ... كما طار فى أفق الفضاء الجنادب
تؤول قوىً حصادة أنفس الـورى ... ويمسى بها العمـران وهـو خرائب
تضاءل عنها الكهربـــاء وسرهـــا ... ومـــوجب تيـــاراتها والسوالب

إلى قولـــه :

أفى العدل أم فى العرف أم أى شرعة ... من الشرع قد قامت عليها المذاهب
ترى يستجاز الظلم فى حق أمة ... مسالمة أخـــنت عليها النـــوائب
ويـقضى على حق الليـوث بذلـة ... لتحـــيى على أوطـــانهن الثعـــالب

ومن شعر الحضارة قصيدة (باكستان ص ٩٨) قالها العقيلى حين زار الملك فيصل باكستان عام ١٣٨٨ هـ ، ومنها قصيدة (ديجول ص ١٠١) الرئيس الفرنسى فى ذى الحجة عام ١٣٨٨ هـ ، وقصيدة (الحية) للشاعر الانجليزى (رسكن) عام ١٣٨٨ هـ .

ومن خصائص شعر الحضارة عند العقيلى أن موضوعاته متنوعة فتارة يصور فى شعره العربى أدب الحضارة والرقى فى انجلترا ، وحضارة الاسلام التى فرضت وجودها كحقيقة مقررة على أعداء الاسلام وذلك فى قصيدته (برسى شيلى) الشاعر الانجليزى الفذ الذى سجل حضارة الاسلام فى كتابه (ثورة الاسلام) وهذا يدل على سعة ثقافة شاعرنا العقيلى . وكذلك الأمر بالنسبة للشاعر الانجليزى (رسكن) .

وتارة يصور فى شعره الحضارة المادية العلمية فى عصر التقدم الذرى وذلك فى قصيدته (القنبلة الذرية) فيرى أنها ستكون من دوافع السلم لا الحرب ، بل ينبغى أن تستخدم الطاقة الذرية فى تقدم الأمم وحضارتها لا فى دمار الحروب والقضاء على التقدم البشرى لأنها فى ذاتها تقدم علمى حضارى فكيف تستخدم فى التدمير والارهاب .

وتارة يصور فى شعره حضارة الاسلام فى باكستان التى أوجبت على زعماء الأمة الاسلامية أن يتعاونوا ويقفوا صفا واحدا ضد أعدائهم ، وهذه الروح الوثابة تبدو فى أسمى مظاهرها حين التقى الملك فيصل رحمه الله تعالى بالأمة الاسلامية فى باكستان ليوثق هذه الروابط الاسلامية العالمية ، وذلك فى قصيدة (باكستان) .

وتارة يصور فى شعره الحضارة الغربية البناءة فى شخصية زعيم من زعمائها (ديجول) الرئيس الفرنسي الذى أعلن شعار الاسلام فى هذا العصر ، فقد انتهى عصر الحروب

والاستعمار والظلم والاستبداد بالشعوب الضعيفة ، والانسان اليوم فى أشد الحاجة إلى بناء الحياة على أساس السلام والتقدم والرفاهية وترسيخ الحضارة العلمية التى تسمو بالأمم وتحقق للانسان حريته واستقراره وترفرف عليه السعادة والرفاهية ، وذلك فى قصيدة (ديجول) الذى أنشدها العقيلى فى ذى الحجة عام ١٣٨٨ هـ .

وتلك التجارب الشعرية تدل على سعة ثقافة الشاعر العقيلى واهتمامه بقضايا الانسان بصفة عامة ، ومواكبة الحضارة والرقى البشرى فى أى موقع من مواقع الانسان فى العالم ، والدقة فى اختيار الموضوعات تدل على ذكاء الشاعر وعمقه ، وإدراكه الواعى والدقيق للقضايا التى تنبنى عليها حضارة الانسان فى العصر الحديث .

والتصوير الأدبى فى شعر الحضارة جديد فى صوره الخيالية البديعة من حيث المضمون وخصوبة الخيال وروعته فالقنبلة الذرية اكتشاف علمى جديد يقتضى من الشاعر خيالا واسعا وخصبا عميقا ، يستمد التصوير الأدبى روافده القوية من خصوبته وعمقه .

والإيقاع الموسيقى هنا يتلاءم مع الغرض فكان رافدا قويا من روافد الابداع فى التصوير الأدبى وقوة الايقاع فى القصيدة ترجع إلى تناسب حروف اللين الكثيرة مع التروى والتأمل وطول النظر فى مجال العلم وساحة البحث والفكر .

وقد يصور الشاعر الحضارة العربية فى الوطن السعودى من خلال التقدم فى الفكر والعلم فى هذا البلد الأمين ، وذلك حينما يمدح رائدا من رواد الفكر والعلم والأدب والنقد وهو الأستاذ حمد الجاسر يصور ذلك كله فى قصيدته (يا ومضة الفكر) يهديها إلى علامة الجزيرة حمد الجاسر فى ١٣٩٠/٧/٢٤ هـ [1] ومطلعها :

يا قمـــة شامخة فى الـــذرى ... وكوكبـــا بين مسار الخلـــود
وومضة للفكـــــر وهاجــــة ... تضىء فى العصر ضيـاء البـدور
وفـيض علـم زاخـر دافـــق ... مستفحل التيـار طامـى المدود
شموخك البكـر سنـا روعـــة ... علويـــــة من نجوات الحدود

★ ★ ★

يا قلمـــا كالبراق فى ومضة ... ورعشة النجـم وسحــر المساء
كالجدول المنساب فى رقـــة ... وكالأعـــــاصر وعصف الهواء
يعطــــــر الضاد بأمجاده ... فى العلم والبحث وكشف الخفاء
يستنطـــق الآثار مستلهمـــا ... روائـــع التـــاريخ فيها مضاء

★ ★ ★

---

(١) الأنغام المضيئة : ١٣٥/١٣٣

إلى قولـه :

من رادة العلـــــــــم ورواده ومـن حداة العلـم فى كل ناد
من معشر حيـــاتهم منجـــم ثــر يمد الفكـر منــه امتـــداد
تراث علـم خالـــد فى الــورى وإرث فن نوره فى اتقــــاد
ونبــــــع خير وجمال سمت بها نفـــوس وتعـــالت بلاد

★ ★ ★

إلــيك أستاذى صدى نغمـــة من قمــــم الإلهام تستنطـــق
من يشق سامـى الـرؤى والهوى لنفحهـــا الأرواح تستـــنشق
تبقــــى على الآماد فى نضرة يشع من لألائهـــا رونـــق
قد رسمت لكـــم فيها سيرة وضيئـــة أو خلـــق مشرق

وتقوم هذه القصيدة فى قالبها الموسيقى على نظام المقطعات وهو خروج محافظ .

خامسا ــ شعر الوجدان وخصائصه الفنية :

تناول العقيلى هذا الغرض فى ديوانه تحت عنوان (الغزليات) ، وتشمل قصيدة (الغرام الأول ص ١٠٩) وهى أول قصيدة للشاعر فى عام ١٣٥٩ هـ ، وقصيدة (نظرة فى الغسق ص ١١١) فى عام ١٣٦٠ هـ ، وقصيدة (كنت يا دار ص ١١٢) ، وقصيدة (على ضفاف فوار انطلياس ص ١١٥) أنشدها العقيلى فى لبنان وهو يعالج ، وكان فى صحبته صديقه الأستاذ حمد الجاسر ، وقصيدة (الباخرة العربية كليوباترا ص ١١٨) .

يقول العقيلى فى (كنت يا دار) حين مر على دار غرامه الأول فشجاه دثورها ، فأنشدها وأهداها إلى السيد محمد عقيل بن أحمد ومطلعها(١) :

كنت يا دار على رغم البلى
هيكـــــل الحب ومحراب الهوى
حرمـا للـحسن قد شع على
ساحـة الطهـر وقـد حام السنا

★ ★ ★

(١) الأنغام المضيئة : ١١٢/١١٥

طالما رفت قلـــوب وهـــفّت
مهج صوبك فى جنح الظلام
حومت خفاقـــــة تمنعهـــــا
هيبـــة الوجـــد ويـــدنيها الغـــرام

★ ★ ★

كان مصبـــاحك قلبـــا نابضا
وشعاعـــا فى الدياجـــى يهتـــف
فإذا لألأ فى أفـــق الدجـــى
دنت الارواح منـــــه تلهـــف

★ ★ ★

تتمـــــلاك لحاظ عربـــــدت
تحتسى حسنك سكرى لا تفيق
غرقت فى نشوة الحب وقـــد
طاف جام الحسن يطفو بالرحيق

★ ★ ★

فلك أنت لشمس أفـــــلت
طالما شعت على تلك الخدور
حجب الموت سناهـــا فهـــوت
وكـذا تغـرب فى الأفـق البـدور

هكذا وردت القصيدة فى الديوان مقطعة الأبيات إلى شطرات كل مقطعة بيتان منثورة فى أربع شطرات ، والمقطع متحد القافية ومختلف فيها مع بقية المقطعات الأخرى ، وهذا أقصى ما يخرج فيه الشاعر على القالب الموسيقى العمودى ، وخروجه فى القافية لا فى الوزن والبحر حيث التزمه فى شعره كله . وتخيل أن الشاعر بهذا التفتيت للأبيات والتمزق فيها يريد أن يضفى على المقطعات هيلمانا أكبر ليكون المقطع فى أربعة أسطر لا فى بيتين على سطرين ، ولا أظن أن الشاعر يريد أن ينهج طريق شعراء التفعيلة فى اكتناز المسافة فى السطور والاطناب من غير داع فى كثرتها . لأن الشاعر معتد بمدرسته المحافظة على شكل القصيدة ومنهجها الموسيقى .

والتصوير الأدبى فى القصيدة بناء فنى قوى يستمد قوته من العاطفة المشبوبة ، والمشاعر العميقة المتدفقة ، والألفاظ الرقيقة العذبة ، والأسلوب السهل المنساب ، والخيال القوى الخصب ، والموسيقى الممتعة الجذابة . فالدار الدثورة لا زالت هيكل الحب ومحراب الهوى وحمى

للحسن ، وساحة للطهر ، ترف حولها القلوب خفاقة يؤججها الشوق ، ويمنعها هيبة الوجد ، مصباحها قلب نابض يهتف شعاعها بالحياة فتستجيب لها الأرواح فى لهفة وشوق ، تعود إلى الماضى والذكريات وإذا بالحقيقة ضاعت بين الدثور والغرام قد انطوى فى الغيوب ، واختفى فى الحذور ، وهكذا الشأن فى البدور حينما يلفها الأفق وراء الغروب .. صور خيالية رائعة تعد أروع الصور فى شعر العقيلى .. حيوية وحركة وقوة وتأثيرا .

وهكذا يمضى الشاعر فى الشعر الوجدانى وهو من أقوى الأغراض الأدبية فى ديوان الشاعر من حيث التجربة الشعورية الصادقة والعاطفة المشبوبة والمشاعر الحارة المتدفقة ، والروعة فى التصوير الأدبى وخصوبة الخيال ، فى صوره الأدبية النابضة البديعة .

سادسا ـ الوصف وخصائصه الفنية :

وجاء هذا الغرض بعنوان (الوصف) واشتمل على قصيدتين الأولى قصيدة (كماج النحل ص ١٣٩) والثانية قصيدة (قلم ص ١٤٠) ومطلعها :[١]

هنا قلم شخت الشباه نحيل	به الفن يسمو والبيان يصول
ترشف أضواء الكواكب وانثنى	يداعب ومض البرق وهو صقيل
يحوم بآفاق الخيال محلقا	ويمرح فى دنيا الهوى ويقيل
ويبدع فى تصوير ألوان شعره	ظلالا وأضواء تكاد تجول
خطوط من الإلهام فى الشعر صورت	عواطف تسمو بالحجا وميول
لها من جلال الفن ما يبهر النهى	جلالا ومن زهو الحياة دليل
لها روعة الليل البهيم إذا دجى	ومن بهجة الصبح المبين شكول

وهكذا إلى آخر القصيدة يصور فيها القلم يصف شكله ودوره فى جودة الخط وجمال التصوير ، وما يصول فيه العلم والبيان الذى تبدد أنواره ظلام الجهل مثل الكواكب التى تبدد الظلام وومض البرق وسط الغيوم ، كما يخلق مع الخيال ويسجل أحاديث الهوى وشجون المحبين ، ويدبج الشعر ألوانا وظلالا فيسير بين الناس ينقل إليهم عواطف الشعراء وخواطرهم وميولهم فيأخذ بالعقول ويستولى على القلوب بجلاله وسحر فنه ويبث الروعة فى الليل البهيم ، وينشر البهجة فى الصبح المنير ، وغير ذلك من معانى القصيدة وأفكارها العميقة فى صور أدبية رائعة وخيال عميق ، وألفاظ عذبة رقيقة ، وأسلوب واضح محكم لا قلق فيه ولا اضطراب يلتزم فيه بخصائص مدرسة التجديد المحافظ على منهج القصيدة العربية القديمة .

---

(١) الأنغام المضيئة : ١٤٣/١٤٠

سابعا ـــ الأناشيد :

ويشمل هذا الغرض نشيدين : أحدهما (نشيد المملكة العربية السعودية ص ١٤٣) ، وثانيهما نشيد (أبناء الجزيرة العربية ص ١٤٥) ومطلعه[1]؛

نحن أبناء الجزيره
أمجدُ الأحياء فى التاريخ سيره

نحن نسمو للمعالى
نحن نسعى للصلاح

نحن أصل العرب فى كل البلاد
زاننا صفوة خلق الله من بين العباد

إنه سامى الفعال
خير داع للفلاح

وهكذا إلى آخر النشيد فى خفة وزن وحلاوة أسلوب وشرف المعنى وسمو الهدف ، وجمال التصوير ، ليدل على أن العقيلى يستطيع بملكته الشعرية أن يتناول كل الأغراض فى شعره يتناول القصيد ، والمقطوعات الغنائية الخفيفة مع فصاحتها وسلامة الاعراب فيها .



---

(١) الأنغام المضيئة : ١٤٥

الفصل الرابع

الشاعر زاهر عواض الألمعي

١- نشأة الشاعر وحياته .
٢- الأغراض الشعرية وخصائصها الفنية .
٣- التجربة السعودية .
٤- المناسبات في الشعر .
٥- الصدق الفني .
٦- الألفاظ والأساليب .
٧- الخيال وصوره الجزئية .
٨- الوحدة الفنية في شعر زاهر .

نشأة الشاعر وحياته

هو الشاعر الدكتور زاهر عواض الألمعى ، من مدينة (رجال ألمع) فى الجنوب ولد عام (١٣٥٣ هـ) .

وفى مقتبل شبابه انخرط جنديا فى سلك الخدمة العسكرية (بجازان) عام (١٣٧١ هـ) ، ومن خلال عمله كان يواصل دراسته عند بعض المشايخ فى جازان ، وخاصة بعد فراغه من العمل اليومى .

وفى عام (١٣٧٦ هـ) استقال من الجندية ، ليلتحق بمعهد (شقراء العلمى) ليكون طالبا فيه عام (١٣٧٧ هـ) .

وبعد أن استكمل دراسته فى المعهد العلمى التحق بكلية (العلوم الشرعية) بالرياض .

وحينما تخرج من الكلية انتدب للتدريس (بمعهد أبها العلمى) فى عام (١٣٨٩ هـ) ، ثم ارتقى مديرا (لمعهد نجران العلمى) فى عام (١٣٨٥ هـ) .

وفى زحام الحياة والعمل حصل على (الليسانس) من (كلية الشريعة) بالرياض فى عام (١٣٨٦ هـ) ثم (الماجستير) من كلية (أصول الدين) بجامعة الأزهر فى عام (١٣٨٩ هـ) .

وبعد حصوله على (الماجستير) عين أستاذا بكلية (العلوم الشرعية) خلال عامى (٩١ — ١٣٩٢ هـ) ، وفى أثناء ذلك حصل على درجة (الدكتوراة) من كلية (أصول الدين) جامعة الأزهر .

وبعد حصوله على (الدكتوراة) تقلد منصب العمادة لشؤون المكتبات بجامعة الامام محمد ابن سعود الاسلامية .

والشاعر زاهر له مؤلفات مطبوعة ومخطوطة : منها كتاب (مع المفسرين والمستشرقين فى زواج النبى ﷺ بزينب بنت جحش) ، (مداخل الأصول الفقهية) ، (أصحاب الأخدود) ، (مناهج الجدل فى القرآن الكريم)(١) .

---

(١) انظر شعراء العصر الحديث : عبد الكريم الحقيل : ص ١٤ ، وديوان (الألمعيات) التقديم

وفى عام ١٣٩١ هـ) صدر له الديوان الأول (الألمعيات) فى حجم متوسط ، ١٥٦ صفحة ، طبع دار القلم فى بيروت ، وقدم له الأستاذ عبد العزيز الرفاعى . الطائف فى ١٣٩١/٦/٤ هـ .

وفى عام (١٤٠٠ هـ) صدر له الديوان الثانى (على درب الجهاد) فى حجم متوسط ، ٢٢٠ صفحة ، مطابع الفرزدق التجارية بالمملكة العربية السعودية .

يقول الأستاذ عبد العزيز الرفاعى فى تقديم الشاعر : صاحب هذا الديوان عصامية متجددة ، بدأ حياته من أول درجات السلم ، ثم أخذ يتدرج صعدا كلما ارتقى درجة حفزته نفسه الطموح إلى أخرى أعلى ، فاندفع وفى نفسه مضاء وعزم وأمامه هدف ، ولا أدل على ذلك من ترجمة حياته المثبتة فى هذا الديوان فهو يبدأ حياة الكفاح جنديا فى أول سلم الجندية ، ثم يأخذ فى الارتقاء لا فى سلم الجندية ، فقد غادرها إلى حياة التعلم والتعليم ، لكنه لم يفقد روح الجندى عزيمة وتصميما وتطلعا إلى مرتبة أعلى(١) .

ويقول الشاعر فى تصدير الديوان الثانى : هذا هو ديوانى الثانى يضم بين دفتيه عشرين قصيدة حروفها نبض قلب يعتصره الألم لما عليه حال أمتنا الاسلامية ، ومعانيها ومض فكر تؤرقه هموم الأجيال المسلمة التى ترنو إلى تحرير أرض الاسلام من قبضة الأعداء ، وتطبيق شرع الله فى جميع الأرجاء .. وهى فى مجموعها مرآة تعكس ما يعتلج فى قلوب بنى العروبة والاسلام من آلام وآمال . وما تتطلع إليه أجيالها من حسن مآل (٢) .



(١) مقدمة ديوان الألمعيات

(٢) على درب الجهاد : ص ٥

الأغراض الأدبيـة

تعددت الأغراض الأدبية فى شعر زاهر ، وإن غلب على الديوان الثانى (على درب الجهاد) الشعر الاسلامى ، واحتل هذا الغرض مكان الصدارة من شعره كله ، ثم تأتى أغراض أخرى دونه من أهمها شعر القوميات والوطنيات ، وشعر الطبيعة ، والرثاء ، والمدح ، وشعر الحضارة .

وهذه الأغراض الأدبية ، منها ما هو قديم سبقه إليها الفحول من الشعراء القدامى ، ومنها الجديد ، الذى تجاوب به الشاعر مع قضايا عصره ، وعالمه الاسلامى والعربى ، أو كان الغرض صدى لواقع البيئة التى يعيشها الشاعر فى عالمه المعاصر ، وسأوضح ذلك عند تناول كل غرض أدبى على حدة فى مكانه باذن الله تعالى .

أولا ـــ الشعر الاسلامى :

هو الغرض الأدبى الغالب على فنه الأدبى ، وسيطر على عطاء الشاعر فى كل مناسبة اسلامية ، أو قومية ، أو وطنية ، فالمناسبات كانت من أهم الدوافع ، التى جعلت الشاعر من الشعراء الملتزمين فى الشعر السعودى خاصة والاسلامى بصفة عامة ، وهناك دوافع أخرى تقف من وراء هذا الدافع وهى :

١ ـــ روح الجندية والعسكرية ، التى بدأ بها حياته العملية قبل أن يكون طالبا للعلم ، فأحيت فى نفسه غريزة الحث على الجهاد فى سبيل الاسلام والمسلمين .

٢ ـــ حضور مؤتمرات الحجيج فى منى وغيرها ، وخاصة فى الحفل الذى يقيمه جلالة الملك سنويا فى « منى » فينتهز الشاعر هذه الفرصة ليعبر عن مشاعره الاسلامية فى هذا الموكب العظيم ، الذى يفجر المشاعر عند كل مسلم ، ويحرك الأحاسيس ، ويلهب العواطف الجياشة ، ويهز الوجدان والضمير ، نحو التضحية والفداء فى سبيل الاسلام والمسلمين .

٣ ـــ تخصصه العلمى والعملى فى حياته العملية ، فقد حصل على أعلى درجة علمية ، وهى « الدكتوراة » فى الشريعة الاسلامية ، وعمل أستاذا فى كلية « العلوم الشرعية » ، ثم عميدا لشؤون المكتبات فى جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية .

٤ ـــ التحدى السافر من تكاتف الصليبية المسيحية مع الصهيونية العالمية أعداء الاسلام

ضد المسلمين وعقيدتهم ، مما أدى إلى السيطرة على أراضيهم واستغلال أموالهم واحتلال القدس الشريف ، فانطلق الشاعر يحث الأمة الاسلامية على التضامن فى سبيل التحرير الكامل للقدس الشريف والأراضى الاسلامية العربية .

والشعر الاسلامى يضم هذه القصائد فى ديوانه « الألمعيات »[1] منها قصيدة « مؤتمر الحج الأكبر ص ٣٣ ، ٣٨ » ألقاها الشاعر فى الحفل السنوى الذى أقامه جلالة الملك فيصل ابن عبد العزيز ، تكريما لحجاج بيت الله الحرام فى « منى » ١٣٨٩/١٢/١١ هـ ، وقصيدة « من رحاب الله ص ٣٩ ، ٤٨ » ألقيت فى الحفل السنوى الذى أقامه جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز تكريما لحجاج بيت الله الحرام « بمنى » فى ١٣٩٠/١٢/١١ هـ ، وقصيدة « جحافل المجد ص ٥٤ ، ٥٦ » ألقيت فى الحفل الثقافى ، الذى أقيم فى « معهد شقراء العلمى » فى ١٣٧٨/٦/١٣ هـ ، وقصيدة« دولة الاسلام فى ماضيها المجيد ص ٧٢ ، ٧٦ » ، ألقيت فى حفل كبير « بمعهد أبها العلمى » فى ١٣٨٤/٧/١٨ هـ .

أما قصيدة « من ربا أم القرى ص ٨٢ ، ٨٧ » ، ألقيت فى الحفل السنوى الذى أقامه جلالة الملك « فيصل بن عبد العزيز » تكريما لحجاج بيت الله الحرام فى « منى » فى ١٣٨٨/١٢/١١ هـ ، وقصيدة « تحية المعهد ص ٩١ ، ٩٢ » أنشدها الشاعر عندما زار أحد المعاهد العلمية ، فأعجب بشبابه النابهين ، ولمس فيهم الطموح ، فحيا المعهد بها ، وقصيدة « نجدة الاسلام ص ١٠٨ ، ١١٢ » ألقيت فى حفل ثقافى كبير « بمعهد شقراء العلمى » حضره عدد من رجال التربية والتعليم ؛ وقصيدة « وحدة العرب ص ١٣١ ، ١٣٥ » ألقيت فى حفل ثقافى كبير أقامه « معهد أبها العلمى » عام ١٣٨٣ هـ .

أما الشعر الاسلامى فى ديوانه « على درب الجهاد »[2] فقد اشتمل على قصائد منها : قصيدة « عودى إلى درب الجهاد ص ٩ ، ١٧ » ألقاها الشاعر فى « منى » عام ١٣٩٩ هـ ، يناشد فيها ليلاه العودة إلى أصالتها ، ويحذرها من كيد أعدائها المتربصين بها ، ولا يرى لها انفكاكا عن دينها ووحدتها ، لأنها معدن التضحية والفداء ، ويناشد المسلمين نبذ الفرقة والخلاف وتحرير المسجد الأقصى ؛ وقصيدة « فى رحاب البيت ص ١٩ ، ٢٥ » ألقيت فى موسم الحج « بمنى » لعام ١٣٩٤ هـ انطلاقا لما يجيش فى صدر الشاعر من حب لبيت الله الحرام تتجلى فى وصف المشاعر المقدسة ومواكب الحجيج ؛ وقصيدة « مشاعر الالهام ص ٢٧ ، ٣٧ » ألقاها الشاعر فى مؤتمر الأدباء بمكة المكرمة عام ١٣٩٤ هـ بدأها بمطلع غزلى

---

(١) فى كل صفحة منه ستة عشر بيتا تقريبا

(٢) تضم الصفحة الواحدة خمسة أبيات تقريبا

عفيف ، ثم يشيد بالرسول الأعظم ورسالته الخالدة ، والقصيدة تعكس معانى الحب الصادقة فى قلب الشاعر .

أما قصيدة « وحدة العرب ص ٣٩ ، ٤٦ » ، وهى فى تصور الشاعر تختلف عن المفاهيم القومية الضيقة ، فيوضح الأسس السليمة التى يمكن أن تقوم عليها هذه الوحدة ، لتلتقى مع الوحدة الاسلامية الشاملة ، فواقع الأمة الراهن من أهم ما يشغله ، والقصيدة تعكس جانبا كبيرا من الدعوة إلى الوحدة والاهتمام بها ؛ وقصيدة « ضيوف الرحمن ص ٧٥ ، ٨٢ » ألقيت فى « منى » عام ١٣٩٤ هـ لايقاظ مشاعر الحجاج حول قضايا الساعة ، والإشادة بأبطال الاسلام ومنهم المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز طيب الله ثراه ، فقد خصه بأكبر جزء من القصيدة .

وأما قصيدة « فى ربا الحرمين ص ٩٥ ، ١٠٥ » ألقاها الشاعر فى منى عام ١٣٩٥ هـ ، يصور فيها أثر فرقة المسلمين واختلافهم فيما بينهم من المآسى التى تحز فى قلب الشاعر ، فيحث المسلمين على التمسك بأهداب الشرع الشريف ، ويحضهم على نبذ الفرقة والخلاف ، وذلك فى الحفل الذى يقيمه جلالة الملك سنويا « بمنى » ؛ وقصيدة « دعوة الحق ص ١١٧ ، ١٢٩ » يبتهل فيها الشاعر إلى الله تعالى أن يوقظ أمة الاسلام ، ويلم شعثها على الكتاب والسنة ، وعلى اقتفاء آثار الرسول الأعظم ﷺ وخلفائه الراشدين فى الجهاد فى سبيل نصرة الاسلام ورفع رايته ، ولم ينس كعادته أن يذكر المسلمين بما يحيط بهم من أخطار تتهددهم ، وتهدد عقيدتهم وكيانهم ، وقصيدة « فجع الأيام ص ١٣١ ، ١٤٠ » ، يرثى فيها الشاعر فقيد العروبة والاسلام الملك فيصل بن عبد العزيز طيب الله ثراه ، ويشيد بآثاره ومناقبه التى قدمها فى خدمة الاسلام والمسلمين فى كل قطر ، ويهيب بالزعماء أن يقتفوا أثره فى مواقفه الاسلامية والسياسية الرائعة .

وأما قصيدة « فى مشاعر الحج ص ١٤١ ، ١٥٧ » ألقاها الشاعر فى « منى » عام ١٣٩١ هـ يهيب فيها بالمسلمين لنصرة دين الله وإحياء شريعته ، ومحاربة الفساد والإلحاد فى كل قطر من أقطار المسلمين ، ويذكرهم بما يجرى فى المسجد الأقصى من عبث وفساد الصهاينة ، كما يذكرهم بما جرى للدولة الاسلامية الشقيقة « باكستان » من الغزو الوثنى الذى دبره أعداؤها ، وعاضده الكفار الملاحدة ، وما يجرى على مسلمى « زنجبار » و « الفلبين » من التنكيل العنصرى ، والاضطهاد الصليبى ؛ وكذلك من « قصيدة فى حرب رمضان ص ١٥٩ ، ١٦٦ » ألقاها الشاعر فى « مكة المكرمة » عام ١٣٩٣ هـ ، وتحطيمه لخط « بارليف » ، ويحث المسلمين كعادته على استعادة القدس الشريف ، وتحريره من احتلال أعداء الانسانية « اليهود » .

وأما قصيدة « رسالة الاسلام الخالدة ص ١٦٧ ، ١٧٧ » ألقاها الشاعر على جموع

الحجيج لبيت الله الحرام فى الحفل الذى يقيمه جلالة الملك فى كل عام ، وأشاد فى هذه القصيدة بعظمة الاسلام ومجده وفتوحاته العظمى وقهره للفرس والرومان أغنى دول العالم فى فجر الاسلام ، كما أشاد بانتصارات المسلمين فى « حطين » و « ذات الصوارى » ، وحث

المسلمين على استعادة مجد الآباء والأجداد من أبطال الاسلام ، وقصيدة « يا قادة الاسلام ص ١٨٧ ، ١٩٦ » ألقاها الشاعر فى « منى » عام ١٣٩٨ هـ على وفود الحجيج يشيد فيها بجهود وجهاد الرسول الأعظم محمد ﷺ والسابقين الأولين ، ويحث صاحب السمو الملكى الأمير فهد ابن عبد العزيز للعمل على لمّ شعث العرب ، وتوحيدهم تحت راية الاسلام لانقاذ القدس الشريف .

وأما قصيدة « رحاب القدس ص ١٩٧ ، ٢٠٥ » وهذه القصيدة تشغل بال الشاعر ، فلا تكاد تخلو قصيدة من قصائده دون تعريج على القدس ، ودعوة المسلمين لتحريرها ، ولكنه لا يرى مع النزعات القومية والأحزاب المتصارعة بارقة أمل لتحرير المسجد الأقصى ، ولا يرى سبيلا لتحريره إلا بالعودة إلى الاسلام ، واجتماع الكلمة على منهج الله العادل ؛ وقصيدة « شريعة الله » أنشدها الشاعر فى الرياض عام ١٣٩٣ هـ يوضح فيها أن شريعة الله هى البلسم الشافى لكل أمراض الشعوب ، والمنهج الوافى لجميع شؤون الحياة تربية ونظاما ووسيلة وغاية ، وفى هذه القصيدة وصف لشريعة الله بأصولها من توحيد وعبادات ومعاملات وحدود ، وختمها الشاعر ببعض التأملات فى هذا الملكوت العريض والتدبر فى إبداعه .

أولا ــ الخصائص الفنية للشعر الاسلامى :

تميز الشعر الاسلامى عند زاهر بخصائص فنية ، منها طريقته فى منهج القصيدة ، فأحيانا تتجرد القصيدة للشعر الاسلامى بلا مقدمات غزلية ، فتخلص له من مطلعها إلى نهايتها ، وخاصة فى ديوانه الأول « الألمعيات » ، فقد خلت كل القصائد الاسلامية فيه من المقدمات الغزلية ، مثل قصيدة « مؤتمر الحج الأكبر »(١) ومطلعها :

أرب البيت عفوك والمتابا ... وألهمنا بعزتك الصوابا
وألبسنا بفضلك تاج نصر ... إذا سقنا إلى « الأقصى » ركابا
فقد خشعت جوانح كل فرد ... وأحنينا لعزتك الرقابا
وفى البيت العتيق علا هتاف ... يناشدك المثوبة والمتابا
وقد عبق الأريج وكان مسكا ... وعم البقاع واعتنق السحابا

---

(١) الألمعيات : ٣٨/٣٣

إلى قوله :

« أموتمر الحجيج » سموت نهجا وذللت المتاعب والصعابا
ولبيت النداء بكل فج وأديت المناسك مستجابا
وفى نبرات صوتك ذكريات أعادت فى ضمائرنا الشبابا
وقد هزت مشاعر كل فرد يريد المجد أو يهوى الطلابا
لأنا أمة عاشت لمجد وتحمى صفوه من أن يشابا
وإن بدرت بواعث كل شر نصبنا فى مسالكها الحرابا
ففى « اليرموك » أذكينا ضراما وسيف الله لا يأوى قرابا
وقد أزجى بوادى النيل عمرو جنوداً تعشق الموت احتسابا
وفى « البسفور » غارات وزحف طوى فيه « ابن عباس » الصعابا
ودان الرافدان لجيش « سعد » وقد جاب المشارف والرحابا
وفى مدريد طافتها ليوث ودقت حصنها العاتى فذابا
ونادى « طارق » أسمى نفير وقد قطع البحار به وجابا
بنى الاسلام هل حان اعتصام بحبل الله لا نخشى غلابا
ونمضى فى ركاب المجد زحفا به تعلو صوارمنا الرقابا
ومن عشق البطولة وهوشهم أماط العار واخترق الصعابا
فبالإقدام نبنى كل مجد و « شوقى » حين أنشد قد أصابا
(وما استعصى على قوم منال إذا الاقدام كان لهم ركابا

ثم يحث المسلمين إلى الجهاد فى سبيل المسجد الأقصى فيقول :

فإن رمتم زوال الضيم فاسعوا إلى سبل الوغى أسداً غضابا
فذاك « المسجد الأقصى » رهين وقد كنتم له سوراً مهابا

وهكذا يمضى فى أبيات كثيرة حين ينادى حامى حمى الاسلام الملك فيصل بن عبد العزيز فى مواقفه التاريخية فيقول :

فيا حامى حمى الاسلام جرد سيوف الله تلتهب التهابا
وقدنا فى ملاحم ضاربات فأنت القائد الأعلى جنابا
فقد ناديت للأقصى شعوبا وكان دعاؤك الأسمى مجابا
فإن تسبق إلى الأقصى ركاب فإن « لفيصل » منها ركابا
فدم يا فيصل الاسلام ذخرا زعيما فى الورى بطلا مهابا
وفى أسمى الذرى تبنى بعزم صروح المجد مؤتلقا مثابا

والقصيدة طويلة جدا اقتصرت على بعض أبيات فى المطلع والوسط والخاتمة ، ومن خلالها يصور الشاعر أمجاد الاسلام وبطولاته وتشريعاته وحضارته ، ثم يحث على الجهاد ومواصلة الكفاح للحفاظ على تراثه المجيد وحضارته العريقة ، وعلى تحرير الأرض المغتصبة ، والمسجد الأقصى وغيرها من المعانى والخواطر التى دارت حول الغرض منها بلا مقدمات غزلية ، وبلا خروج عن موضوع الغرض العام وهو « مؤتمر الحج » الذى فجر تجربة الشاعر الشعورية بهذه الخواطر المختلفة والتى تتآخى جوانبه ومشاعره فيه ، وتتلاحم هذه المعانى الكثيرة مع ما يوحى به مؤتمر الحجيج ، لأنه موضوع عام تدخل فيه هذه الجوانب كلها ، ولم يقتصر الشاعر على جزئية واحدة فقط ، لأنه يناشد مؤتمر الحجيج من جميع بقاع العالم الاسلامى ، وهذه الجوانب تتناسب معه ، ولا تخرج عن موضوعه .

واستجاب الوزن والقافية فيها للمعانى والأفكار ، التى تلاحمت مع الغرض ، لأن مظاهر تأثر زاهر بقصيدة « المولد النبوى الشريف » لأمير الشعراء واضحة فى هذه الجوانب ، ولذلك انسابت أفكاره ومعانيه مع الوزن والقافية انسياب الماء الزلال بلا تكلف أو تعمل ، ولكن فى ثورة شاعرية متدفقة فى انثيال الألفاظ ومطاوعة الأساليب ، لتصويره الأدبى الرائع الذى يتسارع إلى الذهن فلا يتعثر فى الفهم ، وتنفتح منافذ العقل والقلب معا ، بل استجابة القارىء لشعره تسير مع القراءة أو السماع جنبا إلى جنب ، وانظر كيف انسابت بعض الأفكار والمعانى والأبيات لشوقى فى قصيدة الشاعر زاهر بلا استئذان كما فى قوله :

فبالاقـــدام نبنـــى كل مجد ... وشوقى حين أنشد قد أصابــا
ومـا استعصى على قوم منـال ... إذا الاقـدام كان لهم ركابــا

وليس معنى ذلك أنه قد عارض شوقيا فى كل المعانى والأفكار والصور ولكنه بلا شك قد ظهرت شخصيته فى معان كثيرة اقتضاها الغرض ، لأن قصيدة شوقى فى المولد النبوى الشريف ، وقصيدة زاهر فى موضوع آخر يختلف عن غرض الشاعر ، وهما يفترقان فى معان وصور كثيرة .

وشاعرنا يتأثر بأمير الشعراء فى بعض المعانى والصور ، بالاضافة إلى الايقاع الموسيقى والوزن أما التأثر بكلمات القافية فهذا أمر طبيعى ما دام البحر واحدا والروى واحدا .

ونرى الشاعر فى هذه القصيدة تسيطر عليه بعض الألفاظ النثرية الخطابية ، مثل لفظ « قد » فقد كررها ما يقرب من عشرين مرة ، وليس هذا من حقل الألفاظ الشعرية لأن للشعر ألفاظه وللنثر ألفاظه ، واستعمالها مع الفعل الماضى هنا يجمد الحدث فى التصويرليحقق الوقوع فى الماضى بلا استمرار وتجدد ، وهذا لا يتناسب مع الحيوية والحركة التى هى من عناصر الصورة الشعرية وإلا تجمدت وتحجرت ، واستعمال الفعل الماضى وحده من غير قد فى الشعر لا يلتزم

جمود الحدث ووقوعه فى الماضى بل يوحى بالتجدد والحركة ، وتأمل معى الفرق فى الاستعمالين عند الشاعر ، مثل قوله : « وقد هزت مشاعر كل فرد » فدل على وقوع الهزة فى الماضى فقط بلا إيحاء الاستمرار ، أما قوله بعده مباشرة « لأنا أمة عاشت لمجد » فدلالة الماضى على وقوع الحدث فيه أو حتى الصورة فيه مع ذلك بالاستمرار والحركة المتجددة والمعنى فلا تزال أمة الاسلام تعيش لمجد ، على حد قوله تعالى : « أتى أمر الله فلا تستعجلوه »(١) والمراد والله أعلم سيأتى أمر الله بقيام الساعة مع أن التعبير بلفظ « لأن » يتجافى مع طبيعة الشعر ، التى تنأى عن التعديل والتدليل ، وإنما يتناسب مع الأسلوب العلمى الذى يقوم على ذلك .

ويقول زاهر فى قصيدة « وحدة العرب » ومطلعها(٢) :

من معهد العلم شماخة القمم ... من منبت العز من دوامة الكرم
من قلب « أبها » وقد حفت جوانبها ... بالعلم بالصيد أبطال ذوى شمم
صوت يدوى له فى الأفق جلجلة ... يمتد فى الأفق من وهاجة الضرم
قلبى جريح لداء العرب ملتهب ... وعلة القوم أدهى من أذى السقم
ما للزعـــازع تجرى فى مواكبهم ... تحثو السموم بداء قاتل عمم

ومنها :

لا مجد للعرب ما دامت أكفهموا ... فى كل أمر تنادى هيئة الأمم
يا أيها العرب أحيوا نهج شرعتكم ... من طارف المجد ومن تالد الكرم
وبرهنوا للملأ أهداف وحدتكم ... حتى تماسك بالحافات واللجم
أما البناء على الفوضى بدون هدى ... فقد سئمنا فضول القول والكلم
فهل لكم وحدة تبنى على أسس ... من العدالة والاسلام والحكم
من منبع النور تستسقى مشاربها ... لا من بنى الغرب فى العادات والنظم
أقولها من هنـا شماء ناصعة ... بالدين نرعى مقام العدل والذمم
لا وحدة اليوم ما دامت منكسة ... معالم الدين بين العرب والعجم
الدين منطلق الاصلاح منبلج ... بفجره الساطع البناء للأمم
يا قوم نادوا شعوبا عاثها دول ... أن ليس هذا من الأخلاق والشيم
أيدى الكريم إذا الاذلال نازعها ... تفتر أسيافها مخضوبة بدم
تأبى الأشاوش أن يحتل معقلها ... وأن تلين لبطش الغاصب العرم
فأيقظوا الوعى من كابوس غفلته ... بزاجر من ذوى الأمجاد محتدم
إن المبادىء والأخلاق سنتها ... تبنى الشعوب وترعى حرمة الأمم

---

(١) النحل : الآية الأولى

(٢) الألمعيات : ص ١٣١/١٣٥

وهذه الأبيات مقتطفات من القصيدة الطويلة ، التى تقوم على غرض واحد ، تتجه معانيها كلها إلى موضوع واحد وهو « وحدة العرب » ، التى صورها الشاعر بمفهوم واسع ، لا يقتصر على الجنس العربى فقط ، وإلا كانت قاصرة فى مفهومها وأبعادها وغايتها النبيلة الشاملة ، وإنما المقصود من الوحدة العربية فى تصويره الأدبى هى الوحدة الاسلامية الشاملة ، وهى مطلب كل مسلم ، وإن كانت الوحدة العربية هى الجسر القوى الذى يعبر عليه المسلمون فى جميع أنحاء العالم لتحقيق الوحدة للأمة الاسلامية ، على أن لغة القرآن والاسلام هى اللغة العربية ، فكل من يتكلم العربية فهو عربى ولو كان ذلك من خلال القرآن أو الصلاة .

والوحدة الاسلامية ــ لا العربية ــ هى التى تقف شامخة كما كانت قديما أمام أعداء الاسلام ، لأنها تقوم على المساواة والعدل والإخاء والاصلاح والأخلاق وغيرها من مقومات التشريع الاسلامى ، الذى يصلح لكل زمان ومكان ، ولا يتحقق مثل ذلك من خلال وحدة الجنس مهما كان هذا الجنس البشرى ملتزما بقيمه الخاصة لا بقيم الاسلام .

ودائما ينشد الشاعر الوحدة العربية بهذا المفهوم الواسع ، فقد أنشد قصيدة أخرى بنفس الموضوع والغرض « وحدة العرب » فى ديوانه الثانى « على درب الجهاد » ومطلعها[1] :

من دوحة المجد شماخة القمم ... من منبت العز خفاقة العلم
نادى المنادى إلى الايمان فاستبقوا ... وأسوا جراح أسيرتاه فى الظلم
قلبى جريح بداء العرب ملتهب ... وفتنة القوم أدهى من أذى السقم

ومنها :

لا مجد للعرب ما دامت حناجرهم ... فى كل أمر تنادى هيئة الأمم
يا أيها العرب أحيوا نهج شرعتكم ... من طارف العز أو من تالد الكرم
وبرهنوا للورى عن صدق وحدتكم ... وابنوا البلاد على الأسمى من النظم
أما البناء على الفوضى بدون هدى ... فقد سئمنا فضول القول والكلم
فهل لكم وحدة تبنى على أسس ... من العدالة والاسلام والقيم
من منبع الوحى تستسقى مشاربها ... لا من رؤى الغرب أو مستسمن الورم
أقوالها من هنا شماء ناصعة ... بالدين نرعى مقام العدل والذمم
لا وحدة اليوم ما دامت منكسة ... أعلام أمجادنا فى القدس فى الحرم
الدين منطلق الاصلاح منبلج ... بفجره الساطع الوضاء فى القمم

(١) على درب الجهاد : ٣٩/٤٦

يا قوم نادوا شعوبا عمها وهن ... أن ليس هذا من الأخلاق والشيم
أيدى الكريم إذا الباغى ألمّ بها ... تفتر أسيافها مخضوبة بدم
تأبى الأشاوس أن ترتاد ساحتها ... وأن تلين لزحف غاصب عرم
فأيقظوا الوعى من كابوس غفلته ... بزاجر من ذرى الأمجاد محتدم
إن المبادىء والأخلاق سنتها ... تبنى الشعوب وترعى حرمة الأمم

وهاتان القصيدتان يجمعهما موضوع واحد وغرض واحد ، تحت عنوان « وحدة العرب » ، وتكاد الأبيات فيهما تتفق لفظا ومعنى وأسلوبا وتصويرا وخيالا وهدفا ووزنا وقافية ، وبعض الأبيات متفقة تماما فى القصيدتين ، وبعضها مختلف فى بعض الألفاظ دون المعنى . والقصيدة فى الديوان الثانى زادت عنها أبياتا فى الديوان الأول ، وهذا واضح من خلال القصيدتين لو أعدنا النظر مرة ومرة ، وهذا ما قصدته من ذكر بعضهما معا من باب الموازنة والمقارنة ، ولعل الشاعر يقصد من وراء ذلك تخصيص الديوان الثانى « على درب الجهاد » بالشعر الذى يتصل بالجهاد ، ولذلك جاء بها هنا لتناسبها مع اتجاه الديوان .

ويضاف إلى ذلك أن القصيدة الثانية زادت قليلا من الأبيات عن الأولى ، وتبدلت فيها بعض الألفاظ والصور ، ولاشك أن التغيير كان أقوى وأدق فى الغالب وتأمل معى المطلع فى القصيدتين فالتعبير بقوله « من دوحة المجد » أقوى فى الغرض والتصوير الأدبى من قوله الأول : « من معهد العلم » فدوحة المجد أنسب وأعم وأقوى إيقاعا وأخف على اللسان بسبب اجتماع « العين والهاء » وهى حروف ثقيلة وأثقل على اللسان بسبب اجتماع « العين والهاء » وهى حروف ثقيلة إذا اجتمعت تخل بجمال الايقاع ، وتحدث قلقا فى أصواتها واضطرابا مما يؤثر فى جمال الصورة وينزل من قدرها ، وهكذا كان يقصد الشاعر من التغيير والتكرار فيسمو بالتصوير الشعرى كما رأيناه ، ومثل ذلك التغيير فى (وعلة القوم) فبدلها بقوله (وفتنة القوم) وقوله : « عاثها دول » مع قوله : « عمها وهن » ؛ وقوله : « مادامت حناجرهم » أقوى من قوله « مادامت أكفهموا » وغيرها .

وهكذا يمضى الشاعر فى قصائد كثيرة من الشعر الاسلامى الذى يقوم على غرض واحد فقط فى القصيدة الواحدة وتلك سمة من سمات هذا الغرض الأدبى عند الشاعر .

ومن خصائص هذا الغرض ، أن الشاعر قد يزاوج فى القصيدة بين غرضين فيجمع بين مقدمة غزلية عفيفة ، وبين الغرض الأساسى فى الشعر الاسلامى وخاصة فى ديوانه « الثانى » ، ثم ينساب منها فى رفق وبراعة إلى الغرض الأساسى ، بلا فجوة أو تناقض أو ابتذال وإسفاف ، بل قد لا يدرك القارىء الفاصل بين المقدمة والغرض إلا بعد روية وتأمل ، لانسجام الغزل العفيف مع المعانى التى يشتمل عليها الغرض .

وكان أحيانا يرمز بليلاه عن « الوحدة العربية الاسلامية » ، التى ينشدها فى شعره ، كما فى قصيدة « عودى إلى درب الجهاد » ، وذلك فى غزل عف طاهر ، يشتمل فى المطلع على سبعة عشر بيتا ، ينتقل بعدها إلى الغرض ، وهو حث المسلمين على الجهاد فى سبيل « المسجد الأقصى » ، وصرفهم عن التناحر بين الأحزاب المعاصرة ، من يمينية ويسارية ورجعية ، وفى النهاية يعود إلى الحث على الجهاد فى آخر القصيدة كما بدأ[١] .

وكذلك فى قصيدة « تحية المغرب العربى » بدأها الشاعر بمطلع غزلى عفيف فى ثلاثة عشر بيتا ، ثم يتسلل إلى الاشادة بحضارة الاسلام والمسلمين فى المغرب والأندلس وأمجادهم هناك[٢] ، وهكذا فى قصيدة « فى رحاب البيت » يصور فيها الشاعر أثر الحج فى النفوس أولا ثم يختمها بليلاه رمز الوحدة الاسلامية عند الشاعر فى بيتين[٣] .

أما قصيدة « مشاعر الإلهام » فقد بدأها زاهر بالغزل الطاهر فى تسعة عشر بيتا ، ثم أشاد بالرسالة المحمدية الخالدة فى ثلاثة وعشرين بيتا يعبر فيها عن مشاعره نحو الاسلام والمسلمين ، وما يرجوه لهم من مجد ، يمتد فى أصالته إلى أمجاد المسلمين فى القديم ، يقول فى المقدمة الغزلية[٤] :

طلعت فلاح اليمن فى طلعاتها ... وبدا جمال الورد فى وجناتها
وسرى النسيم على مشارف ثغرها ... تتضوع الأرجاء من نسماتها
ورنت بألحاظ الجفون نواعسا ... تتراقص الأطياف فى ومضاتها
وتبسمت عن ثغر حسن باسم ... فشقائق الأكمام من بسماتها
ونظرت ـ عف النفس ـ سحر جمالها ... ومصارع العشاق فى لمحاتها
ومفاتن السحر الحلال تشدنى ... شوقا وما مست يدى حرماتها
فأطل ثمَّ الحارسان وأشرعا ... نحوى الأسنة من كمين كماتها
فأدرت فى ذهنى عجائب أمرها ... وخشيت هول السطو من طعناتها
فإذا هما فوق الترائب والحنا ... من قلبها الخفاق بعض سماتها
قالت : رويدك فالمراق صعبة ... لا ترتقيها الطير فى غدواتها
فأجبتها أوَمَا علمت بأننى ... كالصقر يغزو الطير فى وكناتها
قالت : معاذ الله أن تخشى الحمى ... وتبيح محلّ الدر من صدفاتها

---

(١) على درب الجهاد : ١٧/٩
(٢) الديوان السابق : ١١٧/١٠٧
(٣) الديوان السابق : ٢٥/١٩
(٤) على درب الجهاد : ٣٧/٢٧

إنى عشقت من النفوس أبيها | من كانت الأخلاق خير صفاتها
فأجبتها : نفسى الأبية فى الهوى | تفديك قد أججت من زفراتها
وتنهدت أعماق روحى لوعة | وسرى الجوى والشوق فى جنباتها
لولا ارتياعى من مغبات الهوى | لقطعت زهر الورد من جنباتها
ولسرت أمتاح الرياض وأجتلى | منها رضاب الشهد من زهراتها
لكن أطيافى وإن جنحت بها | فتن الجمال تعف عن زلاتها
وتتوق أشواقى إلى سنن الهدى | فمشاعر الإلهام فى رحباتها(١)

أرأيت هذا الغزل العفيف الطاهر ، لا يجرح مشاعر مسلم ، ولا يخدش بكرامة مسلمة ، وإنما هو تنفيس بشرى عن غريزة الحب التى غرسها الله تعالى فى الانسان غريزة ، تنساق مع طبيعته البشرية ، وما أجمل أن يعبر عنها الانسان فى لفظ عف ، وتصوير برىء ، وأسلوب طاهر على غرار هذا التصوير الغزلى البرىء ، الذى يعبر بصدق عن تلك الفطرة الانسانية ، فى إطار الخلق الاسلامى ، وأدب القرآن الكريم .

والحب العفيف فى جوهره جانب إنسانى روحى ، يسمو به الانسان ، إذا صوره فى ظلال خلق الاسلام ، لينتقل الشاعر فى تسلل وانسياب إلى جانب روحى وبناء نفسى آخر ، وهو الحديث عن شريعة الاسلام ، وأخلاقه فى بناء المسلمين .

ثم أرأيت الخيط الرفيع فى البيتين الأخيرين ، الذى شد به المقدمة الغزلية إلى الغرض ، إن القارىء لا يفجع بهذا الربط ، وإنما يتأمل فيه ، ويدقق النظر ، حتى يعثر على ما دق من أدوات الربط الدقيقة فى مهارة ، ويستمر الشاعر فى التصريح المباشر بالغرض الأساسى بعد الوحى والتلميح من أول هذه الأبيات(٢) :

تمتد آفاق وترق همتى | سبل الجهاد أخوض فى غمراتها
ويشد حب النبى محمد | من شاد بالسمحاء مجد دعاتها
يا من حملت أبرّ قلب فى الورى | وأعز نفس جانبت شهواتها
تهفو إليك قصائدى ومشاعرى | فى ظل هديك واصلَتْ رحلاتها
فلقد نشأت على سلامة فطرة | وصفاء نفس فى عظيم صفاتها
ولقد أويت إلى حراء وكنت فى | غسق الدجى نورا يضىء جهاتها
فأتاك جبريل الأمين ولم تكن | من قبل تتلو أو ترى قبساتها

(١) على درب الجهاد : ٣٢/٢٨
(٢) على درب الجهاد : ٣٧/٣٣

فدنا وقال : إقرأ . ولست بقارىء أو كاتب تدرى بمرويّـاتها
بل كنت أميا ولكن الذى رفع السماء حباك خير هباتها
وقرأت باسم الله فانجاب الدجى وأضاء نور الوحى من مشكاتها
آى من الذكر الحكيم ومنطق أحنت له البلغاء من هاماتها
وإذا تسامى الفيلسوف وأوغلتْ نظراته فى الآى من آياتها
رجعت إليه الموغلات ضوالعا دون ارتقاء حول قدسياتها
سور يشع النور من آياتها ويفيض بحر العلم من صفحاتها

أما قريش فجانبت سبل الهدى وتجانفت للإثم فى ندواتها
لم تلتفت للنور فوق ربوعها أو تلتمس خيرا بمؤتمراتها
بل كذبت داعى الهدى وتنكرت واستوحشت والإنس فى جنباتها
ولربما يعشى الصباح نواظرا وتموت مرضى وهى بين أساتها
من لى بناشئة على درب الهدى وثابة العزمات فى دعواتها
تحمى حمى الغراء مما يفترى وتصد بالإقدام كيد غزاتها
إن الحياة هى الجهاد وإن نَمُتْ فيه وإن الموت فى شهواتها
والله أنزل فى الكتاب بصائرا تهدى الورى وتنير درب هداتها
فامضوا على نهج الهداة وجددوا من دعوة الاصلاح مجد دعاتها

هذه هى القصيدة كلها لكى نرد بها دعوى الذين يرفضون الشعر الملتزم بالقضايا المعاصرة لمعالجتها وتوجيه الرأى العام إلى جوهر الحقيقة فيها ، أو بالأحرى يقولون بأن الشعر الاسلامى لا يمكن الشاعر من التصوير الأدبى الرائع الذى يهز الوجدان ويحرك المشاعر ، وها هى القصيدة فى الشعر الاسلامى الملتزم نرد عليهم بروعة التصوير فيها .

فالعاطفة فيها مشبوبة صادقة ، والمشاعر قوية متدفقة ، والأحاسيس دقيقة متوفرة ، والوجدان ملتهب ثرار ، فى خيال خصب عميق وصور أدبية قوية سارت على نهج القدماء فى التصوير الشعرى يلتزم الشاعر عمودهم الشعرى فى انتقاء الالفاظ ، وإحكام الأساليب وإيحاء النظم والسير على بُحور الخليل بن أحمد ويلتزم القافية القوية العمودية .

فالشاعر هنا يصور مبادىء الاسلام وقيمه من خلال مشاعره الذاتية ، ووجدانه النفسى المحموم ، فلا يقوم بوضع النقاط على الحروف التى من شأنها أن تكون مهملة ، وإنما تتدفق الحروف منقوطة من وجدانه ومشاعره تفيض بإيحاءات زاخرة ، ومعان حية تنبض بعواطف الشاعر وأحاسيسه .

ويوم أن يسير الشعر الملتزم على هذا النهج يكون حقق ما يهدف إليه الشعر القوى ، وما يبتغيه الشاعر من تصوير أدبى رائع يوقظ الاحساس فى الآخرين ويثير عواطفهم ومشاعرهم ويحرك الكوامن فى وجدانهم ، وهل نريد من الشعرأكثر من هذا ، بل هذه القصيدة تسمو بالنفس ، وترقى بالذوق الأدبى وتنميه ، وتضبط المشاعر عن التطرف والمبالغة ، فتسير فى استواء واتزان نحو الغاية المنشودة ، التى تحقق السعادة للانسان ، وهل يبتغى الانسان من الشعر أكثر من تحقيق هذه السعادة ، وفيها الامتاع ، وإليها الإثارة والإقناع . وهى فى ذاتها الغاية من التصوير الأدبى ، الذى يثير المشاعر ، ليوقظ العقل والقلب والوجدان فينتهى الجميع بالتسليم والاقناع عن صدق ويقين ، هذا هو الشعر الشاعر والأدب الحى الخالد ، لا « أزهار الشر » ، ولا شجر « السرو » و « الخلاف » يعجب رواؤه وما له ثمر ، ويخطف ضوؤه ، فيعشى البصر .

وقصيدة « فى ربا الحرمين » أيضا ، بدأها زاهر بمطلع غزلى عفيف ، ضم خمسة أبيات ، ثم انساب إلى مراده فيها يقول(١) :

سرت فى هجعة المسرى تسامى ... وترمق فى تطلعها المراما
وكان الشوق يحدوها ابتهاجا ... ويذكى فى مشاعرها الغراما
وفى جنباتها تمشى طيوف ... كأطياف المحب إذا استهاما
فقلت لها وفى نبرات صوتى ... وداد أين أزمعت المقاما
فقالت فى ربا الحرمين أشدو ... أناجى البيت والبلد الحراما

غزل عفيف طاهر بلا تبذل أو سقوط ، يمضى مع الغرض من القصيدة بلا استئذان ، فليلاه تزمع الرحيل معه إلى ما يؤم ، إلى ربا الحرمين ليتناجيان مع البيت الحرام ، وينعمان بالبلد الأمين ، وتتمدد هذه المعانى فى جوانب الأبيات الباقية من القصيدة ومنها :

وعند الركن تنحسر الخطايا ... ململمة جوانحها انهزاما
فتنشرح الصدور بطيب ذكر ... أماط الكرب عنها والقتاما
سأعشق موطن القربى وإنى ... على حب القداسة لن ألاما
فقد عبق الأريج بكل فج ... وعم النفح زمزم والمقاما(٢)

وهكذا يمضى الشاعر إلى آخر القصيدة وهى طويلة ، تدور معانيها حول الغرض منها ما عدا المقدمة الغزلية السابقة .

---

(١) على درب الجهاد : ٩٧
(٢) الديوان السابق : ١٠٥/٩٧

ومن خصائص الشعر الاسلامى عند الشاعر أنه جعل الحروب العربية ضد اسرائيل حربا إسلاميا تنزف بدماء المسلمين كما تنزف قيم الاسلام فى العصر الحديث ، واسرائيل فى قلب الأمة العربية أفعى مسمومة تبث سمومها لتنخر فى عظام الأمة الاسلامية ، وتبدد قيمها السامية ، فالصهاينة أعداء للاسلام ، للعروبة ، لأنهم يعتقدون بأن القضاء على العروبة هى الجسر القوى للقضاء على الشريعة الاسلامية ، التى تقلق مضاجعهم ، فالقرآن الكريم لغته العربية ، وسيبقى خالدا لعروبته ، إذن فالعربية فى نظر أعدائنا هى الاسلام ، والاسلام فى العربية فهما متلازمان ، وعلى هذا الاتجاه يحاربنا أعداء العروبة والاسلام وهم الصهاينة والصليبيون .

ومن هذا المنظور جعل زاهر تصوير الانتصار فى حرب رمضان شعرا أسلاميا ، لأن الاسلام انتصر فيه على أعدائه يقول : « من قصيدة فى حرب رمضان » أنشدها فى مكة المكرمة عام ١٣٩٣ هـ ، ويبدو أن الشاعر اختزلها فى ديوانه ، فأغلب الظن أنها أكبر من ذلك بما سيجود به الزمان فى المستقبل ، لقوله « من قصيدة »(١) :

تثنت أمامى وهى لا تعرف الخطبا ... وقالت : لهيب الحب فى القلب قد شبا
تثنت بأعطاف وألوت بمعصم ... ورنت بأنغام لتأسر لى القلبا
فكانت كغصن البان لامس فرعه ... نسيم الصبا فاهتز من أنسه عجبا
فقلت لها مهلا فلست بهائم ... يرى فى سراب القاع من زيفه شربا
وليس هيام الحب يصرع عفتى ... ولا مارد الإغراء فى أفرعى دبا
فلا تمتطى صهو السفاهة والردى ... ولا تركبى فى الحب مركبه الصعبا
وكونى مع الأحداث سبرا لغورها ... إذا انتظمت سلما أو اشتعلت حربا
فما أفلحت فى موكب المجد أمة ... إذا لم يكن درب الجهاد لها دربا
أتلك رحاب القدس ضجت فروعت ... قلوبا وأزجت فى ضمائرها رعبا
أتلك النساء الصارخات بمعقل ... هببن بوجه البغى مستشريا هبا
أتلك فتاة الخدر يثلم عرضها ... نحارب عنه الدهر ولو ملكت غضبا
فليت لها من أمة المجد أمة ... وخاضت طريقا فى الوغى ثبجا رحبا
وسارت جنود الله فى كل جبهة ... صداها من التكبير قد جاوز السحبا
لقد نفضت عنها مذلة نكسة ... أحاطت بها شؤما وأودت بها نكبا
فكانت على صرح الجهاد انتفاضة ... أدالت على الأعداء منعطفا صعبا
تواثبت الأبطال يمتد زحفها ... وهبت أسود من خنادقها غضبى
أقامت على متن القناة معابرا ... جسورا إلى سيناء مدت بها وثبا

---

(١) على درب الجهاد : ١٥٩/١٦٦

وقد حطمت بارليف قصفا مزلزلا ... ودكت حصونا طالما افتخرت عجبا
وكم من فتى فى صهوة الخطب صامدٍ ... بدبابـــة فوق المجازر دبـــا
وقد هب للتحرير مستعذبا له ... كئوس المنايا فهو يمتاحها شربا
وفى جبهة الجولان كرت أشاوس ... وصبت عذابا من قذائفها صبا
وضمت كفاح الجبهتين انتفاضة ... من المغرب الأقصى إلى (حلب) الشهبا
وسارت بأرض الرافدين جحافل ... كما هب من (أم القرى) جيشها لجبا
تلاقت على الجولان فاعتز ركنها ... وسار على (سيناء) محورها صلبا
ومنهم صقور الجو تنقض كالردى ... تذيب قلوب الغدر تملؤها رعبا
يقودون أسرابا صقورا كواسرا ... إذا اعتلى سرب أضافوا له سربا
وكم من فتى فى الروع أغلب باسلٍ ... قضى فى سبيل الله مستشهدا نحبا
وما ميت من مات ذودا عن الحمى ... فتلك هى الحسنى وأنعم بها كسبا
دروب العلا للطامحين رحيبة ... ودرب الشهيد الحر أوسعها دربا

ومن خصائص الشعر الاسلامى عند زاهر أنه جعل الرثاء لفقيد العروبة والاسلام شعرا إسلاميا حين صور الشاعر مواقف المرثى العربية والاسلامية ، والتى سجلها التاريخ خالدة تعبر عن حضارة الاسلام والعرب فى عصرنا الحديث ، ولذلك كانت هذه القصيدة أقرب إلى الاسلامى منه إلى فن الرثاء الذى سيأتى ضمن الأغراض الأدبية يقول الشاعر فى قصيدة « فجع الأيام » يصور فيها التاريخ الخالد للملك فيصل بن عبد العزيز طيب الله ثراه(١) منها :

يا فيصل الاسلام يا من جرحه ... سيظل فى الأعماق نارا تضرم
تبكيك من أرض الهدى أطلالها ... نواحة لو أنها تتكلم
ومنابع الشعر الرفيع نواضب ... وفم البيان لهول فقدك ملجم
فالمسلمون لهم بفقدك غربة ... ولهم عليك تنهد وترحم
ولسوف تذكرك المحافل والنهى ... ويروعها الحدث الرهيب ويدهم
ولسوف تذكرك السياسة بعدما ... هرعت إليك فحولها تستلهم
فلطالما أصغت لرأيك خشعا ... ومشت إليك قلوبها والأجسم
ولطالما أحكمتها لذوى الحجا ... وأحاطها منك السياج المحكم
ونهجت منهاج الفلاح بأمة ... حتى علت وصحا لصوتك نوّم
ودعوت نحو تضامن وتكاتف ... لم يئن عزمك للوئام تصرم
فإذا بلاد المسلمين يضمها ... شمل يوحدها ودين أقوم

---

(١) على درب الجهاد : ١٣١/١٤٠

وسيذكـــر الاسلام ما قدمتـــــه	لبنيه إن جار الزمـان عليهم
فلأنت للاسلام سيـف مرهـف	تحميه من كيـد البغـاة وتحسم
واليـوم تنعـاك الـدنى فيهزهـا	ألم الفـراق ولوعـــة تتضرم
لكـن هذا الخطب خفف هولـه	شمل يلـم (بخالـد) وينظّـم
وولى عهــد المسلمين نصيرو	(فهـد) الأمين لمجدنـا يتسنـم
وكلاهما فى الحكم يحذو (فيصلاً)	فكأنـه فى الشعب حىّ يحكـم
ولكم ذرا (عبد العزيز) ضيا غما	حملوا الأمانـة فى الـورى وتقدموا

ثانيا ـ الشعر الوطنى والقومى :

هذا هو الغرض الثانى من الأغراض الأدبية فى شعر زاهر ، وهو يلى الشعر الاسلامى كثرة وشمولا ، ويضم الشعر الذى أنشده الشاعر فى وطنه العام : المملكة العربية السعودية ، وشعره الذى أنشده فى وطنه الصغير : البيئة التى ولد فيها ، والبلد الذى نما فيه صباه وترعرع شبابه ، وشعره الذى قاله فى وطنه الأكبر : فى الدول العربية والاسلامية الشقيقة كالجزائر وبغداد ، وسواها من دول العالم الاسلامى والعربى .

ويضم الشعر الوطنى والقومى قصائد كثيرة فى « الألمعيات » : مثل قصيدة « ثورة الجزائر ص ٢٠ ، ٢٢ » ألقاها الشاعر فى الحفل الكبير الذى أقيم « بمعهد شقراء العلمى » فى ١٣٨٠/٧/١٠ هـ ، ويصور فيها كفاح الجزائر ، وثورته على الطغاة المستعمرين وبطولاتها التى حررت الشعب العربى الاسلامى ؛ وقصيدة « مجد الشباب ص ٦٠ ، ٦٢ » ألقيت فى النادى الثقافى « بمعهد شقراء العلمى » فى ١٣٧٩/٧/٢٢ هـ ، وفيها يحث شباب أمته ووطنه على العمل فى سبيل الوطن ، وفى سبيل الأمة الاسلامية جمعاء ، وخاصة تحرير فلسطين المحتلة من أعداء الاسلام .

أما قصيدة « مواكب المجد ص ٦٣، ٦٦ » ألقاها الشاعر فى حفل عسكرى ، يحث فيها الجيش على النضال فى سبيل الوطن والجهاد فى سبيل الأمة الاسلامية جمعاء ، فقد سجل التاريخ البطولات الرائعة ، التى كان لها الوجه المشرق فى كل بقعة من بقاع العالم ، وقصيدة « سد جازان » ألقاها الشاعر فى حفل افتتاح سد وادى جازان فى ١٣٩١/١/٢٥ هـ ، وقد حضر الاحتفال سمو النائب الثانى لرئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية فهد بن عبد العزيز وعدد من الأمراء والوزراء ورجالات الدولة ، وفيها يصف السد وآثاره العميمة ، التى عمت البلاد ، وبعثت فى المنطقة الحياة ، مما يساعد على تقدم المملكة ورقيها بزيادة الانتاج الزراعى الموفور ، وذلك بفضل الأيادى البيضاء لأسرة الملك عبد العزيز ، التى تزرع الخير دائما للأمة الاسلامية العربية ، والتاريخ يعيد نفسه فى هذه المنطقة حيث كان فيها سد مأرب ، الذى كان له آثاره

الجليلة فى الحضارة السبئية المشرقة ، بل إن سد مأرب لو رأى سد جازان لاعتراه الخجل وانزوى فى ركن من أركان الدنيا بعيدا عن الأضواء ، ليحتل هو مكان الصدارة فى المنطقة العريقة ، يقول الشاعر(١) :

ومضى البرق فى ذرى الأمجاد ... فاشرأبت له القرى والبوادى
والمثيرات أقبلت تتهادى ... تملأ الأفق بالثقال الغوادى
تنفح المعصرات من عاطر الودق ... فيسرى النسيم فى الأجساد(٢)
واستهل الغمام باليمن والبشرى ... « لجازان » يرتوى كل صادى
لو رأى « سد مأرب » كيف ترسى ... عاتيات السدود بالأوتاد
لاعتراه من روعة الحسن طيف ... وانزوى فى جوانب الإخلاد
وكأن الأيام قد لعبت دورا ... أمالت أكفه سد عاد
لكن المرفق المثالى بجا ... زان سيبقى للقادم المرتاد
منجزات تبقى على معبر الدهـ ... ـر منارا يضىء للأحفاد
أىُّ « سد » حوى رحيقا زلالا ... ومعينا شذا به كل حادى
سوف يبنى لأمتى خير مجد ... سجلته من طارف وتلاد
فالسهول الفيحاء تمتد عرضا ... وامتداداً إلى منارى « عكاد »
تتهادى الرحاب تهتز فخرا ... وابتهاجا بفجرها الوقاد
تتراءى لها الجداول تجرى ... بين أزهى حدائق الرواد
والمروج الخضرا تهدى عبيرا ... فاح بالنشر فى الربا والوهاد
والطيور المغردات تغنى ... صادحات بأروع الإنشاد
نغمات بها البلابل تشدو ... فى أفانين دوحها المياد
مكرمات يبقى لها الدهر ذكرا ... خالدا فى محافل الأحفاد

وهكذا يمضى الشاعر فى قصيدة طويلة اقتصر فيها على وصف السد وأثره على المنطقة .

وأما قصيدة « تحية بغداد ص ٧٧ ، ٧٨ » ألقاها الشاعر فى مهرجان شعرى فى بغداد عام ١٣٨٤ هـ ، وقصيدة « رسالة العيد ص ٧٩ ، ٨١ » ، وقصيدة « صيحة الجهاد ص ٨٨ ، ٩٠ » ألقيت فى الحفل الكبير الذى أقيم « بمعهد نجران العلمى » عام ١٣٨٨ هـ ، ويحث فيها شباب الوطن على الجهاد فى سبيل تحرير القدس ، وقصيدة « بطولة وفداء

(١) الألمعيات : ٧١/٦٧

(٢) الودق : قليل المطر وكثيره ـــ المعصرات : السحابة التى تكاد أن تمطر

ص ٩٢ ، ٩٤ » ، ألقاها الشاعر فى حفل كبير ، « بمعهد شقراء العلمى » عام ١٣٨١ هـ ، حينما اختطفت القوات الفرنسية زعماء الجزائر الخمسة ، عند استقلالهم طائرة إلى بعض الجهات، وذهبت بهم إلى فرنسا لاخضاع الثورة الجزائرية ، ولكن حدث ما لم تتوقعه فرنسا ، فقد اشتدت ثورة الشعب الجزائرى ولم تهدأ إلا بعد رجوع الزعماء المختطفين ، ثم أعقبها إجراء المفاوضات التى انتهت باستقلال الجزائر ، وجلاء القوات الفرنسية عنها .

وأما قصيدة « صرخة العرب ص ٩٩ ، ١٠١ » ألقيت بمناسبة الاحتفال بثورة الجزائر المنتصرة على فرنسا فى الحفل الثقافى المقام « بمعهد شقراء العلمى » عام ١٣٧٨ هـ ، وقصيدة « صدى المؤتمر » التى ألقاها فى مؤتمر المعاهد المنعقد فى الرياض فى ١٣٨٨/١١/٢٩ هـ ، يحث فيها قادة الجيل على الالتزام بمنهج الاسلام ، وارساء حضارته ، ليكونوا مثلا أعلى للأجيال من بعدهم ، ولتطبيق المنهج الاسلامى والسمو بحضارته[1] :

ألا فاسعدوا يا قادة الجيل بالبشرى ... وأحيوا لها فى كل حاضرة ذكرى
وشيدوا لها بين الربوع معاقلا ... لتنشد فى أسمى مقاصدها شعرا
فمن كل أقطار البلاد توافدت ... مناهل عرفان تشرفها قدرا

إلى قوله :

فيا قادة الجيل المؤمل أنتم ... منائر إيمان فشدوا له أزرا
وأحيوا له ما ضاع من كل سنة ... لتجنوا ثمار الخير فى سعيكم أجرا
فما هى إلا دعوة وعزيمة ... ينظمها الاسلام أنتم بها أحرى
فسيروا على نهج الذين بهديهم ... أقمنا حضارات سمونا بها فخرا
فما أنتم إلا هداة وقادة ... تربون أشبالا لتخطوا بهم نصرا
فمرحى بأفكار الرجال ونهجها ... ومرحى بمن يحمى لهم شرعة غرًّا
وشكرا لداعيها الذى ضم شملها ... وشكرا لمن لبّى وشكرا لمن أقرى
وحيوا رحاب العلم والبلد الذى ... أتاح لكم جمعا وأهدى لكم نشرا

وأما قصيدة « ترحيب وأمل ص ١١٣ ، ١١٥ » ألقاها الشاعر فى حفل تكريمى كبير ، أقامه « معهد شقراء العلمى » تكريما لوفد يضم عددا من المدرسين والطلاب من معهدى الرياض والإحساء فى ١٣٨٢/٨/٢٠ هـ ، وقصيدة « إشراق الأمل ص ١١٦ ، ١١٩ » ألقيت بمناسبة الحفل الافتتاحى الكبير لمعهد نجران العلمى » عام ١٣٨٥ هـ ، وقصيدة « أمتى ص ١٣٦ » ، وقصيدة « حماة المجد ص ١٣٧ ، ١٣٩ »

---

(١) الألمعيات : ١٠٤/١٠٥

رحب فيها الشاعر بسمو وزير الدفاع والطيران السعودى الأمير سلطان بن عبد العزيز عند زيارته لبعض القواعد العسكرية عام ١٣٩٠ هـ ، وقصيدة « يا قادة الدين ص ١٤٦ ، ١٤٩ » ألقيت فى المنتدى الأدبى الذى أقيم « بمعهد شقراء العلمى » عام ١٣٨١ هـ .

وأما الشعر الوطنى والقومى فى ديوانه الثانى « على درب الجهاد » ، فقد ضم قصيدة « عيد الفطر ص ٥٥ ، ٦١ » ألقاها الشاعر بمناسبة الاحتفال الذى أقامه سمو أمير منطقة عسير الأمير خالد الفيصل بعد صلاة العيد ، فى مقر الضيافة بأبها ، ليشيد بأثار الصوم الطيبة فى النفس والمجتمع ، ثم أشاد بجهود الدولة ورجالها المخلصين ، ومنهم أمير المنطقة الأمير خالد الفيصل ، وقصيدة « فوق أرض الجنوب » استقبل بها الشاعر جلالة الملك خالد بن عبد العزيز ، وبعض زعماء دول الخليج واليمن ، حين زار منطقة عسير فى ١٣٩٩/٨/٢ هـ ، يحي الضيوف الكرام ، ويحثهم على العمل والوحدة لعزة الاسلام ونصرة المسلمين يقول فيها :

هى أبها فى بهجة المهرجان ... تملأ العين بالمرائى الحسان
وطيوف الأحلام تنساب وسنى ... ثم تصحو بغاليات الأمانى
فاستفاقت وحولها بشريات ... تتوالى كالهاطل الهَتَّان
فإذا العاهل المفدى مطل ... شامخ الأنف فى أجل كيان
وضيوف على البلاد كرام ... أخلصوا للاسلام والأوطان
وهم اليوم قوة وائتلاف ... يتحدى مكايد الطغيان

إلى قوله :

هزنى باعث حثيث من الشوق ... وحب البناء للأوطان
كلما سرت بين تلٍّ وسفح ... شمت فيها مظاهر العمران
وأرى نهضة البلاد اشمخرت ... وتدانى القطاف حلو المجانى
نهضة فى شموخها تبهر العيـ ... ـين وتذكى مشاعر الوجدان
وجمال مع استقامة أمن ... نعمة من مواهب الرحمان
بيد أن الطريق ما زال صعبا ... يقتضى الجد من قصى ودانى
وطموح الرجال دون حدود ... سوف يبنى منائر الإيمان
وانطلاق إلى البناء وهدم ... فى دنا العرق ليس يلتقيان
ورصيد الشعوب فى المثل العلـ ... ـيا وحزم فى نائبات الزمان

---

(١) على درب الجهاد : ٧٣/٦٣

وإذا امتـــد فى البـــلاد ضلال رقـــدت فى مجاهـــل النسيـــان
وإذا تاه فى الجهالـــــة قوم ساورتهم مطامــــع الشيطـــــان
وبـــلادى فى نعمـــــة الله ومجد موطـــــــــــــد الأركان
وسبـــاق مع الزمـــان لتبقـــى معقـــل المجد والهدى والبيـــان
لا يقيم الأمـــور إلا اعـــــتصام بجنـــاب المهيمـــن الديـــان
والتـــــــــزام بمنهج الله يعلى فى ثبـــات شريعـــة القـــرآن

ومن شعر الوطنية والقومية أيضا قصيدة « تحية فهد » استقبل بها الشاعر نائب جلالة الملك صاحب السمو الملكى الأمير فهد بن عبد العزيز بمناسبة افتتاحه لخط الطائف ـــ أبها ـــ جازان ، فى ١٣٩٨/١١/١٤ هـ بالباحة ويشيد أيضا بجهود المملكة فى مجال احياء البلاد وإقامة المشاريع الحيوية ، ثم أشاد بجمال المنطقة ، وتجاوب أهلها فى مجال البناء والعمران ، وحث على التضحية والعطاء لبناء الفرد والمجتمع على مبادىء سليمة وأسس قويمة ، ومطلعها(١) :

ليس أجدى فى منهج الشعر عندى من وفـــاء لكـــل صانـــع مجد
والقوافى إذا استقـامت على الحق وصاغت من درهـا كل عقـــد
جنـحت فى ذرى المكـــارم تيها وتهادت ما بين جزر ومــــــــد
وتغـــــنت بها البلابـــــل شدوا صادحـــات فى كل غور ونجد

إلى قولـه :

يا ربـــا الباحـــة الجميلـــة إنـــا فى ذراك الشماء فى يوم خلـد
فانفحى العطر فى الربـوع نديا وانسجـــى بالصفـــــاء أروع برد
وافـــرشى بالـــورود درب المعـــالى بين ودق من السحـاب ورعـــد
إن جازان والنماص وأبها تجتلى فى ذراك طلعـة « فهـد »
رائـد يـــذل النفـــيس ويسعـــى لتظـــل البـــلاد مؤئـــل رشد

وكذلك قصيدة « سد أبها ص ١٧٩ ، ١٨٦ » يبارك فيها الشاعر جهود المملكة باقامة سد أبها العظيم ، الذى سيعود على السكان بالنفع العميم ، كما يتغنى بالمنطقة وجمالها ، فهى مسقط رأسه ، ومقر أهله وعشيرته ، فى أبها عام ١٣٩٤ هـ .

---

(١) على درب الجهاد : ٩٤/٨٣

ثالثا ــ شعر الطبيعة :

هذا هو الغرض الثالث فى شعر زاهر ، جاء فى ديوانه « على درب الجهاد» مختلطا مع الشعر الوطنى غالبا ، لسببين :

أحدهما : أن ينشد الشاعر قصيدته فى مناسبة وطنية ، مثل قصيدة « سد جازان» ، وقصيدة « فوق أرض الجنوب » ، وقصيدة « سد أبها » .

ثانيهما : أن وصف الطبيعة جاء من خلال الاشادة بتلك الطبيعة الجميلة ، التى هى جزء من الوطن الحبيب .

ولذلك كان شعر الطبيعة نبعا للغرض الوطنى ، ورافداً من روافده ، ليفيض على الوطن بالجمال والروعة فتعشقه النفوس وتهوى إليه القلوب ، فيزداد حبا له ، ويتفانى تضحية فى سبيله .

أما القصائد التى غلب عليها شعر الطبيعة فهى قصيدة « فى ربوع الجنوب » التى ألقاها الشاعر فى المهرجان الكبير ، المقام فى مدينة « أبها » تكريما لسمو أميرها « خالد الفيصل » فى ١٣٩١/٣/١٥ هـ[١] .

وقصيدة « فى ربوع القصيم » نظمها ، حينما قام الشاعر هو ومدير معهد شقراء العلمى الشيخ « عبد الله الضحيان » ، ومجموعة من الأساتذة إلى القصيم ، فصور الشاعر انطباعاته عن تلك الرحلة فى ١٣٨٠/٧/١٥ هـ يقول فى المطلع[٢] :

ركب تطلع من ذرى شقراء ... خنقت معالمه منى وسناء
واهتز فى حلل المسير كأنه ... طود أشم تماسكا وإخاء

إلى قوله :

يا روضة غمرت بساحر نورها ... جمع الوفود أناقة وسناء
فيك العيون تفجرت بمياهها ... كالدر بين الحاجزين صفاء
فيك الينابيع فى الرياض جداول ... فاضت برقراق النمير سخاء
فيك الحدائق غضة أغصانها ... وتفوح من نفح النسيم شذاء
فترى البلابل غردت فوق الربى ... وشدت بلحن يغمر الأرجاء
قد رددت لحنا بساحر نغمة ... طربا أثار برجعه الشعراء
وترى بها الأفنان تقطر بالندى ... متسامقات فى العلا شماء

---

(١) الألمعيات : ٢٥/٢٣

(٢) الألمعيات : ٢٩/٢١

وقصيدة « فى ربوع القرعاء » حين قام الشاعر هو وصحبه برحلة إلى « القرعاء » فى عام ١٣٩٠ هـ ، وهى مصيف جميل فى ضواحى أبها يطل على منحدرات تهامة ، يقول[١] :

شعاع من الاشراق والبسمات ... مطل على الآفاق والفلوات
فأيقظ عزمى واستثار مشاعرى ... وأبرز ما فى القلب من خلجات
فسرت له والشوق منى مطية ... أجوب بها البيداء والعقبات
ويممت « للقرعاء » وجه مطيتى ... فتعدو بوثب صادق العزمات
وقفت على « القرعاء » وقفة شاعر ... رأى روضة مفتوحة الزهرات
فجالت بى الأنظار بين رحابها ... وشاهدت ما فيها من الثمرات
وأدلجت فى أشعافها ووهادها ... فكانت بحق روضة البركات
فما أجمل المصطاف حين تفتحت ... زهور الربا بالعطر والنفحات
ونفح الشذى أضحى يعم بنشره ... مشارف قصر عالى الشرفات[٢]
وإنى بعاليها وقربى منارة ... جميلة شكل ساطع القسمات
تلوح بها الأفنان وهى شذية ... فتهدى عبير النشر والنسمات
وبلبلها الصداح شاد بلحنه ... فأطربنا من ساحر النغمات
ترى غصنها المياد جاش بهزة ... فرنت له الأنغام بالنبرات
فلله من ساعات أنس تتابعت ... على نشر القرعاء مزدهرات[٣]
ونشره نفح النشر لما تضوعت ... به أيكة منظومة الشذرات
يبيت بها طل يكفكف دمعه ... ويهمى نديا عاطر القطرات
فأغصانها الشماء تقطر بالندى ... على « مهمة » من أرضها النضرات[٤]
على بركات يا زهرة الربا ... سأمضى وقلبى مفعم الحسرات

وكذلك قصيدة « فى ذرى نجران ص ٥١ ، ٥٣) التى ألقاها الشاعر فى الحفل التكريمى لوكلاء الوزارات عند زيارتهم التفقدية لمنطقة الجنوب فى ١٣٨٩/٢/٣ هـ ، وقصيدة « زلة القول » والمناسبة التى قيلت فيها أن الشاعر « أحمد البدرى » زار أبها ، فتأثر بشدة البرد فى المنطقة ، وحمل عليها حملة عنيفة ، وأنكر جمال الطبيعة ، فعارضه شاعرنا فى رأيه بهذه القصيدة

---

(١) الألمعيات : ٤٩/٥٠
(٢) القصر الملكى فى الوسط بين غابات أشجار العرعر
(٣) النشز : المكان المرتفع
(٤) مهمة : جمع مهامه وهى المغازة البعيدة المقفرة

انتصارا للحق ، لا أخذا بالثأر ، فوصف سحر الطبيعة وجمالها الأخاذ ، ومنها(١) :

أما الغبار فلا يبدو لها شبح ... فى أفق « أبها » فذاك القول بهتان
لأنها فى الذرى باتت محصنة ... يحيطها من سياج الزهر ألوان
أما رأيت جمال « السودة » اصطبغت ... بعاطر الورد والأزهار تزدان
كم بلبل شاد صداحا برونقها ... يردد اللحن فيها وهو جذلان
يكسو التلال سياجا من خمائلها ... والورس برد وزهر الروض فستان
فيها عبير الشذى يغرى بنشوته ... وللأريج بها نفح وعرفان

وكذلك قصيدة « تحية نجران ص ١٤٩ ، ١٥٢ » فى الألمعيات أيضا وشعر الطبيعة كله ورد فى « الألمعيات » ، ولم يرد فى الديوان الثانى « على درب الجهاد » ، لأن الشاعر خصه للقضايا الاسلامية والشعر الاسلامى وما يتصل به ، ولكن ليس معنى ذلك أنه لم يتعرض لسحر الطبيعة فى هذا الديوان . لا .. بل كان يقصد الغرض الاسلامى أولا ، ثم يكون تصوير الطبيعة تابعا له ، كما فى قصيدة تحية المعهد الوطنية ، وقد مرّت أمثلة كثيرة .

وشعر الطبيعة عند زاهر تموج به الحياة ، وتهتز الطبيعة للأحاسيس الرقيقة ، وتتعاطف مع المشاعر العميقة ، فتبذل حبها لمن يحبها ، وتنساب أسرار الجمال فيها لمن يفطن لأسرارها ، ولذلك حينما تبدلت مشاعر الشاعر « أحمد البدرى » وتجمدت أحاسيسه ، وهجم على أبها مدعيا أنها تسىء إلى الآخرين ، فيكتوون بنارها هب زاهر يدافع عن محبوبته « أبها » وجمال سحرها ، ويصفه بجمود الاحساس وتبلد العواطف يقول له(٢) :

لكل قول مدى الأزمان خذلان ... إن لم يقمه على الإنصاف ميزان
وزلة القول يهوى فى مداركها ... من خانه الفهم واستجراه شيطان
فمنذ أن ردد « البدرى » قولته ... فى ذم أبها وللأطياف طوفان
جاء طيفى له فى الأفق جلجلة ... تفتر منه القوافى وهى بركان
عجبت من شاعر ندت مشاعره ... فما رأى روضة بالزهر تزدان

لماذا ؟ لأن زاهر يجول بوجدانه ومشاعره فى مجالى الطبيعة ، فيسبر أعماقها ، ويسعد بأسرار الجمال فيها ، لأنه أحبها وأحبته ، وهام بها وهامت به ، فجاء طيفه مجلجلا بالأشعار ، تفيض حمما بالمشاعر والعواطف كالبركان ، أما البدرى فقد جمدت مشاعره ، وغابت عن وجدانه ، فليس بشاعر ، لأن الشاعر هو الذى يهتز لأسرار الحياة ويفطن لمكاتم الطبيعة الساحرة أكثر من

---

(١) الألمعيات : ١٤٥/١٤٠
(٢) الألمعيات : ١٤٦/١٤٠

غيره ، لدقة أحاسيسه ، ورفاهيّة مشاعره ، وكيف يغيبُ البدرى عن وجوده ، ويتجرد من وجدانه المتحجر أما العروس ، التى ترتدى أجمل حللها من الزهور ، وتميس فى روضة أخاذة فتنة ودلالا وتيها :

فذاك القـــول لا يرمـــى لعـــزتها ... ولا يقـــول به يا صاح يقظـــان
وليس قولك يخفـى من محاسنها ... فالنـاس تعرفهـا أيـان ما كانـــوا
هى الجمال هى المصطاف يقصدها ... من كل صقع مدى الأزمان إخوان(١)
فيها القرى « والصفيح » الغض منظره ... فى سوحها الخشع والصفر والبـان
فكيف أغضيت طرفا من محاسنها ... أما استيال القوافى منك وجدان
وقلت فى لهجة الملهوف من كمد ... على زمـان مضى فيها له شان
فمـا رأينـا بها وردا ولا زهـــرا ... وإنما هى أطـــــلال وكثبـــــان
ومـا إخـــالك تدرى عن مرابعهـــا ... ولا يتـــــوق إليها منك تبيـــان
فقد حكـمت بقـول ندّ مضربـه ... كأنما قلتـــــه والقـــــول حيران
قـد تنكر العين نور الشمس من وسن ... ومـــا عليـــه إذا ما غط وسنـــان

وفى النهاية يطلق الحكم على البدرى توقيعا يتردد بموسيقاه العذبة فى جوانب الدنيا ، لتظل أبها كما كانت بين بطاح الأرض منتجعا لعشاق الطبيعة ، وتاريخا حافلا بالمجد والشهرة ، التى طبقت الآفاق بأشجارها وغاباتها وأزهارها وربوعها وألبانها :

ولكن كفتك بطاح الأرض منتجعا ... عن مجد « أبها » وفى ذرواتها البان(٢)

تلك هى الطبيعة فى شعر زاهر ، يدافع عنها ، ويحمى ذمارها ، ويخوض المعارك فى سبيلها ، لأنه يثور إن أساء إليها أحد ، أو نال من شرف الجمال فيها ، أو خاض بالباطل فى عرصاتها ومجاليها ، فذلك اعتداء سافر على خدرها الجميل ، وكيف لا يثور ويغضب ، ويتفجر بركانا وشعرا ، وهو الهائم بالطبيعة وبسحر الحياة فيها ، المتيم بما وراء الأزهار والأشجار من أسرار وعجائب والمأخوذ بما خلف الأغاريد والأنغام من دفائن ، والمنساب من رقة النسيم الحانى والعطوف ، فتتفتح له أكمام الأزهار باسمة لتفصح عن وجدان الشاعر ، الذى اهتز لأسرار تجمدت بها مشاعر الموتى والمتحجرين ، وغابت عنها عقول الحيارى النائمين .

قد تنكر العين نور الشمس من وسن ... ومـا عليـــه إذا ماغـــط وسنـــان

---

(١) ما بين الأقواس أسماء لأحياء فى أبها

(٢) ضرب من الشجر فى أبها واحده : بانة

تلك خصائص شعر الجنوب من شاعر ارتضع لبانها واغتذى من رحيقها ، وحيي بهوائها ونسيمها فأخلص لها الحب والوفاء والعطاء ، فكان هذا الغرض بكرا من بين أغراضه الأدبية .

رابعا ــ الرثاء :

الرثاء الغرض الرابع فى شعر زاهر ، فقد اشتمل على قصائد فى « الألمعيات » مثل قصيدة « نجم هوى ص ٣٠ ، ٣٢ » رثى بها الشاعر سماحة الشيخ « محمد بن ابراهيم آل الشيخ » مفتى الديار السعودية المتوفى فى شهر رمضان عام ١٣٨٩ هـ ومطلعها(١) :

نجم هوى فارتجت البيداء ... وتفجعت من هوله الأرجاء
واغبر وجه الأرض وانداحت به ... سحب جهام كلها دهماء
ودهى الجزيرة خطب هول فادح ... برزيّة عصفت بها النكباء
وأصغت لها بغداد واضطربت لها ... فى الشام فى أردنها العلماء
وعلى ضفاف النيل دوت صيحة ... من هول فاجعة لها أصداء
أمحمد قطب الفضيلة والحجا ... ومجدد لتراثنا بناء
أدرجت فى كفن السماحة والندى ... ومشت تحف بنعشك العظماء

إلى قوله :

كم ليلة أحييتها فتنورت ... وتكشفت عن وجهها الظلماء
قد كنت فى حلقات علم رائدا ... فلأنت بدر فى الدجى وضاء
ولأنت بحر فى العلوم متوج ... بالحلم منصاع لك العلماء
أحييت بالعلم الشريف محافلا ... فنمت بفيض معينها أكفاء
وارتادها من كل قطر رائد ... وبها سمت وتعالت الغراء
أمضيت عمرك فى العلوم مجددا ... فعلت بك الآداب والأدباء
قد كنت للإسلام درعا ضامنا ... تحمى الحمى فتهابك الأعداء
فلكم على مرّ الزمان مآثر ... عظمت وكان شعارها العلياء
يا من له فى كل قلب موطن ... لا يرتقى لمناره إعفاء
فقدتك من أرض الجزيرة أمة ... واستوحشت لفراقك البطحاء
ونعتك من أرض الدنا قاداتها ... وتحدث الأدباء والشعراء

---

(١) الألمعيات : ٣٢/٣٠

والمكرمات الغر قد أدلى بها ذكر جميل فى الورى وثناء
تزدان فيك سماحة ورجاحة وعدالة تقضى بها ورفاء
الله من ساحات حزبه أطبقت بهمومها فتوالت الأرزاء
لكنها الأقدار تجرى فى الورى فالصبر سلوان لنا وعزاء

رثاء تميز بخصائص جعلته يسير فى ركاب التجديد لهذا الغرض الأدبى حيث جعل الشاعر لمرثيته عنوانا وموضوعا شاعريا ء لا كالشأن فى الرثاء القديم ، كان الشاعر ينسب قصيدته إلى المرثى ، ويجعل اسمه عنوانا وموضوعا لمرثيته ، لكن زاهر يجعل العنوان والموضوع شعرا ، يختار صورة شعرية رائعة ، تتناسب مع الفاجعة الحزينة ، وتتلاءم مع الكارثة المذهلة ألا وهى « نجم هوى » وما أدراك ما النجم إذا هوى ، لقد أقسم رب العزة به « والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى » ... إنها النهاية ، فسقوط النجم اختلال فى موازين الكون ، وهذا لن يكون ، لأن الرسالة حقيقة ، والوحى حقيقة ، ومحمد الرسول حقيقة ، فالحقائق هذه تجعل النجم فى مداره لا يسقط أبدا إلا باذن الله تعالى .

أما نجم الشاعر فقد سقط ، لماذا ؟ لأن الشعر يقوم على الخيال ، والتصوير الأخاذ .. والقنبلة تفجر مشاعر الأحزان ، وتأخذ الحزين من ساحة الصدمة والألم ، إلى الاشتغال بهذا الحدث الجلل ، فيكون مصدرا للتعويض ، ومنطلقا للتخلص من الصدمة العنيفة ، فينصرف من حال إلى حال ، وفى التحول يكون الصبر ، واستمرار الحياة كما أراد الله ، ولهذا آثر الشاعر ، ذلك العنوان الشاعرى الموحى بأكثر مما ذكرت .

ومن خصائص التجديد فى الرثاء عند زاهر ، أنه لم يستغرق كثيرا فى تصوير الصدمة إلا فى الخمسة الأولى ، أما الأبيات التالية التى تربو عن العشرين ، اتجه الشاعر فيها إلى تصوير القيم الاسلامية ، والمبادىء التشريعية ، وما كان لها من أثر قوى فى فداحة الجلل .. فهو رائد العلم وبحر العلوم ، ومجدد التراث ، ودرع الاسلام ، وصاحب العقل والسماحة والرجاحة ، ومقيم العدل ، وغير ذلك من القيم الاسلامية التى جاءت بها الشريعة الاسلامية الغراء .

ومن الخصائص أيضا أن القصيدة قامت على غرض واحد ، بلا مقدمات غزلية أو غيرها ، كما فى الرثاء القديم ، وبعض الرثاء الحديث ، وتلك هى الوحدة الفنية والموضوعية ، التى امتاز بها الشعر الحديث .

ومن الخصائص أيضا أن الشاعر جسم حزنه وصدمته ، فسرت من وجدانه إلى مظاهر الكون ، لأنها وحدها هى الفيصل فى الحكم على المرثى ، فيكون إجماعا من كل الخلق ، والسماء والأرض ، والبيداء والأرجاء والسحب ، فاصطدمت العراق والشام ، والأردن والنيل ، وكل الدنيا ..

لكن الشاعر لو عبر عن حزنه وحده ، لكان حكما من طرف واحد ، وبذلك لم يكن منصفا لحق المرثى ، الذى طبق الآفاق علمه وفضله ، فهى الجديرة بالحكم عليه ، لا الشاعر وحده ، وتلك من خصائص التجديد فى شعر الرثاء عند زاهر ، التى عبرت عن صدق الشاعى فى تجربته الشعورية ، فهى لقوتها وصدقها ناء بها الشاعر وحده ، فشاركه الكون بمن فيه ، وما فيه ، من هول الفاجعة ، المتفجرة من وجدانه .

وتسير على هذا النمط قصيدة « دهى الخطب ص ١٠٦ ، ١٠٧ » ، أنشدها الشاعر فى رثاء الأستاذ عامر بن على الألعى ــ مساعد مدير التعليم بمنطقة جازان ، حينما أصيب بحادث مفاجىء فى عقبة « ضلع » عام ١٣٨٦ هـ[١] .

وكذلك قصيدته « تعزية ومواساة ص ١١٨ ، ١١٩ »[٢] ، التى بعث بها إلى صديق فقد صديقه فى عام ١٣٨٢ هـ ، وقصيدة « فقيد العلم »[٣] قالها الشاعر فى رثاء سماحة المفتى لشؤون الكليات والمعاهد العلمية الشيخ عبد اللطيف بن ابراهيم آل الشيخ المتوفى عام ١٣٨٦ هـ . وقصيدة « فقيد الاسلام »[٤] فى رثاء الشيخ حافظ بن أحمد الحكمى المتوفى عام ١٣٧٨ هـ .

والرثاء عند زاهر جاء فى ديوانه الأول « الألمعيات » ، أما الثانى « على درب الجهاد » فقد اشتمل على قصيدة واحدة أخرجتها من باب الرثاء ، وأدخلتها فى باب الشعر الاسلامى لأسباب أهمها :

أن المرثى وهو المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز طيب الله ثراه لم تكن شخصيته فى ذاته ، وإنما تحول إلى زعامة إسلامية كبرى ، لها نمطها الاسلامى الكبير ، فأصبحت زعامته الاسلامية قيمة مجردة ، ومجسمة فى ذاتها ، يتحدث عنها الشاعر حديث القيم الاسلامية التى جاء بها الاسلام ليجعل منها منارة فى كل عصر ، يهتدى بها المخلصون فى كل مكان ، وهذه القصيدة هى « فجع الأنام »[٥] .

---

(١) الألمعيات : ١٠٧/١٠٦
(٢) الألمعيات : ١١٩/١١٨
(٣) الألمعيات : ١٢١/١٢٠
(٤) الألمعيات : ١٢٧/١٢٦
(٥) على درب الجهاد : ١٤٠/١٣١

خامسا ـــ المدح :

والمدح فى شعر زاهر هو الغرض الخامس من الأغراض الأدبية ، والشعر فيه قليل بالنسبة للأغراض الأخرى ، وتجمعت قصائده فى « الألمعيات » ، فضم قصيدة « فرحة ولقاء » ألقاها الشاعر فى الحفل التكريمى ، الذى أقيم لسمو وزير الدفاع والطيران سلطان بن عبد العزيز حينما زار نجران فى عام ١٣٨٨ هـ ، ومطلعها :

أسلطان قد جاءت بأنبائك البشرى فهزت قلوبا بالأحاسيس والذكرى
ونادى بها من ربع نجران أشبل يحيون فى سلطانك القوة الكبرى
يحيون فيك المجد والقائد الذى بنور الاسلام نادى بها جهرا
وشاد لهذا الشعب أركان مجده فقام بها ثقلا وشد لها أزرا
فأهلا بمن فى دومة المجد أصله ومن هو من بيت علا فى الورى قدرا
وأهلا ببانى الجيش والجيش قوة على مسرح الأحداث يبنى بها فخرا(١)

وكذلك قصيدة « رائد نهضة » ألقاها الشاعر فى الحفل التكريمى الذى أقامه « معهد أبها العلمى » على شرف معالى وزير المعارف الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ عند زيارته للمعهد فى ١٣٨٤/٧/٢٢ هـ فى نطاق جولته التفقدية لمنطقة الجنوب ، ومطلعها(٢) :

سطع الضياء على المشارف والذرى وأطل من برج المعارف نيّرا
فسمت به الآمال وهى جديرة وتطلعت تلك البوادى والقرى
تحدو بها البشرى برائد نهضة للعلم للاسلام فى دنيا الورى
بطل تذرع بالأمانة خطة والعلم ردعا والشجاعة مئزرا
ذا اليوم عهد للبلاد متوج بقدومكم ضيفا عزيزا أكبرا
فالمعهد العلمى يرفل بهجة ويفوح نشرا بالقدوم معطرا
إنى أرحب بالوزير أصالة وعن المعاهد نائبا ومعبرا
فشبابنا الداعى يفيض شعوره بالمقدم الميمون أنبل ما يرى

وهكذا تمضى القصيدة على هذا النحو ، وقصيدة « تحية إجلال وتقدير » بعث بها الشاعر إلى معالى الأمير خالد الأحمد السديرى المشرف على إمارة نجران تحية وتقديرا لجهوده الخيرة ، وتشجيعا للعلم والأدب ، ومطلعها(٣) :

---

(١) الألمعيات : ٩٨/٩٥
(٢) الألمعيات : ١٠٣/١٠٢
(٣) الألمعيات : ١٢٥/١٢٢

أمير المعالى خالد فى الورى شهم كريم الفعال الغر والرائد القرم
أمير له العليا قسم ومنهج كفى شرفا أن المعالى له قسم
تسلسل من أمجاد فخر وسؤدد لهم شيم قد زانها العدل والحلم

إلى آخر القصيدة ، وقصيدة « أسفر الصبح » ألقاها الشاعر فى الحفل التكريمى ، الذى أقامه الشيخ أحمد بن محمد العسكرى فى قرية « الشرف » تكريما لسمو وزير الدفاع والطيران الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود عند زيارته التفقدية لمنطقة الجنوب عام ١٣٨٣ هـ ومطلعها(١) :

أسفر الصبح بالهدى والمكارم وانجلى بالشعاع ضاحى المعالم
وأدلهم الغمام فى ومض برق فى ذرى العسكرى وأرض المتاحم(٢)
فإذا بالربيع يختال طلقا يغمر الروض نوره المتزاحم
فرحة عبقرية غمرتنا فى حمى الضيف ذى النهى والمكارم
يا ابن عبد العزيز يا ابن إمام ترتسم خطوه القرون القوادم
زرتنا رائدا فحيتك منا نبضات القلوب قبل المباسم
إيه سلطان فلتعش عبقريا فى ذرى المجد متوجا بالكرائم

ويتميز المدح عند زاهر بخصائص فنية ، تسمو بهذا الغرض إلى مراتب التجديد فى الشعر السعودى الحديث ، وهى :

أولا ـــ القصيدة عنده قامت منذ البداية على موضوع واحد يدور حول الغرض وهو المدح ، الذى يبدأ به المطلع فى القصيدة ما عدا القصيدة الأخيرة ، استهلها الشاعر بالطبيعة الساحرة ، التى عبرت هى الأخرى عن الترحيب بالممدوح وحسن استقباله ، فيبتسم الروض ، وتتفتح الأزهار ، وتطل الأنوار ، وهذا الاستدلال الجيد المشوق ، لا يخرج عن موضوع الغرض ، بل داخل فيه ، ومتلاحم معه ، حيث جند الشاعر الطبيعة معه لتعبر هى الأخرى عن فرحتها وابتهاجها لاستقبال الممدوح الأمير سلطان بن عبد العزيز .

ثانيا ـــ الشاعر لا يمدح الرجل إلا بما فيه ، من غير مبالغة ولا معاظلة ، فالعالم وزير المعارف يمدحه بعلمه وفضله ، وحسن ريادته فى العلوم والآداب ، والقائد كالأمير سلطان وزير الدفاع والطيران يمدحه بما هو فيه : من حسن الكياسة والسياسة ، وشرف القيادة والحنكة

---

(١) الألمعيات : ١٢٨/١٢٩
(٢) العسكرى شيخ قبيلة بنى العوص ، إحدى قبائل رجال ألمع ، والمتاحم هم أمراء من عسير ، من القبائل التى تتبعهم : ربيعة ورفيدة وبنو شوعة ، وأميرهم الحالى عبد الوهاب المتحمى .

العسكرية ، والمهارة الفنية ، وغير ذلك مما ورد فى القصيدة بما يتناسب مع مهارته العسكرية ، ومنصبه فى الجيش الذى يقوده ويتولى أمره ورعايته .

ثالثا ـــ القيم التى قامت عليها مدائحه قيم نبعت من ظروف عصره ومقتضيات أمته ، فقصيدة « رائد نهضة » اشتملت على القيم العلمية والفكرية والأدبية ، التى جعلت معالى الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ وزيرا للمعارف ، وموجها للمعاهد العلمية فى المملكة العربية السعودية ، وكذلك قصيدة « فرحة ولقاء » وقصيدة « أسفر الصبح » قامتا على قيم سامية نبعت من مكانة الأمير القيادية والعسكرية ، وحنكته السياسية ، بما هو به جدير ، فصار أهلا لهذه القيادة ، وكذلك الأمر فى القصيدة الرابعة .

رابعا ـــ تجردت المدائح عند زاهر من الإطالة فى المدح القديم ، وتسخيره لحاجة القائل من الرغبة فى المنح والعطايا التى يبتغيها من الممدوح ، حيث كان الشاعر القديم ، يقصد من شعره العطية ابتداء ، فإن لم يفض عليه الممدوح بها انقلب الشاعر هاجيا ناقما ، مما جعل القصائد فى المدح القديم سلما تقليديا ، يتدرج فيه الشاعر ، على القيم التقليدية فى المدح عند الشعراء فلا يخرج عنها .

لكن زاهر حينما ينشد قصيدة فى المدح ، لا يبتغى من ورائها شيئا من ذلك مما يعبر بصدق عن الصفات التى لا تنفصل عن الممدوح والتى نبعت من ظروف عصره لا عن تقليد للغير ، وفاضت بها طبيعته وروحه ومنهجه فى الحياة المعاصرة ، ولذلك كانت القيم التى يمتدح بها الشاعر ممدوحه قيما جديدة معاصرة ، تتلاءم مع شخصية الممدوح ، وطبيعة العمل الذى يقوم به ، فطبيعة شخصية صاحب السمو الملكى قائد جيش ، وصاحب المعالى وزير للمعارف وموجه فى التعليم ، وطبيعة الأمير السديرى تختلف هى الأخرى عن الطبيعتين السابقتين ، وهكذا أصبح لشاعرنا اتجاه خاص فى مدحه يختلف فيه عن المدح فى الشعر القديم .

سادسا ـــ شعر الحضارة :

وهذا غرض جديد من أغراض الشعر الحديث ، يصور فيه الشاعر الحضارة المعاصرة بشقيها ، **الأول** : المعنوى والأخلاق والمثالى . **والثانى** : المادى من التقدم العلمى الصناعى والزراعى والاقتصادى وغيرها .

وقد يتجاوب بعض الشعراء المحدثين مع التقدم الحضارى فى شعر يصور هذه الجوانب ، وقد لا يتجاوب البعض الآخر ، وشاعرنا زاهر قد أنشد شعره فى هذا الغرض الجديد ، مثل قصيدته « مراقى الفضاء » التى ألقاها الشاعر فى الحفل الثقافى الكبير « بمعهد أبها العلمى » عام ١٤٨٤ هـ ، وذلك حينما حدثت ضجة كبرى حول غزو الفضاء ، وظهرت بوادر الانكار

من بسطاء الناس ، لذلك التقدم العلمى ، فاشتملت القصيدة ــ كما يقول الشاعر ــ على هذا الغرض الحضارى ، ثم ختمها بجوانب من التوجيه والدعوة إلى العلم يقول[1] :

زمجر الركب فى مراق الفضاء ... واعتلى الفكر شامخا بالضياء
وانطوى هيكل الدواجى فباتت ... شعلة النور راية النجباء
ليت شعرى من أى برج أطلت ؟ ... أنجم الكون والعلا والبناء
ليت شعرى من أين منطلق النو ... ر الذى كان آية فى البهاء
إن إشعاع دعوة الحق قد شا ... ء الإله خلوده فى البقاء
أيها المسلمون قد أصبح اليو ... م شعاعا مبشرا بالهناء
فارتقوا فى معارج المجد وابنوا ... من صروح السلام نهج إخاء
وابتنوا فى ذرى الأماجد صرحا ... تعتلى فيه دوحة السعداء
تصعد القادة العظام وتزجى ... أمما فى مواكب العلياء
فنرى العلم عندها بمكان ... لا ينال ببيعها والشراء
بل بقدح الزناد للفكر حتى ... تكشف الحجب عن وميض السناء
إن للعلم دولة لا تسامى ... قد حداها فطاحل العلماء
فانهلوا من معين عذب زلال ... لا تغيض فيوضه بالفناء
منهل تنطوى الليالى ويبقى ... متعة للنفوس للنبلاء
يا رجال الاسلام أحيوا علوما ... من تراث مهذب الآراء
جددوا فى العلوم من كل فن ... واستنيروا بشرعة الأنبياء
سبقتنا إلى الفضاء شعوب ... واستطارت على ذرى الأرجاء
وغزت عالم الفضاء فدوى ... صوتها فى مرابع الكبرياء
فبنو الشرق يفخرون بما قد ... حققوه من موجبات الرخاء
وبنو الغرب قد تباهوا بعلم ... سخروه فى غزوهم للفضاء
فلماذا محا المعالم منا ... باعث الجهل معشر العقلاء
شرعة الله أن نعيش كراما ... وبنور نرقى ذرى الكرماء
ثم نبنى بقوة ما استطعنا ... لا نبالى بمبدأ الضعفاء
يا شباب الاسلام إنى مناد ... فيكم اليوم فاسمعوا لندائى
أنتم اليوم أشبل فى ذرانا ... وغدا فى مواكب الزعماء
فانشروا الوعى فى الجماهير حتى ... تبتنى المجد فى ذرى شماء

---

(١) الألعيات : ١٩/١٧

إننـــى اليـــوم لا أروم خيـــالا فالخيـــــال مشتت الأفيــــــاء
بل أقـول بدافـــع من شعـــور حيـــوى متــــوج بالرجــــاء
هل لنا اليوم فى المعالى شباب مستجــــيب بعـــزة ووفـــاء
يحملــون الأعبــاء غرًّا كرامـــا فى مراق شريعـــة سمحـــاء
فالبدار البـــدار يا أمـــة المجد نــــادى بوحـــدة وإخـــاء
واصرخى فى بنيك أحفاد (سعد) (والمثنـــى) ، (وخالـــد) العليـــاء
ففخـــار الشعـــوب بالمثـــل الأعـــــلى بجيـــل مثقـــف شرفـــاء
همـــوا غايـــة منـــار الثريـــا دون أدنى مرامهـــا البنــــاء
بارك الله فى شبـــاب تسامـــوا للمعـــالى وللبنـــا والفــــداء
وارتقـوا فى مشارف المثل العليا وكانــــوا أشاوش الهيجـــــاء

يصور الشاعر مدى التقدم العلمى الحضارى الحديث ، الذى وصل فيه العلماء إلى الفضاء ، وغزوا معالم الأرجاء ، ثم يوجه شباب أمته أن يواصلوا الدأب والكفاح فى سبيل تحصيل العلوم ، لكى تعيش الأمة الاسلامية كريمة لترقى مشارف الكرماء ، ولتبنى حضارتها بقوة لا تبالى أحداً ، ولا تتخذ مبادىء الضعفاء منهجا وسلوكا ، كيف لا يتحملون هذه الأعباء كراما ، ليرتقوا بها فى ظلال شريعة سمحاء ، كان سعد وخالد والمثنى رضى الله عنهم المثل الأعلى لهذا الجيل المثقف الذى كان دائما يسمو للمعالى والبناء والتضحية والفداء .

والشاعر هنا قد مزج بين شقى الحضارة العلمية المادية ، والفكرية الأخلاقية ، فحث الشباب على سباق الزمن ، لكى يصلوا إلى ما وصل إليه الغرب من تقدم فى مجال الصناعة العلمية ، التى تمَّ بها غزو الفضاء ، ولا يصلح هذا التقدم إلا فى ظلال الحضارة الأخلاقية والقيم الفاضلة التى هى جوهر شريعة الاسلام ، والتى جعلت من قوادها مثلا أعلى يقتدى بهم فى كل عصر وجيل ، لأن الحضارة العلمية المادية وحدها لا تنفع ، ولا ترقى بالأمة ، بل لابد من مؤازرة الحضارة الأخلاقية والمثالية لتهذيب النفس واستقامتها على الجادة فى بناء الحياة وتقدمها ، وإرسائها على أساس قوى متين من الحضارة الانسانية النافعة .

واهتم الشاعر كثيرا فى شعره بإبراز الحضارة الأخلاقية التشريعية التى جاء بها الاسلام ، فهى الركن السامى ، والجاد فى بناء الحضارة المادية الصناعية والزراعية ، وذلك فى قصيدته « تحية مؤتمر الفقه الاسلامى » الذى دعت إليه جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، المنعقد فى الفترة من ١٣٩٦/١١/١ هـ إلى ١٣٩٦/١١/١٨ هـ ، ليشيد بعلماء الاسلام وفقهائه ومحدثيه والدعوة إلى الاقتداء بهم منهجا وهدفا وتضامنا(١) :

---

(١) على درب الجهاد : ٥٣/٤٧

أقول وقد لاحت بآفاقنا البشرى   أتلك رياض العلم تستقبل الفجرا
أتلك مراقى مالك وابن حنبل   تفجر من عرفانها فى الدنا بحرا
أتلك رحاب الشافعى وصحبه   تفيض على الأنفاس من روحها نشرا
أتلك ربا النعمان والصحب حوله   أناروا لنا دربا وأثروا لنا فكرا
أتلك بلاد الشام فاحت تضوعا   وقد أنجبت أسمى فطاحلها قدرا
أتلك ربوع القيروان تحركت   وتاقت إلى القادات إذ يممت مصرا
أتلك بخارى تنفح المسك أذفرا   وقرطبة الغراء كانت لنا فخرا
بلاد أقامت للحضارات منهجا   يطاول فى عليائه الأنجم الزهرا
ومؤتمر الفقه الذى ذاع فى الورى   وأمسى بحمد الله فى ليلنا بدرا
ويممه من كل فج فطاحل   وقد سبرت أبعاد أغواره سبرا
وأهلا بكم يا قادة الفكر والنهى   ومؤتمرات الخير أنتم بها أحرى
فسيروا على نهج الألى شيدوا لنا   صروحا من التشريع ناصعة غُرا
وقد حلقوا للمجد فى عزم صامد   تخطى صعاب الدهر واستسهل الوعرا
تولوا كتاب الله بحثا وخدمة   وغاصوا من اللجات أعمقها غورا
وللسنة الغراء قد جد جدهم   فجابوا فجاج الأرض ما تركوا قطرا
فأصبح ينبوع المعارف مترعا   تطوف عَلى رقراقه أمم تترى
وإن هدى القرآن للناس ساطع   فأحيوا بتشريعاته فى الورى ذكرا
كما واصل الأسلاف فى هدأة الدجى   دراساتهم للذكر فاكتسبوا أجرا
فشادوا من التشريع صرحا مخلدا   ألا ننضوى فى ظله مرة أخرى
هو الأمن والايمان والنعمة التى   بها تسعد الأجيال فى شأنها طرًّا

وهكذا يمضى الشاعر إلى نهاية القصيدة ، يشيد فيها بحضارة الشريعة الغراء والفقه الاسلامى الذى يقيم منهجا جادا وسلوكا فاضلا ، أقام أصوله وجمع أبوابه أئمة أجلاء فى العلم والمعرفة مثل الامام مالك والامام أحمد بن حنبل ، والامام الشافعى وصحبه ، والامام أبى حنيفة النعمان وصحبه ، وقد أينعت هذه حضارة الفقه الاسلامية فى بلاد الشام فأنجبت أسمى فطاحلها ، وفى ربوع القيروان ، وفى قادات مصر ، وفى بخارى وقرطبة الغراء ، وغيرها من الحواضر الاسلامية القديمة ، التى أقامت للحضارات منهجا ، تطاول إلى النجوم فى الشرف والرفعة ، فشادوا من التشريع الاسلامى صرحا شامخا خالدا ، يرفرف على الأجيال بالأمن والايمان والنعمة والسعادة ، فقد أنقذهم من الضلال والتيه والفساد فى البر والبحر والجو كتاب الله وسنة رسوله ، والجهاد المقدس فى سبيل الله وسنة رسوله ، فالخير العميم للأمة الاسلامية والأجر الجزيل للمؤمنين ، إنما يكون بالسير على منهج الاسلام وتنفيذ حكم الله فى مجالات الحياة ، وفى الوحدة الاسلامية الكبرى .

تلك هى القيم الأخلاقية والروحية ، التى تعد أساسا فى بناء الحضارة فى أى عصر وفى كل جيل ، وليس هذا فحسب فحضارة الاسلام أيضا تقوم على ذلك النظام الاقتصادى الاسلامى المادى الفريد فى منهجه وممارسته لهذا الاقتصاد ، الذى تولى تنظيمه وتوضيحه الفقه التشريعى ، على نحو لا مثيل له فى المذاهب الاقتصادية الحديثة من اشتراكية ورأسمالية .

فالفقه الاسلامى أرسى قواعد النظام الاقتصادى المادى فى كتاب المعاملات على النحو الآتى :

اهتم بموضوع المقاييس الصحيحة فى تحديد القيم العليا ليجعلها أساسا للتفاضل بين الناس وهى الأخلاق وحسن الأعمال لا الأموال والعقارات ، قال تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ولو كان التفاضل وبلوغ المنزلة السامية عند الله بكثرة الأموال لتحولت البشرية إلى وحوش ضارية ، يفترس فيها القوى الضعيف بلا مبالاة ، لأن ذلك شريعة .. ولكن الله لطيف بعباده .

أقرت الشريعة الاسلامية أن المسلم مستخلف على هذا المال ، وأمين عليه ، وموظف فيه من قبل الله عز وجل ، الذى جعل مهمته على المال المستخلف عليه هى التنمية والانفاق ، لا الكنز ولا الاحتكار .

اهتم بالمصادر التى يكتسب فيها العبد المال ، فحث على أن تكون مصادر طيبة أحلها الله سبحانه وتعالى وشرعها لعباده ، وحرم المصادر الخبيثة والكسب الحرام « كلوا من طيبات ما رزقناكم » ، « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل لتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون » .

وفرض الله على المسلمين فى أموالهم حقوقا واجبة مثل حق النفقة على الزوجة والأولاد والآباء والأمهات ، والنفقة على الأقارب وحق الزكاة وحق الانفاق فى سبيل الله .

أقام نظاما تشريعيا فقهيا عادلا فى العقود والمعاملات حتى لا يتظالم الناس ، فوضع الأصول والقواعد والشروط والواجبات فى أبوابه المختلفة من بيع وشراء وهبة وإجارة وإعارة وإحياء موات وزراعة ، وشركة ومضاربة ، وقرض وسلم ، وخيار ووصية ، وغيرها من أبواب المعاملات فى الفقه الاسلامى .

كما نظم عملية الانتاج والعمل ، ونظم السوق والحركة الاقتصادية فيه من وضوح السلعة ، وضبط الأسعار ، والوفاء بالكيل والميزان وغير ذلك لمن أراد أن يستزيد .

وبهذا يتضح لنا أن الفقه الاسلامى فى باب العقود والمعاملات يحمل بين طياته النظام الاقتصادى الاسلامى الذى يبنى الحضارة المادية ، ويسمو بالأمة الاسلامية حضاريا ، لا من

الجانب المادى فحسب ، بل سبب الأسباب ، هو البناء الأخلاقى المثالى الذى يتلاحم مع الجانب المادى .

فاخلاص العمل المادى ليكون لوجه الله تعالى يسبغ عليه طابعا تعبديا أخلاقيا .

والجوانب المادية تتحرك من خلال مراقبة ذاتية داخلية فى ضمير المسلم يخشى الله ويخاف عذابه وحسابه . قال تعالى : « وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين » .

وكذلك قصيدته « تحية المغرب العربى » التى يشيد فيها بحضارة الاسلام فى المغرب العربى وبلاد الأندلس ، ومطلعها(١) :

عبقت بالنشر فى أسنى مكان ... وبدت شماء فى أفق الزمان

إلى قوله :

أنا فى أرض سما المجد بها ... ونمت أيامه فى كل آن
فاذكروا القادات فى راياتها ... عندما خاضت عباب المعمعان
وتسامى « طارق » فى أوجها ... يتخطى فوق أطراف السنان
واستقامت فى ربا أندلس ... جنة الدنيا ونبراس المغانى
أنا إن حلقت فى الأفق وإن ... غصت فى الأعماق فالمجد حمانى
ألمح الشطئان من أندلس ... وابن زيدون أمامى وابن هانى
فاذكروا بالفخر أرباب النهى ... من رقوا فيه إلى أسنى مكان



(١) على درب الجهاد : ١١٥/١٠٧

التصـوير الأدبى

أولا ـــ التجربة الشعورية :

هو انفعال الشاعر بمشهد أو حدث أو فكرة أو موضوع أو عاطفة أو خاطرة ، أو غير ذلك مما يهز المشاعر ، ويحرك الأحاسيس ، ويثير الوجدان ، ويلهب العاطفة ، ويحيى الخواطر ويبعثها ، لتتلاحم كلها فى عالم الشعور ، أى فى معامل النفس والوجدان والمشاعر والعواطف فى تجربة شعرية تتحرك إلى مجالها : مجال الأسلوب والابداع فى التصوير ، الذى يتعاون فيه العقل والخيال معا فى انتقاء الألفاظ والأساليب والصور والموسيقى والايقاع ، ليتناسب الجميع مع الغرض والموضوع والمعانى والعاطفة والمحسات ، فى اتزان وتوازن بين العقل والخيال ، بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر فى داخل النفس .

فإن طغى الخيال ، وانطلقت العاطفة والمشاعر والوجدان انصهرت القصيدة فى تصوير أدبى ينساب كالسراب بعيد عن الواقع والالتزام ، مسرف فى الذاتية والأنانية ، ومتحرر من كل ما يشد الشاعر ألى واقعه فى الأرض ، فيحلق الشاعر إلى برج بعيد يملؤه التمرد والتحرر المطلق ، والذاتية المسرفة والأنانية الزاهدة .

وإن طغى العقل تنوعت القصيدة إلى عدة أشكال نتيجة للتحجر العقلى والإسار المنطقى ، بما لا يتناسب مع طبيعة الشعر .. فإما أن تكون القصيدة فى أسلوب علمى ، يقرر القواعد والأصول ، ويطلق الأحكام ، ويعلن النتائج ، وهو ما يطلق عليه النظم العلمى ، مثل ألفية ابن مالك والبديعيات كالقصيدة البديعية لصفى الدين الحلى وغيرها .

وإما شعرى تقليدى أثخنته الزخارف والأثقال ، وتعثر فى الجمود العاطفى والفكرى ، وتجمدت فيه المشاعر والأحاسيس ، فى نظم يدور على ما قاله القدماء ، فى تقليد أعمى بلا موهبة شعرية ، ولا استعداد أدبى لقول الشعر ، وذلك مثل الشعر قبل البعث الأدبى المعاصر على يد البارودى ومن معه .

وإما محافظ « كلاسيكى » يطبق فيه الشاعر عمود الشعر العربى لكنه فى جفاف العقل ومقاييس المنطق ، ويأبى أن تمتد شرايين الخيال ، لتبعث فيه الحياة ، ويكفيه أن يصور الحقيقة مقنعة ، تأخذ مكانها من العقل لا الوجدان ولا القلب ، وهذا الشعر يذهب عن قارئه بمجرد أن ينتهى لا يجد له أثرا مثل شعر ابن عثيمين فى السعودية وشعر ابن نباتة المصرى والشيخ العطار من مصر وغيرهم .

أما إن سار العقل والخيال فى اتزان ومطاوعة للفكرة والمشاعر والعاطفة والواقع جاء الشعر فى تصوير أدبى يحرك المشاعر ويهز العواطف ويحيى الخواطر ويبعث النشاط الفكرى ، وبهذا الاتزان فى الشعر تتحقق الغاية منه وهى : التأثير ، والاقناع معا . وهو ما يعتمد عليه الشعر القوى الملتزم ، فيؤدى دوره فى الحياة ، من تربية الذوق الأدبى ، وتنمية الملكة الشعرية ، وبناء الحياة وتقدمها ، وهذا ما يجب علينا نحو الحياة والانسان والمجتمع وقضاياه المعاصرة .

والصدق الفنى فى التجربة يتحقق عن طريق التلاؤم بين العاطفة والخيال ، والمعانى والأفكار ، والموضوع والغرض ، والمشاعر والأحاسيس ، وبين التصوير الأدبى من ألفاظ وأساليب ، ونظم وصور ، وإيقاع موسيقى ، وفى التلاؤم بين هذين الشطرين يتحقق الصدق الفنى فى التجربة الشعورية .

والتجربة الشعورية عند زاهر فيها الخواطر والأساليب ، والعواطف والصور ، بتآزر العقل والخيال معا على السواء فى تجربة شعرية قوية ، التزم فيها الشاعر بقضايا وطنه وأمته وعالمه الاسلامى الكبير ، وكان من وراء ذلك دوافع فى بناء تجربته ، أسبغت عليها تلك الخصائص ، من أهمها :

الأول : حضور زاهر مؤتمرات الحجيج فى جميع أقطار العالم الاسلامى فى كل عام ، وإن فى هذا الموقف دافعا قويا ، ودفعة شعرية ، وإثارة للوجدان والعاطفة ، بما يقل شأنا عن المواقف الشاعرية المتدفقة ، التى ينثال فيها الشعر انثيالا ، ويتراسل التصوير الأدبى بالصور المتزاحمة إرسالا ، فى شاعرية أخاذة ، يستمد الشاعر تجربته من رافدين قويين . **أحدهما** : الموقف الروحى ، الذى يتفجر من الوحدة الاسلامية بين الحجيج ، مع اختلاف أجناسهم وألوانهم ، وتباين لغاتهم واتجاهاتهم ، وتدفق الجانب الروحى والنفسى يدفع إلى تدفق المشاعر ، وقوة الانفعال ، وإثارة الوجدان ، وحمم العاطفة وبعث الخواطر .

ثانيهما : إيحاء المشاعر المقدسة فى مكة المكرمة ، وفى منى وعرفات بما جاء فى الاسلام من شريعة بناءة ، وحضارة مشرقة للعالم أجمع ، يدفع بالشاعر إلى بحر الشريعة الاسلامية العميق ، فتنساب روافده القوية فى شعره ، التى تفي بالقيم الاسلامية والأخلاق القرآنية ، ليناجى أمة الاسلام فى ممثليها الحجيج ، بالعودة إليها ، وتطبيق تعاليمها وقيمها ، فهو السبيل الأوحد فى انتصار الأمة الاسلامية على أعدائها ، كما أقام السلف الصالح على هذه الأرض الطاهرة تلك الحضارة الاسلامية الشامخة ، وذلك مثل قصيدة « مشاعر الالهام » وقصيدة « فى ربا الحرمين » ، وقصيدة « فى مشاعر الحج » وقد مرت أمثلة منها .

الثانى : روح الجندية التى بدأ بها حياته ، فقد رسمت طريقه ومنهجه فى الحياة ، الذى يقوم على أساس من الصمود وتخطى العقبات مهما كانت شاقة ، فقد قطع شوطا طويلا فى الجندية ثم

حصل على أعلى الدرجات العلمية بعدها ، حصل على الدكتوراة وأصبح أستاذا فى الشريعة . وانعكست حياة الجندية على شعره ، فوجه غايته الكبرى إلى شعر الجهاد والحث عليه فى سبيل نصرة الاسلام والمسلمين ، فلا يرى إلا البارود واالنار ولذلك كانت أغراضه الشعرية تصور القضايا الاسلامية وخلود الشريعة وأمجادها فى الماضى .

ويذكرنى هذا الاتجاه برائد البعث الشعرى محمود سامى البارودى فى مصر مع الفارق الزمنى بينهما ، فقد كان البارودى فارسا وجنديا لكنه وجه عنايته إلى البعث اللغوى ، والإحياء الأدبى لاعادة اللغة العربية وآدابها إلى وجهها المشرق ، الذى كان لها فى عصورها الزاهرة عصر الأمجاد .

واتجاه زاهر متفق مع اتجاه البارودى من حيث المنبع والمصدر والهدف ، لكنه يختلف من حيث الوسيلة لا الغاية ، فالوسيلة عند زاهر هى الدعوة إلى الجهاد فى سبيل الله ، وتحرير الأرض من الصهاينة واليهود ، لتعود أمجاد الأمة كما كانت ، لكن البارودى جندى فارس أعاد المجد إلى اللغة العربية وأدبها ، لغة القرآن الكريم والشريعة الاسلامية .. وشتان بين الوسيلتين .

وشتان بين عصرى الشاعرين ، فالبارودى بمعارضاته رائد البعث الشعرى فى العصر الحديث ، وزاهر من مدرسة المحافظين التى افتتحها البارودى يسير شاعرنا على الديباجة العربية الأصيلة وإشراق الأساليب والتزام العمود الشعرى ، مع تجنبه المعارضات الشعرية ، لأن قضية الجهاد شغلته عنها ، أما نصاعة الأسلوب وتحرر الشعر من قيود الزينة وأغلالها فقد كفاه البارودى مشقة معاناتها والتخلص منها ومهد بذلك الطريق لمن بعده من الشعراء ومنهم شاعرنا زاهر الألمعى ، الشاعر الجندى الفارس المحافظ فى تجديده(١) .

ثانيا : المناسبات الشعرية : من الدوافع التى أثرت فى تجربة الشاعر المواقف والأحداث والمناسبات ، التى تفرضها على شعره إنسانيته ، ويدفعه إليها دينه وعقيدته ، كحق إنسانى ، وواجب دينى ، فالقضايا الاسلامية المعاصرة تحض الشاعر على أن يجند شعره لجهاد أعداء الاسلام وهم الصهيونية واليسارية واليمينية ، وأن يعود المسلمون إلى الشريعة الاسلامية ، التى أقام السلف الصالح حضارتها الراسخة .

وسيطرت قضية فلسطين على شعره كله ، فلا تخلو قصيدة من الايماء إليها على الأقل أو تكاد ، أما التصريح بالقضية فقد جاء فى قصائد كثيرة سواء أكانت القضية هى الغرض من القصيدة ، أم جاءت تبعا لغرض آخر ، وسيتضح هذا عند الحديث عن الوحدة الفنية ، وذلك مثل القصائد التى قالها فى مؤتمرات الحجيج كل عام .

---

(١) انظر : مقدمة الألمعيات : للأستاذ عبد العزيز الرفاعى ص ١٢/١٣

ويحث زاهر على التعليم والتعلم والتربية الاسلامية الفاضلة ، وذلك فى المناسبات التى تتصل بذلك كافتتاح المعاهد العلمية ، والاحتفالات التى تقام فيها ، أو فى مناسبات أخرى مثل الرثاء لعالم أو رائد ، أو صاحب جهود فى ارساء العلم وتدعيمه ، مثل قصائد « مراق الفضاء » « نجم هوى » ، « تحية المعهد » ، « جحافل المجد » ، « دولة الاسلام فى ماضيها المجيد » ، « صيحة الجهاد » ، « بطولة وفداء » ، « صرخة العرب » ، « رائد نهضة » ، « صدى المؤتمر » ، « دهى الخطب » ، « نجدة الاسلام » ، « ترحيب وأمل » ، « إشراق الأمل » ، « فقيد العلم » ، « تحية إجلال وتقدير » ، « فقيد الاسلام » ، « وحدة العرب » ، « يا قادة الدين » .

ويحث فى مناسبات أخرى على بناء الوطن الصغير والكبير ، والنهوض به ، والاشادة بالمنجزات التى تحققت ، وذلك فى قصائد كثيرة مثل : « ربوع الجنوب » ، « فى ربوع القصيم » ، فى ربوع القرعاء » ، فى ذرى نجران » ، « مواكب المجد » ، « سد جازان » ، « تحية بغداد » ، « فرحة ولقاء » ، « أسفر الصبح » ، « أمتى » ، « حماة المجد » ، « تحية نجران » .

لا يستريح الأستاذ عبد العزيز الرفاعى إلى المناسبات فى شعر زاهر ، لأنه يفسد على الشاعر الصدق الفنى فى التجربة الشعورية ، فيقول : « صاحب هذا الديوان يملك النواة ، وتأبى عليه عصاميته إلا أن يصقلها ، فهو يريدها ويريد معها اهتمامات أخرى ... وفى غمرة كل شواغله ، لا يهمل الشعر ، ولكنه لأمر ما ، لا يعطينا كل شعره ، أو هذا ما أحسبنى قد رجحته بعد أن فرغت من ديوانه ، فهو يعطينا من شعره الجانب الخطابى .. يعطينا شعر المناسبات ، التى أحسبه يساهم فيها ، وهو يعتقد أنه يؤدى واجبا أدبيا مفروضا تفرضه عصاميته ، ويفرضه تطلعه »(١) .

وهذا الكلام يحتاج إلى وقفة منصفة فى مجال النقد الأدبى ، فالناقد الرفاعى يرى أن الشاعر يعطينا الجانب الخطابى من شعره ، ويفسر الخطابية بالمناسبة فى الشعر بقوله : يعطينا شعر المناسبات وهذا تفسير بعيد عن الصواب لأن معنى الخطابية هو الاستطراد والحشد والتأليف بين عناصرها على أساسين رئيسيين هما التأثير فى الجمهور والاقناع مع المناسبة أيضا ، والتأثير والاقناع إن خلا منهما الشعر يكون ميتا لا حياة فيه ، ومهملا مرذولا ، وعلى ذلك فلابد منهما فى الخطابة والشعر على السواء .

---

(١) مقدمة ديوان الألمعيات : الأستاذ عبد العزيز الرفاعى ص ٧

والحق أن ما يستوقف النظر من شق واحد فقط هو المناسبة ، فليست هى الفيصل بين الشعر والخطابة ، وليس كل شعر جيد هو الذى خلا من المناسبات ، وإلا لسقط شعر الفحول من شعراء العرب القدامى ، وإلا لما قلّد الأدب والنقد شوقيا إمارة الشعر ، وهو المتهم من العقاد وغيره من شبابهم بأن المناسبة أفسدت شاعرية شوقى ، ثم يرجع العقاد وزملاؤه عن هذا الحكم فى مرحلة الكهولة والاتزان وأثناء خصوماته الأدبية ، ليقرر الحقيقة التى بقيت للتاريخ فى شعر شوقى وحافظ فيقول إن الخصومات حول الشاعرين كانت من حماقة الشباب[١] .

والخطابية إذا كانت بمعنى المناسبات التى يقصدها الرفاعى لا تستلزم عدم الانفعال ، لأن التجربة الصادقة تتفجر من موقف معين ومناسبة دافعة ، وعند ذلك تكون المناسبة هى المثيرة للانفعال ، ولا أدرى كيف ينشد الشاعر قصيدة دون دافع أو مناسبة مفجرة وإلا لما تحقق الانفعال ، الذى يلهب العواطف ، ويحرك المشاعر والخواطر .

وعلى ذلك أرى أن كلام الرفاعى بعيد عن الصواب حين يقول : « بيد أن شعر المناسبات وإن أعطى للحوادث تسجيلا ، ولصاحبه ذكرا إلا أن عناصر الانفعال فيه قد لا يرتقى إلى المستوى الأول المأمول فإن شعر المناسبة تحكمه ظروف المناسبة ذاتها ، فقد لا يكون مهيئا تهيئة نفسية كافية حينما تطرأ المناسبة ، فقد يمر على شاعر المناسبة أن يطلب إليه أن يقول شعرا فى عرس ، بينما تكون نفسه ذاتها فى مأتم ، ومع ذلك فلا يملك إلا أن يستجيب »[٢] .

هذا الكلام مقبول وصحيح لو كان مجردا عن نسبته إلى ديوان زاهر ، الذى حكم الرفاعى على شعره بالمناسبات ، وأشد على يديه لو كان القول مجردا عن النسبة ، لأن المناسبة قد تفرض على الشاعر وهو غير متهيء وجدانيا لموضوع المناسبة ، فهذا نظم وليس بشعر مطلقا ، ولكن زاهر لم يكن كذلك ، بل كان متهيئا وجدانيا ، ونفسيا للمناسبة التى قال فيها شعره إذا أمعنا النظر طويلا فيه ، وعلى سبيل المثال المرثيات التى ذكرناها ، لا تجد فيها تصويرالا يتناسب مع الغرض من الحزن والتأسى ، بل كانت الصور كلها قاتمة حزينة مما يدل على قوة الانفعال وصدق التجربة الشعرية ، مع أن الشاعر أنشد المرثيات فى مناسبات ذكرتها آنفا .

وكذلك لو رجعنا إلى القصائد التى قالها فى مناسبات العلم والتعليم وفى مؤتمرات الحجيج كل عام فعلى الرغم من هذه المناسبات تجد انفعالا قويا وتجربة حية صادقة مثل قصيدة « عودى إلى درب الجهاد » وقصيدة « فى رحاب البيت » ، « مشاعر الالهام » ، « ضيوف الرحمن » ، « فى ربا الحرمين » ، « فى مشاعر الحج » وغيرها وقد مرت الأمثلة .

---

(١) الأدب الحديث : د . عبد الرحمن عثمان .
(٢) مقدمة ديوان الألمعيات : ص ٧

ويؤيد ما اتجهت إليه من أن المناسبة عند زاهر كانت مفجرا انفعاله فى معظم شعر المناسبات ، وأقر به الرفاعى بعد ذلك بقليل : وهو أن الشاعر كان فى شعر المناسبات مدفوعاً بمشاعره الذاتية وصادرا عن إرادته لا عن إرادة غيره يقول الرفاعى ما نصه :

« غير أنى أعتقد أن صاحب هذا الديوان يشترك فيما يشترك فيه من المناسبات مدفوعا بمشاعره الذاتية .. صادراً عن إرادته هو لا عن إرادة سواه ، وهو كثير ما يجول فى ميدان أحبه وآثره هو ميدان العلم والتعليم ، فلا تكاد تفوته مناسبات الحفلات التعليمية فى مجاله دائما أن يشيد بها »(١) .

وماذا يريد الرفاعى من الشاعر أكثر من أن يكون مدفوعا للمناسبة بمشاعره الذاتية ، هل الشعر إلا مشاعر ذاتية ، ويوم أن يكون غير ذلك فلا يكون شعرا ، بأن يكون مدفوعا بغير ذاته أى خارجا عن ذاته ومنفصلا عن مشاعره ، وما اعترف به الرفاعى هنا هو نفسه ما أخذته عليه مسبقا ومنذ قليل .

وهذا نفسه هو ما رجع إليه الرفاعى فى نهاية كلامه حينما تحدث عن قضية التزام الأدباء والشعراء ، فيتجاوبوا مع الأحداث ومع الناس ، وألا ينغلقوا على أنفسهم وذاتياتهم ، وينصرفوا إلى وجدانهم بشرط ألا يفقدوا الصدق الفنى .. يقرر هذا فى قوله :

« ولا يجب أن ننسى أننا ندعو أدباءنا وشعراءنا أن يتجاوبوا دائما مع الأحداث ، وأن يعيشوا مع الناس ، وألا ينغلقوا على ذاتياتهم ، وينصرفوا إلى وجدانياتهم فحسب ، ولكننى لا أغفل فى هذا شرطا هاماً هو ألا يفقدوا الصدق الفنى فى كل أثر من آثارهم ، وصاحب هذا الديوان حينما يتجاوب مع دعوة التضامن الاسلامى ، وحينما يخطب شعرا فى منابر الحجيج التى يقيمها العاهل العظيم ... إنما يجد فى ذلك ارتياحا حقيقا فى نفسه ، ويشعر أنه إنما يؤدى واجبا مفترضا يجب أداؤه بقدر ما يسعه من طاقة ، أو بقدر ما يستطيع أن يقدم من جهد .. ولست أشك أن هذه الأفكار الصالحة مع مرور الزمن ستكون أكثر رسوخا فى نفسه ومع تطور شعره سيكون هو أقدر على الافصاح عنها ، والابداع فيها » .

وهذا ما صنعه زاهر فى معظم شعره حين التزم بقضايا عصره ولم ينغلق على وجدانه ، أو يتمدد فى ذاتيته وأنانيته ، ولكن الذى أرفضه أن الشاعر لم يفرض عليه واجب فى مناسبة ما فرضا غير مقبول منه أو كارها له ، لأنه لم يحمل على شيء يقوله من خارج ذاته وارادته ويؤديه بقدر ما يسعه من طاقة ، فما دمت قد أيدت الالتزام عند الشعراء وفى منهج صاحب الديوان ، فالمناسبة عنده هى التى فجرت الانفعال من ذاته ، وانصهرت فى وجدانه ومشاعره ، فأخرجها

---

(١) المرجع السابق ص ٧

من ذاته وأحاسيسه وارادته ، لا من شيء خارج عن ذاته .

أما الصدق الفني فقد ربطه الرفاعي بالمناسبة ، فما دام زاهر قد أنشد شعره فى المناسبات ، حينئذ يتجرد من الصدق الفنى ، وينسلخ عن شعر الذات أو عن شعر العاطفة والوجدان ، إلا قصيدة واحدة فقط وهى « رسالة العيد » يقول الرفاعى :

« لقد قلت ان وراء شعر هذا الديوان شعرا لم نره فيه هو الشعر الذاتى أو شعر العاطفة والوجدان ، وهو الشعر الذى يخرج من القلب ليصل إلى القلوب ، فمن أين أثبت بهذا الادعاء ؟ لقد وجدت فى الديوان طرف الخيط ، إنه قصيدته « رسالة العيد » فقد عاد الشاعر بعد صلاة عيد الفطر إلى غرفته وحيدا بعيدا عن أهله وخلانه .. يشكو الغربة والوحدة فلا أنيس ولا زائر ... وهى قصيدة جميلة تنساب فى رقة بلا تكلف ولا افتعال .. »(١) .

لا أنكر على الرفاعى أن رسالة العيد شعر وجدانى عاطفى ، وبالتالى لا أنكر الصدق الفنى فيها ، فهذا ما لا يقبل الانكار ، أما الذى يحتاج إلى تأمل وهو أن الصدق الفنى يساوى شعر الوجدان فقط ، بل شعر الوجدان غرض من أغراض الشعر ، والشعر الاسلامى الذى قيل فى مؤتمرات الحجيج غرض من أغراض الشعر ، والرثاء كذلك ... وهكذا بقية الأغراض عند الشاعر . وعندى أن الأغراض كلها لا تصلح ولا تسمو إلى مواطن الجودة إلا بالصدق الفنى بين التجربة الشعورية وبين التصوير الأدبى لهذه التجربة ، وقد تكون التجربة وجدانية أو التزمت بقضايا المجتمع ، لكن الجودة ترتبط فيها بالصدق الفنى ، هذه ناحية .

وناحية أخرى وهل شعر الوجدان فقط هو الذى يصل من القلب إلى القلب ، وماذا نقول فى الشعر الاسلامى ، الذى نبع من تجربة صادقة فى عاطفة ملتهبة مثل بردة البوصيرى ، ونهج البردة لشوقى ، هل مثل هذا الشعر لم يخرج من القلب إلى القلب ، مع أنه لم يكن شعرا وجدانيا ؟!! لكن الحق أن البردة ونهجها لا زالت تهتز لها أعماق القلوب ، وكذلك الأمر فى شعر زاهر الاسلامى مثل قصيدة « مشاعر الالهام » ، « فى رحاب البيت » ، « فى مشاعر الحج » ، وغيرها ، فقد عبر فيها الشاعر عن تجربة صادقة قوية تهز أعماق النفس ، وتتفتح لها جوانب القلب .

وناحية أخرى وهى أن قصيدة « رسالة العيد » لم تكن وحدها هى الشعر عند زاهر ، ولم تكن هى الخيط الرفيع الذى يدل على موهبة الشاعر وأصالته الشعرية ، بل لديه قصائد كثيرة تدل على ذلك منها معظم القصائد التى قالها فى مؤتمرات الحجيج مثل « عودي إلى درب

---

(١) المرجع السابق : ١٢/١١

الجهاد » ، وقصائد الرثاء مثل « فجع الأيام » ، وقصيدة « زلة القول » فهى من شعر الطبيعة الذى ينبع من وجدان مفعم بالحب لأبها ، ولنوازنها بقصيدة « رسالة العيد » ، لتكون هى الثانية وليست الوحيدة فى نظر الناقد ، عند ذلك يكون فى شعره أكثر من خليط يدل على موهبته ، وسنذكر القصيدتين حتى نلحظ مدى القوة فيهما معا لا فى رسالة العيد فقط ، يقول زاهر فى « رسالة العيد »(١) :

يا عيد بلغ أسرتى وبلادى ... أزكى تحياتى وشوق فؤادى
وانقل لهم يا عيد وصف مشاعرى ... وأين لهم من لوعتى ووادى
أنا فى الرياض وحال دون أحبتى ... شرف من الواحات والأطواد
والقلب ملتاع بحارق لوعة ... والعيد عيد الأنس والإسعاد
لكننى أنسى أن أكون ببلدة ... لحقت بها الأعياد بالأعياد
بلد بها للمكرمات منارة ... وهاجة بمفاخر الأجداد
تمشى طيوف الشعر بين جوانحى ... خفاقة الرايات والأعتاد
فتهزنى شوقا إلى تلك الذرى ... بمعاقل شماخة الأنجاد
وبها سراة قد تأصل مجدها ... واستوطنت فى ذروة الآساد
يمتد طرفك من مشارف « تهلل » ... فيرى الربا منداحة الأبعاد
فى ربوة « الشعبين » فى « واد حَلَىْ » ... فى رأس « غمرة » موطن الأصياد
حى المعاقل والربوع ومن بها ... بلد الجمال وجنة المرتاد
أنا لا أزال أقيم فى أرض بها ... جسمى وفى أخرى يهيم فؤادى
ما زلت فى لوعات شوق حارق ... وتطلع وترقب وجهاد
فأزف أشواقى إلى بلد بها ... قومى وفى ذرواتها أولادى
وأزفها من قلب نجد نفحة ... فاح العبير بها مدى الآباد(٢)

وأما قصيدة « زلة القول » فقد ذكرتها ولنعد قراءتها مرة ثانية فى مجال الموازنة مع هذه القصيدة تجد أن الصدق الفنى فى القصيدتين يكاد يكون واحدا .

***

---

(١) الألمعيات : ٧٩/٨١

(٢) تهلل جبل يشرف على مدينة رجال ألمع ـــ الشعبين : حاضرة رجال ألمع ـــ وادى حَلَىْ يحتضن معظم السهول بها . غمرة جبل مرتفع آهل بالسكان ـــ الاصطياد جمع أصيد وهو القوى الشجاع .

ثالثا ـ الألفاظ والأساليب :

زاهر الألمعى شاعر من شعراء التجديد المحافظ ، الذين يتخذون العمود الشعرى منهجا ، وطريقا فى شعرهم ، فيحافظ زاهر مثلهم على الأوزان الخليلية ، ويحافظ على القافية الواحدة ، التى يلتزمها فى القصيدة كلها ، وتراه لا يخرج عن ذلك فى شعره ، فلا يعرف الشعر الحر ، ولا شعر التفعيلة ، ولا الموشحات ، ولا المقطعات ، ولا غيرها ، مما يخرج عن العمود الشعرى القديم فى الوزن والبحر والقافية والأمثلة على ذلك شعره كله فى ديوانيه .

وكذلك الشاعر يحافظ على العمود العربى فى الألفاظ والأساليب وبناء التراكيب ، فينتقى من الألفاظ ما هو جزل قوى وعذب ينساب إلى الشعر فى قوة واقتدار ، ويقيم الأسلوب بإحكام ودقة ، بلا تعقيد ولا ألغاز ، بل تجد المعانى ساحرة والأفكار واضحة مكشوفة لا تحتاج إلى كبير عناء فى تحصيلها ، ولا إلى مشقة فى الوصول إلى الغرض منها ، ولذلك كان شعره واضحا لدرجة أن الرفاعى حكم عليه بالخطابية ، ومن صفات الخطبة أن تكون واضحة ، تصل إلى السامع فى يسر وسهولة ، ولذلك كان من أهم خصائص الأسلوب عنده :

الأولى : جزالة الألفاظ ، وإحكام التراكيب ، وسبك الأسلوب مع وضوح الدلالة على المعنى والغرض بلا جهد أو أدنى تأمل ، لا يحتاج معه القارىء إلى معجم يفسر الغموض فى الألفاظ أو الأسلوب ، والأمثلة على ذلك شعره كله يقول فى قصيدة « مواكب المجد »(١) :

يمضى الزمـــان وتخلـــد الأمجاد ... والمجد صرح بالجهـــاد يشاد
والمجد منطلـق على درب الهدى ... تسمـــو به القـــادات والأجنـــاد
تأبى الأشاوسُ أن تدين لغاصب ... أو أن يطوف عرينها مصطـــاد
هى كالجبـــال الراسيـــات شوامخ ... تهفـــــو لها الأرواح والأجساد
وإذا التقـى الجمعان كانت قوة ... تعنـــــو لها الأغـــوار والأنجاد

ويقول فى قصيدته «عودى إلى درب الجهاد »(٢) :

المسجد الأقصى وخفق حشاشتى ... منـــه ونـــبض تألمى وتـــرنمى
ما بين نغمـــة شاعـــر إيمانــه ... حبـــى ووثبـــة ثائـــر متجهـــم
لكنـــه جهـــاد عادل متطـــاول ... فتأهبـــى يا أمتـــى وتقدمـــى
فى فيلـــق صاروخـــه عزماتـــه ... بالله يقصف كالـــــقضاء المبرم

---

(١) الألمعيات : ٦٣
(٢) على درب الجهاد : ١٧/١٦

يا قادة الاسلام ما زالت جرا ح القدس فى الأمان راعفة الدم
فتشبثـوا بالله والتزمـوا التقـى وثبوا على الأعداء وثبة ضيغم
لا ترهبـوا خوض المعامـع إنها مهر العلا فى نصرنا المتـحتم

الثانية : أقام الأسلوب فى شعره على ألفاظ تعبر عن بيئة الشاعر ، التى عاش فيها : فى جنوب المملكة العربية السعودية ، كما فى قصيدته « فى ربوع القرعاء »[١] ، وقصيدة « فى ذرى نجران »[٢] :

تسامى فى ذرى « نجران » وفد جديـر بالوفـا والمكرمـات
وقل ما شئت من أخبار قوم ففى « الأخدود » أنواع العظات
فإن يأن لموكبكـم رحيـل « لأبها» حيث زهـر الطيبـات
وجـو ساحـر وريـاض نبت مطـرزة بوشى خيرات
فعرجـوا فى ضواحيها ومـروا جبـال « السودة » المتبخـرات

فالمواقع نجران ، والأخدود ، وأبها ، والسودة ، كلها من بيئة الشاعر فى الجنوب ، وكذلك الألمعيين ، وتهلل ، وتوالب ، كلها من بيئة الشاعر فى قصيدة « خواطر »[٣] ، وقصيدة « فى ربوع الجنوب »[٤] ، وقصيدة « سد جازان »[٥] ، وقصيدة « زلة القول »[٦] ، وقصيدة « تحية نجران »[٧] ، وقصيدة « فوق أرض الجنوب »[٨] ، وقصيدة « تحية الفهد »[٩] ، وقصيدة « سد أبها »[١٠] .

الثالثة : ومن خصائص الأساليب شيوع ألفاظ تدل على عالمه الاسلامى الكبير فى قضاياه المعاصرة قديما وحديثا ، فمن عالمه الاسلامى القديم ألفاظ كثيرة مثل بدر ، وحطين ، واليرموك ، والقدس ، ويذكر السلف الصالح من كبار قواد المسلمين مثل سعد بن أبى وقاص ، وخالد بن الوليد ، والمثنى بن حارثة ، وطارق بن زياد وغيرهم من قواد المسلمين الذين أقاموا الحضارة الاسلامية فى جهادهم وكفاحهم .

---

(١) الألمعيات : ٤٩
(٢) الألمعيات : ٥١/٥٣
(٣) الألمعيات : ٥٧
(٤) الألمعيات : ٢٣
(٥ ، ٦ ، ٧) الألمعيات : ٦٣ ، ١٤٦ ، ١٤٩
(٨ ، ٩ ، ١٠) على درب الجهاد : ٦٣ ، ٨٣ ، ١٧٩

وفى عالمه الاسلامى الحديث يذكر ما وقع للمسلمين فى جميع العالم من بلاء وحرب من أعداء الاسلام ، فيذكر غزو باكستان وزنجبار والفلبين والقدس وغيرها ، يقول فى قصيدته « فى مشاعر الحج » :

قد اجتاح « باكستان » غزو مدمر ... يسانـــده الالحاد والشرك والكفـــر
وقد روعت فى « زنجبار » ضمائر ... وأزهـــقت واستفحـــل القهـــر
وعاثت على أرض « الفلبين » عصبة ... فلم يبق للاسلام فى أرضها أمر
وظن الورى فى مجلس الأمن نجدة ... فلـم يغـن منـه لا هراء ولا هذر
وإذا ما اعتلت فى الصين صيحة مسلم ... تجاوب فى أم القرى البيت والحجر
ودوت أرجـاء الربـــاط استجابـــة ... وهبت لها بغداد وانتفضت مصر(١)

رابعا ــ الخيال :

وخيال الشاعر يمضى فيه على نسق عمود الشعر العربى فى معظم صوره من تشبيه واستعارة وكتابة وغيرها من وسائل التصوير الأدبى مثل قوله :

لنا إخوة فى الدين عاث بها الضنى ... تمد عنان الصوت من ذا تجاوبه
فيـا قادة الاسلام لمّوا جراحهـــا ... وكونـــوا لها ردءا تهاب جوانبـــه
ويا فيصل الاسلام أحكم شباكها ... وجرد لها غصبا توقـد لا هبـه
فمن لازم الاقدام فى ساحة الوغى ... تنـاهت إلى المجد الرفيـع تجاربـه

فالاستعارات والكنايات هناقديمة على النمط الذى جاء فى الشعر العربى القديم ، وهذا على سبيل المثال ، ولنرجع إلى ما ذكرناه من شعره لتجد الصور موصولة بمنبعها الأصيل من الخيال العمودى .

وإذا نشط الخيال حينا عند زاهر ، منح بعض الصور الجزئية الأدبية من شعره ثوبا جديدا ، وبعث فيها روح عصره الجديد ، فتماوج فيها ألوان من النشاط الانسانى الحى ، وترقرقت فى جوانبها ظلال من الثقافات المعاصرة ، وانسابت فى مجاليها روافد العصر ومقتضياته ، وتسطرت على صفحاتها الثقافة الجديدة ، ونبضت شرايينها بما يموج فى الحياة من التقدم العلمى والحضارى ، وذلك مثل بعض الصور التى جاءت فى قصيدته « مراقى الفضاء » منها(٢) :

---

(١) على درب الجهاد : ١٥٠
(٢) الألمعيات : ١٩/١٧

زمجر الركب فى مراق الفضاء واعتلى الفكر شامخا بالضياء
وانطوى هيكل الدياجى فباتت شعلة النور راية النجباء
ليت شعرى من أى برج أطلت أنجم الكون والعلا والبناء
ليت شعرى من أين منطلق النو ر الذى كان آية فى البهاء
إن إشعاع دعوة الحق قد شا ء الإله خلوده فى البقاء

خيال ترى فى صوره الأدبية نبضات التجديد ، وروح العصر ، فسفينة الفضاء التى زمجرت، فى الكون صورة متحركة توحى بالتقدم العلمى فى مراق الفضاء ، وتشف عن روح العصر التى حلقت فى أدبنا المعاصر ، والفكر الذى تجسم شامخا فى الفضاء يفيض بالتقدم والنهضة الحديثة ، ونور العلم لون من ألوان الحضارة العلمية والتجريبية المادية ، التى تمثل عصر الشاعر .. وسفينة الفضاء التى شعشعت بنور العلم فى الدجى ، ورفرفت براية التقدم الانسانى فى مدارج الفضاء كالشعلة الوهاجة ، التى تطوى الظلام والدياجى طيا سريعا خاطفا .

والشاعر يناجى نفسه ورواد الفضاء ، ليقفوا على مواطن أبراج النجوم وحقيقتها فى الكون ، مادامت السفينة تبحث عن حقائق الفضاء ، لا عن حقائق الأرض ، ويسائلهم أين مصدر النور ؟ فى الوجود الذى ما زال آية فى البهاء .. ثم يجيب الشاعر عن مصدر النور الحقيقى ، إنما هو فى شريعة الاسلام وهى حق ، وأساس الحقيقة ، والدعوة الخالدة التى أراد الله لها أن تبقى إلى قيام الساعة « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

صور جزئية تسرى فيها روح التجديد المنساب من روح التقدم العلمى والانطلاق الفكرى فى العصر الحديث ، ولكن الشاعر ما زال مرتبطا بقيود الخيال القديم فى هذه القصيدة تطل صوره من حين إلى آخر مثل : زمجر ، وهيكل الدياجى ، وشعلة النور ، وأنجم الكون ، ومنطلق النور ، وآية فى البهاء ، وهكذا .

أما عناصر التصوير الأدبى من حركة ولون وحجم وشكل وغيرها تموج بين حنايا الصور فالحركة العنيفة والسريعة للسفينة تندفع من الزمجرة والمراق والاعتلاء والشموخ ، وانطواء الهيكل ، والإطلال ، والمنطلق وغيرها ، واللون يشع بأطياف الأمل والتقدم فى مراق الفضاء ، واعتلاء الفكر وشموخه بالضياء ، وشعلة النور التى تطوى هياكل الظلام ، وأنجم الكون والعلا والبناء ، ومنطلق النور وآية فى البهاء ، واشعاع دعوة الحق ، والخلود فى البقاء ، كل هذه الصور تموج بألوان التقدم والرق والحضارة والأمل فى تحقيق السعادة للانسان فى العوالم الأخرى لا فى الأرض فحسب .

أما عنصر الحجم فى التصوير الأدبى هنا فيتحدد فى السفينة التى تحتضن رواد الفضاء وتسبح كالذرة فى مراق الجو ، فتقف على أحجام الأبراج والنجوم لأنها أقرب إليها من أهل

الأرض ، كما أن حجم دعوة الحق تملأ الفضاء وتسد الآفاق وشتان بين الحجمين سفينة كالذرة فى الكون ، ودعوة باتساع الكون كله .

وأما عنصر الشكل هنا فى الصور ، فتمتد فيه خيوط السفينة لترسم الغاية منها وهى الجانب المادى فقط لاسعاد الانسان حيث يبحث عن أرض جديدة بعد أن ضاقت عنه أرضه ، وخاب ظن الذين يرون السعادة فى الجانب المادى وحده ، بل هى فى الاسلام دعوة الحق لتكون الغاية منها هى الخلود والبقاء ، وشتان بين الشكل المادى الزائل فى سفينة الفضاء وبين الشكل الخالد والباقى فى دعوة الحق فى الاسلام .

ومن الصور الأدبية التى دبت فيها روح العصر قوله فى القصيدة السابقة : يحث المسلمين على التمسك بشريعتهم فهى المعين الخالد الذى لا يفنى ولا يتبدل ، بينما العلم الذى وصل إليه علماء الفضاء قد يتبدل ويتغير تبعا لطبيعة العلوم التجريبية ، التى تختلف من عصر إلى عصر حسب حاجات الانسان ومقتضياته ، وظروف حاضره ومتطلباته يقول(١) :

أيها المسلمون قد أصبح اليو ... م شعاعا مبشرا بالهناء
فارتقوا فى معارج المجد وابنوا ... من صروح السلام نهج إخاء
وابتنوا فى ذرى الأماجد صرحا ... تعتلى فيه دوحة السعداء
تصعد القادة العظام وتزجى ... أمما فى مواكب العلياء
فترى العلم عندها بمكان ... لا ينال ببيعها والشراء
إن للعلم دولة لا تسامى ... قد حداها فطاحل العلماء
فانهلوا من معين عذب زلال ... لا تغيض فيوضه بالفناء
منهل يطوى الليالى ويبقى ... متعة للنفوس للنبلاء
يا رجال الاسلام أحيوا علوما ... من تراث مهذب الآراء
جددوا فى العلوم من كل فن ... واستنيروا بشرعة الأنبياء
سبقتنا إلى الفضاء شعوب ... واستطارت على ذرى الأرجاء
وغزت عالم الفضاء فدوى ... صوتها فى مرابع الكبرياء
فبنو الشرق يفخرون بما قد ... حققوه من موجبات الرخاء
وبنو الغرب قد تباهوا بعلم ... سخروه فى غزوهم للفضاء
شرعة الله أن تعيش كراما ... وبنور نرقى ذرى الكرماء

---

(١) الألمعيات : ١٩/١٧

ومن الصور التى أخذت ثوبا جديدا أيضا تصوير العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ م يقول من قصيدة « جحافل المجد »(١) :

فلاذت بأذيـــال الفـــــرار وإنها لتشبه قردًا فر من أعسر اليد
ومـــا زال فينـــــا قوة وعـــــزيمة تصون بها الأبطال فى كل مشهد

فالشاعر يصور حربا حديثة على أمة اسلامية عربية ، تصدت فى شجاعة وقوة لدولتين كبيرتين آنذاك ومن ورائهما صنيعة الاستعمار إسرائيل ، لكنها دافعت فى شجاعة وبسالة بقليل من العتاد والسلاح ، فلاذ العدوان الثلاثى بالفرار كما يفر القرد من الرجل المجرد من السلاح ، لأن العزيمة والقوة التى أشادتها الشريعة الاسلامية هى سلاح الأبطال فى كل معركة من معاركنا الاسلامية العربية .

وصور جديدة أخرى غذيت بروافد جديدة من روح العصر وتياراته المعوجة التى حادت عن المنهج الاسلامى المستقيم يقول فى قصيدته « عودى إلى درب الجهاد »(٢) :

شغـــلتهم الثــــارات فيمـــــا بينهم وتنكبـــــوا نهج الصراط الأقـــــوم
هذا يمينــــــى ورجعـــــــى ، وذا حزب اليسار يقال عنه تقدمـى
بئس التهاتـر ضاع فى غمراتـــــه أمـــل بوحـــدة صفنـــا المتثلـــم

هذه الأمة الاسلامية الواحدة قد مزقتها التيارات المعاصرة والمعادية للشريعة الاسلامية ، وأصبحت أحزابا متصارعة متطاحنة على حساب أمتها الاسلامية ولمصلحة أعدائها فأصبحت بعض الشعوب توصف بالرجعية والتخلف فى نظر الأعداء ، حتى يكون ذلك منفذا لطعن الاسلام وصرف أهله عنه ، فيلهثوا وراء مدنيتهم الزائفة .

وبعض الشعوب الأخرى تجر أذيال المعسكر اليمينى الغربى ، والبعض كذلك عميل للمعسكر الأوروبى الشرقى اليسارى ... صراعات حزبية بين أبناء الأمة الواحدة ، ومهاترات تموج بالعداء والتمزق بين العالم الاسلامى ، مما يؤدى إلى تبديد صفوفها ، وتصدع وحدتها ، فلا مكان لدولة ممزقة ، ولا لشعوب متفرقة فى عصر التكتلات الاقتصادية والسياسية والدبلوماسية ، فقد توحدت لهدف مشترك دول غرب أوروبا فى السّوق الأوروبية المشتركة لتواجه القوى الأخرى فى العالم ، وبالأمس القريب كانت تموج فيما بينها الصراعات والعداوات ولو ظلت كما كانت لذلت لإحدى القوتين العظميين روسيا وأمريكا ، التى التقت مصالحهما المشتركة اليسارية واليمينية فى

---

(١) الألمعيات : ٥٥
(٢) على درب الجهاد : ١٥

هدف واحد وهو توحيد قواهما ضد الأمم الممزقة الضعيفة ، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية .

ومن الصور الجديدة أيضا قوله(١) :

لا مجد للعـرب مادامت حناجرهـم في كل أمر تنادى هيئـة الأمم

وكذلك الصور التى سبق ذكرها ، حين صور الشاعر حرب باكستان وزنجبار وكشمير والقدس ، والفلبين ، وصور مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة وردت فى قصائد كثيرة .

والجديد فى هذه الصور كلها يرجع إلى أنها استمدت روافدها من روح العصر ، وتجاوبت مع تياراته الحديثة ، والقضايا الراهنة ، لأن زاهر يعيش مع الأحداث بعقله ووجدانه ، ويصورها بقدر ما تمده مدرسته المحافظة ، والتى يأبى أن يتزحزح عنها إلا قليلا ، لذلك كان زاهر من الشعراء المجددين المحافظين فى شعر الجنوب خاصة وفى الشعر السعودى بصفة عامة .

خامسا ـــ الوحدة الفنيـة :

من القيم النقدية التى لابد منها فى الشعر الجيد حديثا هى الوحدة الفنية ، وهى تقوم على التلاؤم والانسجام فى العمل الأدبى بين عناصر القصيدة كلها ، وبين أركانها ، فتتآلف الألفاظ والأساليب وصور الخيال والايقاع والموسيقى مع التجربة الشعورية والعاطفة والوجدان والمعانى والأفكار التى تنمو داخل الغرض الأدبى من القصيدة .

وعلى ذلك، فالوحدة الفنية تستلزم الوحدة الموضوعية والوحدة فى الغرض من القصيدة ، حتى يتم التلاحم والتلاؤم بين المضمون والشكل ولذلك نجد تناقضا فيها للقصيدة التى تحتوى على غرضين ، فالغرض الأول عند الموهبة الشعرية يأخذ شكلا وأسلوبا وتصويرا وعاطفة يختلف عنه الغرض الآخر فى الشكل والأسلوب والتصوير والعاطفة .

والوحدة الفنية فى شعر زاهر قد اتخذت اتجاهين ، فبعض القصائد قد التزم فيها الشاعر بالوحدة الفنية ، فاشتملت على موضوع واحد من المطلع حتى النهاية ، والبعض الآخر قامت القصيدة فيه على غرضين أدبيين ، لا غرض واحد ، مما يضطر الشاعر أن يزاوج فى التصوير حسب اختلاف الغرض بما يتناسب مع كل غرض .

الاتجاه الأول : تعدد الأغراض فى القصيدة الواحدة ، وخاصة فى ديوانه الثانى « على

---

(١) على درب الجهاد : ٤٢

درب الجهاد » ، فنرى بعض القصائد اشتملت على مقدمات غزلية فى المطلع أو فى الخاتمة ، فمن المقدمات الغزلية التى أخذت موقعها من المطلع قصيدة « عودى إلى درب الجهاد » ، بدأها الشاعر بالغزل العفيف الطاهر ، ثم انتقل إلى غرض آخر وهو الجهاد فى سبيل المسجد الأقصى ، ويحذر المسلمين من انشقاقهم إلى أحزاب متصارعة من يمينية ويسارية ورجعية يقول فى المطلع(١) :

عودى فذكرك بالثناء على فمى ومكان حبك من فؤادى فى دمى
وتذكـرى محض الـوداد أبشـه لحنا فيحلـو منك طيب ترنم
حتى إذا ندت طيوفك وانبرى حبي يثلـم بالصدود ويـرتمى
أحجمت لا أرضى ببـذل مودتى إلا لمؤتلـق المنـاقب أكـرم

وهكذا يصور الشاعر غزله العفيف فى سبعة عشر بيتا إلى أن يقول :

ثقتـى تقـول بأن ليلى برة وغدا سترجع والفؤاد لها ظمى
ولسوف يجمعنا الجهـاد ونلتقـى ويضمنـا ورد لمنهل زمـزم

ويرمز الشاعر بليلاه إلى الوحدة الاسلامية الكبرى ، التى ينشدها فى شعره لتكون الأمة صفا واحدًا لمواجهة عدوها اللئيم وتحرير المسجد الأقصى من بين أيديهم ، ثم يتسلل فى هدوء وانسياب بعد أن مهد للغرض فى البيتين السابقين ليبدأ الغرض الأساسى من القصيدة فيقول :

المسجـد الأقصى ويـا لإهابـةٍ حرّى مضرجة تحشرج فى فمى
خجلا وحزنا من مواقف معشر من مأثم يتخبطـون بمأثم
شغـلتهم الثـارات فيمـا بينهم وتنكبـوا نهج الصراط الأقـوم

وكذلك قصيدته « مشاعر الالهام » ابتدأها بمقدمة غزلية ، فاشتمل المطلع على الغزل الطاهر فى تسعة عشر بيتا يقول(٢) :

طلعت فلاح اليمن فى طلعـاتها وبدا جمال الـورد فى وجنـاتها
وسرى النسيم على مشارف ثغرها تتضوع الأرجـاء من نسمـاتها
ورنت بألحاظ الجفـون نواعسـا تتـراقص الأطيـاف فى ومضاتها
فتبسمت عن ثغر حسن باسم فشقائـق الأكمام من بسمـاتها

(١) على درب الجهاد : ١٤/١١
(٢) على درب الجهاد : ٣٣/٢٩

وهكذا يصور فتاة أحلامه فى غزل عفيف طاهر ، يشف عن روح المؤمن ومنهج المسلم ، حينما يعبر عن غريزة النفس وهى الحب يعبر عنها فى تصون وطهر وعفة ، لكى يمهد للغرض من القصيدة فيقول :

لكن أطيافى وإن جنحت بها ... فتن الجمال تعف عن زلاتها
وتتوق أشواقى إلى سنن الهدى ... فمشاعر الالهام فى رحباتها

ثم ينتقل إلى الغرض من القصيدة وهو الإشادة بالرسول الأعظم ورسالته الخالدة ، فيعبر عن مشاعر الحب الصادق للرسول ﷺ وعن حبه للرسالة الخالدة فيقول فى ثلاثة وعشرين بيتا[1] :

تمتد آفاق وترقى همتى ... سبل الجهاد أخوض فى غمراتها
ويشدنى حب النبى محمد ... من شاد بالسمحاء مجد دعاتها
يا من حملت أبر قلب فى الورى ... وأعز نفس جانبت شهواتها
تهفو إليك قصائدى ومشاعرى ... فى ظل هديك واصلتْ رحلاتها

وهكذا يستمر الشاعر فى تصويره للغرض إلى آخر القصيدة .

وبتعدد الغرض يختلف التصوير الأدبى حسب كل غرض ، فتصوير الغزل له اتجاهه وأسلوبه وألفاظه وصوره . وتصوير الحب الصادق للرسول العظيم ولرسالته الخالدة ، له ألفاظه وأسلوبه وصوره واتجاهه الذى يتناسب معه ، ومن هنا تتمزق الوحدة الفنية فى القصيدة الواحدة تبعا لتعدد الأغراض فيها .

فإذا ما تأملنا مطلع هذه القصيدة فى الغزل العفيف نرى الرقة فى اللفظ والحلاوة فى الأسلوب ، والسحر فى التصوير ، والتراقص للأطياف ، وابتسام الثغور ، وجمال الورود فى وجناتها وشقائق النعمان فى بسماتها ، وغير ذلك من الصور التى تتناسب مع الغزل ، وإن كان هنا عفيفا طاهرا ، لا ابتذال فيه ولا قبح وكيف لا ؟ وهو مطلع لموضوع طاهر ورسالة خالدة .

وحينما ينتهى الشاعر إلى الغرض الأساسى من القصيدة يتخذ اتجاها آخر ، وطريقة ثانية فى التصوير الأدبى لهذا الموضوع ، ولذلك تنعدم الوحدة الفنية بين المطلع وبين الغرض الأساسى ، الذى اقتضى من الشاعر أن يصوره بمنهج آخر يختلف عما سبق ، فترى قوة فى الألفاظ وجزالة فى الأسلوب ، وفخامة فى التراكيب ، مثل « امتداد الآفاق » ، « وارتقاء الهمة إلى سبل الجهاد » ، « خوض الغمرات » ، « ويشدنى حب محمد » ، « من شاد بالسمحاء

---

(١) الديوان السابق : ٣٧/٣٣

مجد دعاتها » ، وهكذا يكون التصوير الأدبي إلى نهاية القصيدة بما يتناسب مع النبي العظيم محمد ﷺ ، ومع رسالته القوية الخالدة .

وعلى النمط المتنوع فى الموضوع والغرض لا يمكن أن تتحقق الوحدة الفنية فى القصيدة ، لأن وحدة الموضوع والغرض لم تتحقق فيها .

والذى ينبغى ألا نغمط حق الشاعر فيه ، أنه يحاول فى قصيدته المتعددة الأغراض ألا يهبط بالغزل إلى الاسفاف والسفور المرذول كما هو معروف فى الغزل عند الشعراء القدامى والمحدثين ، لأن الشاعر يدرك تماما الشرف فى الغرض الثانى ، فلابد أن يكون هناك اتساق وتلاحم على نحو ما مع المطلع بما يتناسب مع هذا الغرض ، ولذلك لم يجد الشاعر بدًّا من أن يعبر عن طبيعته وعن خلقه الاسلامى ، فيصور الحب وهو غريزة انسانية فى مظهرها اللائق بالمؤمن الحق ، وبخلق المسلم كما ينبغى أن يكون .

ولهذا السبب لا يدرك القارىء كثيرا فى القصيدة عنده أنها قامت على غرضين ، لصعوبة الفصل بين المطلع فى الغزل العفيف الطاهر ، وبين الغرض الأساسى الشريف ، فكلاهما يعبر عن نفس شفافة مؤمنة هذبتها شريعة الاسلام بأخلاقه السامية .

وكذلك تعدد الغرض فى قصيدة « فى ربا الحرمين » فاستهلها بمطلع فى الغزل العفيف مع ليلاه فى خمسة أبيات يقول(١) :

سرى فى هجعة المسرى تسامى	وترمق فى تطلعها المراما
وكأن الشوق يحدوها ابتهاجا	ويذكى فى مشاعرها الغراما
وفى جنباتها تمشى طيوف	كأطياف المحب إذا استهاما
فقلت لها وفى نبرات صوتى	وداد . أين أزمعت المقاما
فقالت : فى ربا الحرمين أشدو	أناجى البيت والبلد الحراما

ثم ينتقل إلى الغرض من القصيدة فيصور المآسى التى مزقت صفوف المسلمين وفرقت شملهم ، فهبت ريح الخلاف والتنازع بينهم ، مما يمزق قلب الشاعر ، ويدمى مشاعره ، ولا يجد سبيلا أمامه إلا أن يحث المسلمين وهو فى « منى » فى هذه الأيام الطاهرة ، يحثهم على التمسك بالشريعة والسير على منهجها ، ونبذ الخلاف والنزاع ،حتى يعودوا صفا واحدا فى جسم الأمة الاسلامية ، فيقول فى تسعة وثلاثين بيتا :

---

(١) على درب الجهاد : ص ٩٧

وعنـد الركن تنـحسر الخطايــا ململمــة حوائجهــا انهزامــا
فتنشرح الصدور بطـيب ذكـر أمــاط الكــرب عنها والقتامــا
سأعشق موطـيـن القـــربى وإنى . على حب القــداسة لن ألامــا

وكذلك فى قصيدة « تحية المغرب العربى » استهلها الشاعر بمطلع غزلى عفيف فى ثلاثة عشر بيتا يقول[1] :

عبقت بالـنشر فى أسنى مكـان وبـدت شماء فى أفــق الزمــان
وتهادت بين أزهـــار الربـــا غضة هيفــاء كالـــدر المصان
قلت يا حسنـــاء إنى مفعـــم بوداد يتنامـــى فى كيـــانى

إلى قولـه :

وانبرت ترهـف سمعـا كالــذى فى الذرى يشتف أطياف الجنان
نظـرت حينــا وقــالت : إننـــى ألمح الموكب خفــاق الجنـــان
فإلى المغـــرب تنساب الـــرؤى فتخطـــى شوقنـــا شم الرعـــان

وهنا ينتقل إلى الغرض الأساسى من القصيدة التى يعبر فيها الشاعر عن حبه الصادق للعرب ، والمغرب البلد الاسلامى الشقيق ، وعن الايمان العميق بالأخوة العربية الاسلامية ، ثم يربط ذلك بحضارة الاسلام فى الأندلس ، حيث كانت المغرب نقطة انطلاق الجيش الاسلامى فى الأندلس بقيادة طارق بن زياد ، وذلك فى ثمانية عشر بيتا ، يقول[2] :

أيها المغـــرب يا رمـــز الفـــدا يا عريـــن الديـــن والمجد المصان
لك من قومـى تحيــات الوفـــا لك من أرض الهدى غر الأمانى
أنا فى الشرق وفى الغرب معـا دينـى الاسلام والفصحـــى لسانى
نحن من بغداد من أم القـرى من دمشق الشام أو من قيروان
وحــــد الاسلام من راياتنــــا وبنانـــا للـــــدنى خير كيـــــان
نحن فى المغرب فى مهد العـلا معقـل الأبطـال فى يوم الطعـان

وهكذا إلى آخر القصيدة .

---

(١) على درب الجهاد : ١٠٩/١١١
(٢) الديوان السابق : ١١١/١١٥

وتعدد الغرض أيضا « من قصيدة حرب رمضان » فى مطلع غزلى عفيف يضم ثمانية أبيات يقول فيها(١) :

تثنت أمامى وهى لا تعرف الخطبا وقالت : لهيب الحب فى القلب قد شبا
تثنت بأعطـاف وألـوت بمعصم ورنت بأنغام لتـاسر لى قلبـا
فكانت كغصن البان لامس فرعه نسيم الصبا فاهتز من أنه عجبا

إلى قولـه :

فلا تمتطى صهو السفاهة والردى ولا تركبى فى الحب مركبه الصعبا
وكونى مع الأحداث سبرا لغورهـا إذا انتظمت سلما أو اشتعلت حربا
فما أفلحت فى موكب المجد أمة إذا لم يكن درب الجهاد لها دربا

ويتسلل إلى الغرض فيقول حتى نهاية القصيدة :

أتلك رحاب القدس ضجت فروعت قلوبـا وأزجت فى ضمائرهـا رعبـا

أما قصيدة « فى رحاب البيت » فيستهلها بالغرض الأساسى من القصيدة وهو الاشادة برسالة الاسلام الخالدة ، وأثرها العظيم فى الفتوحات العظمى وقهر الفرس والرومان ، ثم أشاد بانتصارات المسلمين فى حطين وذات الصوارى ليحث المسلمين فى هذا العصر على استعادة مجد الآباء والأجداد يقول فى ثلاثة وعشرين بيتا(٢) :

أرى فى رحاب الله منطلقا رحبا يضم شتات الشمل مؤتلقا خصبا
وقد عظمت لله فى مسمع الدنا شعائـر ما زالت لوحدتنـا قطبـا
فبـالأمس قد لبت جموع غفيرة وشدت وثاق العزم وانطلقت وثبا

إلى آخر الغرض ثم يختم بليلاه فى غزل عف طاهر(٣) :

ومـا شمت من ليـلاى إلا تحفـزا لترقى سماء المجد أو تبلغ الشهبا
فبـوركت يا أرض القـداسة والهدى ولا زلت ميدانـا لآمالنـا رحبـا

ولم تكن المطالع الغزلية وحدها هى التى زاوجت أغراضه الأدبية . ولكن هناك غرضا آخر كان يتسلل من حين إلى آخر فى أغراضه خلال قصائده وهو « تحرير القدس » وكثيرا ما نجد

---

(١) على درب الجهاد : ١٦٢/١٦١
(٢) على درب الجهاد : ٢٤/٢٠
(٣) الديوان السابق : ٢٥

هذه القضية تسيطر على عقل الشاعر وحسه ووجدانه ، فنراه ينظم القصيدة لغرض معين ، ولأدنى ملابسة تنفجر شاعريته بقضية الساعة ، وهى إعادة المسجد الأقصى إلى المسلمين ، وكانت هذه الظاهرة فى الديوانين ، وأحيانا يكون الغرض من القصيدة عاما يشمل القضية ، فتندرج تحتها ، ولا تعد غرضا ثانيا ، لأن الموضوع يشملها ، وحينئذ فالوحدة الفنية لا تفارق القصيدة وذلك فى مثل قصيدة « الحج الأكبر »(١) ، فالغرض هنا يشمل أشتاتا من الموضوعات تدخل تحت كلمة « مؤتمر » ، وبهذا يأتى الشاعر بقضية فلسطين وتحرير القدس ، ولا لوم عليه ، لأن الموضوع عام تدخل فيه القضية .

وكذلك قصيدة « من رحاب البيت »(٢) ، وفيه تلتقى الشعوب المختلفة ، ولكل شعب قضيته ، ومن بينها شعب فلسطين ، فهو يدخل فى موضوع القصيدة .

وكذلك قصيدة « أم القرى ص ٨٢ الألمعيات » ، وقصيدة « فرحة ولقاء ص ٩٥ الألمعيات » ، فى تحية الجيش السعودى الذى يعتبر القدس قضيته المعاصرة ، وقصيدة « حماة المجد ص ١٣٧ الألمعيات » ، ومثل قصيدة « ضيوف الرحمن ص ٧٦ — على درب الجهاد » ومنهم أبناء فلسطين ، وغيرها من القصائد التى وردت على هذا النمط .

أما إذا كان الغرض خاصا ، وليس عاما ، فينبغى ألا يكون لهذه القضية دخل فيها ، وإن وجدت مكانها فى القصيدة تعد مزدوجة الغرض ، وذلك مثل قصيدة « دعوة الحق »(٣) ، وهى الاسلام فيثنى الشاعر من خلالها بغرض آخر ، وهى قضية فلسطين ، وبذلك يتعدد الغرض ، فتتفك عرى الوحدة الفنية ، لأن لكل غرض من هذين تصويره الأدبى ، الذى يتناسب معه ، وذلك ما صنعه الشاعر فى قصيدة « مجد الشباب » حينما أدخل فيها القضية ، فزاوج فيها مع الغرض الأساسى ، وهو تصوير المجد ، الذى ينبغى أن يسعى إليه الشباب فى مقتبل حياته .

ولقد تنبه لهذه الظاهرة الأستاذ عبد العزيز الرفاعى ورد السبب فى ذلك إلى روح الجندية التى بدأ بها زاهر حياته العملية يقول :

« وإذا روح الجندية قد انعكست على طموحه وآماله .. فإنها أيضا قد انعكست على ديوانه ، فرأيته يشيد بالجهاد ، ويحث على القتال فى سبيل الله لنصرة فلسطين ، ولإخراج الاسرائيليين من ثالث الحرمين »(٤) .

---

(١) الألمعيات : ٣٣
(٢) الألمعيات : ٣٩
(٣) على درب الجهاد : ١١٩
(٤) مقدمة الألمعيات : ص ٦

ولا حاجة بنا إلى ذكر الشواهد هنا ، فقد سبقت أمثلة كثيرة تدل على ذلك فلنرجع إلى هناك .

الاتجاه الثانى : وهو الوحدة الفنية ، التى تتحقق فى وحدة الغرض ، وذلك فى قصائد كثيرة ، وخاصة فى ديوانه الأول « الألمعيات » ، وبعض القصائد فى ديوانه الثانى « على درب الجهاد » ، ولذلك تلاحم التصوير الأدبى مع الغرض والمضمون من القصيدة ، من مطلعها حتى نهايتها ، ولم يتخل الشاعر عن الوحدة الموضوعية والوحدة الفنية معا فى هذا الاتجاه ، لا فى قليل ، ولا فى كثير .

وعلى سبيل المثال قصيدة « مواكب المجد » ، وقصيدة « جحافل المجد » ، « سد جازان » ، « سد أبها » ، « دولة الاسلام فى ماضيها المجيد » ، « صيحة الجهاد » ، « وحدة العرب » ، « فى مشاعر الحج » ، « مؤتمر الفقه الاسلامى » ، « فوق أرض الجنوب » ، « فجعة الأيام » ، « شريعة الله » ، وغيرها من القصائد الكثيرة التى اشتملت على غرض واحد فقط ، تلاحمت عناصره ومعانيه مع وسائل التصوير الأدبى من ألفاظ وأساليب وصور وإيقاع وموسيقى ، والأمثلة الكثيرة مر ذكرها فى مواطن متفرقة ، ومن القصائد التى تحققت فيها الوحدة الفنية « شريعة الله »[1] :

سطعت بنور الوحى فى عرصاتها ... فانزاحت الظلماء من جنباتها
فى مكة الغراء قد بزغ الهدى ... وتألق التوحيد فى شرفاتها
وبشرعة الله الشريفة رفرفت ... أطيارها وزهت على دوحاتها
أوحى بها رب البرية رحمة ... واختار للتبليغ خير هداتها
البلسم الشافى لكل عويصة ... أعيت مخاطرها عقول أساتها
والمنهج الوافى تفوز به الدنى ... لو عم حكم الله كل جهاتها
عدل ومرحمة وحسن تعايش ... بين الشعوب على اختلاف فئاتها
دين السلام على البسيطة كلها ... دين أقام العدل فى ساحاتها
الصف ساوى بين كل موحد ... عند الصلاة تقام فى أوقاتها
أما الزكاة فإنما هى بلغة ... لابن السبيل ومنحة لجباتها
وإعانة للغارمين وقربة ... تعطى الفقير فيغتنى بصلاتها
ويفك منها الرق أو تعطى لمن ... قد يألف الاسلام عند هباتها
وإذا نصبنا للجهاد لواءه ... كانت لمن يحتاج من نفقاتها

(١) على درب الجهاد : ٢١٤/٢٠٨

والصوم ترويض على ترك الهوى ... ووقاية للنفس من شهواتها
والحج آخى بين أمة أحمد ... لا فضل بين سعاتها وسراتها
الا بتقوى الله حكم عادل ... جاءت به « الحجرات » فى آياتها
أما الحدود فللبرية جنة ... فى ردعها لبغاتها وعتاتها
وشهادة التوحيد تهدى كل مر ... تبك وتشفى النفس من آهاتها
هى فطرة والعقل قد نادى بها ... بعد التأمل فى عظيم صفاتها
الله قد فطر النفوس على الهدى ... وأنار بالاسلام درب هداتها
والأرض قد أرسى بها أوتادها ... والماء قد أجراه من طياتها
والروح أبرأها وأحكم خلقها ... فى لطفها فى غيب سريّاتها
أفلا ترى الأقمار . فى أفلاكها ... تجرى على المعلوم من دوراتها
الله أبدعها وأحسن صنعها ... ودعا العقول لكشف محتوياتها
حسب المشرع للخليقة أنه ... أدرى بما يجرى على خطراتها
شتان بين مشرع بفطانة ... ومشرع مبرى الفطانة ذاتها
خسرت عقول حاولت بغرورها ... تقليد من يدرى بمخفياتها
تلك الملامح من جوانب شرعة ... ينشق نور الحق من قسماتها
فاستمسكوا بنصوصها وعلومها ... واستبسلوا فى الذود عن حرماتها

فالقصيدة صورة دقيقة للوحدة الفنية ، فالموضوع واحد من أول بيت إلى نهاية القصيدة وهو شريعة الله ، والعاطفة فيها صادقة مع الموضوع لأنها صورة صادرة من مؤمن يؤمن عن عقيدة وصدق بتعاليمها ، والقوة فى التشريع الاسلامى تجاوبت معها ألفاظ وأساليب وصور على شاكلتها من القوة والوضوح ، والحقائق التشريعية لا تحتاج إلى خيال يزينها أو يبالغ فيها ، وإنما كانت تقوم على أسلوب التقرير للحقائق ورصفها من خلال وجدان الشاعر وعاطفته الصادقة ، أما الايقاع فهو ممتد عميق يصور الامتداد فيه كثرة حروف اللين بما يتناسب مع عمق الحقائق والتعاليم فى التشريع الاسلامى ، مع طول التفاعيل فى البحر العروضى للقصيدة حتى تتناسب مع المعانى العميقة والأفكار السامية .



الفصل الخامس

الشاعر يحيى ابراهيم الألمعي

١- نشأته وحياته .
٢- الأغراض الأدبية في شعره .
٣- المدح وخصائصه .
٤- الشعر الوجداني وخصائصه .
٥- الشعر الإسلامي وخصائصه .
٦- الرثاء : وخصائصه .
٧- وقفات مع الشاعر في التصوير الأدبي .
٨- التصوير الأدبي .
٩- البديع والضرورات .
١٠- معالم الجنوب في شعره .
١١- الوحدة الفنية وخصائصها .

نشأة يحيى الألمعي وحياته :

إلى مدرسة المحافظين المجددين فى مذهبها الأدبى ينضم الشاعر الأديب يحيى ابراهيم الألمعى ، ولد بمدينة « رجال ألمع » حاضرة تهامة عسير ، عام (١٣٥٦ هـ) ، وتلقى دراسته الابتدائية فيها وتتلمذ على علماء المدينة .

ثم اشتغل بالتجارة حتى وصل إلى مدينة « جدة » ليعمل موظفا فى وزارة الصحة عام (١٣٧٣ هـ) ، وظل بها سنتين .

وفى عام ١٣٧٥ هـ) عاد إلى أبها ، ليباشر أعماله فى الحكومة ، يتقلب فى وظائف مختلفة ، فى ديوان إمارة منطقة عسير ، حتى عين مديراً للجوازات والجنسية فى منطقة « بيشة » عام (١٣٨٤ هـ) .

وفى عام (١٣٨٦ هـ) انتقل إلى أبها ، ليعمل رئيسا لقسم التحرير بمديرية الجوازات والجنسية فى عاصمة الجنوب .

ثم عين مديرا للجوازات والجنسية فى « ظهران الجنوب » عام (١٣٨٨ هـ) .

ثم عاد إلى مدينة أبها فى عمله السابق رئيسا لقسم التحرير فى مديرية الجوازات والأحوال المدنية ، وأثناء ذلك عمل رئيسا لتحرير صحيفة عسير ، التى كانت تصدر بصحيفة « عكاظ » خلال عام (٨٢ ــ ١٣٨٤ هـ) .

ويحيى الألمعى فى زحمة أعماله كان يعبر عن ذاته ومشاعره فى شتى الميادين من الصحف والمجلات السعودية منذ عام ١٣٧٤ هـ ، وله أحاديث كثيرة انتشرت مع موجات الأثير فى الاذاعة العربية السعودية استمتع بها المستمعون .

أما مخطوطاته التى أتمنى أن ترى النور من أهمها :

« الايضاح والتيسير فى تاريخ عسير » ، وديوان « أحاسيس » ، وله أيضا « لمسات وهمسات » ، و « حلو ومرّ »(١) .

---

(١) انظر كتاب شعراء العصر الحديث : عبد الكريم الحقيل : ص ١٦ وانظر فى « عبير من عسير » فى التقديم .

وصدر له من المؤلفات حتى الآن : كتاب « رحلات عسير » ، وكتاب «الأمثال الشعبية فى المنطقة الجنوبية » .

وديوان « عبير من عسير » الذى أهداه « لحضرة صاحب السمو الملكى الملكى الأمير سلمان بن عبد العزيز ــ أمير منطقة الرياض ــ الرجل الانسان ذو القلب الكبير .. الذى غمرنى بعطفه وحنانه وكرمه وإحسانه ــ فإلى سموه الكريم أهدى ديوانى هذا »(١) .

والديوان ظهر فى حجم كبير ضم نيفا وأربعين قصيدة فى طبعة أنيقة ، أصدرتها مطابع الرياض ــ الطبعة الأولى عام (١٤٠١ هـ) وقدم له الشاعر الدكتور زاهر عواض الألمعى ــ عميد شؤون المكتبات بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، يقول :

« لا أجدنى فى حاجة إلى وصف أو تقديم لهذا الديوان ، ولا التنويه بقيمته الشعرية ، وقد كفانا الشاعر الفاضل «يحيى» مؤونة ذلك كله بحسن مطالعه فى قصائده ، ومقاطعه فى أبياته بما جال فى خاطره ، وجاش فى صدره ... فأنت من هذا الديوان ستجد نفسك بين أخ لك مواس ومواطن لأمته مخلص ، وعاشق لبلده « أبها » مُوله ينشد على ضفافه الخضر أناشيده المطربة ، ويقدم فى قصوره لزائريه الكرام من « آل سعود » وغيرهم تحياته الشعرية العبقة ... والشاعر الكريم بما جبل عليه من خلق فاضل قد تنزه عن الفحش فخلا ديوانه من الهجاء وكاد يخلو من الوصف .. وهو شديد الارتباط بالشعر العمودى بعيد عن التيارات الحديثة التى طرأت على الشعر العربى الأصيل ... وختاما أقول لأخى الشاعر « يحيى الألمعى» هنيئا لك بهذه الباكورة من الشعر راجيا لك التوفيق إلى أقوم طريق »(٢) .



(١) عبير من عسير : يحيى الألمعى : ص ٥

(٢) مقدمة عبير من عسير : ٢٢/١٥

الأغراض الأدبية فى شعره

تنوعت الأغراض الأدبية فى شعر يحيي الألمعى ، فاشتملت على أغراض : المدح والوطنيات ، والشعر الاسلامى ، والشعر الوجدانى ، والوصف ، والرثاء ، وحضارة العلم الحديث ، وفى المعارضات الأدبية .

وسنوضح الخصائص الفنية لهذه الأغراض التى تدل على المذهب الأدبى للشاعر ، فى مدرسة المحافظين المجددين فى الشعر الجنوبى خاصة ، وفى الشعر السعودى عامة .

أولا ــ المدح :

والشعر الوطني عند الشاعر متلاحم بالمدح ، لأن الشاعر حينما يمدح ملكا أو أميرا أو وزيرا ، إنما يكون ذلك من خلال ما أسدى إلى الوطن من بناء ورقى وتقدم وحضارة ، فهو يشيد بكل مواطن ، يفتدى وطنه بماله ودمه وروحه ، وممن هو جدير بالثناء والتقدير هؤلاء المسؤولون المخلصون لوطنهم ولشعبهم ولأمتهم ، بل أول المخلصين فى ذلك هم الذين يسوسون الرعية ، ويوجهونها إلى الرقى والتقدم والسعادة والرفاهية .

ومن ذلك كان الشعر الوطنى لا ينفصل عن المدح ، وكذلك المدح لا ينفصل عنه ، قد صيغ معاً فى بنية واحدة ، يقومان على غرض واحد وهو المدح فى بناء الوطن .

ويعد هذا الغرض الأدبى أكثر الأغراض عنده شعرا ، وقصائد ، فى ديوانه المنشور ، الذى يضم بين دفتيه هذه « المدحيات » التى تضم قصيدة « تحية من الأزد » لحضرة الفيصل العظيم ، ألقاها الشاعر بقصر الحكم بالرياض فى الساعة الحادية عشرة من يوم الخميس الموافق ١٣٨٤/١١/١٦ هـ أمام جلالته والحاضرين من الأمراء والعلماء ، يقول[١] :

يا بلادى يا موطـن الخير غنـى ... واملئى الكون فرحـة وابتسامـا
صفقى اليوم يا جزيـرة حتـى ... ترقص الجيـد تعـتلى الآكامـا
وانثرى الـورد فى ربـوع تحلت ... بلبـاس الجبـور نالت مقامـا
وارقصى واطـربى حجـازا ونجدا ... وعسيرا وبـيشة واليمامـا

(١) عبير من عسير : يحيى ابراهيم الألمعى ص ٣٦/٣٢ الطبعة الأولى ١٤٠١ مطابع الرياض

إلى قوله :

أيها الفـيصل العـظيم هنيئـا لك بالملك عزة وقوامـا
أنت رمز البلاد بل أنت فذ قد عرفنـاك عادلا رحاّمـا
فلأنت الجدير بالعـرش حقـا ولأنت المليك تحمـى السلامـا
وحمى الديـن والعروبـة طرا يا له ضرغمـا حكيمـا هماما
بانى المجد والمفاخـر فينـا ناشر العدل والهدى لن يضاما
عمم الأمـن حكـم الشرع فينا ينشد الحق لا يريـد الظلامـا
قائـد الشعب ملهـم عبقـرى من أذاق العدو موتـا زؤامـا
حاز بالسبـق للعـلا كل فضل وامتطـى ذروة السهـا وتسامـى

وهكذا يمضى الشاعر فى مدح الفيصل بانى الأمة والوطن وناشر العدل والهدى ومحكم الشريعة والحق ، حتى حقق السعادة والأمن لوطنه وأمته ، ويستمر على هذا النحو حتى نهاية القصيدة ، وذلك فى أسلوب مشرق واضح قريب إلى الافهام وتصوير عذب يسيل إلى القلب كسيلان الماء على الصخر الأملس فى انحدار .

وقد اشتركت الطبيعة والحياة ، والجزيرة والبلاد ، والكون والورود مع الشاعر فى مدح الفيصل بأعماله وبطولاته وإنجازاته وعبقريته وقيادته الحكيمة ورحمته وحمايته للدين والسلام ، وعروبته وعدله وتحقيقه السعادة والرفاهية لوطنه ، وهذه أبرز خصائص المدح عند الشاعر .

وكذلك قصيدة « العهد الجديد ص ٣٧ ، ٣٩ » رفعها الشاعر مع التحية والاجلال لحضرة صاحب السمو الملكى الأمير خالد بن عبد العزيز ولى العهد المعظم (جلالة الملك حاليا) ، فى ١٣٨٧/٢/١٩ هـ ، وقصيدة « تحية ص ٤٩ ، ٥٢) مهداة مع عظيم الأشواق لحضرة صاحب المعالى الأمير خالد بن أحمد السديرى ، وقاه الله من كل مكروه فى ١٣٨٥/٣/١٢ هـ ، وقصيدة « تحية » مرفوعة لحضرة صاحب السمو الملكى الأمير خالد الفيصل بن عبد العزيز أمير منطقة عسير ، ألقيت أمام سموه يوم الأربعاء الموافق ١٣٩١/٦/١٢ هـ الساعة العاشرة صباحا فى نادى الفاروق بأبها ، بحضور سمو الأمير خالد الفهد وكيل وزارة المعارف ، وسمو الأمير محمد العبد الله الفيصل ، يقول[١] :

---

(١) عبير من عسير : ٦٠/٦٩

سلام الله يسرى ما أقيمت ... صلاة من عباد خاشعينا
وما جادت بماء المزن سحب ... سقى الأشجار والزرع الدفينا
وما ناحت حمام فى غصون ... تغرد تارة وتطير حينا
وما طاف الحجيج بركن بيت ... يردد حمد رب العالمينا
سلام عاطر وله أريج ... إذا ما فاح يعبق ياسمينا
أقدمه مع الاجلال شفعا ... وفيه الحب ممزوجا حنينا
إلى الشهم الهمام أبى وليد ... وأعنى خالد الفذ الأمينا
وشبل الفيصل المقدام حقا ... سليل المجد موثوقا أمينا

إلى قوله :

فهذا العهد عهد الخير حقا ... وعهد النور والاشراق فينا
فأمن وارف والجهل ولى ... وعدل شامل للقاطنينا
لقد عم البلاد وكل صقع ... فأبناء الجزيرة آمنينا
وفى الطرقات إصلاح عظيم ... تراها سهلة للسالكينا
وإنعاش الزراعة غير خاف ... لكى تكفى جميع المعوزينا
وللمرضى مصحات ودور ... وتوفير **الدواء** للعاجزينا
فلا ثمن يقدم فى علاج ... كذا التعليم مجانا لدينا
وكم من نعمة وجميل صنع ... ستبقى دائما أثرا سنينا
مشاريع بها التاريخ يزهو ... ويفخر معلنا للمصلحينا
جزى الله الحكومة كل خير ... بما فيها زعيم المسلمينا

إلى قوله :

مناظر فى ربانا ساحرات ... ستغدو مقصدا للسائحينا
ترى فى « السودة » الشمَّا ... وغابات تسر الناظرينا
وفى « القرعاء » مصطاف جميل ... ونزهة خاطر للصائفينا
وفى أرض « المحالة » سلسبيل ... كوادى النيل يروى الظامئينا
كأن « سويسرا » تلك **المراعى** ... و « لبنان » ترى أو « طورسينا »

★ ★ ★

وفى أبها البهية كل شىء ... جميل صالح للقادمينا
بها ماء زلال فى شعاف ... وأشجار تظل السائرينا
وجو بارد فى الصيف يحلو ... وينعش نفس كل المتعبينا

لا أظن أحدا يقول بأن الشاعر من مدرسة التقليد ، لأننا لا نجد أثرا من خصائصها : الإسفاف فى المعنى والركاكة فى التعبير وفهاهة الأسلوب ولا أن يكون من مدرسة المحافظين فقط الذين يسيرون على نهج القدماء من الشعراء الفحول مقلدا إياهم ، لأن الشاعر يعيش عصره لا عصر الفحول ، ويصور حضارة وطنه المعاصر لا وطنهم يتجاوب مع انجازات مملكته وأمته من مشروعات الرقى والتقدم لا التخلف والبداوة . ولا أدل على ذلك من تصوير المصيف الجميل الحديث المتحضر عروس الجنوب « أبها » فى تصوير أدبى قوى متجدد لحياة جديدة فى هذا الموطن الجذاب موطن الشاعر الذى عاش فيه وتفجرت تجاربه الشعرية من مناطقه الساحرة فى السودة والقرعاء والمحالة وغيرها فهى مثل سويسرا ووادى النيل ، ولبنان وطور سيناء .

ولن تخلو القصيدة من هزات تستوقف النظر ، وهى كسر الوزن بقوله : « وتوفير الدواءْ للعاجزينا » هكذا بتسكين الهمزة ، وقد يصح فيما لو حذفت الهمزة : « وتوفير الدوا للعاجزينا » كصنيعه فى قوله : ترى فى السودة الشمَّا فحذف الهمزة ليصح الوزن . وكذلك قوله « بما فيها زعيم المسلمينا » ، كان الأولى ليسمو عن النثرية والتعبير العامى يأتى بما يتناسب مع سمو الشعر ولغته الخاصة . فيقول : « بقائدها زعيم المسلمينا » وفرق كبير بين القائد والزعيم وبين ما تدل عليه الظرفية « فى » وإن كان القائد والزعيم من بينهم .

وكذلك التعبير بلفظ « المراعى » لا يتناسب فى التصوير الأدبى مع المصيف الذى يشبه سويسرا ووادى النيل ولبنان ، فلا تسمى جمال الغابات الكثيفة الساحرة والزروع السندسية الخضراء والماء العذب الزلال بالمراعى والأجدر بالتسمية ، والأقوى تصويرا وإيحاء وشاعرية كلمة « بالمغانى » فهى لفظة شعرية تتلاءم فى قوة ووحى وأضواء وظلال مع هذا المصيف الجميل الساحر .

وكذلك قصيدة « تحية ص ٧٦ ، ٨٠ » مرفوعة لأعتاب حضرة صاحب الجلالة الملك « فيصل بن عبد العزيز المعظم ، ألقيت أمام جلالته فى القصر الملكى « بجدة » حين قدم من الرياض لزيارة السودان الشقيق عام ١٣٨٧ هـ ، وقصيدة « تحية ص ٨٣ ، ٨٥ » مرفوعة مع عظيم الاجلال لحضرة صاحب السمو الملكى الأمير فهد بن عبد العزيز ، النائب الثانى لرئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية ــ (ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء حاليا) ــ فى عام ١٣٨٨ هـ .

وقصيدة « تحية ص ٩٣ ، ٩٧ » مرفوعة لحضرة صاحب السمو الملكى الأمير سلمان بن عبد العزيز ــ أمير منطقة الرياض ــ وقصيدة « تحية ص ٩٣ ، ٩٧ » مهداة لسعادة الشيخ هاشم معتوق المدير العام للجوازات والجنسية ــ (وكيل وزارة الداخلية للجوازات والأحوال المدنية حاليا) ــ فى ١٣٩٨/١٢/٩ هـ ، وقصيدة « تحية » مرفوعة لحضرة صاحب الجلالة

(مولاى) الملك فيصل المعظم بمناسبة عودة جلالته من جدة إلى الرياض فى ١٣٨٩/١/٢٥ هـ وألقاها الشاعر بقصر « المعذر » بالرياض[١] .

وقصيدة « تحية » وتهنئة بمناسبة اليوم الوطنى للمملكة العربية السعودية ، مرفوعة مع التحية والاجلال لحضرة صاحب الجلالة « مولاى » الملك خالد بن عبد العزيز فى ١٣٩٧/١٠/١٠ هـ ، ثم يقول :

إلى الخالد المغوار أرنو وأنشد — لعيد عظيم مشرق يتجدد
لذكرى لدى الشعب العزيز مجيدة — بها نحتفى فى كل عام ونسعد
وتغمرنا الأفراح فيها ببسمة — وفيض سرور وافر يتعدد
ألا إنها ذكرى بحق سعيدة — ليوم أغر خالد سيمجد
فيوم بلادى حين توحيد شعبها — على يد ملك عادل سنخلد
بأعلى معانى الفخر والشكر والثنا — وبالحب والتقدير يسمو ويصمد
لبانى بناء العز والمجد والعلا — لأمته يسعى لقصد يوحّد
لقد كان توحيد الجزيرة مطلبا — لعبد العزيز الفذ للخير يقصد
فكافح فى عزم وصدق وحكمة — لتحقيق ما يصبو إليه وينشد
وهذا بحمد الله فضل ونعمة — من الله للشعب السعودى ومقصد
فحق لنا أن نحتفى بحلوله — وذكراه لن ننسى وسوف تجدد
ستبقى لهذا اليوم ذكرى مجيدة — لدى الشعب فى « عبد العزيز » تخلد[٢]

وهكذا إلى آخر القصيدة وهى من غرر وطنياته القوية ومدائحه الهادفة السامية .

وقصيدة « تحية ص ١٢٣ ، ١٢٦ » وتهنئة بمناسبة اليوم الوطنى للمملكة العربية السعودية ، مرفوعة مع التحية والاجلال لحضرة صاحب السمو الملكى الأمير فهد بن عبد العزيز ولى العهد ، ونائب رئيس مجلس الوزراء المعظم فى ١٣٩٧/١٠/١٠ هـ ، وقصيدة «تحية » مرفوعة لصاحب السمو الملكى الأمير عبد الله الفيصل عام ١٣٨٩ هـ وهى من خماسياته يقول[٣] :

---

(١) عبير من عسير : ١١٢/١٠٨
(٢) الديوان : ١٢٢/١١٧
(٣) عبير من عسير : ١٣٨/١٣٤

أيها القاموس أستاذ البيانْ وأمير الشعر والدر الحسانْ
صاحب « المحروم » فى نظم الأغانى من بديع اللفظ معروف المعانى
طعمه كالشهد يزهو كالجمانْ

إيه يا شعرى رويدا فى النشيد وقليلا لا تبالغ فى القصيد
لست تحصى فعل أصحاب المزيد مثل عبد الله ذى الرأى السديد
إنه شهم وصنديد أكيد

يا طويل العمر عفوا يا أمير إن باعى كان فى الشعر قصير
ليس هذا المدح بالنظم المثير فبحور الشعر تحتاج الخبير
والقوافى بابها باب عسيرْ

وقصيدة « تحية ص ١٤٣ ، ١٤٧ » لسمو الأمير بندر الفيصل فى عام ١٣٨٩ هـ ، وقصيدة « تحية ص ١٥٣ ، ١٥٦ » مرفوعة لصاحب السمو الملكى الأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع والطيران ، بمناسبة زيارة سموه لمنطقة الجنوب فى شهر جمادى الأولى ١٣٨٨ هـ ، وقصيدة « فرحة الشفاء ص ١٦١ ، ١٦٤ » بمناسبة شفاء وعودة جلالة الملك خالد بن عبد العزيز إلى أرض الوطن سليما معافى عام ١٣٩٨ هـ ، وقصيدة « تحية وتهنئة ص ١٦٥ ، ١٦٧ » مرفوعتان مع التحية والاجلال لمقام حضرة صاحب السمو الملكى الأمير فهد بن عبد العزيز ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء المعظم ، بمناسبة عودة وشفاء العاهل المفدى جلالة الملك خالد بن عبد العزيز المعظم قيلت فى ١٣٩٨/١٢/٢٧ هـ .

ثانيا ــ الشعر الوجدانى :

هذا اللون من الشعر من أقوى الأغراض الأدبية عند يحيى الألمعى وأجودها فهو الذى يعبر عن موهبته الشعرية فى تصوير أدبى رائع ، والقصائد التى أنشدها فى هذا الغرض ،قصيدة « يا ليل » وهو يناجى الليل فى ١٣٧٦/٦/١٨ هـ ، يقول (١):

يا ليل إنى قد ضجرت طويلا وغدوت منك معذبا وعليلا
فلقد رأيت تطاولا لا ينبغى إن التطاول منك ليس جميلا
إن المريض تناله بمخافة وتأوه قد كنت فيه مهيلا
وكذلك الولهان يسهر هائما ويراك عن صبح الفلاح ثقيلا
ويبيت يمضى ليله فى حرقة وعذابه يا ليل ليس قليلا

---

(١) عبير من عسير : ٢٣ ، ٢٤

وقصيدة « شكوى ص ٢٥ ، ٢٦ » إلى الله العلى القدير من جوار الكعبة المشرفة فى ١٣٨٨/٥/١٠ هـ ، وقصيدة « عتاب » يعارض فيها معلقة عمرو بن كلثوم المشهورة ومطلعها :

ألا هبى بصحنك فاصبحينا

عارضها الشاعر الألمعى فى عام ١٣٨٣ هـ بقصيدة مطلعها(١) :

ألا جودى بوصلك وارحمينا ... ولا تكوى قلوب العاشقينا
وداوى حالتى وجروح قلبى ... وما قد ساور القلب الحزينا
فمنذ النظرة الأولى رمتنى ... رموش العين رمى القادرينا
فطارت مهجتى لهفا وشوقا ... وقرحت الدموع لنا جفونا
فصرت متيما وأسير حب ... أعانى من مرارته الشجونا

وقصيدة « مع الأطياف ص ٤٥ ، ٤٨ » قالها الشاعر فى ١٣٨٨ هـ ، وقصيدة « مع الخيال ص ٧٠ ، ٧٢ » قالها الشاعر فى عام ١٣٨٥ هـ ، وقصيدة « إليها » معارضة للمقطوعة الشعرية التى قالها عمر بن أبى ربيعة فى بيع الخُمُر لدى الدارمى يقول عمر :

قل للمليحة فى الخمار الأسود ... ماذا فعلت بزاهد متعبد

إلى آخر المقطوعة ، فيعارضها الألمعى بقصيدة طويلة عام ١٣٨٤ هـ ومطلعها :

قل للمليحة فى الرداء الأسود ... ماذا صنعت بناسك متهجد
قد كان حسّر للوضوء ذراعه ... حتى وقفت له بباب المعبد

إلى قوله :

وتأججت نيران قلب قد سلا ... ونكأت جرح العابد المتزهد
وسرت دماء الحب فى أحشائه ... كيف السبيل وأنت كل المقصد
حسناءما هذا التجنى على فتى ... متبتل متضرع متنهد
« ردى عليه صيامه وقيامه » ... ودعيه يبقى دائما فى المعبد
لا تصرفيه عن التبتل والدعا ... « لا تقتليه بحق دين محمد »(٢)

---

(١) عبير من عسير : ٤٠/٤٤

(٢) عبير من عسير : ٧٣/٧٥

وقصيدة « أحلام الصبا ص ٨١ ، ٨٢ » قالها الشاعر فى ١٣٨٨ هـ ، وقصيدة « نجوى ص ٨٦ ، ٨٧ » أنشدها الشاعر فى عام ١٣٨٨ هـ ، وقصيدة « صدفة ص ١٠٢ » قالها فى ١٣٨٢ هـ ، وقصيدة « مع الخليل ص ١٣٢ ، ١٣٣ » فى عام ١٣٨٨ هـ ، وقصيدة « شكوى ص ١٤١ ، ١٤٢ » فى عام ١٣٨٨ هـ ، وقصيدة « شكر الإله ص ١٤٨ ، ١٥٠ » وهى وقفة تأمل وتدبر فى آلاء الله بين جبال عسير الشاهقة عام ١٣٨٨ هـ ، وقصيدة « الحبيب المجهول ص ١٥١ ، ١٥٢ » فى عام ١٣٨٨ هـ ، وقصيدة « ذكرى ص ١٥٩ ، ١٦٠ » فى عام ١٣٨٧ هـ وقصيدة « ذكريات وتساؤلات ص ١٦٨ ، ١٧٠ » فى عام ١٣٩٩ هـ ، وقصيدة « مع الأنغام ص ١٣٩ ، ١٤٠ » فى عام ١٣٨٨ هـ ، وقصيدة « ظهران الجنوب ص ١٥٧ ، ١٥٨ » فى عام ١٣٨٨ هـ .

وشعر الوجدان تنساب فيه شاعرية الألمعى انسياب الماء الصافى العذب الزلال ، يتسم بالخفة والحلاوة والعذوبة ينساب مع القارىء كأن ألفة تمت بينهما من قبل فى تجربة سابقة ، ويشعر بأن الشعر للقارىء لا للشاعر ، لأنه فى إمكانه أن يصدر عنه مثله أو هو نفسه ، وذلك لسهولته وجريانه على اللسان كما يجرى الحديث اليومى مع الناس حين يتسامرون ويأنسون ، فلا يحتاج إلى جهد فى فهمه وإدراكه ، ولا إلى مراجعة يحكك فيه ويهذب منه ، بل نشعر بأن الشاعر أنشد هذه القصائد بلا استئذان ولا تهيؤ قبلها ، وكأنه يرتجلها ارتجالا ، لا يعانيها ، ولا يقلب النظر فى صورها وكلماتها ، بل إذا صدرت عنه ساعتها ، لا يدير نظره عليها مرة ثانية ، بل تذهب فى الحياة نبعا فطريا صافيا ، لا تحتاج منه إلى المراجعة والتدقيق والتهذيب ، حتى يحذف منها الكلمة العامية أو يجبر خللا هز كيان الصورة ، أو يقصر ممدودا فى وسط البيت ، أو يمد مقصورا للحفاظ على الوزن ... لا يعنيه كل هذا ما دامت القصيدة قد صدرت عنه لأول مرة .

لهذا كله كان شعر الوجدان عند يحيى الألمعى صادرا عن نفس شفافة وروح صافية ، سواء أكان وجدانه يكتوى بنار الحب التى ألهبته حبيبته ومزقت بالشوق قلبه ، أم كان وجدانه من شكواه لله عز وجل وثنائه عليه بنعمه وآلائه ليطلب منه المغفرة والعفو ، كلاهما يعتمد على مشاعر الحب العميق الصادق ، وفورة الوجدان المحموم ، والتأمل فى جوانب النفس وحناياها لمعرفة حقيقة الحب والولهان وكنه الوجدان والالهام .

وشعر الوجدان عنده شعر قوى العاطفة صادق التجربة قطعة نابضة من نفس الشاعر وقلبه ، ويكفيه وحده أن يضع الشاعر فى منزلة بين شعراء مدرسته ومذهبها الأدبى : مدرسة التجديد المحافظ ليكون يحيى من شعراء منطقة الجنوب بلا ريب يزاحم شعراء المملكة العربية السعودية بفنه الشعرى .

وليس معنى ذلك أن الأغراض الأخرى لا تدل على موهبة الشاعر لأن الموهبة فى ذاتها موجودة عند الشاعر ، وقوية أصيلة ، فلا تهمل الأغراض ، لكن بعضها كالمدح مثلا كان يحتاج من الشاعر إلى المراجعة والتهذيب ، فقد يصيب أحيانا ، وقد يركب الصعب حينا آخر ، وبقية الأغراض أخذت منزلتها من الشاعر بعد شعر الوجدان مباشرة ، وعند التعرف على الخصائص الفنية فى مجال التصوير الأدبى سأقيم الشواهد والأمثلة ، التى تدل على ما ذهبت اليه من رأى فى الأغراض الأدبية عند الشاعر .

ومن خصائص شعر الوجدان أيضا أنه نبع عن الشاعر فى عام واحد وهو عام ١٣٨٨ هـ) هذا بالنسبة للأعوام الأخرى ، فقد أنشد كثيرا من القصائد فى الغرض كما اتضح ذلك من تاريخ ابداع شعره وإنشاده السابق وهى « شكوى » ، « أحلام الصبا » ، « نجوى » ، « مع الخليل » ، « وشكوى » مرة أخرى ، « شكر الإله » ، « الحبيب المجهول » وغيرها وهى من أجود قصائده ، وأنشد فى نفس العام قصيدتين فى المدح وهما « تحية » بمناسبة زيارة سمو الأمير سلمان بن عبد العزيز لمنطقة الجنوب ، وقصيدة « تحية » بمناسبة عودة جلالة الملك فيصل من جدة إلى الرياض ، وأنشد قصائد أخرى فى نفس العام : مثل قصيدة « مع الأنغام » ، وقصيدة « رمضان » ، وقصيدة « فلسطين ووعد بلفور » .

وهذه القصائد التى أنشدها فى عام ١٣٨٨ هـ بعدأن انتقل من عمله فى أبها إلى ظهران الجنوب ، تدل على أن الشاعر كان يعانى تجربة وجدانية قوية ، ألهبت عواطفه ، وأرقت مشاعره ، ففاضت تجاربه الشعرية المتدفقة بحشد كبير ، وقد أعقب هذا الانتقال استقرار فى أبها حتى الآن .

وفى هذا الشعر أيضا دلالة تدل على نوع من التعويض لفقد رغبة عزيزة كان يرغب فيها ولم تتحقق ، فذهب إلى الجنوب ليجد العوض فى هذا الشعر النابض ، الذى يطهر الشاعر من آلامه وآهاته وفقدانه ، ويجد فيه الأنس كل الأنس ، بحيث يملأ هذا الفراغ ، الذى خلفته الآمال المفقودة ، والرغبات التى ذهبت مع الرياح .

ولهذه الأسباب كانت القصائد السابقة يغلب عليها هذا اللون من الحزن والألم والشكوى والمرارة ، سواء أكانت هذه الشكوى فى جوار الكعبة المشرفة ، حيث يتنفس الصدر ، ويفيض القلب بمكنونه فى البقعة الطاهرة ، فيتطهّر من بلوائه التى ألمت به ، ويكشف ضره الذى مزقه ، وتتجرد أحشاؤه عن الآهات والأحزان ، وهذا عينه ما يصوره الشاعر فى قصيدة «شكوى» يقول(١) :

---

(١) عبير من عسير : ٢٦/٢٥

إلى الله أشكو لوعتى وبلائى ... ومنه أرجو الكشف فى البلواء
وأطلب منه كشف ضر ألم بى ... وأدعوه فى السراء والضراء
ألمت بى البلوى فكنت أسيرها ... ومارت بى الآهات فى الأحشاء
صبرت على ما نالنى صبر زاهد ... يرى فى ثواب الله خير شفاء
إذا المرء لم يصبر على ما أصابه ... ولم يحمد المولى على البلواء
تحمل ذنبا يا له من مصيبة ... وأشغل قلبا بالأسى وبكاء
وأضحى طريدا من رضاء إلهه ... ينوح ويبكى فى الضحى ومساء
فرحماك ربى اننى لست ضائقا ... من الضر ما دام القضاء قضائى

واقتصرت على بعضها للدلالة على المراد ، أو كانت الشكوى من الزمان وأهله ، كما فى قصيدته الثانية « شكوى » يقول[1] :

أشكو الزمان وأهله قد نالنى ... من هذه الفئتين ما قد نالنى
أشكو الأحبة والرفاق جميعهم ... أشكو بنى عمى ومن قد عالنى
أشكو همو والله يعلم أننى ... أهوا همو بالرغم ممن خاننى
فلقد سئمت من الحياة وأهلها ... لم أبغ منهم أى شىء فاتنى
حتى لقد ناجيت ربى سائلا ... وأقول يا موت ألا لاقيتنى
إن الخطوب إذا أحاطت بالضنى ... كره الحياة وقال ماذا غالنى
إنى وجدت مرارة العيش الذى ... جرّعْته منهم ودوما طالنى
فلتهنأ الأقوام بالعيش الرغيد ... وكل شىء جاءنى
وعليك يا دنيا السلام فإننى ... لم أبغ منك العيش مما هالنى

أو يهرب الشاعر من واقعه المرّ ، ومحنته التى يمر بها فى الظهران لينسى آلامه وأحزانه فى حلم جميل ، وخيال ممتع رائع ، ومأروع أحلام الصبا ، وملاعبه الغانية ، ومسارح الخيال فيه ، وخاصة عندما يأوى إليها المحروم من آمال الشباب والكهولة ، فيتنفس الصدر فيها ، بما يريح النفس ولو ساعة ، ويتذوق القلب حلاوتها فتنسيه آلام المكابدة والمعاناة أثناء المعاناة والمكابدة ، لذلك يتوق يحيى الألمعى إلى « أحلام الصبا » يبث شكواه فى لوحة فنية أخرى[2] :

---

(١) الديوان : ١٤١ ، ١٤٢
(٢) الديوان : ٨٢/٨١

تاقت النفس لأحلام الصبا والليالى الغر فى عهد الصغرْ
تلك آمال بها كل المنى تغمر النفس بأطياف السحر
فى رياض الزهر والورد التى تملأ القلب بإشعاع القمر[1]
ومع الخلان نعدو فى الربا فى مراعيها وأفياء الشجر
وغمام السحب يبدو فى الذرى بذرف الطل ويأتى بالمطر
قطرات كنت قد شبهتها كجمان نثرها أو كالدرر
ليت شعرى حين تأتى فى الدجى غادة العمر لكى نقضى السمر
تحت ظل الدوح فواح الشذا تصدح الطير بأنغام الوتر
يا لها من ليلة جادت بها قدرة الله وتصريف القدر
حبذا لو صادفتنا دائما هذه الأقدار فى وقت الكبر
كى ننال السعد فى أيامنا والليالى عندما نقضى الوطر

قلت : الموهبة الشعرية متمكنة من الشاعر ، ومن يقرأ هذه القصيدة مع ارتجالها ، وتراسل المشاعر فيها ، وانثيال الصور الرائعة ، مما يجعل شعره يسيل كالندى المعبق بالشذا والطيب ، ولقد فطن لهذا الشاعر زاهر عواض حين علق على ديوانه قائلا :

« كنت أود من أخى الشاعر يحيى الألمعى وهو فى أبها حيث الهواء الطلق والسماء الصافية ، والشمس الساطعة ، والغيث المسكوب ينهل هتونا فتجرى به الأودية وتمتلىء الغدران ... أقول ماذا يضير الشاعر ، وهو بين هذه المشاهد الرائعة ، والمناظر الخلابة أن يطوف بنا فى مجالى تلك الطبيعة الغناء أكثر فأكثر ، ويتحفنا وهو الشاعر المطبوع من شعره ، ويضفى علينا الاحساس بما أفاض الله عليه .. فإن الطبيعة الفاتنة إذا صادفت كفئا لها ، أضفى عليها ملابسها ، وكشف عن نفائسها ، وكانت له رائدا فيما طلب وهاديا حيث ذهب ... وشاعرنا كان من أحق الشعراء فى ذلك لأنه من هنالك »[2] .

وحين يستيقظ يحيى للألمعى من أحلام الصبا يبث شكواه إلى « الحبيب المجهول » وكلاهما أحلام عذبة ينتشى لها الشاعر فينسى آلامه وأحزانه ، ويطهر بها قلبه من المكابدة والمعاناة ، إن الصورة الشعرية القوية أحيانا حينما تهز الوجدان تذهب بالحزن وتنسخ المعاناة ، وتزيل مرارة الحرمان ، فيحيا بها الوجدان مرة ثانية فما بالك بالشاعر الذى ينسج الصور الشعرية الرائعة كالغيث الذى ينزل على الأرض فيترك الصخر أملس ناعما لينجرف ما عليه فى التيارات

---

(١) التى تملأ : تعود على الآمال التى تملأ

(٢) مقدمة الديوان : ١٩ ، ٢٠ الدكتور زاهر عواض

الطموية المائية لتستقر فى الأرض الخصبة فتمرع وتزهر وتخضر وتحيا وهكذا تعود الحياة كما كانت ليعود إليها الغيث مرات ومرات يشكو إلى « الحبيب المجهول » فيقول(١) :

الحب أضنانى وقــرح مهجتـــى ... وبـــرانى الشوق فزاد بليتـــى
وتتابـــعت زفـــرات قلبـــى بالأسى ... وتناثرت قطـــرات دمـــع المقلـــة
لم هكـذا تتثابنـى فى وحشتى ؟ ... وتـثير أشجـان الفـــراق ولوعتـــى
لم أيها الصب المتيم بالهوى ؟ ... تدمى ضلوعى بعد حرق المهجة
لم هكذا تشكو البعـاد وطوله ؟ ... وتقـول إنك ساهـر فى محنتـــى
لم لا تروم لقاءنـــا يا صاحبـــى ؟ ... كيف السبيل وأنت أهـل الفتنة
لم لا تجود بوصلنا طول المدى ؟ ... وتزيـــل هم الوالـــه المتعـــنت
أتريـد منـى أن أكـون ضحيـة ؟ ... بئس المراد وأنت كنت ضحيتى
الله يجمعنـــا ويكـــتب وصلنـــا ... ويحقـــق الآمال بعـــد الفرقـــة

وهكذا يفيق يحيى من أحلام الصبا وأحلام اليقظة فى الحبيب المجهول ليبث شكواه فى واقعه الذى يعيشه فى شبابه فيبث آلامه وآهاته إلى خليله وصديقه الذى يستريح إليه فيستريح هو من عنائها ، ويخفف ويلاتها ، بنظرات الصديق الحنونة وكلماته الحانية ، ونبراته اللطيفة ، وأنفاسه الرحيمة ، فيبدد بشعره وحشة الليل والظلام والنوم والسهام ، مع أنيس شعره « مع الخليل »(٢) .

يا خليلى يا انيسى فى الدجـــى ... ومرامـــى دائمـــا عنـــد المنـــام
جد حبيبى باللقا وقت المساء ... لا تغب عنـــى فإنى مستهام
قد حرمت النوم حتى نالنـــى ... كل ضر قد برى منى العظام
وغـــدا جسمـــى نحيـــلا خائـــرا ... من سهام الحب أو سهم الغرام
لو رأيت الحال يا خلى ومـــا ... قد أتانى لم تطق حتى الكلام
إن إحساسى ليشدو بالغنـــــاءْ ... قلّـــد الـــطير وتغريـــد الحمـــام
زفـــرات القـــلب آهـــات لنـــا ... زادت النيران فى النفس اضطرام
ذقت مر العيش من طول النوى ... وانـقضى العمـــر ولم اقض المرام

يا حبيبى لا تدعنـــى حائـــرا ... هائما فى الحب أبكى فى الظلام
ولتكـــن منـــى قريبـــا دائمـــا ... لتزيـــل الهم عنـــى والسهـــام

(١) الديوان : ١٥٢/١٥١
(٢) الديوان : ١٣٣/١٣٢

غايــة والــقصد تجديــد اللقــا تحت ظل الدوح أو بين الخيام
فاستمع منى كلامــى والنــداء وتحيــــاتى وإقــــــراء السلام
ولتكــن منــى قريبــا دائمــا يا حبيبى إن ذا البعد حرام

وإذا ما بث شكواه إلى خليله رأى أن الملجأ الحقيقى فى المناجاة هى الشكوى إلى الله عز وجل ، فيناجيه فى « نجوى »[1] ومنها :

يا إلهى وأنت رب كريم عالم بالخفــا وكل السرائــــر

إلى قولـه :

واغفـر الـذنب والخطايــا جميعــا والمعــاصى وكل تلك الكبائــر
واصرف الشر أينما كان عنــا واعطنــا الخير والهدى والبشائــر

وإذا كان الملجأ الحقيقى هو لله وحده ، فينبغى أن نشكر الله عز وجل على محنته ، ولا يحمد على مكروه سواه ، لأن المؤمن الصادق هو الذى يرضى بقضاء الله وقدره ، يقول فى قصيدته « شكر الإله » عام ١٣٨٨ هـ[2] :

جل الإلـه تعــالى فى تفضلــه على العبــاد له فضل وإحسان
قد أوجد الكون من لاشىء من عدم سبحانـه الخالـق المعبــود منــان
أعطى لنا النعمة الكبرى وأوهبنا حب الحيــاة لها سر وإعــلان
فالكل يفنى ولا يبقـى له أثـر إلا الصلاح وتقــــوى وإحسان

ثالثا ــ الشعر الاسلامى :

وهو من الأغراض التى تناولها الشاعر فى ديوانه ، ويضم قصيدة « رمضان » فى ١٣٨٨/٩/١ هـ ومطلعها[3] :

رمضان يا شهـر الصيــام تحيــة حيــــيت ياأمــــلا أتى أسرارا
رمضان يا شهـر الفضائـل والمنــى قد جئت فينـا ناقــلا أخبــارا
فيك الملائك تزدهــى فى نشوة ولك الجنــان تزيــنت إقــــرارا
والحور فيها رقصن وصفــــقت ولـبسن أثــواب الهنــا أعطــارا

---

(١) الديوان : ٨٦/٨٧
(٢) الديوان : ١٤٨/١٥٠
(٣) الديوان : ٥٣/٥٦

« ريان » يفتح عندما تأتى لنا والجن تحبس لا ترى أخطارا
هذى المساجد قد زهت وتزينت للمقدم الميمون جاء مرارا
يا من له القرآن يتلى فى الضحى والليل يحيى بالدعا أذكارا

إلى آخر القصيدة ، وقصيدة « فلسطين ووعد بلفور » فى عام ١٣٨٨ هـ ، وهى من الشعر الاسلامى على اعتبار أن قضية فلسطين أصبحت قضية إسلامية ، والقدس الشريف من القضايا الاسلامية المعاصرة يقول فى مطلعها[١] :

يا وعد « بلفور » كم هيجت أشجانا ونالنا منك إيذاء فأضنانا
أضنى العروبة والاسلام كلهمو وسامهم بالأذى سوءا فأبكانا

وقصيدة « أخى » أنشدها الشاعر نداء لتحرير فلسطين الجريحة عام ١٣٩٤ هـ ومطلعها[٢] :

أخى إننا اليوم فى محنة تدك الصخور بطول المدى

وقصيدة « صرخة الاسلام » أذيعت من صوت الاسلام عام ١٣٨٦ هـ يقول[٣] :

إن الديانة فى الاسلام تغتنم فيها الصلاح وفيها الخير والنعم
فى أرض مكة مهد الوحى انتشرت قوم وقام بها الإصلاح والأمم
قد قام فيها رسول الله داعية يريد خيرا وكل الناس تلتئم
تحطمت كل أوثان مدنسة بالشرك والكفر والطغيان ينهدم
لم يبق فيها سوى الدين الحنيف هدى فانهالت القوم تترى للهدى أمم
نور الهداية شمس فى العلا أبدا يشع فى الكون حتى عمنا الكرم

وهكذا إلى آخر القصيدة وهى طويلة ، والشعر الاسلامى عند يحيى دون الشعر الوجدانى بكثير ، لا من حيث المضمون ، ولكن من حيث التصوير الأدبى ، فنرى هذا الغرض أقرب إلى النثر منه إلى الشعر ، فالشاعر يكتب مقالا عن رمضان ، أو عن صرخة فى الاسلام ، يجمع فيها الأشتات من هنا وهناك لكى يستقيم له الوزن وتقوم الأبيات على العروض والقافية ، وإن كانت القافية توضع فى غير مكانها أحيانا .

---

(١) الديوان : ٥٩/٥٧
(٢) الديوان : ٩٣/٩١
(٣) الديوان : ١١٦/١١٣

« فالأمم » تأتى قافية ثلاث مرات ، و « يلتئم » مرتين ، و « الكرم » مرتين ، ويضطر إلى الترادف فى المعنى من أجل القافية أيضا مرات كثيرة مثل « الخير والنعم » ، « قوم — الأمم » ، « الخير والإنعام والكرم » ، « البغى والظلم » ، « شرك ولا صنم » ، وغيرها .

وقد يضطر الوزن إلى الأساليب غير المشهورة عند العرب ، فيسير على المنهج غير الفصيح من الألفاظ ومشتقاتها ، فقد جعل همزة الوصل فى قوله « انتشرت » همزة قطع لكى يستقيم الوزن ، واستعمل المصدر « الإعجام » مكان الجمع ، وهو يقصد الجمع « العجم » وهو الجمع عند العرب ، فاضطر الشاعر إلى الاستعمال غير الفصيح ليحافظ على الوزن فى القصيدة .

ومن الشعر الاسلامى أيضا قصيدة « إليك يا أبى » فى رثاء شهيد الاسلام ، جلالة الملك فيصل المعظم ، الذى اهتزت الدنيا لموته ، قالها فى ١٣٩٥/٣/١٥ هـ ومطلعها(١) :

العين تبكى والفؤاد محرق	والنفس تحزن ودائما تتمزق
حتى كأن الدمع من نهر جرى	فى المقلتين وفوق خد يبرق
وله خرير لست أحصى قطره	ينساب ما بين الجفون ويدفق
فى موت « فيصل » قد مادت بنا أكَمٌ	واهتزت الأرض من خطب له حِرَق
حامى حمى الاسلام رائده	أبو المعالى وفيه الوصف ينتطق
حققت للشعب ما يزهو به حقبا	وللعروبة والاسلام ينبثق
وها وجودك يا مولاى مفخرة	للمسلمين عموما كنت تأتلق
سكنت فى كل قلب وهى عامرة	بالحب دوما وفيه الود معتلق
يا رائد العرب والاسلام إن بنا	من الأسية ما لا يوسع له الورق

إلى آخر القصيدة ، وهى من أجود قصائده فى الشعر الاسلامى ، ومنه أيضا قصيدة « نصيحة ص ٢٧ ، ٢٨ » أهداها إلى الأخ فائع ابراهيم الألمعى فى عام ١٣٧٧ هـ ، ويحث فيها على طلب العلم وينفر من الجهل ، والعلم يحث عليه الاسلام بل هو أساس الاسلام وقاعدته العريضة . وقصيدة « العلم والجهل » ألقاها الشاعر فى المركز الصيفى بأبها عام ١٣٩١ هـ ، ومطلعها(٢) :

العلم يبنى والجهالة تهدم	والعلم نور ساطع وتقدم
بالعلم تبلغ كل قصد فى المنى	ويحقق الأهداف من يتعلم

---

(١) الديوان : ١٠١/٩٨

(٢) الديوان : ١٠٧/١٠٣

والجهـــل داء والثقافـــة بلسم	للجهل إذ فيه الشفاء الأعظم
والعلم طعم فى المذاق حلاوة	والجهل مر طعمه بل علقم
بالعلم يرقى كل شعب للعلا	ويكون فى أعلا المراتب ينعم

إلى قوله :

يبنى صروح المجد شامخة الذرى	وبها الدعامـة قوة لا تثلم
فأخو الجهالة فى الشقاوة قابع	لم لا وهذا الجهل ليل مظلم
إن الجهول بماله وثرائه	مثل السفينة بالتجارة تلقم
ماذا يفيد من التجارة عندما	تهوى إلى قاع البحار وترطم
هذى المعاهد والمدارس جمة	فى كل بيت دارس ومعلم
قد عمت الأرجاء وهى مناهل	للضامئين وفرحة بل مغنم

والقصيدة مع طولها تغلب عليها روح النثر الأدبى ، ولا يبقى من خصائص إلا الوزن والقافية أما العاطفة القوية ، والمشاعر المتدفقة ، والتصوير الذى يهز الوجدان ، ويسيطر على المشاعر ، فهذا هو أقل الجوانب فى القصيدة ، ويستعمل الشاعر لهجة الجنوب الجارية على اللسان وهى إبدال الظاء ضادا فى قوله : « وهى مناهل للضامئين» وأصلها فيما اشتهر عند العرب ما نزل به القرآن الكريم « للظامئين » .



وقفات مع الشـاعر

أولا ــ التصوير الأدبى :

ديوان يحيى الألمعى يضم بين دفتيه ألوانا متنوعة من التجارب الشعرية منها التى لم تكن كاملةناضجة بالقدر المطلوب فى الشعر الجيد ، مثل التجارب الشعرية التى كانت تحتاج إلى مراجعة من الشاعر ، وذلك فى كل الأغراض ماعدا شعر الوجدان .

ومنها التجارب الشعرية القوية التى أقامت الحجة الناصعة على أنه شاعر موهوب ، يعد من شعراء مدرسة المحافظين المجددين فى الجنوب وهو شعر الوجدان ، وقد فصلنا القول فى ذلك عند الحديث عن خصائص هذا الغرض الأدبى . ومادامت التجربة الشعورية قوية فالصدق الفنى قد تحقق فيها ، الذى يسمو بالقصيدة إلى المستوى الجيد فى الشعر ، ويستبد بالعاطفة ، ويحرك المشاعر والأحاسيس ، لهذا كان التصوير الأدبى فى هذا الغرض يسمو بالشاعر إلى مصاف الشعراء المجيدين فى طبقته الفنية ، وإلى ما سبق من شواهد على ما نقول نتأمل قصيدته « مع الأطياف »(١) :

يسائلنى المحبوب عما جرى ليا ... وهل كان إلا بلوتى وشقائيا
لقد جرح القلب الذى كان سالما ... ومزقه حبا بعيدا ودانيا
وألقى بسهم ليته ما أصابنى ... ولم يأت للقلب الذى كان نائيا
سهرت الليالى لا أرى فيه ساهرا ... سوى طيف هذا اللّدّ قد لاح رائيا
يداعبنى حتى إذا ما رأيتنى ... أداعبه انسل منى ورائيا
يروح ويغدو شاردا متهربا ... ويأوى إلى كل من كان خصما معاديا
فليتك يا متبول قدرت حالتى ... وأكرمتنى بالوصل ما دمت راضيا
وليتك ترضينى ولو بزيارة ... لأرجع قلبى منك إن كنت نائيا
وإلا فدعنى فى عنائى ولهفتى ... لأبقى حزينا طيلة العمر باكيا

---

(١) الديوان : ٤٥

وهكذا يمضى الشاعر يصور تجربته الشعورية القوية فى عاطفة صادقة وخيال خصب ، وصور أدبية رائعة ، وعبارات عذبة رقيقة ، وأسلوب جزل حلو ، يكشف عن معانيه بلا غموض أو إبهام ، فتأخذ موقعها من العقل حين تستقبلها الأذن مباشرة ، لأن الشاعر يعبر بصدق عن وجدانه فى وضوح وشاعرية ملهمة .

لم يسلم الشاعر من هفوات لا تغض من شاعريته ويكفينا شعره الوجدانى فى الدلالة على ذلك ، وهذه الهفوات قد وضحنا بعضها فى مجال الأغراض ، وهى بإيجاز :

روح التعبير النثرى فى بعض الأغراض الأدبية عنده مثل المدح والشعر الاسلامى ، والرثاء ، فنرى الشاعر يتحدث فيها مع عامة الناس بلغتهم الدارجة الواضحة الدانية ، لأن الشعر له لغته القوية المتدفقة بالمشاعر ، ويعتمد على الايحاء والأضواء والظلال والتصوير القوى مما يثير الوجدان فى الآخرين ، ويلهب مشاعرهم ، ويحفز عواطفهم لإثارة الانجذاب ، وذلك فى مثل قوله :

أمـل العـرب يا إمـام البـلاد ... داعـى الخير والهدى والـرشاد
حامـى الديـن والشريعـة حقـا ... ناصر الحق فى الربا والبـوادى
ناشر العـدل والمساواة فينـا ... قائد الشعب يا ابـن خير التـلاد
يا مليكـى فدتك نفسى وروحـى ... أنت نور العيـون فى كل نادى
كل فرد من شعـبك المتفـانى ... يتمنـى لقيـاك كالمعتـاد[1]

وهكذا يسير فى القصيدة كلها على هذا الأسلوب النثرى الدارج بين المتخاطبين فى مثل هذه المواقف مع شرف المضمون وعمق المعنى وجميل المقصد والغاية التى ترمى إليهاالقصيدة من الاشادة بوطنه الحبيب ، والقيادة المخلصة الرشيدة التى حققت المجد والحضارة له .

ثانيا ـــ البديع والضرورات :

لم يخل شعر الألمعى من قصد البديع ، واتخاذه وسيلة فى التصوير الأدبى ، وإن كان عصره قد ولى ، ومدرسته قد ذهبت مع التاريخ ، لكن الشاعر قد يميل إليه حينا ، وهو ما أشار إليه الدكتور زاهر عواض فى مقدمة الديوان يقول :

« وبعد : فهذا « عبير من عسير » وكفى ... فليس من الانصاف أن أقدم ديوانا من الشعر هو يقدم نفسه لقارئه ، فقديما قالت العرب : الكتاب يعرف من عنوانه ، والظاهر عنوان

---

(١) الديوان : ٧٧/٧٦

الباطن ... وشاعرنا الفاضل « يحيى الألمعى » لم يبرأ من علة السجع والجناس ، فعنوان ديوانه بهذا العنوان « عبير من عسير »(١) .

والحق أن الشاعر لم يغلب عليه الاتجاه البديعى فى شعره ، لكنه مع نذره اليسير يؤخذ عليه التكلف فيه ، وحمله على المعنى بلا داع ولا هدف يسمو بالشعر ، يقول :

أيا خالدا « لازلت فى الناس خالدا » ولازلت فى أوج المفاخر صاعدًا
حليم حـــكيم زاده الله رفعـــة فكان كما البدر المضىء إذا بدا
ومـا خالـد إلا خلود تخلـدت أفياء عليه فى الخافقين مسددا

والتكلف البديعى ظاهر فى قوله : (ياخالدا وخالدا » ، و « حليم وحكيم » ، و « وما خالد إلا خلود تخلدت » .

أما الضرورات الشعرية من أجل الوزن والقافية التى اضطرت الشاعر إلى اعتساف الخطأفى مواضع يؤاخذ عليها ، ووضحت بعضها قبل ذلك ونكتفى به هناك .

ثالثا ــ معالم الجنوب فى شعره :

الشعر القوى هو ما يحمل إلينا الواقع الذى يعيشه الشاعر فى بيئته ، فالبيئة أصبحت جزءا من الشاعر ، ومن عواطفه وأحاسيسه ، لذلك كان يحيى وفيا لوطنه الصغير فى الجنوب لا ينسى جماله وسحره ولا الذكريات التى تردد صداها فى جنبات المواطن الكثيرة يقول :

مناظـــر فى ربانـــا ساحـــرات ستغــــدو مقصدا للسائحينـــا
ترى فى السودة الشما ريـــاضا وغابـــــات تسر الناظرينــــا
وفى القرعـــاء مصطـــاف جميـــل ونزهـــة خاطـــر للصائفينـــا
وفى أبها البهيـــــة كل شىء جميــــل صالح للقادمينـــا

فالسودة والقرعاء والمحالة وأبها كلها مناطق ساحرة فى منطقة الجنوب يتزاحم فيها المصطافون كل عام فى الصيف لقضاء أجمل أوقات العمر وأحلاها من أبناء المملكة والخليج العربى وغيرهم .

وتظهر لهجة الجنوب وهى من خصائصه فى كلمة « الضامئينا » فالمشهور فى لغة القرآن الكريم « الظامئينا » بالظاء لا بالضاد ، ومع ذلك فهى لهجة اشتهرت فى جنوب المملكة العربية السعودية ومثل قوله فى قصيدته « ذكريات وتساؤلات »(٢) :

---

(١) مقدمة الديوان : ١٥/١٦

(٢) الديوان : ١٦٨/١٧٠

سل ربـا أبها لتعطيـك الخبر — سل ذراهـا والفيـاف والشجـر
سل ريـاضا فى « عسير » إنها — تمنـح النـفس سرورا مستمـر
فى « رجال » فى « بنى زيد » وفى — « ألمع » قد طاب لى فيها السمر
عند وادى « العوص » فى أقصى الذرى — عندها الأشجار لا تبغى المطر
فى « كسان » فى « لصاف » و « البنا » — فى « حلى » ذقنا حلاوة السهر
فى ذرى « قيس » وفى « الميل » الذى — مال قلبى فيه أحلام الصغر

وما بين الأقواس مرابع ومنازل فى « رجال ألمع » من تهامة عسير ، عاشها الشاعر وذاق حلاوتها ومرارتها وتجاوبت مشاعره معها وخرجت شعرا من معامل تجاربه الشعرية لتعطى صورة واضحة عن الجمال والسحر فى مواطن الجنوب ، فى عسير ، المنطقة الخضراء فى المملكة العربية السعودية .

رابعا ـــ الوحدة الفنية فى شعره :

الوحدة الموضوعية فى شعر يحيي الألمعى قد تحققت فى شعره كله ، فالقصيدة عنده تقوم على موضوع واحد ، بلا تعدد فى الأغراض والموضوعات .

والوحدة الموضوعية إذا ما تحققت فى الشعر الوجدانى تحققت الوحدة الفنية بالتأكيد ، التى تقوم على التلاؤم بين التجربة والعاطفة والمعانى والخيال والمشاعر والخواطر ، وبين الألفاظ والأساليب والصور والموسيقى ، وبذلك يتحقق الصدق الفنى فى تجربة الشاعر الشعرية ، وكل ما مضى من قصائد فى شعر الوجدان ابتنى على الوحدة الفنية ونذكر قصيدة أخرى أنشدها الشاعر فى عام ١٣٨٧ هـ وهو فى الطريق من أبها إلى خميس مشيط[(١)] يقول :

فى المروج الخضر فى الأرض الجميلهْ — فى ريـاض يانعـات مستطيلـهْ
وخرير الماء يسبـو فى الـذرى — ونسيم الصبح يعلـو فى المسيلهْ
وتصدح الطيـور وتشدو بالغنـا — فوق أشجـار وأغصان جميلـه
فى ربـا أبها التـى ناجـيتها — ذكريـات كلهـا كانت طويلـه
كم شفيت النفس فى أكامهـا — وجـرت فيها دمـوع مستغيلـه
ونمت فى الأرض آهاتنـــا — دوحـة الحب وأشجـار خميلـه
لست أدرى ما الـذى صيرنـا — نذرف الدمـع ونحيى كل ليلـه

---

(١) الديوان : ١٥٩/١٦٠

نتناجـــــى واهوى يمنعنـــــــا إن نبيح السر فى تلك النشيلـه
دأب القـــلب على كتمانـــــه وأبى أن يذكـــر الحال العليلـــه
قلت يا هذا ألا ترحمنـــــــــى وتـريح القـلب بل تشفـى غليله
ثم إنى أيها الصب الـــــذى قد جفـانى واختفـى منـى بحيله
لم أعـد اسطـــاع هجرانـــا ولا يستطيع القلب أن يسلو خليله
فرجائى الـــوصل دومـــا دائمـــا ولقـــاء ليس يخبـــو أو تزيلـــه
عالج النـــفس وأطفــــئ نارهـــا بميـــاه الحب لا أرضى بديلـــــه

موضوع واحد من خلال تجربة صادقة المشاعر ملتهبة العاطفة قد انسابت معانيها فى ألفاظ قوية جزلة وأساليب عذبة رقراقة وصور تموج بالألوان والحركة والطعوم والروائح التى امتزجت بروافد القصيدة كما امتزجت بالطبيعة الساحرة فى أبها وخميس مشيط ، كل ذلك يتلاحم فى إطار الوحدة الفنية تشد القصيدة فى جميع روافدها وعناصرها لتكون صورة كلية واحدة تعبر عن مشهد واحد تفجرت به تجربة الشاعر الشعورية .



الفصل السادس

شعراء آخرون

١- الشاعر علي خضران القرني .

٢- الشاعر علي عبد الله مهدي .

٣- الشاعر جبران محمد قحل .

٤- شعراء آخرون .

هؤلاء هم الشعراء الذين اشتهروا فى مدرسة « التجديد المحافظ » وليسوا هم وحدهم ، بل هناك شعراء ينضمون إلى هذه المدرسة ويسيرون على مذهبها الأدبى ، لكن لم يصدر لبعضهم حتى ديوان شعر يدل على الطابع المتكامل لهذه المدرسة ، وان اشتهروا بقصائدهم الكثيرة التى تنشر فى الصحف والمجلات ، والتى تلقى فى النوادى الأدبية ويشتركون بها فى المسابقات الشعرية التى تجرى على مستوى المنطقة أحيانا أو على مستوى المملكة مرات أخرى ، وانضمامهم إلى هذه المدرسة يرجع إلى تلك القصائد المنشورة أو المسموعة فقط ، ولعل النظرة إلى شعرهم تختلف فى المستقبل إذا ما صدرت لهم دواوين الشعر ، لأن تنوع الشعر فى الديوان أو فى أكثر من ديوان يكون أدق وأشمل فى الحكم على القصائد المتفرقة فى الصحف والمجلات .

لهذه الأسباب جعلت لهم فصلا يضمهم جميعا على العكس من الشعراء السابقين الذين نشروا دواوينهم من زمن بعيد ، واكتفيت فى هذا الفصل بذكر بعضهم الذين ينشرون فى المجلات والصحف أو فى المسابقات الأدبية ، واكتفيت بقصيدة واحدة أو قصيدتين تقريبا ، لتكون وسيلة للحكم على الشاعر ، وسبيلا يصله بمدرسته ، وخيطا لمذهبه الأدبى الصادر عن مدرسة « التجديد المحافظ » .



أولا ــ الشاعر على خضران القرنى :

الشاعر على خضران بن عبد الرحمن القرنى من شعراء مدرسة التجديد المحافظ ، ولد فى قرية « الحفنة » من ضواحى القنفذة بالقرن فى تهامة عام (١٣٥٨ هـ) ، وتقلب فى التعليم بين مكة المكرمة وبين الرياض والطائف ، وله كتاب « صور من المجتمع والحياة » .

ومن المخطوطات « كفاح شعب » ، « تعريفات وجيزة ببعض قرى ومناطق المملكة » ، وديوان « آهات » .

ومن شعر القرنى قوله فى قصيدة « ظبى الجبل »(١) :

يا منى الروح ويا ظبى الجبل   قد برانى الهجــر وازداد الألم
كم تمنــيت لقــاء شافيــا   فى روابى السفح والطود الأشم ؟
كم تمنــيت حديثــا ممتعــا   فى دجى الليل وأحلاك الظلم ؟
غير أنى لم أجــد غير الأسى   وضروب الخبث حيطت بالنغــم
فاذكــرى عهــدى وودى والهوى   واذكرى الماضى الذى لم ينصرم
إننــى رغــم بعــادى والنــوى   لم أزل أهفو إلى ذاك النغــم

تجربة شعرية قوية صادقة ، وعاطفة جياشة ، ومشاعر رقيقة تجسمت فى امتزاجها مع مظاهر الحياة والطبيعة فى روابى السفح ، وفى الطود الأشم ، فينعم بحديثها فى دجى الليل ، وحلكة الظلام ، ليتصل الحاضر بالماضى ، ويحيا على الذكرى التى لم تنصرم ، ولم تقطع عهد الوداد ، وذلك فى نغم راقص من الحب والهوى .

والقصيدة فى منهجها ونهجها جديدة ، وكذلك فى أسلوبها وتجربتها ، وصدق العاطفة فيها والمشاعر والأحاسيس التى تتناغم مع مظاهر الطبيعة .

ويقول فى قصيدة « الخير فى الصالحات » ، منها :

يا شامتــا بى عداتى   ودائبــا فى الــوشاة
مهــلا فإنى صبــور   وحجتــى فى سكــاتى
ما ضرنى قول واش   يهوى الأذى والسعــاة
مهمــا تمادى فإنى   كالطــود حتــى الممــات
نهجــى وصبرى كفيــل   بنصرتى ونجاتى

(١) شعراء العصر الحديث : عبد الكريم الحقيل ص ٢٦٠

ثانيا ــ الشاعر على عبد الله مهدى :

ولد فى عام ١٣٦٨ هـ فى مدينة « رجال ألمع » ونشأ فيها وترعرع ، وتلقى دراسته الابتدائية بها ، وتفتحت شاعريته على قصائد الفحول من الشعراء ، لتستقر فى قلبه إلى الأبد ، وبدأ يقرض الشعر فى هذا السن المبكر ، وكان لأساتذته الشعراء فضل كبير فى تنمية موهبته الشعرية .

وبعد أن حصل على الشهادة الابتدائية سافر إلى أبها للدراسة بالمعهد العلمى ، وأمضى فيه خمس سنوات ، ثم انتقل إلى الرياض والتحق بكلية اللغة العربية ... حتى حصل على « الليسانس » فى ١٣٩٠ ــ ١٣٩١ هـ وكانت هذه الفترة حافلة بالمعرفة والانتاج .

وبعد التخرج عين مدرسا بمعهد « الباحة » العلمى (بلاد غامد) لمدة عام ، وفى العام التالى عيّن مديرا للمعهد .. ثم طلب الانتقال إلى أبها ، حيث أمضى بها مدرسا ثلاث سنوات بمعهدها العلمى .

لكنه قدم استقالته من العمل ، وقبلت استقالته ، ليدير محلا للذهب ، ويقول : « عندى الذهب والتعب يقينا أما الأدب فذلك ما كنا نبع ، وأفضل الأدب وأحب الذهب » .. ويقول عن تأثره : تأثرت بكثير منهم وفى طليعتهم المتنبى مالىء الدنيا وشاغل الناس .. ويقول عن الشعر الشعر تجربة شعورية يعبر عنها تعبيرا موحيا مؤثرا ، وقد طرقت عدة أغراض شعرية متنوعة منها : الدعوة الاسلامية ، والاصلاح الاجتماعى ، وقليل من الرثاء ، وشىء من الغزل(١) .

ومهدى شاعر يهز بشعره الندوات الأدبية فى مختلف المؤسسات وخاصة فى نادى أبها الأدبى ، وهو من أعضائه يقول عن شعره الدكتور عبد الهادى حرب : « شعره نبع صاف من قلب مؤمن بدينه ، متقطع على أبناء بلدته وعقيدته ، يرى ماضى المسلمين مشرقا ، وحاضرهم غائما ، فينكر على قومه ما هم فيه ، ويدعوهم إلى استعادة مجدهم ، ويجنح به الخيال حتى ليرى أنهم قد عادوا إلى ما كانوا عليه من ازدهار ، وإشراق » .

وللشاعر منزلة كبيرة بين عشاق الأدب فى عسير ، يقول فى قصيدته « الباذلون »(٢):

بذل الباذلـــون حتـــــى أضاءوا   وتسامـــى مع الضيـــاء البنـــــاء
وتـــولى جهـــل وأدبـــر فقـــــر   وتـــوارى بعـــد الـــدواء الـــداء

(١) جريدة المدينة : الأربعاء ٤ من رجب ١٣٩٩ هـ الصفحة الأدبية ص ٧
(٢)(١) أزاهير من ربوع عسير : نادى أبها الأدبى ١٤٠٠ هـ ص ١٨

إلى قولـه :

وشهدنـا نهرا من الخير يجرى رفدتـه الشريعـة الغـراء
أسسوا للعلـوم والـمدرس نورا وعلى كل ساحـة بنـاء
وإلى العلـم ينتمـى كل فضل ومـن المرسلات تهمي السمـاء
وإلى الديـن ينتمـى كل مجد ومـن الحق تسطـع الأضواء
والنـوادى للنـاس تنثر درًّا ونضارا والناثـر الأدبـاء
وتجلى وجـه الفضيلـة حتـى يعلـم الجميـع أنها حسنـاء
سألـونى ما الديـن قلت ريـاض يتفيـا ظلالها العقـلاء
سألـونى هل الحضارة خير أم عذاب منـزل وشقـاء
هى خير ثر ، وروض أنيـق وعطـاء جم ونـور ومـاء
ونـعيم مادام شكـر وتقـوى فاز ركب يقـوده الأتقـاء
سألـونى عن الـنساء أظـل وارف أم جهنـم حمراء
وجـم القـلب والبيـان عصانى وتـأبى الهجـاء والإطـراء
كل علمـى بأنهن فضاء واسع لا تحيطـه الأشيـاء

وأخيرا :

سادتى هذه قصيـدة شعـر وبقلبـى قصائـد عصمـاء
قد بذلت الثناء شهداً مصفى وحـرى بنـا الـرضا والثنـاء
علـم الله أن روحـى وفـاء ليس عنـدى غير الوفـاء جزاء
وإذا أحسن الرعايـة داع فالرعايـا حق عليها الـولاء
دولـة بالكتـاب والعـدل شيـدت ولها الحب خالصا والدعـاء(١)

وهكذا تكون شاعرية مهدى فقد بلغت هذه القصيدة ثمانين بيتا تسيل الأبيات فى تدفق وينساب فيها التصوير الأدبى رائعا فى ألفاظ عذبة وأسلوب قوى مشرق وخيال خصب رائع وحوار حى متحرك يتحرك فيه القارىء مع الشاعر وكأنه يريد أن يشاركه ما يعانيه من تجربته الشعرية مع طول النفس والصدق فى المدح والثناء بلا شطط أو مبالغة إنما المدح عنده هنا حق وثناء بلا معاظلة ، لأن على الرعية حق الولاء والوفاء لمن أسدوا الخير ونشروا العلم والعدل فهم جديرون بالحب والدعاء بالتوفيق ، وليست هذه القصيدة وحدها فى الثناء ولكن قلبه مفعم بكثير من القصائد العصماء .

أما القصيدة التى حازت الجائزة الثانية فى مسابقة نادى أبها الأدبى عام ١٤٠٠ هـ فهى

(١) كلمات وقصائد : مطبوعات نادى أبها الأدبى ١٤٠٠ هـ ص ٢٢/١٥

« الحقيقة » يقول الشاعر علي عبد الله مهدي[1] :

أطوى الجناح على الجراح وأكتم ... وأقول : قومي بالكرامة أعلم
ولقد مضى زمن وجفني مغمض ... عن عيبهم وكأنني لا أفهم
كم قلت : قومي لا مثيل لعزمهم ... ونشرت ما تملي العواطف عنهم
وهتكت أستار السحاب ملفقا ... عزا تغار لمستواه الأنجم
قومي إذا شئت الحقيقة عنهم ... يتأخرون وغيرهم يتقدم
وإذا ينادى للفضيلة تمتمو ... وإذا ينادى للرذيلة طرتم
غرتهم الدنيا ومزق شملهم ... حسد ، وفرقهم عداء محكم

إلى قوله :

يا أمتي والنار تكوى مهجتي ... والسهم يعتصر الفؤاد ويكلم
لم تنطلق رجل لوقوف محرم ... أو درء مفسدة ولم ينطق فم
أبمثل هذا يستقيم كياننا ... ويطل فجر مشرق متبسم
يا أمتي : الأديان تهرم كلها ... وتشيب لكن ديننا لا يهرم
كل السيوف القاطعات تثلمت ... أما النبي فصار لا يثلم
هو للهدى سيف وللتقوى فم ... هو للفضيلة قائد ومعلم
والفخر بالاسلام ليس بغيرو ... يكفيك فخرا أن يقال : المسلم
قالوا : الحياة فقلت ظل زائل ... والافتتان فقلت : ذاك جهنم
والبعث والأخرى فقلت : حقيقة ... من شك فهو أصم أعمى ، أبكم
والأغنيات فقلت إني أعجم ... والفاتنات فقلت إني مسلم
والمال قلت أضمه وأحبه ... إن جاءني بطريقة لا تحرم
واليأس قلت : إلى الكتاب أحيلكم ... والبأس قلت عدوكم لا ترحموا
يا أمتي فلتسمعي ولتسمعي ... الحق يغضب إن يكم له فم
عودى إلى هدى السماء ونورها ... فالعود أحمد للشعوب وأسلم
أملي عظيم مشرق متجدد ... أن يسمع القوم النداء ويفهموا
ولتهنأ الدنيا بمولد أمة ... حطمت صروح الكفر فيما تحطم
بشراك يا قلبي بعهد زاهر ... قد أزمع القوم النهوض وصمموا

(١) أزاهير من ربوع عسير : مطبوعات نادى أبها الأدبي ١٤٠٠ هـ ٣٠/٣٦

جعلوا كتاب الله نصب عيونهم وتفهموه وقدموه وعظموا
عدنا وعاد إلى الحقيقة تاجها وانجابت الظلما وهش الموسم
الذل عار والتأخر سبة والجبن صاب والإهانة علقم
والمجد للاسلام ليس لغيره وبنوه بالتمجيد ما أحراهم

والقصيدة طويلة لأن الشاعر نفسه طويل فى الشعر يتدفق فى شعره كما يتدفق السيل من علٍ مع عمق المعنى وحضارة الفكرة ، وشرف المقصد والهدف ، وعذوبة الأسلوب وخفة التركيب ، وجمال التصوير ، وسحر الإيحاء ، والصدق فى العاطفة والتجربة والمشاعر .

أما قصيدة : « هى الظلام هى مشاعل النور » فقد ذكر الشاعر أنه نظمها وهو طالب بالسنة الرابعة فى كلية اللغة العربية فى ظلام الليل للحفاظ على مشاعر إخوانه الطلاب النائمين فلم يشأ أن يقلق مضاجعهم بالنور ، وأمسك بالقلم وظل يكتب فى الظلام حتى الفجر ، لكنه وجد الكلمات متداخلة لكن الشعر شعره فقرأهاوها هو مطلعها :

حرقت مقلتى وهد بنانى واعترانى الضنا وغامت سمائى
فإذا القلب فى الهموم غريق بعد أنس وراحة وهناء
وإذا النفس تنزوى فى اكتئاب وعذاب عن ساحة الأقرباء
أيها القلب ما عهدتك تجـ ـفو لحبيب ممنع فى الخباء
ربة الطهر أرجوك لا تعذلينى واعذرونى إن غبت يا أصدقائى
إن فى القدس لوعة وحريقا وبكاء أولا ككل بكاء
فيهودا تعبث فيه فسادا وتنادى بالشر والبلواء
وتسوم الأطفال ذبحا وفتكا وهموا فى الصفاء مثل الماء
وتسوم الأعراض هتكا وعضا فى افتراس الفضائل البيضاء[1]

وأما القصيدة التى حازت الجائزة الأولى فى هذه المسابقة لنادى أبها الأدبى فى عام ١٤٠٠ هـ فهى للشاعر حسن يحيى ضائحى بعنوان « حدث بيننا » يقول ، منها :

أنا عنك يا ذات الخما ر إذا دعا داعى الحروب
أنا عنك فى حمل السلا ح وفى مجابهة الخطوب

---

(١) جريدة المدينة : الأربعاء ٤ من رجب ١٣٩٩ هـ ص ٧

إلى قولـه :

فإذا دعـــا داعـــى الجهـــــا د حملت كالليــث الـــمغضوب
وحملت رشاشي على كتفــى ولم أذكـــر لغــــوبى
ومشيت أزرع من رصا ص الـــنصر فى صدرى دروبى
أنـــا أمــة غنـــى بها التـــــ اريخ فى كل الصقــــــــوب
أنـــــا قطــــــرة هرقت من دم كل مقــــدام وتــــوب
أنـــا زنــدى المفتـــول أقـــــ وى عنـــد احـــداق الكـــروب
وعلى يد الفتيـــان لا الــــــ فتيـــات تحريـــر الشعـــموب
فدعـــــى أنامــــلك الرقـــــا ق لرقـــة الطفـــل النجـــيب
ربيــــه للوطــــن الكريـــــــ ـــم على الفضائـل لن تخيبى
أنت الخبيرة فى اصطنـــــــــا ع الـــنشء معمـــور القلـــوب
لا تتركـــــى البـــيت المقــــــــدس إنـــــه أسمى الوجــــوب
لا تعتـــدى هذا نصيـــــــ ـــبك فى الحيـاة وذا نصيبـــى(١)

إلى آخر القصيدة التى تدل على أن الشاعر من شعراء هذه المدرسة مدرسة التجديد المحافظ ، تجديد فى المعنى والفكرة واستجابة الغرض لمقتضيات العصر ، وتجاوب الشاعر مع أحداث عصره ، فى أسلوب قوي عذب منساب وتصوير أدبى رائع مع الحفاظ على الأصالة العربية والعمود الشعرى فى الفصاحة والنصاعة والأسلوب والوزن والقافية ، لكن ذلك فى ثوب جديد ، تتجه فيه القصيدة نحو غرض واحد من المطلع حتى النهاية .



(١) أزاهير من ربوع عسير : ٢٧/٢٩

ثالثا ــ الشاعر جبران قحل :

ولد الشاعر جبران محمد قحل فى البيطارية التابعة لجيزان منذ أربعين تقريبا ، ويعمل حاليا مدير مدرسة الأحد الثانوية إحدى مناطق جيزان .

قد تخرج من كلية الشريعة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض عام ١٣٨٤ هـ ، وله شعر كثير منشور فى الصحف والمجلات ، وأحد أعضاء النادى الأدبى بجازان وفاز بالجائزة الرابعة بنادى جيزان الأدبى فى مسابقة الشعر عام ١٣٩٧ هـ وكانت بعنوان « شموع على الدروب » وهى لمحات من حياة الراحل العظيم « فيصل بن عبد العزيز رحمه الله » منها(١) :

مازال هذا الشعب يدرك أنـــه ... أعيا العدا طرا صلابــة عوده
مازال يذكــر والعــوالم كلهـــا ... هذا الزعيم الفـذ يوم صمـــوده
يوم التقى الجمعان فى سينا وفى ... الجولان يعــرب فى شمال حدوده
بهر العـــدا بذكائــه ودهائـــه ... وببعــد نظرتـــه لفضح حسوده
ظلت فلسطين الجريحة عنـــــده ... دينا يرى لابـــد من تسديـــده
مادام فيها غاصب متـــــربص ... نشر الــفساد مجمعـــا لحشوده
ولكـــم تمنـــى أن يصلى فيصل ... متعبـــدا بركوعـــه وسجـــوده
فى المسجد الأقصى تعبد ناسك ... شكر الإله لسحق أهل جحوده

ومن شعره أيضا قصيدته « لبنان إلى أين » منها(٢) :

يا صيف لبنان هل أبقيت لنا فيكا ... أحداث لبنان شيئا من مرائيكـا
أم ألهبت جوك المأنـــوس حماتها ... حتى رأينا هدير النار من فيكا
لبنان ماذا دهاك اليوم فاحتـرقت ... تلك المرائى وكانت من مجاليكـــا
خضر الروابى لظى البارود يحرقها ... والحرب دارت رحاها فى روابيكـا
إنا لنعجب من أمر له خطـر ... حيث الأعادى أرادت قتل ماضيكا

⁂

(١) مسابقة الشعر بنادى جازان الأدبى لعام ١٣٩٧ هـ ص ١٢/١٣ مطبوعات نادى جازان الأدبى .
(٢) المنهل : عدد المحرم وصفر ١٤٠٢ هـ أكتوبر ونوفمبر ١٩٨١ م المجلد ٤٤ ص ٩٠

رابعا ــ شعراء آخرون :

وهناك شعراء آخرون يسيرون على نهج مدرسة التجديد المحافظ نذكر بعضهم ، منهم الشاعر أحمد باهي ، الفائز بالجائزة الأولى فى مسابقات نادى جازان الأدبى عام ١٣٩٧ هـ ، والشاعر على أحمد حيقل الفائز بالجائزة الثانية فى المسابقة السابقة ، والشاعر عمر صعابى الفائز بالجائزة الثالثة فى نفس المسابقة ، واشترك فى مسابقة نادى أبها الأدبى لعام ١٤٠٠ هـ بقصيدته « هموم قلب » ومطلعها :

يا حروفى كيف أشدو وفؤادى ... يتلظــــى فى جحيم من هواك
يقطف العمر هموما وضياعــا ... ليس فيه غير بعض من خطاك
ليس من حيــاة أو حبــور ... يملأ الدنياعـــبيرا من شذاك
حسبها أن هواهـــا يتحـــدى ... فيعانى من جراح الحزن شاكى[1]

والشاعر عمر سالم فرسانى ، فاز بالجائزة الخامسة فى مسابقة الشعر لعام ١٣٩٧ هـ بنادى جازان الأدبى ، والشاعر على أحمد على النعمى وهو من « خرجة ضمد » ، ومن شعره قصيدته : « لا تسل عما جرى »[2] منها :

بلبـل الـروض تغنـى سحـرا ... فشجـى الحى وأحيـا الذكـرى
هزه الوجـــد إلى ألآفـــه ... كل من غاب ومن قد حضرا
ذكـر الماضى ومـا كان حوى ... واجـتلى فيـه ربيعــا أخضرا

والشاعر حجاب يحيى الحازمى ، مدير ثانوية ضمد بجازان ومن قصيدته « لقاء الجوف »[3] :

يا روابى الشمــال هذى بلادى ... تتهادى بربــــعك المخصاب
قد أتـاك الجنـوب بالفتيـة الغر ... كرام الأحساب والأنساب
« ضمد » أقبلت وفى هامها الإكليل ... زاه وتزدهــى فى الرحــاب
وأتـاك الحجـاز فى بهجـة الفـوز ... تهادى نوافـــح الأطيـــاب

---

(١) أزاهير من ربوع عسير : نادى أبها الأدبى ١٤٠٠ هـ ص ٤٤/٤٨
(٢) المنهل : المحرم وصفر ١٤٠٢ هـ ــ المجلد ٤٤ ص ٨٥
(٣) المرجع السابق : ٨٧

ورأينا الرياض فى الجوف نشوى ... لاجتماع الأحبـــاب بالأحبـــاب
كلهـــا تحتفـــى بكشاف قومى ... وتنـــادى الأشبـــال فوق الهضاب
هتفـــوا بالنشيـــد عذبـــا نديـــا ... يا بلادى يهناك زيـن الشبـــاب

وألقاها الشاعر فى التجمع الكشفى بالجوف .. مهداة إلى معالى أمير منطقة الجوف الذى يسعى لتطوير الجوف .

والشاعرابراهيم مفتاح ، الفائز بالجائزة الأولى فى مسابقة الشعر لنادى جازان الأدبى عام ١٣٩٧ هـ بقصيدته « جيزان المنطقة البكر » منها(١) :

فتنـــة للعيـــون والأحـــداق ... ربـة الحسن والمعـــانى الدقـــاق
أنت يا جارة البحـــار ومـــأوى ... كل قلب مدلـــه خفـــاق
يا ابنـة الشط فى فؤادى غرام ... شاعـــرى ولهفـــة للتـــلاقى
كلمـا خلت فى الخضم شراعـا ... يتهادى ، هفـــا إلـــيك اشتيـــاق
يلثم الموج جانبيـــه هيامًـــا ... ويـــلاق من دلـــه ما يلاقى
يا عروس الجنوب ذوبنـى الوجـد ... وأمسى على ربـــاك انطـــلاق
فتذكـــرت موجـــة تلثم الشط ... وأخـــرى ترجـــى إلـــيك السواق
أرضك البكـــر انبثتنى اخضرارا ... فنما الخصب فى ذرى أعمـــاق
وغـدا فى فمـى غنـــاؤك حلـــوا ... كالأهـــازيج فى فم المشتـــاق
صبـــبت واستـــذبت وطـــافت ... بك روحـى وزاد فيك احتـــراق
يا ربـوع الجمـال هل تعذرينـى ... إن هفا الوصف لاعتـلال مذاق
فتسامـــيت فى خشوع وأطـــرقت ... وزاد الإبـــداع فى إطـــراق
يا إلـــه الوجـــود إن خيـــالى ... كلمـــا طاف فى السنـــا البراق
أذهلتـــه حقائـــق وطيـــوف ... وسوف تفنى الدهور وهـى بواق

وهناك فى ساحة الجنوب شعراء آخرون كثيرون لنا عود معهم إن شاء الله تعالى يوم أن يكون لكل منهم ديوان شعر يتردد صداه فى أسماع الزمان .



(١) مسابقة الشعر بنادى جازان الأدبى : لعام ١٣٩٧ هـ ص ٤/٣

البابُ الثالث

مَدرَسة التحَررفي التجْديْد

الفصل الأول

الخصائص الفنية لمدرسة التحرر في التجديد

١- التمييز بين (الرومانتيكية) الإبداعية وبين التحرر في التجديد .
٢- عوامل تكوين مدرسة التحرر في التجديد .
٣- الخصائص الفنية لمدرسة التحرر في التجديد .

أولا ــ التمييز بين (الرومانتيكية) الإبداعية وبين التحرر فى التجديد :

ينبغى أن نميز بين ما شاع فى العالم العربى من مذاهب أدبية حديثة وافدة من الغرب ، وخاضعة لظروف الحياة فى أوروبا ، وبين مذاهبنا الأدبية العربية الأصيلة . والخاضعة لقيمنا العربية الاسلامية العريقة .

وبناء على هذا التمييز فإننى أجد مبالغة وغلوا وإسرافا فى تطبيق (الرومانتيكية) الغربية الأوروبية على شعرنا العربى ، من بعض نقادنا العرب المعاصرين ، وهم متجاوزون فى ذلك كل التجاوز ، ولن أقول : انهم مخطئون .. ولكنهم مبالغون متجوزون إلى حد بعيد .. ولا أدل على ذلك من أن بعض الشعراء العرب ، أعتقد أنهم لم يقرأوا شيئا عن المذهب (الفلسفى الرومانتيكى) ، مثل شعراء هذه المدرسة التى نحن بصدد الحديث عنها ، فلا يمكن أن تعد شعرهم شعرا تقليديا ، ولا محافظا ، بل متحررا فى تجديده ، ومن العبث أن نطلق عليهم شعراء (رومانتيكيين) ابتداعيين وإنما يجب أن يكون الشعار الذى يرفرف على مدرستهم من الواقع الاسلامى العربى ، الذى يعيشه الانسان الشاعر العربى المسلم .

ولهذه الأسباب أطلقت على مدرستهم الفنية ، ومذهبهم الأدبى اسم (مدرسة التحرر فى التجديد) لأن مثل هؤلاء الشعراء فى أى موطن عربى وإقليم إسلامى ليسوا مقلدين ، ولا محافظين ، بل تحرروا فى الأغراض ، وفى المعانى ، وفى الأسلوب ، وفى الخيال ، وفى الصور ، وفى القالب الموسيقى ، وفى القافية ، وفى منهج القصيدة ، وفى النزوع إلى الذاتية ، وفى التغنى بالوجدان والمشاعر وفى التغنى بالأحاسيس والعاطفة الشخصية ، وغيرها مما سنراه فى خصائص مدرستهم بعد قليل .

ولتحديد التمييز بين (الرومانتيكية) ، وبين مدرسة التحرر فى التجديد ، ينبغى أن أعرض فى إيجاز طبيعة (الرومانتيكية) ، حتى تتميز مدرسة التحرر فى التجديد كما ذكرنا سلفا .

وطبيعة (الرومانتيكية) فى أوروبا قد ألحت على وجودها ظروف دافعة نابعة من واقع الحياة المرة ، التى كان يعيشها الانسان الأوروبى فى ظلال التزمت الكنسى ، والتعصب الروحى ، فقد انطوت تحت بلاط الكنيسة شتى النشاطات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والعلمية ، مما أدى إلى التحجر والجمود ، وكلاهما كانا منطلقا للثورة على الكنيسة ، وللتحرر من عبوديتها ؛ وفى ظلال ذلك نشأت (الرومانتيكية) الثائرة على الروتين الكنسى الدينى ، وعلى العقل الجامد المتزمت الخاضع لبلاط الكنيسة .

ومن هنا حملت (الرومانتيكية) مذهبا جديداً أطلق الحرية للشاعر وأفسح للمشاعر الذاتية فى نفسه ، فانطلق يتغنى بوجدانه وأحاسيسه الفردية ، هائما وراء عاطفته المستعرة .

ولهذا كانت (الرومانتيكية) ثورة على سلطان العقل ، وتمرداً على القيود القديمة (الكلاسيكية) ، لتتخطى العاطفة والوجدان والمشاعر حواجز التزمت والجمود ، الذى فرضه العقل والروتين والاحتذاء والتقليد على الواقع الانسانى حتى القرن السابع عشر الميلادى .

ومادامت (الرومانتيكية) قد تحررت من هذه القيود ، كان بالضرورة أن تتحرر من الموضوعية ، لتنطلق مع الشعر الغنائى ، الذى يعبر عن ذات الشاعر من خلال الاتجاهات العاطفية ، والقضايا الاجتماعية ، على اعتبار أن الشاعر جزء من المجتمع الذى يعيشه أو يتجاوب معه ، أو هو قطعة حية منه ، ولذلك حطم الشعراء (الرومانتيكيون) نظرية المحاكاة عند أفلاطون وأرسطو التى تعبدت (الكلاسيكية) حتى القرن السابع عشر الميلادى .

فى القرن الثامن عشر الميلادى ظهرت (الرومانتيكية) فى فرنسا ، على يد (جان جاك روسو ١٧٢٢ ــ ١٧٧٨ م) ، وفولتير ، وهيجو ، ولامرتين ، وبيرون ، (ومدام دى ستال ١٧٦٦ ــ ١٨١٧ م) ، (وشاتو بريان ١٧٦٨ ــ ١٨٤٨ م) ، وسواهم .

كانت طبيعة (الرومانتيكية) التمرد على الالتزام المتحجر بالقيود التقليدية ، والثورة على التطبيق الحرفى للقواعد الفنية (الكلاسيكية) ، لكنهم احتفظوا بروح القواعد القديمة التى تجعل الشعر فنا جميلا ممتعا ، وأدبا رائعا جذابا ، يفيض حيوية من خلال معاصرته .

ولذلك يبدو الفرق واضحا بين تحطيم القواعد والخصائص الفنية من أساسها ، بحيث لا يبقى لهاأثر مطلقا ، وبين الخروج عن الروتين الجامد فيها ، فالخروج يتيح للشاعر استعمال القواعد (الكلاسيكية) ، لكن من خلال النظرة المعاصرة ، وعن طريق التوليد لها بما يتناسب مع مقتضيات الانسان فى عصره وتطويعها لحاجاته المتجددة والمتطورة دائما ، وهو يبتغى من وراء ذلك تحقيق السعادة من داخل نفسه ، عن طريق التجرد من هموم العصر وأثقاله ، والتحرر من سلطان الواقع وكابوس الروتين ، ولو أثناء تجسيم التجربة الشعورية الذاتية فى بناء العمل الفنى ، مهما كان الوقت قصيرا فى تحقيق ذلك .

وهذه الملامح لطبيعة (الرومانتيكية) لا تلتقى فى كل الوجوه مع ما ينشأ فى الأدب العربى الحديث من مدارس ، تتشابه لها ، وإن اتفقت معها فى بعض الخصائص ، ومنها صفة الانسانية ، التى يشترك فيها كل إنسان فى العالم مهما اختلفت مشاربه واتجاهاته .

ولكن يظل الفرق واضحا من حيث الظروف ، والدواعى ، والأسلوب ، والاتجاه الأخلاقى ، والمزاج الشخصى النامى من بيئة معينة .

والاتجاه الأخلاقى النابع من قيم البيئة الأوروبية الغربية يتناقض تماما مع الاتجاه الأخلاقى النابع من البيئة العربية الاسلامية ، فالبيئة الأولى تنشد من ورائه تحقيق الذات والشهوة من خلال البناء المادى الصرف للحياة السعيدة فى تصوره القاصر والمحدود .

والبيئة الثانية تنشد من أدبها تحقيق السعادة للذات من خلال بناء الحياة المتكامل ، والمرتبط بالقيم النبيلة فى تحقيق النمو الضرورى للقوة والعزة ، ودفع التقدم للنشاط المادى اللازم فى بناء الحياة وتطورها ، ليكون ذلك وسيلة لتحقيق السعادة للانسان طوعا لأمر الله عز وجل ، واستجابة لاستخلافه فى الحياة ، وابتغاء لمرضاته فى اتخاذ الوسال والأسباب[١] .

وهذا هو جوهر الفرق بين الطبيعتين : الذاتية المادية الصرفة فى مذهب (الرومانتيكية) ، والانسانية السامية النبيلة فى (مدرسة التحرر فى التجديد) ، قال تعالى : (وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين) .

ثانيا ــ عوامل تكوين مدرسة التحرر فى التجديد :

ماجت الحياة الأدبية ، والحركة الشعرية فى المملكة العربية السعودية ، كسائر الأقطار العربية الأخرى ، وذلك من خلال المدارس الأدبية الحديثة ، وفى ظل المذاهب النقدية المعاصرة .

ومن أهمها فى العالم العربى « مدرسة الديوان » ، و « مدرسة المهجر » و « مدرسة أبولو» وغيرها من المدارس الحديثة ، التى دفعت كثيرا من الشعراء فى المملكة العربية السعودية إلى أن تسير على نهجها ، وأن تتبع طريقتها فى تناول الشعر ، وصياغته ، ونظمه ، ومضمونه ، وخياله وصوره ، وأغراضه ، وقالبه الموسيقى ، فظهر مذهب جديد فى الشعر السعودى بصفة عامة ، وفى شعر الجنوب (عسير) بصفة خاصة ، ألا وهو « مذهب التحرر فى التجديد » ، الذى يسير فى واقعنا العربى الاسلامى جنبا إلى جنب مع المذهب الابتداعى « الرومانتيكى) فى أوروبا حديثا[٢] .

---

(١) أنظر : الرومانتيكية : د . محمد غنيمى هلال ، مذاهب النقد وقضاياه : د . عبد الرحمن عثمان ١٩٧٥ مطابع الاعلانات الشرقية ، الأدب العربى الحديث ومدارسه د . محمد عبد المنعم خفاجى ، المحمدية بالأزهر ، وغيرها

(٢) انظر : الحركة الأدبية : د . بكرى شيخ أمين ، الأدب العربى الحديث ومدارسه د . محمد عبد المنعم خفاجى ، وغيرهما

وأصبح لهذا المذهب العربى الأصيل فى الأدب العربى الحديث عشاقه وشعراؤه ، وكأن واقع الشاعر فى حاضره ومعاصرته يدفعه إلى هذا الاتجاه ، ويجعله دائما يصطدم أمام المطامع العظيمة ، لتحقيق رغباته وآماله ، ويجد الشاعر نفسه أمام العقبات والسدود فيفيق من هذه الصدمة العنيفة ، ليجد نفسه أمام طريقين لا مناص منهما :

أحدهما : طريق الشكوى والحزن والألم ، والنزوع إلى الفردية ، والتغنى بالذاتية ، والشعور بالوحدة ، والإيواء إلى العزلة ، والاختلاء بالنفس ، فيأنس الشاعر إلى شعره ، الذى يعتصر هذه المآسى ، ليكون عوضا عن تحقيق رغبته نوعاً ما .

ثانيهما : الهروب إلى الطبيعة من الحياة التى تموج بصراعات الأحياء والناس ، لينسوا واقعهم المرير ، ويبثوا الشكوى إلى مظاهر الكون من جبال ووديان وأشجار وبلابل ، وسماء وكواكب ، ومياه ورياح وعواصف ، وورود وأزهار ، وأنهار وبحار ، وغابات وزروع ، وغير ذلك من مناظر الطبيعة الخلابة ، وعرصاتها الجذابة . فيتجاوب معها الشاعر فى عطف وحب وعناق ويسبح بروحه إلى ما وراءها ، ويهيم بأودية الأحلام والأوهام ، فينمى هذا الاتجاه الانطواء والعزلة ، والتشاؤم والحذر ، والطيرة والتطير .

ومن خلف هذين الطريقين يلح على الشاعر المعاصر تيار الصراع المادى الطاغى مع القيم ومقتضيات الحياة ، وحاجاتها الضرورية والكمالية ، فإن استجاب للقيم وحدها وسدد خطاه بمبادئه السامية أصبح فى نظر المعاصرين متخلفا رجعيا ، وقطعة بالية قديمة ينبغى أن تهمل وتغيب عن الوجود كما ذهبت فى الماضى ، وإن استجاب الشاعر للجانب المادى الصرف وحده ، ليجارى واقع العصر المادى المسرف فى المادية انقطعت صلة الحاضر بالماضى ، وتجردت القيم النبيلة التى يكون بها الانسان إنسانا ، وانقطعت صلة الانسان بخالقه وبارئه . وحينئذ تكون الكارثة ، وينداح الشاعر بين التيارين العنيفين فى قلق واضطراب لا يستقر على حال ، حتى تتراءى له فى غياهب الظلام سفينة النجاة من بعيد ، يمخر بها عباب الماء المتكاثف من ضباب التيارين المتعانقين : القيم والمادة ممتزجان فى توازن واتزان ، وتلاحم وانسجام ، وتلك هى فطرة الاسلام الكامل للحياة والناس ، لأنه دين ودنيا ، قيم وتشريع ، تهذيب وبناء للحياة .

ولا أدل على الاتجاه الأول المسرف فى جانب واحد فقط من قوله تعالى : « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » .

ولا أدل على الاتجاه الثانى من التوازن والاتزان من قوله تعالى : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » ، والفرق بين الآيتين كالفرق الجوهرى بين المادية المسرفة فى أوروبا والغرب وبين قيم التشريع الاسلامى فى أمة الاسلام فى الشرق .

ثالثا ــ الخصائص الفنية لمدرسة التحرر فى التجديد :

من خلال هذه العوامل وتلك الظروف ، ومن واقع طبيعة البيئة العربية الاسلامية تشكلت لهذه المدرسة خصائص فنية تدل على مذهبهم الأدبى ، تحققت فى شعرهم ، وصارت من سمات فنهم الأدبى ومميزاته ، فالشعراء ينتحون شعرهم من معينه ويصبون وابلهم من براكينه الملتهبة ، وينساب تصويرهم الشعرى من منابعه الغرارة المتدفقة ، وهذه القيم الفنية بإيجاز هى :

ـــ التعبير عن ذات الشاعر ، وتصوير أحاسيسه ومشاعره الذاتية ، والعناية بالطابع الشخصى .

ـــ شيوع الشكوى والألم ، والحزن والمرارة ، والكآبة والتشاؤم ، والعزلة والغربة .

ـــ الهروب إلى الطبيعة ، والاندماج فى مظاهرها ، وترك المدينة ، والترنم بالريف الساحر البسيط .

ـــ الدعوة إلى أدب جديد ، ينصف الطبقة المظلومة أى نوع من الظلم ، ولو ظلم النفس لذاتها ، وهذا يحتاج إلى الخيال المحلق الجموح .

ـــ التمرد على النماذج الشعرية القديمة ، بمعنى الحرية فى المنهج والموضوع والتصوير والقالب ، فليس عندهم موضوع صالح للشعر ، وآخر غير صالح ، لأن الشاعر يسجل ما يراه ، لأنه يرى ما يسجل .

ـــ تحطيم قواعد الشعر الاتباعى (الكلاسيكى) القديم والهيام بالشعر الغنائى العاطفى .

ـــ تفسير النص الشعرى مرتبطا بصاحبه الذى ابتكره ، حيث لا يتضح النص إلا بتوضيح العلاقات بينه وبين صاحبه .

ـــ الاهتمام بالوحدة الفنية ، والموضوعية ، والعضوية ، وكذلك الاتساق الموسيقى ، والانسجام فى الايقاع والنغم(١) .

ـــ الابتعاد عن الأسلوب المباشر ، والهيام بالوحى والإيحاء فى التعبير ، وبث الأضواء والظلال فى جوانب العمل الفنى .

ـــ معالجة القضايا الاجتماعية من خلال ذات الشاعر وأحاسيسه ومشاعره .

ـــ الحرص على الالتزام بالقيم الاسلامية والخلق فى الشريعة الاسلامية ، حيث يستمد التصوير الأدبى روافده من ذلك .

---

(١) انظر : الأدب الحديث ومدارسه : د . محمد عبد المنعم خفاجى ، الرومانتيكية والنقد الأدبى الحديث : د . محمد غنيمى هلال .

ـ التحرر الذى ينشده فى شهره قد ينسيه قواعد الأسلوب الصحيح فلا يستيقظ فى شعره عن أخطاء أصابته من ناحية اللغة والاستقامة والفصاحة والأسلوب والعامية ، والخروج عن الأولى كما سنرى فى مكانه .

ـ يسبر الشاعر أغوار نفسه ويعشق التأمل حول الجزئيات العميقة ، ويجعل من الحبة قبة كما يقولون .

ـ يتسم بالعالمية فى تصوير الجوانب الانسانية والقيم الفاضلة والأخلاق السامية .

هذه أهم الخصائص الفنية لمدرسة التحرر فى التجديد ، والتى سنراها مجسمة فى شعر هذه المدرسة الجديدة فى المملكة العربية السعودية بصفة عامة ، وفى شعر الجنوب (بامارة عسير) بصفة خاصة ، وفى مدرسة التحرر فى التجديد ظهر شاعران طبع شعرهما فى ديوان (فى متاهات الحياة) للشاعر أحمد على سعد عسيرى ــ صدر فى جدة عام ١٣٩٣ هـ ــ ١٩٧٣ م) ، وقدم له الشاعر الكبير محمد حسن عواد .

والشاعر الثانى أحمد بهكلى ، ظهر ديوانه الأول (الأرض ... والحب) عام (١٣٩٨ هـ ــ ١٩٧٨م) نادى جازان الأدبى ، وظهر ديوانه الثانى (طيفان ... على نقطة الصفر) عام (١٤٠٠ هـ ــ ١٩٨٠ م) النادى الأدبى بجازان .

ولازال على ساحة الجنوب شعراء ينتمون لهذه المدرسة نقرأ لهم القصيدة المرة بعد المرة ، ولم تظهر شخصيتهم من خلال شعرهم ، فلم يصدر لهم حتى الآن ديوان شعر أو انعقدت فوق رؤوسهم دراسات أدبية تحفزهم على تجسيد شعرهم فى حيز الشيوع والظهور فى المجال الأدبى والنقدى .



الفصل الثاني

الشاعر أحمد العسيري

١- نشأة الشاعر وحياته .
٢- الأغراض الأدبية وخصائصها الفنية .
٣- التصوير الشعري .
٤- التجربة الشعورية .
٥- الألفاظ والأساليب .
٦- خصائص الخيال والصور الأدبية .
٧- الموسيقى الشعرية .
٨- شاعرية العسيري في ميزان النقد .

أحمد عسيرى ــ نشأته وحياته :

الشاعر أحمد على عسيرى من مواليد قرية (آل زيدى) فى أبها ، ولد عام (١٣٦٦ هـ) ، وتوفى والده وهو فى الرابعة من عمره ، ودخل المدرسة « السعودية » بأبها عام (١٣٧٤ هـ) ، ثم انتقل إلى (مكة المكرمة) ، ودخل دار الأيتام عام (١٣٧٥ هـ) ، وفصل منها ، ثم عاد إليها ، وظل يتقلب فى المدارس ، حتى وصل إلى قسم اللغة العربية فى كلية الشريعة (بمكة المكرمة) ، ثم تركها ودخل كلية (الأمن الداخلى) عام (١٣٩٠ هـ) ، ثم تخرج برتبة ملازم ثانى ، ويعمل الآن فى شرطة (جدة) ، له ديوان شعر مطبوع (فى متاهات الحياة) ، وله كتب تحت الطبع(١) .

ومن خلال تلك النشأة والحياة التى تعتصرها المرارة والألم فى مرحلة هى أشد ما تكون إلى عطف الأم وحنان الوالد تمزقت حياة الشاعر ، فكان شعره قطعة من العلقم الذى شعر به وفاض به فى قصائده ، ليصور آلامه وآهاته ، وأحزانه وتمزقه فى إطار من القلق والحيرة والشكوى ، وذهاب الأمل ، والتيه فى غياهب السراب والضباب .

كان من وراء هذا الاتجاه الأدبى عوامل لاذعة هى التى نزفت من نشأته وحياته من أهمها :

أولا : فى الرابعة من عمره فقد والده ، مصدر العطف والحب والولاء والطاعة ، والتعاون والرعاية ، وحفاز الآمال ومحقق الرجاء ، وصدره المفتوح ، وظهره الذى يحميه ، ويدفع عنه ، فقد كل ذلك فى باكورة حياته وأخطر مرحلة يمر بها الطفل مرحلة يكون تسجيل الطفل لما حوله عن طريق إحساسه ، ومشاعره ، وعواطفه ، صادقا ودقيقا وعميقا ، لأنه مازال قريب عهد بالفطرة البريئة الصافية .

ثانيا : والفطرة البريئة الصافية فى تلك البداية المريرة تتطلع إلى الكون من حولها لتجد عوضا وتسلية وعزاء وسلوانا فتتملى من آيات الجمال على صفحة الطبيعة الساحرة ما يشغلها ، وتتجاوب معها ، هى طبيعة أبها الأخاذة ، وروعة الحياة فى الجنوب ، وجلال الكون من حولها ، ووقار الجبال الراسيات فيها ، ورقرقة المياه المنسابة والسارية فى مجاليها وابتسام الزهور لثغرها ،

---

(١) فى الديوان : فى متاهات الحياة للشاعر ، تقديم الشاعر محمد حسن عواد ، جدة عام ١٣٩٣ هـ ــ ١٩٧٣ م

وتعانق الأشجار فى غاباتها وجد فى ذلك كله عوضا وعزاء وسلوانا مما كان له الأثر الكبير فى تفجير مشاعره وشاعريته .

ثالثا : يلجأ فى مكة المكرمة إلى الحضن الدافىء للوالد الكبير راعى الأمة حيث دار الأيتام ليشعر بيد البشر الحنونة ، ونظرة الانسان الدافئة من حيث الرعاية والحفظ والتوجيه والبناء العاطفى والوجدانى ، فلما أحس بأن اليد ليست يد أبيه الوالد ، والنظرة ليس فيها دفء الأب الحقيقى فرّ من الدار وانفصل عنها ، لكنه وجد نفسه فى فراغ بلا يد ، وبلا نظرة فاضطر عائدا للمرة الثانية ، إلى يد الوالد الكبير ، ونظرة الانسان الرحيم إلى دار الأيتام ليشق حياته فى العلم والتعليم ، ويفتح صدره لقدره المحتوم .

رابعا : تدرجه فى سلم التعليم ، حتى وصل إلى قسم اللغة العربية فى كلية الشريعة ، ليخصب حقله اللغوى والأدبى من هذا الميدان التعليمى الثرى بلغته وأدبه وفكره واتجاهاته ليعينه على تنمية موهبته الشعرية ، وصقلها وتهذيبها بعد أن تفجرت من ذى قبل .

خامسا : بعد أن حدد اتجاهه فى سلم التعليم ، ومكن موهبته الشعرية من حقل اللغة والأدب ، حفزه الأمن الذى كان منذ الصغر يبحث عنه ولازال ، فالتحق بكلية (الأمن الداخلى) ليؤمن حياته ، ويشق شاعريته وهو فى ظلال لقمة العيش الكريمة ، وهى ترفرف عليه فى عزم ورجولة وتهمس فى أذنيه فيتردد صدى الهمس بين جوانحه وفى جنبات أحشائه أصبحت رجلا .. إنسانا .. شاعرا .. ضابطا .. مكافحا من أجل الانسان والقيم الفاضلة والحياة .



أولا ــ شعر الوجدان والتأمل :

هذا الغرض من شعره ينزف به وجدانه ، ويسبر به أعماق نفسه ويبحث عن ذاتها فى الضياع فى تصوير أدبى يفيض أسى وحزنا ، ويقطر ألما ودما ، يسوده القتام ، والبؤس والحرمان ، فهو يمثل حياته بصدق ودقة يقول فى « ومضة » تكشف عن موطنه فى الجنوب :

ولى فى « الأزد » عرق منه أصلى ونعمْ الجد من « شهر » النجيب
ورثت العــــزم من أهلى وأرضى سراة الأزد أم للعــــــــــريب
ولــــلانسان فى قلبـــى مكـــــان فذا الانسان يا قلبـــى حبيبـــى
ومــا فخــرى بقومـــى غير ومض ينير النـــفس للفعـــل المصيب(١)

لكن الشاعر العسيرى ترك موطنه الذى ولد فيه ، وتاه فى دروب الحياة ، التى امتلأت بالشوك والماء يقول فى قصيدته :

أيـــــن دربى فى حيـــــاتى والدجـــى غطـــى رباهـــــا
أبـــذل الجهــــد ولكـــــن ضاع جهــــــدى وتناهـــــا
مذ طوانى الدهــــر طيـــــا مذ رمــــــانى بشظاهـــــا
وبحثنـــــا عن طريـــــــق يمنـــح النـــفس مناهـــــا
فرأيت الــــــــــدرب شوكا وضياعـــــا ومتاهـــــــا(٢)

وتاه فى الحياة من طول الضياع ، فهو يخرج من متاهة إلى أخرى ، وأجمل حلم يراه هو انتباهته بقدر ما يميز بين درب ودرب ، وفى متاهاته تهديه الحياة الضياع ، يقول فى (آه من طول الضياع) :

---

(١) فى متاهات الحياة : ١٩
(٢) الديوان : ٢٠

كم رأينـــا الليـــل فجـــرا ... وأمانينـــــــا قريبـــــــه
فإذا بالفجـــــــر ليـــــــل ... إن ذى الدنيـــا عجيبـــه
كم مشينـــــا لا نبـــــالى ... أى حزن أو مصيبـــــــه
فإذا بالحزن بحر ... ضعت فى (لج) رهيبـــه
ورأيت الـــــــدرب ماء ... وأرانى فى صراع
كلمــــــــا غيرت دربى ... واجـــــهت نفسى متاهـــه
أجمل الأحـــــــلام فى ... قلبى وفى فكـرى انتباهـــه
وإذا بالدهـــــــــر يهدى ... وجهتـــى نحو الضيـــــاع[1]

يغوص الشاعر فى أعماق الضياع ، وهو يخبط فى متاهات الحياة ، فإذا خواطره الانسانية فى دموع ، يذرفها على انسانيته المهدورة ، لكنه من خلال الشعر الوجدانى المحموم تتجسد روح الاسلام العادلة التى ترد كيد الظالمين للضعفاء والمظلومين فيرفع يديه إلى السماء فى سكون الليل البهيم ، فيتردد الدعاء فى جنبات السماء ، فترتد صاعقة توقظ الحائرين والمعتدين ، وكيف يدعو الانسان على أخيه الانسان بالزوال والموت ، فصفة القربى الانسانية ميثاق وأواصر بين البشرية جمعاء لا تفرق بين انسان وآخر ، فلماذا العنصرية ..؟! وإنها العنجهية !!!وإنها الصراع ، والتحطيم والموت والضياع ، فلماذا لا تزرع المحبة !؟ فيعى الانسان دربه .. يصور هذه المعانى وأكثر فى مشاعر متدفقة وعاطفة مشبوبة وتجربة شعرية صادقة ، كابدها الشاعر عن كثب ، ووجدان ملتهب تؤججه القيم الانسانية المهدورة فى عصر الماديات المسرفة ، والتيه والقلق والضياع فى قصيدته (خواطر إنسان تائه) :

أيها الانسان لا تطغ عليا
إن ظُلمى قوة ملك يديا
دعوة فى الليل لا تبقيك حيا
لا تلمنـى إن دعـــوت
فتـــــــــــزول وتموت

عصرنا يسعى ولكن للخطر
يا أخى إياك أن تورى الشرر
يا أخى إياك تفنى البشر
أنت منهم وأنــــــــــا
آدم جد لنـــــــــا
فلنقـــــدس جدنـــــا

---

(١) فى متاهات الحياة : ٢١/٢٢

إن فى القربى لميثاق أواصر
فاغتنمها فرصة إن كنت قادر
لا تفرق بين إنسان وآخر

ولماذا العنصريـــــــــة !!؟
إنها العنجهيـــــــــة !!!

أيها الانسان ماذا فى الصراع
غير تحطيم وموت أو ضياع
حبذا لو ضمنا درب اجتماع

نزرع الأرض محبـــــــة
فيعـــى الانسان دربـــه(١)

تجديد فى الايقاع والوزن الموسيقى ، وإن كان يسير على نظام (المقطعات) ، التى تتغير فى الحجم والشكل والقافية ، لكن الانسانية لا تتغير ، مهما اختلفت العنصرية ، فهو شاعر ، وإنسان ، وفوق هذا (مسلم عربى) لا يفرق دينه بين إنسان وآخر ، وذلك فى قصيدته (عربى) يقول :

من أنا ؟ من ضاع بين الدروب !؟
لا يرى غير ظلال من غروب
ضاع دربى بين آمـــال تذوب
من أنا يا زورق الأحـــداث من ؟
تائـــه فى عصره يشكـــو المحن
عربى أبى ضاع فى طى الزمن !!(٢)

لكنه عاش فى « الواقع الأليم والمركب التائه » :

لقـــد غبت عن عالمى برهـــة أناجـــى خيـــالى وأشدو حزيـــن
أعلـــــــــل نفسى بإشراقة تضىء دربى فأنسى الأنين

(١) فى متاهات الحياة : ٣١/٣٤
(٢) فى متاهات الحياة : ٤٦

ففـى واقعـى كما أرى تائهـا   وإنى أنـا أول التائـهين
أقـلب طرفى وبى لهفـة   إلى عالم فيـه يحيـا اليـقين

* * *

شربت الحيـاة بأكـوابها   فما ذقت فيها سوى دمعتـى
وغنـيت فيها بقيثـارتى   فذابت على نغمتـى مهجتـى
تأمـلت فيها جمال الوجـود   فتهت على مركب الحيرة
أجـوب البـلاد ومـا أهتـدى   وهـذا الضيـاع على صورتى

* * *

أقـلب طرفى لعلى أرى   طريـق يقين يزيـل الظنـون
ولكـن طرفى به حيرة   من النـاس حتـى نفيت اليقين

وهكذا إلى آخر القصيدة يصور نفسه فى مركب تائه من الألم ، ينتهى به إلى الضياع ، وقلبه يسيل أسى من الحياة التى تذيب الحياة :

فهـذى الحيـاة تذيب الحيـاة   وهـذا فؤادى فيها يسيـل[1]

لكن الشاعر الملهم ، هو الذى يجد فى قيثارة الشعر العزاء الذى ينسيه همومه ، والدواء الذى يخفف آلام الحياة يقول الشاعر فى (قيثارة) :

قيثارتى تشدو ودهرى يسمع
قيثارتى ثكلى وأم ترضع
تبكى الصبا يمضى فلا يسترجع
وترضع الأحلام من ثدى الألم

قيثارتى لحن وأوتار هزيلـه
ناجيتها هات فقالت لى عليله
الحزن يدمينى وأوتارى ذليله

قيثارتى شعرى وعمر كالوتر
قيثارتى الثكلى وعمرى المنتحر[2]

---

(١) الديوان : ٦٣/٥٧

(٢) فى متاهات الحياة : ٦٩

وهكذا صارت حياته بؤسا وشقاء ، وحزنا وآلاما ، وشكوى وتضعضعا ، واسرافا في اطلاق المشاعر ، وطُغيانا فى الوجدان لكن انسان من البشر يعيش مع الناس فى هذا القرن له « حق الانسانية »(١) ، وأمام ظلم البشر للانسان ، هل يستجيب له القدر ، وتحضنه الحياة ، ويحنو عليه الدهر ، وذلك فى قصيدته « لو يسمح القدر »(٢) ، بعد أن اعتصرته مرارة البؤس والشقاء فى قصيدته « حياة فى القرن العشرين »(٣) .

هذا هو شعر الوجدان بسماته وخصائصه التى جعلته غرضا شعريا متميزا فى شعر العسيرى فهذا الغرض يعبر بصدق ودقة عن حياة الشاعر ، فالوجدان فيه هى حياته والشعر الصادق هو الذى يرسم فيه الوجدان حياة صاحبه فى شعر محموم وعاطفة جياشة ، ومشاعر رقيقة وتصوير أدبى رائع .

إن شعر الوجدان فى شعر العسيرى يؤرخ للشاعر حياته المريرة وعلاقاته بالناس من حوله ، وموقعه فى دنياه .. دنيا القرن العشرين .

ثانيا ــ الشعر الاسلامى :

والشعر الاسلامى هو أكثر شعر العسيرى بعد الشعر الوجدانى ، ويغلب عليه الجانب الانسانى العالمى ، فالاسلام دين عالمى عام لكل البشرية قال تعالى : (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا)(٤) ، وقال تعالى : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)(٥) .

وفى عام ١٩٤٨ م أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة حقوق الانسان العالمية ، حينئذ ذكر الدكتور عثمان خليل(٦) أن الاسلام منذ خمسة عشر قرنا ، أقر هذه الحقوق العالمية للانسان ، مثل المساواة ، وتحقيق الحريات فى التملك والعقيدة والعمل والمحافظة على الحرمات ... وهذه المبادىء الاسلامية هى التى جعلت الدين الاسلامى ينشر سماحته شرقا وغربا بلا إكراه ، وبمجهود ضئيل ، وبغير دعوة مطلقا .

---

(١) الديوان : ٧٠
(٢) الديوان : ٧٢
(٣) الديوان : ٩٣
(٤) سورة سبأ : آية ٢٨
(٥) سورة الأنبياء : آية ١٠٧
(٦) الديمقراطية الاسلامية : ٥٦/٣٥ القاهرة ١٩٥٨ م

ويقر بعالمية الدين الاسلامى وانسانيته المستشرق توماس أرنولد فيرى : (ان فى هذه اللحظات التى تطرق فيها الضعف السياسى إلى قوة الاسلام ، ترى أنه حقق بعض غزواته الروحية الرائعة ، فالأتراك السلاجقة والمغول كانوا فاتحين غالبين ، ومع ذلك اعتنقوا ديانة المغلوبين ، وهو دين الاسلام)[1] .

وأحمد العسيرى فى شعره الاسلامى خرج به إلى تلك الآفاق الانسانية ، التى دعا من أجلها الاسلام ، وهذا الجانب الانسانى العالمى لاقى هوى من نفسه ، التى تلهث بالآهات والأحزان والآلام من كيد الظالمين المعتدين ، الذين اعتدوا على كرامة الانسان وحقه وحريته فى أى موقع من أرجاء المعمورة ، يصور مشاعره هذه فى قصيدة (الدنيا ص ٣٥ — ٣٦) ، وقصيدة (يا عالمى ص ٣٧ ، ٣٩) ، وقصيدة (العاصفة ص ٤٩ ، ٥٢) ، وقصيدة (حديث مع الزهرة ص ٦٤ ، ٦٧) ، وقصيدة (إنسانية ص ٧٢ ، ٧٨) ، وقصيدة (إلى أعدائى ص ٨٦ ، ٩٢) ، وقصيدة (نكسة أخرى ص ٤٧ ، ٤٨) بمناسبة نكسة حزيران المشئومة .

والعسيرى يصرح فى وجه العالم بقصيدته (يا عالمى) ويقول مقدما لها : (فى الهند مجاعة ، وفى فيتنام النار ، وفى فلسطين الطغيان ، وفى نيجيريا الانقسام ، وفى اليمن مجازر ، وفى كل ركن من أركان الدنيا جائعة) ، وينفث آهاته وأحزانه على ظلم الظالم للانسان فيقول فى هذه القصيدة :

ياعالمى إنى هنا أبكى المصير
ألا ترون
دمعا مراقا ثم جوع والفقير
أو ترحمون
فقر طغى — ظلم — وحرب — وشرر
أو تنكرون
فى كل أرض صرخة هل من مجير
لم تضحكون؟؟
عقائد قد ألهبت هذا السعير
فستندمون

* * *

---

(١) الدعوة إلى الاسلام : توماس ارنولد ص ٢٦ النهضة المصرية ١٩٥٧ م

(الله أكبر) قلتها والأمـــر شر
في ذى الحياه
(الله أكبر) قد طغى أمر البشر
وبلا أناه
(الله أكبر) دق ناقوس الخطر
أين النجاه
(الله أكبر) صرخة فيها العبر
مما نراه
(الله أكبر) ذا وجود ينتحـــر
هل من صلاه ؟
ذا عالم يسعى بعزم مستمـــر
وبلا اتجاه

* * *

يا رب انى تائـــه بين الـــدروب
أين الطريق ؟
ذا عالمى يسعى ولكـن للغروب
بعد الشروق
يا رب صدرى الرحب قد ملّ الكروب
عافى البريق
رباه عالمنا غريـق فى الذنـــوب
وفى المروق
فقنابـــل ذريـــة أيـــن الهروب ؟؟
وهل نطيق ؟
للكيمياء خنقه .. لا .. لا هروب
ضاع الطريق

* * *

كم دمعة فرشت بساطا من عذاب ؟؟
كم من جريح ؟
كم صرخة خارت فماتت فى التراب ؟؟
كى تستريح
كم شهقة .. كم أنّة تشكو العذاب ؟؟
كم من طريح ؟[1]

وهذا الاتجاه الاسلامى الانسانى العالمى نجده فى شعره الاسلامى من قصيدته (حديث مع الزهرة) :

إنى على شك من الـــــقيم	أوحتــه أحــداث على عظـــم
فى العـــالم الأرضي ملحمـــة	فى القـدس فى الأردن فى الهرم
فى الشرق جزار ومـــــذبحة	فى الغرب تأييـد من النظـــم
فى كل يوم من الدنيا حدث	والعـرب تلهـو من ذرى الوهـــم
قضيت فى هم وفى حزن	أرعـــى نجوم الليـــل لم أنـم
نادتنـــى الزهـــراء قائلـــة	مالى أراكم رؤيـــة العـــدم

إلى قولـه :

ما كنت أرضى بالهوان ولا	أرضى ولا شعب من الأمم
فأجبت يا حسنـــاء قد غربت	شمس وآبت موجـــة الظلـــم
ابك معـــى قومـــى وعزهـــم	ذل أصاب العرب فى الهمـــم

إلى قولـه :

قالت لى الزهـــراء لائمـــة	نصركم بالدمـــع والكلـــم
المدفـــع الهدار يكسبكـــم	نصرا وليست هيئـــة الأمم
إن رمت حقـــا إن مكمنـــه	فى القـوة الهوجـاء فى الحمـــم
دبابـــة الميـــدان هى سنـــد	والمدفـع الغضبـــان فى القمـــم

(١) فى متاهات الحياة : ٣٩/٣٧

والـطير في الأجـواء حائمـة تبقـى جموع الجيش كالـرمم
ما مات حق أنت تطلبـه بالفعـل لا بالقـول والحلـم(١)

ويتضح أيضا هذا الاتجاه الانسانى العالمى فى شعره الاسلامى ، الذى يغلب عليه مذهبه الشعرى من التحرر فى التجديد ، وما يتسم به شعره من الوجدان الثائر المحموم الذى يعصف بأعداء الانسان فى أى مكان ، وذلك فى قصيدته (إنسانية) ويقول فى تقديمها : (عندما يعيش الانسان بين مجموعة من البشر .. أحد أفرادها يضر به ، وأحدهم يغصب أرضه ، وثالثهم يحكم عليه بالأمر الواقع .. عندما يعيش الانسان هذا الواقع المرير ، ينظر يمنة ويسرة .. يتذكر الماضى ، ويمقت الحاضر ، ويتشاءم من المستقبل .. رغم(٢) أننا فى عصر علمى) ومطلعها :

أنـا الانسان فى الأرض أرانى الفـانى المعـدمْ
فعلمـى بات يرمينـى إلى جهـل مما أعلـم

إلى قولـه :

ودمعـى موجـة حرَّى لأنى كنت فى المأتم
أنـا الانسان فى الأرض أرانى الفـانى المعـدم
فنـفسى سوف أنـعيها وأنعـى أمـة توصم
وأنعـى أمـة كانت تقـود الأرض لا تهزم

إلى قولـه :

تردت فى متاهـات من اللـذات كى تنعـم
ولا زالت على حال تثير الحزن فى المسلـم
ألا تبـا لانسان يميت الـروح فى المأتم
أيهوى لذة الدنيـا ويعصى شرعـه الأعظـم(٣)

---

(١) الديوان : ٦٤/٦٧
(٢) رغم : والصواب على الرغم من ...
(٣) فى متاهات الحياة : ٧٢/٧٨

ثالثا ــ الرثــاء :

وهذا الغرض لا تجده إلا فى قصيدة واحدة من ديوانه ويخرج فيها الشاعر على النمط التقليدى المعروف فى الرثاء القديم من ذكر مآثر المرثي ومحامده ، التى اتصف بها فى الماضى ، وبذ أقرانه فيها ، بل مضى الشاعر فى هذا الغرض يسير على مذهبه الشعرى الوجدانى الابداعى من التغنى بأحزانه وآلامه ، ويسكب دموعه وعبراته من وجدانه على نفسه ، ثم يتأمل حقيقة الحياة فى تيه وحيرة يقول فى قصيدته (دموع الحياة) ويهديها إلى روح الملازم عمر سلطان الطجل :

أتـانى يقــول فقدنــا الصديــق   فقدنـا الخطيب فقدنا (عمـر)
تأمــلت ما قالـــــه فى خشوع   وغـامت ظنــونى وحــار النظــر

ثم يدير العسيرى حوارا بينه وبين الحياة فى ثوب قاتم حزين ليقف من خلال الحوار على حقيقة الحياة والموت ، والشك واليقين والناس يركبون زورق الحياة ، يسيرون فى ظلام دامس ، فمنهم من ضل ، وارتدى لباس الرياء ، وطوى قلبه عذاب الحياة ، فيرسو زورقه فى سقر ، وطوبى لزورق أعطى راكبه حق الحياة ، وحق الآخرة معا ، وخشى الله وشكره ، يقول :

أرى فى الوجـود دمـوع الحيــاة   تسيـــل على خدهـــا تحتضر
فتحفـر فى الخد جرحـا عميقـا   عليـــه أرى قوة المقتـــدر
فأهمس للنـــفس فى رهبـــة   أراك تمجين هذا الأثــــــر
فقــالت : أراك تقــول الحقيقــة   إن الحقيقـــة شيء أمــــر
أمــرُّ من الموت لو تعلمـــون   وأسمى طبائـــع من يقتـــدر
أتسمـــح للفكـــر فى رحلـــة   تجوب المعـــانى وتملى الــــعبر
فقــلت : المعـــانى فى عصرنـــا   عليها من الشك ثوب ستـــر
ففى الشك بحث كذا وفى اليقين   علـــوم يجادل فيها الـــبشر
رأيت الحيـــــــاة لها مركب   عليــه من الشك زاد السفـــر
فمـــا تتمنـــاه من غايـــة   فعمـــا قليـــل تراهـــا تضر
نعـــيش الحيــــاة على زورق   يسير بنـــا فى ظلام فغــــر
ومـــرساه صعب لمن يرتـــدى   لبــاس الريــاء وقلبـــا فجـــر
فوارحمتـــــــــاه لمن قد حوى   عذاب الحيـــاة ويلقـــى سقــــر
وطـــوبى لمرء رأى فى الحيـــاة   سرورا يزول فهـــاب الأخـــر
وعـاش يغنـــى لما فى الوجـــود   ويشكـــر ربى على ما أمــــر

وأقصى ما يذكره العسيرى من ثناء على الراحل ، أنه فقد فيه الشباب الناضر ، وفقد فى نفسه المعانى لمن يبتغيها منه ، فهو فى حيرة من أمره ، فقد سيق الصديق المرحوم إلى رمسه فى

رهبة وخفوت وأسدلوا عليه الستار ، وغطوه بالتراب ، وعاد المشيعون فى حيارى لا من صديقه ، ولكن الحيرة كل الحيرة من حقيقة الحياة والموت التى أعقبت حسرة فى نفس الشاعر ، وقرحت جرحا على خده ، وعشى عنها البصر ، وترددت أصداء الحيرة فى الوجود ، لتقرر أن الانسان عاجز عن فهم الحقيقة التى لا يدركها إلا الله وحده سبحانه وتعالى ، خالق الوجود « يحى ويميت وهو على كل شىء قدير » والدموع والتسليم هما الأمل الذى يبدد الحيرة والشك ، والرضا بالقضاء والقدر هو تسبيح العاجز أمام جبروت القوى القادر ، وحلاوة العلقم فى الحتم صلاة الضعيف أمام الخالق العليم ، فالأول والآخر والظاهر والباطن هو وحده يعلم حقيقة الوجود ...
يقول العسيرى :

أتانى يقـول فقدنـا الصديـق ... فقـلت فقدنـا شـبابا نضر
فقـدت المعـانى من فقـده ... فمـاذا أقـول لمن ينتظـر
شعورى إذا ما فقدت الصديـق ... وساقـوه فى رهبـة للحفـر
وغطـوه التـراب فى رمسه ... وعدنا حيارى ولا من (عمر)
فمـاذا أقـول وبى حسرة ... تقـرح خدى وتـعشى الـبصر
أرى فى الوجـود دموع الحيـاة ... وألمح فيها دبـيب القـدر
وينعتق فى الركب صوت الأفول ... فيرسم فى الكون شتـى الصور
وفى الرسم روح تسوق الحيـاة ... إلى حكمـة حار فيها النظـر
ويحفر فى الفكـر هذا الغموض ... صلاة الضعيـف أمـام الخطـر(١)



(١) فى متاهات الحياة : أحمد العسيرى

رابعا ــ الهجــاء :

(وفى متاهات الحياة) نجد قصيدة واحدة من هذا الغرض الأدبى بعنوان (الغرّ) ، وسار فيها الشاعر على نمط جديد أيضا ، لا يتبع فيه منهج الشعر القديم فى الهجاء من السباب والقبح ، والفحش فى القول ، والوصف البذىء وغير ذلك مما هو معروف فى هجاء الهجائين القدامى .

لكن العسيرى يرى فيمن هجاه ، أنه غر جاهل ، وأن نور العلم سيقذف به فى التيه والأوهام ، وحينما يصطدم بالحق يتمادى فى السخط ، وتعتصر مقلتاه بالشر ، فهو يقطع عمره لا فى بناء الحياة وتقدمها ، ولا يتم ذلك إلا بوحدة الجماعة واعتصامها ،لكنه يفنى جسده لهدمها ، فيزرع البؤس والذل ليحصد شقاءه وآلامه .

وينبغى أن يعلم الجميع أن مثل هذا الغر الجاهل والأحمق سيتحطم فى زوايا الحقد ، ويتمطى فى ثياب السخط ، وتنزف عيناه بالشر واللهب ، فهو عليل الفكر ، ينهش عرض الجار ، ويظلم العقلاء المخلصين بزهوه وخيلائه يقول فى مطلعها :

هزيم اللـــــذة الغـــــاوى موات	يصيب النـاس إن أبقـوا عليـــه
وينخـــر فى تلافيـــف الحيـــارى	ويحلـــم أن قيـــدى فى يديـــه
وقيـــدى عزة تصبـــــو إلينــــا	سمت فينـــا ومـــا كانت لديـــه
وفكـــرى سوف يحمينـــى بنـــور	يذيب الغـــر فى حلـــم وتيـــه
وقيـــد الحق أوهـــى كل قيـــد	رءوف المس إن سقنـــا إليـــــه
ومـــا فى الباطـــل المجنـــون عز	وعـــز الحق أن تدنى بنيـــــه
هزيم اللـــــذة الغـــــاوى رآنى	أقـــول الحق فيمـــــا ينتويـــــه
تمادى فى ثيـاب السخـط حتـى	رأيت الشر فى مقلتيـــــــــــــه
وأملى فكـــره المغـــــرور غيـــــا	تعـــالى فى كرامـــــاتى بفيـــــه
أأجنــــــى جذوة من كل قول	ترم الجسم يا ويـــــل النبيـــــه

★ ★ ★

يهد العمـر كى ينـــى حيـــاة	تشل البــؤس أو تقضى عليـــه
ويحفـر فى قلـوب النـاس نبعـــا	رحيق العـدل يسقـــى شاطئيـــه
فيقبر فى تراب الـــذل أجـــراً	ويسعـــى رغبـــة الغـــر السفيـــه
أجيل الطـرف فى ركب الحيارى	يمر الـــــــدرب لا يدرى بتيهى
سوى الانسان والانسان وصف	توارى فى متاهـــــات النزيـــــه
ويرفـــع صوتـــه الحيران يشكـــو	فتسمـــع قصتـــى من أصغريـــه

سأسمع للورى ... للناس قولي	وعز الحق أن تدنى بنيه
وأترك فى زوايا الحقد غراً	رآنى أرشد الدنيا إليه
تمطى فى ثياب السخط حتى	رأيت الشر يدمى مقلتيه
عليل الفكر كالمسموم يلهو	بعرض الجار أو ظلم النبيه(١)

وهذا الهجاء هو الذى ينبغى أن يتخذه الشعر غرضا أدبيا ، فهو يهذب الشعور وينمى الذوق ، فهو هجاء يبنى فى الناس أخلاقا ، ويشيد فيهم الفضائل النبيلة عن طريق واضح وتصوير مباشر ، ويحقر فيهم الرذائل لا كما فى (أزهار الشر) لبودلير فهو يزين الشر فى تصوير جميل أخاذ ليصرف الناس عنه بطريق غير مباشر كما يدعون .

وهذا النمط من الهجاء يدفع بصراحة وقوة إلى قول الحق والتصدى للباطل ، ويرغب فى العلم ،وينفر من الجهل ، ويصور الغر الأحمق فى أقبح صورة يتوقاها الانسان فى أى اتجاه ويحذرها فى كل خطوة ، ويخشى على نفسه منها فى كل حين ، لأن العلم والحق والنور ، هو الذى يبنى الحياة ويرفع الذكر ، ويمضى أهله مع الخالدين .

ومما يجعل هذا النمط من الهجاء هو بغية الشاعر النابه والجاد فى شعره ، هو أن يظل خالدا بهذا الغرض الأدبى الذى يسمو به فى سماء الأدب الرفيع والشعر السامى ، ويربأ عما اتصف به هذا الغرض قديما من السباب والفحش ، والتدمير والهدم لأشخاص بعينهم ، أخملهم الشعر القديم ، وذهب بهم مع أهل السباب والفحش ، وربما يكون المهجو بريئا مما نسب إليه قد تحامل عليه الشاعر لحاجة فى نفسه ، عند ذلك يكون الهدم والتدمير .

لكن هذا النمط من الهجاء للعسيرى يسمو بالغرض الأدبى للمعالى والبناء السامى ، لأن الشاعر شغله تمجيد القيم السابقة عند ذكر الشخص المهجو أو التلميح إليه ، مما جعل القصيدة تدور حول القيم النبيلة ، التى ينبغى أن يترسم خطاها الغر والجاهل والأحمق لتزول منه الصفات الذميمة من الجهل والحماقة والغرور بذلك يكون قد رسم منهجا جديدا للهجاء فى الشعر السعودى عامة وفى شعر الجنوب العسيرى خاصة .



---

(١) الديوان : ٨٣/٨٥

التصـوير الشـعرى

والتصوير الشعرى عند العسيرى ، يغرينا بالحديث عن تجربته الشعورية ومدى صدقها الفنى ، وعن ألفاظه وأساليبه ، وعن الخيال وصوره الأدبية ، وفى النهاية عن الايقاع الموسيقى ، وموسيقاه الشعرية : الوزن والقافية .

ذلك كله من خلال النقد العربى الأصيل ، وذوق الناقد الذى هزه شعر الشاعر وتصويره الأدبى الرائع .

أولا ــ التجربة الشعورية عند العسيرى :

لو أدار القارىء عينيه وقلبه ليعيش (فى متاهات الحياة) مع العسيرى فى تجربة الانسان الشاعر ، الذى عانى مرارة الحرمان فى تجربة حياته الواقعية ، وهو يتلظى بنار الوجد فيها ، ويصطلى بوهج السعير المحرق .

عانى الشاعر تجربته فى التصوير الشعرى معاناة أليمة مريرة ، أخذته من الوجود حوله ، ليتمدد داخل وجدانه ، ومشاعره الذاتية ولذلك لم ير غير ذات الانسان حقيقة فى الكون ، تفجر شعرا من أجلها ولها ، حتى فى لحظات المجاملة إذا رثى صديقا ، يلوى عنقه عن الصديق ليصور النفس والذات ، وينسى أنه يرثى صديقا حبيبا إليه ، لكنه فى الحقيقة أنه يرثى نفسه وذاته لأنها هى أقرب الأشياء إليه وهى أصدق فى التعبير عن نفس كل إنسان ، وهذا هو الصدق الفنى عمود التجربة الشعرية الصادقة الجيدة الشاعرة يقول :

فقــــدت المعـــانى من فقــــده   فمـــاذا أقــــول لمن ينتظــــر

أو تجربة الهجاء ، التى ينصب فيها الهجاء على الشخص المهجو المغرور ، ينعتق الشاعر من ذلك الجسد الموجود والواقع أمام أنظار الناس ، ويتمدد فى حنايا نفسه ، ويغوص فى أعماق تجربته ليصورها فى تجربة شعرية ذاتية تتنزى ألما ومرارة يقول :

وأملى فكـــره المغـــــرور غيــــا   تعـــالى فى كرامـــــاتى بفيـــــه
أأجنـــــى جذوة من كل قول   ترم الجسم يا ويــــــل النبيـــــه

والواقع أن ديوان الشاعر كله وخاصة ما يتصل بالشعر الوجدانى ، يعد تجربة شعورية

لحياة العسيرى المتكاملة الأجزاء يصورها الشعر فى الديوان بجميع أبعادها فى دقة شاملة ، وصدق فنى ، تتلاءم فيه كل المعانى والأفكار والمشاعر والأحاسيس مع الأخيلة والصور ، والألفاظ والأساليب يقول :

أبث شعورى للسكون لعله ... يهيم بأشعارى فهام وربما
فيالك من صمت أذعت مشاعرى ... لقد كنت يا صمتى سميعاً وملهما
وما قلت شعرى رغبة فى ترحم ... ولكن نفسى قد أباحت ببعض ما
فلا تعجبوا فالحزن محراب نجوتى ... ضحكى دعاء والبكاء تكلما(١)

والتجربة الشعورية عنده صادقة محمومة ببركان متفجر من مرارة الحياة ، وظلام الحزن ، وحميم الشر ، الذى يصيب من كأس النعيم ، ليزداد جوى على جوى ، وحسرة على لوعة ، فلا يذوق منه إلا الدموع يقول العسيرى فى واقعه الأليم ومركبه التائه :

شربت الحياة بأكوابها ... فما ذقت فيها سوى دمعتى
وغنيت فيها بقيثارتى ... فذابت على نغمتى مهجتى
تأملت فيها جمال الوجود ... فتهت على مركب الحيرة
أجوب البلاد وما أهتدى ... وهذا الضياع على صورتى
ظلام الحزن أشقانى وأعيا ... أأبقى فى ظلام الحزن حيا
يصب الشر من كأس النعيم ... لأنى عشت فى عصر الجحيم(٢)

ولقد عبر العسيرى عن صدق هذه التجربة فى شعره ، فى الاهداء الذى قدم به ديوانه يقول فيه :

إلى الانسان الذى يشق طريقه فى الحياة بعصاميته
إلى كل انسان ذاق مرارة الحرمان أو ضاع فى متاهات الحياة(٣)

ويقول :

فأذيب الحزن شعراً ... مدَّ للاحساس عذراً(٤)

---

(١) فى متاهات الحياة : ٤١/٤٣
(٢) الديوان : ٥٨
(٣) الديوان : ١٧
(٤) الديوان : ٢٧

ثانيا ــ الألفاظ والأساليب :

لا ينبغى فى التصور عقد التلازم بين الصنعة الشعرية الفائقة وبين الدرجة العالية (الأكاديمية) فى التعليم ، وتجربة البارودى رائد البعث الأدبى والشعرى فى العالم العربى حديثا هى الدليل الواقعى فقد تتلمذ على دواوين الفحول من الشعراء القدامى فقط لا فى جامعة متخصصة .

فالشاعر العسيرى التحق بكلية الشريعة قسم اللغة العربية فى مكة المكرمة لسنة واحدة فقط وتركها ليلتحق بكلية (قوى الأمن الداخلى) فى ١٣٩٠/٣/١٢ هـ ليعمل بعد ذلك فى شرطة (جدة) وقدم لنا هذا الديوان لكى ينفى من التصور هذا التلازم فالموهبة الشعرية لا تحتاج إلى (أكاديمية) التعليم ، حتى يحصل الشاعر على الشهادة العالية فى اللغة العربية وآدابها ، ولكن الالهام الشعرى حقله الخصب هو اللغة العربية وآدابها ، فالشاعر هو الذى يدرك أسرار اللغة ، ويحس بالهامه العلاقات بين ألفاظها ومعانيها ، وخاصة إذا كان مثل الشاعر العسيرى ، الذى عاش فى حقول اللغة العربية وموطنها الأصيل ، حيث تلقاها بفطرته السليمة ، من ذوى الفطر الصافية حوله ، فقد ازدهرت بين حقولهم اللغة العربية ، لذلك لا تعجب أن يظل الشاعر مفطورا على ما اشتهر بين قومه وعشيرته من لهجة ، تمكنت من ألسنتهم بالسليقة ، وما زالت بين أهل الجنوب حتى يومنا هذا ، وهى :

أن ينطقوا الظاء ضاداً وبالعكس ، ويكتبوها كذلك فى كتاباتهم وهذا ما عبر عنه العسيرى فى قوله :

ضل يبكـــــــــــى فى خشوع هل ستنجيه الدموع(١)

والمشهور فى لغة القرآن الكريم « ظل » .

والألفاظ والأساليب عند الشاعر لا تجد فيها لفظا سوقيا ولا عاميا ، بل تمتاز بالرقة والعذوبة والجزالة والوضوح ، والشفافية عن معناها ، كما تجد الأساليب محكمة غير قلقة فى مكانها ، متلاحمة النسج بلا اضطراب .

والألفاظ والأساليب تتلاءم مع المعانى والأغراض فى شعره فقصيدته (دموع الحياة) يتلاءم النظم فيها مع الغرض فى نسج من الألفاظ الدامية الجريحة ، التى تعبر عن قوة جبروت القادر :

---

(١) فى متاهات الحياة : ٢٩

أرى فى الوجود دموع الحياة تسيل على خدها تحتضر
فتحفر فى الخد جرحا عميقا عليه أرى قوة المقتدر[(١)]

والنظم القوى فى (الأحلام المنحورة) متلاحم ومتآخٍ لما يحمل من معان وألفاظ : التبديد ، والغيم ، والوهم ، والمسارب ، وانتحار الصدر ، والرجم بالحزن ، والمتاهة ، والقيظ ، والبؤس والسقم وحصد الخسران ، وغيرها مما يتلاءم مع الأحلام المنحورة إلى آخر القصيدة :

يبدد الدهر أحلامى مع الغيم وينثر العمر فى داء وفى وهم[(٢)]
وينحر الصبر فى نفسى فيرجمنى بالحزن ما عشت لا يسهو عن الرجم

لكن الشاعر فى قصيدة (العاصفة) يضطره الوزن أن يخطىء فى إعراب الكلمة وذلك فى قوله :

للقدس الحزين
عشرون عام

ويكرر الخطأ فيقول فى نفس القصيدة :

عشرون عام
والقدس فى القيود[(٣)]



---

(١) الديوان : ٧٩
(٢) الديوان : ٩٦
(٣) الديوان : ص ٥٠/٥١

ثالثا ــ خصائص الخيال والصور :

والخيال فى شعر العسيرى خصب متجدد ، يتفجر من خلال عاطفة قوية متدفقة ، تحرك المعانى والجمادات ، فتجعل منها شخوصا تحيا وتتحرك ، لذلك فقد غلب التشخيص على صوره الخيالية فيبعث فى الشوق (وهو معنى مجرد) الحياة ، فيصير شخصا ، فالشوق يذوى ويروى ويدمى المهج ، يقول فى قصيدة (شوق) :

الشوق يذوينى ويروينى اللقاء والوصل للأرواح برؤ وشفاء
رباه هذا الشوق يدمى مهجتى واللوعة الحرّى على قلبى عناء[1]

وتدب الحياة فى أحشاء قيثارته ، وتسرى الروح فى جوانبها ، وهى جماد لا يحس ، وآلة لا تئن ولا تتألم ، فيجعل الشاعر منهما إنسانا يخاطبه ، وشخصا يتجاوب معه ، فتشاركه آلامه وأحلامه وتستجيب أوتارها لآهاته وأحزانه ، يقول لها مخاطبا :

قيثارتى تشدو ودهرى يسمع
قيثارتى ثكلى وأم ترضع
تبكى الصبا يمضى فلا يسترجع
وترضع الأحلام من ثدى الألم

* * *

قيثارتى لحن وأوتارى هزيله
ناجيتها هات فقالت لى عليله
الحزن يدمينى وأوتارى ذليله

* * *

قيثارتى شعرى وعمرى كالوتر
قيثارتى الثكلى وعمرى المنتحر[1]

ومن صوره الخيالية الرائعة الجديدة ، التى تمثل واقع عصره العالمى وتكون من وحى ابتكاره الخيالى ، وهى صورة العالم ، الذى سخر العلم لغير ما هو له ، سخره فى الحرب ، وإذلال الانسان ، لا للسلم والبناء ، ولا لعزة الانسان ، وبهذا غرق العالم فى الذنوب ، وخرج عن

(١) الديوان : ٢٥

(٢) فى متاهات الحياة : ٦٩

الأديان والعقائد السمحة ، باستخدام القنابل الذرية للدمار والاذلال ، والسيطرة والاحتكار ، فلا يجد الانسان مهربا ، ولا يطيق سمومها القاتلة ، لأنها سموم الكيمياء الخانقة ، التى لا يفلت من قبضتها الذكى الماهر ، مما يجعله يضل طريق النجاة يقول مستغيثا :

رباه عالمنا غريق فى الذنوب
وفى المروق
فقنابل ذرية أين الهروب
وهل نطيق
للكيمياء خنقة .. لا .. لا هروب
ضاع الطريق [1]

تصوير جديد وخيال بكر فى شعره ، لأن الشاعر يعانى تجربة عصره لا عصور خلت ، وإنما يعيشها بوجدانه وأحاسيسه ، وهى كثيرة منه مقطوعة (عربى) وقصيدة (نكسة أخرى) ، وقصيدة (طائر) وقصيدة (الواقع الأليم والمركب التائه) وقصيدة (سمير الأحزان) وغيرها .

وتمتاز صوره الخيالية ، أنها تظهر فى بعضها ملامح البيئة التى عاش فيها (فى عسير) ، حيث تنتشر فيها الجبال الشاهقة والتلال والنفود يقول فى قصيدة (أعدائى) :

سوف تدمى بالصخور
من جبالى فى (عسير)
من (نفودى) والتلال
سوف تطويك التلال
كم طوت فيها الرجال [2]

ثم يقول :

من ربا نجد ومن حول الحرم
من سراة (الأزد) من سيف التهم
من سراة (زهران) من كثبان (حائل)
من جبالى من مهودى .. والسواحل [3]

---

(١) الديوان : ٣٩
(٢) الديوان : ٨٧
(٣) الديوان : ٨٨

فجبال عسير والنفود والتلال والأزد وزهران والجنوب ، والجبال والمهود ، والسواحل فى عسير كلها من بيئة الشاعر ، التى عاش تجربتها ، وخصبت خياله من مواقعها وإيحاءاتها وتاريخها المجيد .

ولم يسلم العسيرى من خبط فى بعض الصور الأدبية التى لا تغض من شاعريته بحال ، وإنما هى مثل الملح فى الطعام مثل قوله تصوير النابه الذى يحارب الغر السفيه :

يهد العمر كى يبنى حياة　　تشل البؤس أو تقضى عليه
ويحفر فى قلوب الناس نبعا　　رحيق العدل يسقى شاطئيه
فيقبر فى تراب الذل أجرا　　ويسعى رغبة الغر السفيه[1]

فالشاعر يريد من وراء هذه القصيدة الأدبية أن يصور النابه حين يقضى عمره فى بناء الحياة بالعلم ، الذى يقضى على البؤس والشقاء ليحل محله العدل بين الناس ، وبذلك ينال أجرا من الله عز وجل ، وفى نفس الوقت يقضى على الرغبات المدمرة للغر السفيه .. لكن الصورة هنا عجزت عن أداء هذا المعنى ، بل تناقضت أجزاؤها فى التصوير .

فالنابه الذى يبنى الحياة ، ويهدم البؤس ، لا يعد عمره هدداً (يهد) بل يعد بناء وخلودا ، وبقاء بهذا العمل ، فكان ينبغى أن يقول : (يسمو) أو على الأقل (يقضى) ، ومن يعمر قلوب الناس بنبع العدل ، لا يصح أن يوصف هذا بالحفر ، بل يوصف (بالتفجير) فيقول : (يفجر فى قلوب الناس نبعا) .

ومن ينشر العدل لا يقبر الأجر ويدفنه ، بل الأولى أن يحيا الأجر ويبقى ، لا فى تراب الذل ، بل فى ساحة الرضى والقبول فيقول : (فيحيى فى سماء العز أجراً) .

وأظن أن كلمة (يسعى) لا ترتبط بمعنى البيت ، والصواب فيها ، لكى يصح المعنى : (ويسعر رغبة الغرّ السفيه) أى عمل النابه يحرق رغبات الغر السفيه .

وهذا كله يدل على التناقض بين أجزاء الصورة ، كنت أودّ ألا يقع الشاعر فى مثل هذا ، ولكن كما يقولون لكل جواد كبوة . ولكل فارس نبوة .

ومن التناقض أيضا فى التصوير الأدبى عند الشاعر قوله :

فهذى الشرور سموم الحياة　　ستمضى بنا فوق نعش السرور

تناقض عجيب ؟ هل للسرور نعش ؟ وما أبعد اللفظان فى تصوير المعنى ، فالسرور

---

(١) الديوان : ٨٤

نقيض النعش ، لأن النعش يحمل الميت إلى مقره وتشيعه الأحزان ، بينما السرور لا مكان له فى هذا الجو الحزين ، الذى يخيم عليه الشرور والسموم والأحزان والنعوش ولعل الحاجة إلى القافية هى التى اضطرت الشاعر إلى حشو كلمة (السرور) .

ولا يشفع للشاعر أن يقبل قول من يقول : بأن هذا التصوير رمزى من باب تبادل الحواس ، فيقولون : يرى بأذنه ، ويسمع بعينيه ، لأننا لا نجد فى مذهب الشاعر خيطا رفيعا من الرمزية فليس رمزيا ، بل هو واضح فى تصويره الأدبى كما رأينا، أما عناصر التصوير الأدبى فى شعره فقد غنيت صوره بها من حركة ولون وطعم ورائحة وحجم وشكل فالبيت السابق يحمل هذه العناصر : فترى اللون القاتم فى الشرور والسموم والنعوش ، وترى الحركة السريعة والمتجددة فى الفعل المضارع ستمضى لما يدل عليه من الحدوث والاستمرار والتجدد ، وتتذوق طعم الشر ، وتشم رائحة السم ، وحجم الشر بمقدار سموم الحياة وتجسيد الشرور فى شكل النعوش ، وهكذا فالشاعر له قدرة عجيبة على مزج عناصر الصورة بروافدها كما رأيت فى صورة متناقضة فى جزء منها ، فما بالك لو رجعت معى إلى الصورة البديعة التى سبقت وهى كثيرة وكثيرة .

لهذا الابداع الشعرى فى التصوير الأدبى كان لابد أن نضع فنه فى ميزان النقد ، لنرى رأى الشاعر والناقد فى شعر العسيرى .



رابعا ــ الموسيقى الشعرية :

العسيرى شاعر ثائر ، ومتجدد متحرر فى تجديده ، ولا غرابة فى ذلك فقد تحرر فى تجديده فخرج على الموسيقى الخليلية فى العروض والقافية بعض الخروج فى بعض قصائده وليس معنى ذلك أن العسيرى لم يحافظ على الوزن والقافية التقليديةالمشهورة فى عمود الشعر العربى ، بل كانت معظم مقطوعاته وقصائده ، يلتزم فيها البحر الخليلى ، وقافية الشعر المحافظ ، وإن كان الشاعر يميل فى شعره إلى البحور الخفيفةوإلى المجزوء من البحور مثل :

قصيدة (شوق) ، وقصيدة (الدنيا) وقصيدة (وصفحة من حياتى) وقصيدة (ونكسة أخرى) ، وقصيدة (طائر) وقصيدة (حديث مع الزهرة) ، وقصيدة (سمير الأحزان) ، وقصيدة (إنسانية) ، وقصيدة (دموع الحياة) ، وقصيدة (الغر) وغيرها ، ومرت الأمثلة والشواهد .

ومن قصائده ما يسير على نظام المقطعات مع الاحتفاظ بالوزن والبحر ، واختلاف القافية وحرف الروى ، وهذا أقل مما سبق بكثير مثل قصيدة (عمرى الضائع) ، وقصيدة (ضياع فى ركب المتاهة) ، وقصيدة (عيد بلا اجتماع) ، وقصيدة (سامحينى) ومقطوعة (عربى) ، (عودى) ، (فى المستشفى) ، وقصيدة (الواقع الأليم والمركب التائه) ، وقصيدة (إلى أعدائى) وغيرها وقد مرت الأمثلة ولا داعى لتكرارها .

ومنها ما يلتزم فيها الشاعر البحر الواحد ، لكن البيت ينتهى بتذييل يقوم على تفعيلة ، ليضيف بها لحنا جديدا فى ألحانها ، وينسحب عليها إيقاعا ينظم توقيعاتها الأخيرة ، وهذا أقل مما سبق بكثير ، مثل قصيدة (يا عالمى) يقول :

يا عالمى إنى هنا أبكى المصير   ألا ترون

وقد مر ذكرها .

ومثل قصيدة (خواطر إنسان تائه) حيث بناها الشاعر على تسع مقطعات مختلفات فى القافية ، كل قطعة تقوم على ثلاثة أبيات تنتهى بعدها بتذييل يشمل توقيعتين يقول العسيرى :

أيها   الانسان   لا تطـغ   عليـا
إن   ظلمى   قوة   ملك   يديـا
دعوة   فى   الليل   لا تبقيك   حيا
لا تلمنى   إن   دعوت
فتـــــزول   وتموت

ومصير الشر فى الدنيا قريب
بعد ضعفى سوف أقوى وتذوب
إن بعد الشمس أغلاس المغيب
هكذا حكم الحياة
لا بقـاء للطغـــاة
أيها الانسان فى عصر الفضاء
لا تضيق بالحق يقتلك الفتاء
ثم تبقى ساحبا ثوب الشقاء
ثم تبكى لمصيرك
سوف تذوى
كضميرك(١)

ومنها قصيدة واحدة لم تتكرر ، قامت على نظام التفعيلة ، مع محافظته على الموسيقى والايقاع المنغوم بلا اتحاد فى القافية وذلك فى قصيدة (العاصفة) :

فى القدس عاصفة
تحطم الجسور
وتهدم القبور
على الغزاة(٢)

وهى طويلة لا أرغب فى ذكرها ، واكتفيت بذلك لكى يصح النقد وتوجيه اللوم إلى العسيرى ومن سار على دربهم من الشعراء المعاصرين .

وكنت أود أن هذا النمط الموسيقى والقالب النثرى لا الشعرى لايدخل فن الشعر ، ويجد منزلة من نفس العسيرى ومن ديوانه الجيد ، إلا إن كان الشاعر يريد أن يعرفنا بنثره المشعور ، وأحسب أن العسيرى لا يقصد ذلك ، فهو يريد أن يجارى من يجعل التفعيلة شعرا بلا قافية ولا بحر عروضى .

وفى رأيى أن شعر التفعيلة هى معبر الخطأ والخطل السريع فاليوم يكون على تفعيلة ووزن واحد ، وغدا بلا تفعيلة ووزن ، وأصبحت الآن أقول إن الموشحات الأندلسية هى التى رخصت

(١) فى متاهات الحياة : ٣٤/٣١

(٢) الديوان : ٥٢/٤٩

للمعاصرين هذا التسيب ، وهم الآن يتذرعون بذلك ولكن الحقيقة أن الفرق كبير فالموشحات وسط بين القصيد العمودى وبين نظام المقطعات المعاصرة .

وهى أيضا معبر سريع إلى العامية ، والقضاء على الفصحى لغة القرآن الكريم وإننا اليوم لنرى بعض الشعراء شعراء التفعيلة ينظمون نثرهم المشعور بالعامية لا بالفصحى وهذا أخطر وأشد لأنها حرب ضد الفصحى ولغة القرآن لا حرب ضد القصيد العمودى . ولا أدل على ذلك من قول العسيرى نفسه حينما اعتسف هذا المركب الوطىء مما جعله يتورط فى العامية والخطأ فى الاعراب وهو استعمال عامى فى التعبير يقول :

للقدس الحزين
عشرون عام
القدس فى خطر
عشرون عام

ثم يقول :

عشرون عام
والقدس فى القيود
وعيشنا على الوعود(١)

كرر (عام) ثلاث مرات خطأ ، والصواب عشرون عاما وهكذا يعترف العسيرى بهذا فى شعره فيقول :

ومصير الشر أن يقتات أهله

فاعتساف المركب الوطىء وهو شعر التفعيلة ، يؤدى فى النهاية إلى جعل العامية والخطأ فى التعبير وهجر الفصحى مذهبا شعريا حديثا ، لا قدر الله تعالى :

« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

« وإنه لتنزيل من رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى أمين » .

صدق الله العظيم

(١) الديوان : ٥٠/٥١

خامسا ــ شاعريته فى ميزان النقد :

الشاعر أحمد عسيرى يصور حياته بكل جزئياتها ، لأنه يعبر عن ذات نفسه ،ويصور مشاعره الأليمة ، وإحساساته الحزينة فى الحياة ليصوغ من شعره قصة حياة تمردت على القيم التقليدية الكلاسيكية متحررا من قيودها ، فلا نجد فى شعره تعددا فى موضوع القصيدة الواحدة ، بل الغرض فيها واحدا ، بل كان الديوان يصور غرضا واحدا ، وهو حياة الشاعر فقط ، فى وحدة عضوية وفنية ، تتلاحم فيها الأفكار ، وتتعانق المعانى فى إيقاع حزين ، تشيعها موسيقى دامية ، تنزف مرارة وأسى .

ولذلك يقول العسيرى فى إهداء الديوان :

إلى الانسان الذى يشق طريقه بعصامية ..!!(١)

إلى كل إنسان ذاق مرارة الحرمان ، أو ضاع فى متاهات الحياة ..!!

لأن الشعر الصادق هو الذى يكون صادقا مع قائله ، وتجربة حية يعيشها صاحبه ، حتى يكون قطعة منه ، بل حياته كلها ، ليكون مثلا أعلى ، ونموذجا رفيعا ، يتجاوب مع الانسان فى أى موقع كان ، لأنه للانسان متجردا عن الأرض والزمان .

هذا هو ما أقصده من عالمية الأدب وإنسانيته ، لا يعرف الحدود فى الزمان والمكان فى المجال البشرى الانسانى ، وليس هذا الاتجاه وهو (عالمية الأدب وإنسانيته) غريبا على أدبنا الاسلامى ، بل هو أصيل وجوهرى فيه ، لأن غاية الاسلام تحقيق عالمية الانسانية بلا تفريق بين العربى والعجمى ، ولا بين الشرق والغربى ، ولا بين الدول النامية والدول العظمى إلا بالمثل العليا ، والمبادىء العادلة المستقيمة ، والقيم الفاضلة المنصفة للانسان فى أى موقع كان ، وخــلال الزمان والمكان ، لمختلف الأجناس والأجيال لأن الانسان كان ولا يزال هو الانسان .

وحين فتح الشاعر الكبير محمد حسن عواد عينيه على ديوان أحمد العسيرى وجد نفسه ، كما يقول (أمام شاعر شاب يستطيع هذا الوطن العربى ، وهذه اللغة الخالدة ، أن يعتزا به ، ولا مبالغة فى هذا القول ، إنك ستدهش لشاعر الحرمان والضياع ، يجسم لك هذه المعانى ، وينفخ فيها من روحه ، فتتوهج فى قوالب من اللفظ ، أعطيت قدرة الوصول إلى أعماق القارىء ، ورفعه إلى مستوى تلك المعانى الانسانية الخالدة ، إلى قدرة الإيحاء ، ومدّ الظلال ، ورقرقة الحيوية فى الأفكار الفلسفية والاجتماعية .

---

(١) فى متاهات الحياة : أحمد عسيرى ، الاهداء

وللشاعر فوق ذلك قدرة أخرى على صياغة تعابير ابداعية ، يخيل أنك تقرؤها لأول مرة مثل :

وقيد الحق أوهى كل قيد رؤوف المس إن سقنا إليه

من قصيدة (العز) .

وقوله :

ومصير الشر أن يقتات أهله

من قصيدة (إلى أعدائى) .

ومنها أيضا :

وتنطق الأرض تملى سرها[1]

ثم مرة أخرى يشيد الشاعر الناقد محمد حسن عواد بأحمد العسيرى فيقول :

(أهنىء أخى الفاضل الملازم أول الأستاذ أحمد على سعد العسيرى بهذه الشاعرية الحقيقية ، وأهنىء عسيرا كله سراته وتهامته ، بل أهنىء المملكة العربية السعودية كلها ، وآمل أن ينجب هذا البلد المعطاء كثيرا من شعراء هذا الطراز)[2] .

وتحرر العسيرى فى تجديده للقصيدة فى أدب الجنوب يظهر فى اتجاه الشاعر إلى لون واحد من الشعر يصور فيها ذاته ووجدانه ، فتجد أغراضه الأدبية قد أخذت هذا الاتجاه من التحرر وكذلك فى معانيه وفى خياله ، وفى تصويره الأدبى وفى موسيقاه الشعرية حيث خرج على القصيدة العمودية فى القافية فى القليل من قصائده مثل قصيدته (العاصفة)[3] وإن كان هذا التحرر محل نظر منا وقد ذكرته فى مكانه .

ومرت الأمثلة فى كل ذلك ، توضح سمات التجديد فى المعانى والأغراض والخيال والصور والموسيقى والقافية مما يجعله من شعراء مدرسة التحرر فى التجديد .



(١) فى متاهات الحياة : أحمد العسيرى المقدمة ١٢

(٢) فى متاهات الحياة : أحمد العسيرى المقدمة ١٣

(٣) الديوان : ٤٧

الفصل الثالث

الشاعر أحمد بهكلي

١- نشأة الشاعر وحياته .
٢- الأغراض الأدبية في شعره .
٣- التصوير الشعري .
٤- بين الوجدان الذاتي والالتزام الموضوعي .
٥- الوحدة الفنية في شعره .
٦- التشخيص في التصوير الشعري .
٧- الخيال والصور الأدبية .
٨- الإيقاع والموسيقى .

نشأة الشاعر بهكلى وحياته :

الشاعر أحمد يحيى بهكلى هو الثانى فى مدرسة التحرر فى التجديد فى الجنوب ، إمارة عسير ، ولد بمنطقة جيزان عام (١٣٧٤ هـ) ، ثم تنقل فى مراحل التعليم بين جيزان وأبها والرياض حتى حصل على (ليسانس) كلية اللغة العربية من جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية عام ١٣٩٧ هـ .

وبعد تخرجه عمل مدرسا فى معهد الرياض العلمى واستمر يواصل تعليمه فى تحضير رسالة الماجستير[١] .

وهو الآن يشارك فى تحرير مجلة الفيصل الثقافية ، التى أصبحت الآن تؤدى دورا كبيرا فى العالم العربى والاسلامى ، صدر له حتى الآن ديوانان كما سبق وهما :

ديوان (الأرض .. والحب) .

وديوان (طيفان .. على نقطة الصفر) .

وسحر جيزان وأبها وتهامة كان له الأثر فى هيام الشاعر بالطبيعة الخلابة ، حتى غلبت على شعره يصور مناطق الجنوب فى الذهاب والاياب ، يصور جيزان مرة ، وبيشه ثانية ، وفيفا ثالثة ، وأبها رابعة وغيرها وغيرها .

وكثيرا ما يدفعه الحنين وهو فى الرياض إلى موطنه فى الجنوب ، ليجدد شاعريته فى منبع شاعريته .

وهذا بالاضافة إلى تطلعه إلى التحصيل والتعليم ولازال حتى الآن يعد نفسه للدراسات العليا حتى يحصل على الماجستير .. وللناس فيما يعشقون مذاهب .

---

(١) الأرض .. والحب : التقديم ، نادى جازان الأدبى ١٣٩٨/١٩٧٨

وصقل العقل ، وتهذيب الذوق الأدبى يحتاج إلى متابعة مستمرة ، ومداومة فى الترويض والمتابعة ، وليس بعد الصحافة والاشتغال بالتحرير فى المجلات الأدبية والثقافية من دافع قوى متجدد فى ترويض الذوق ، وصقل النفس وشحْذ الذهن فالعمل فى هذا المجال مملوء بالحركة والحيوية والنشاط ولا ننسى أن النهضة الأدبية الرائدة فى مصر كانت تتفجر من المجلات والمعارك الصحفية .

هذه هى العوامل التى فجرت ينابيع الشاعرية فى نفس الشاعر أحمد بهكلى وأصبح بديوانيه من رواد مدرسة التحرر فى التجديد .



الأغراض الأدبيـة فى شعره

أولا ــ شعر الطبيعة :

هام بهكلى بالطبيعة الفاتنة فى الجنوب ، وأخذت من شعره منزلة رفيعة ، حتى سيطرت على ديوانه الأول (الأرض .. والحب) ، فضم قصيدة (السحر يلد أبها ص ٧ ، ٩ (وقصيدة (القيود الجميلة ص ١١ ، ١٤) ، وقصيدة (نجوى .. على البعد ص ١٥ ، ١٨) ، وقصيدة (يا منتدى الذكريات ص ١٩ ، ٢١) ، وقصيدة (بوح ص ٢٢) ، وقصيدة (عفوا .. أبها ص ٢٣ ، ٢٦) ، وقصيدة (الأرض والحب ص ٣١ ، ٣٣) وغيرها .

أما ديوانه (طيفان .. على نقطة الصفر) فاشتمل على قصيدة واحدة فى شعر الطبيعة وهى (إلى أبها ص ١٣٠ ، ١٣٢) وهذه القصائد أنشدها الشاعر فى الطبيعة ابتداء ، لأنه يصور الطبيعة غرضا مستقلا ، أما شعر الوجدان ، والشعر الاسلامى ، فقد مزج هذين الغرضين بالطبيعة ، وتجاوبت مع وجدانه وحبه كما سنرى ذلك فى موضعه ، ولذلك لم تكن الطبيعة مقصودة ابتداء فى هذين الغرضين ، وإنما تسللت فيهما تبعا لهيام الشاعر بها ، فظلت من حين لآخر تطل ، لتعبر عن وجدانه وتأملاته وحبه وهيامه .

وتظهر سمات التجديد فى شعر الطبيعة عند بهكلى من الهروب إليها ، والتجاوب مع مظاهرها ، والتغنى بجمالها الآسر وسحرها الساحر ، تعويضا له عما فقده من الحرمان ، وما يحس به من آلام وآهات وأحزان كالشأن فى الشعراء الذين هاموا بالطبيعة فى العصر الحديث .

ولذلك كان بهكلى متحررا فى تجديده هو والشاعر أحمد عسيرى ، لكن الأول غلب على شعره هيامه بالطبيعة والعسيرى غلبت على فنه الأدبى المرارة والشكوى والحزن والألم ، مع التعدد فى الأغراض الأدبية عند الشاعرين فى هذه المدرسة التى احتضنت مذهب التحرر فى التجديد .

وبهكلى طائر معذب ، كلما لاح له الأمل ، غمره سلطان الدجى ، ليكون هذا الأمل الذاهب بريد « الاهداء » فى ديوانه :

إلى التـــى لازلت أحيــــا على ... مأمـــل لقياهـــا .. ومـــا أحسب
قضيت عمــــرا أجـــتلى غمـــــة ... لم يـــد لى فى أفقهـــا كوكب
وحـــينما أجهـــد ركبـــى السُّرى ... وانهار تحتـــــى الجيـــــدُ المركب

أبصرت لمعـاً .. قلت ذا مأملى واشتـد منـى المرهـق المتـعب
ورحت أعنـو مسرعا .. فانطفـا ذاك السنـا واحـتضر المطـنب
وعـاد سلطـان الدجـى يعـتلى عرشا بنـاه برقهـا الخلب
يرجـوك يا نارى ويـا جنتـى ترنيمـى الفـاضل والمذنب[1]

ويبحث بهكلى عن بريده فيجده فى السحر ، ليس المجرد ، بل المجسم فى أبها ، عروس الجنوب ، يقول فى قصيدته : (السحر يلد أبها) :

صبوت وأضحى هائما مغرما قلبى وتهت ولى عذر فإدلالها يصبـى
أسير هواهـا ما أحيـلاه أسرهـا وحسبى أننى صرت مأسورها حسبى
ويـا لجمـالٍ قد حويت استمالتـى فصرت أسير الفكر والشعر واللب
حببتك حبا فوق جهدى وطاقتى وحـبك يا أبها تغلغـل فى القـلب
أيـا ذوب احساس رقيق ويـا مدى خيال وسيع الأفق فى عالم رحب
إذا كان فى مغنى (اليمانية) انتمى هواى فقد ذقت الصبابة فى « النصب »
وتحت ظلال الأيك فى « السودة » انجلى لى الحسن ممدودا على ربعها الخصب
وأيدى النسيم الغض تهصر غادة من العرعر المزدان ذى الفنن الرطب
وكم فى شفا « القرعاء » سرحت ناظرى ليرجع مبهورا من المنظر العـذب
كأن لكـف السحر تمريرة على عيـون المياه الجاريات على الترب
تلمست أبغى دارة الحسن فى الدنا وساءلت عن مغنى العنادل فى دربى
وطفت أرود المرتع الخصب للهوى لألقاه فى « أبها » عن المبتغى ينبى
طرقت على باب الجمال بفكرتى لتفتح لى أبها ابنة السحر والحب[2]

فاليمانية والنصب ، وظلال الأيك فى السودة ، والعرعر المزدان والقرعاء ، والعيون الجاريات ، كلها مواطن فى أبها الساحرة تمكنت من سويداء قلبه ، وأصبحت لا تفارقه أينما سار وحيثما حل .

ولا يظن القارىء أن الشاعر حقق أمله حينما وجده فى أبها الساحرة الجميلة ، لكنه خاب أمله ، ومن العجب أنه تاه عن أمله وضل الطريق فى « القيود الجميلة » :

أنـا فيك يا أبها عليـل شاكـى هل ترحمين متيمـــا بهواك

---

(١) الأرض .. والحب : أحمد بهكلى ص ٣
(٢) الأرض .. والحب : ٩/٧

صيرت حسى فى هواك مقيـدا وسموت حتـى نؤت عن ادراك
أواه من حب يحطم أضلعـى أتـراك تنتبـهين لى أتـراك ؟
حاولت أن أنساك لكن أنت فى سوْدا الفؤاد فكيـف لى أنساك ؟
أبها الجميلـة خبرى كم عاقـل هوّمتـه ؟ كم مغـرم ناجـاك ؟
أحياك إلهامـا ووحـى مشاعـر تنـداح مسبغـة بنشر صبـاك
تستأسريـن بدون أى جريـرة ألْبابنـا من ذا الـذى أفتـاك ؟
لو كنت خمرا كان عذرك واضحا إن نحن رحنا فى الهوى سكراك
أو كنت بحرا هائجا متلاطمـا فربما قمنـا وصارعنـاك
لكن حشدت لنا جيوش الحسـ ـن ثم دعوتنا مغرورة للقـاك
أمـا السلاح قنـاة قدٌّ فارع أو سيـف لحظ صارم فتـاك
أو درع طود شامخ متـوشح بزهـورك الـنشوى ومـن ريَّـاك
أو خيـل شلال غدا متدافقـا يشتـد ملتاعـا للثم ثراك
واقتدتنـا أسرى وقـد كبلتنـا حـبا فلطفـا أكرمـى أسراك
رؤيـاك فى قربى أدق مؤمـل وأعـز شىء فى النـوى ذكـراك(١)

ثم يبوح لأبها بأحزانه وآلامه فى قصيدته (بوح) :

أبها .. ويـبسم كل محروب أبها .. ويفـرح كل منكـوب
أبها .. وكل الكـون أبعـدنى وجذبتنـى فرأيت تقريبـى
وحضنتنى وأنـا الشريـد فلـم أحـزن لمأساتى وتعذيبـى(٢)

تتناجى معه مظاهر الطبيعة فى الجنوب ، ويتعاطف الشاعر مع ربوعها وبلدانها ،ومنازلها ودورها ، وجبالها وسهولها ، وتاريخها ومجدها وبحارها ووديانها ، وطيورها وأشجارها ، وربيعها ولياليها ، وذلك فى قصيدته (الأرض والحب) منها :

أنا فيك يا جازان فلتزدهر الرؤى بعينى غريب هام عن ربعه دهرا
أنا فيك فى« فيفاء » أناجى جنانها وأخلق اعجابى بما احتضنت شعرا
وأنساب فى أنهار (بيش) مغنيا منازلها الفيحاء أو زرعهـا النضرا
وتمنحنى (صبيا) ولازلت فى الصبا برود صبا تستأسر اللب والفكـرا
وأغرق روحى فى هوى (ضمد) التى رعتنى عمرا بات من أعذب الذكرى

---

(١) المرجع السابق : ١٤/١١
(٢) الأرض .. والحب : ١٦

بروحى تلك الأرض من أثلها إلى منابت (سُعَّيْد) قد انتشرت عطرا
على أننى ضيعت حبى فى (أبى عريش) فإن خرفْتُ يا جنتى عذرا
كأن ليـاليها سواحــل بابــل وما ضمنتْ تلك الليالى غدت سحرا
كما عانـقت جازان أذرع بحرها وعانـقت التــاريخ والمجد والفكــرا[1]

ومع هذا الهيام بالأرض ، والحب للطبيعة ، التى هرب إليها عاشقا لجمالها ، والهاً فى سحرها ، الذى يصور مرارته ، وهذا الحب بعيد عنه محروم منه مادام بعيدا عن الطبيعة التى تمكنت من قلبه حبا وهياما وعشقا .

ثانيا ــ الشعر الوجدانى والتأملى :

جاء هذا الغرض الأدبى فى شعر بهكلى ، فى ديوانيه ، أما قصائده فى ديوانه الأول (الأرض .. والحب) منها قصيدة (شوق ص ٣٩ ، ٤١) فى عام ١٣٩٢ هـ أبها ، وقصيدة (أحبك ص ٤٣ ، ٤٧) فى عام ١٣٩٤ هـ أبها ، وقصيدة (رسالة ص ٤٩ ، ٥٠) فى أبها عام ١٣٩٤ هـ ، ومقطوعة (الهوى أعذار ص ٤٢) فى أبها ١٣٩٣ هـ ، وقصيدة (عندما يطول السفر ص ٥١ ، ٥٥) فى أبها عام ١٣٩٤ هـ ، (ورباعية ص ٦٠) فى الرياض ١٣٩٤ هـ ، وقصيدة (محب ص ٦١ ، ٦٢) ، وقصيدة (بعيدون عنى ص ٦٣ ، ٦٥) فى الرياض ١٣٩٤ هـ ، وقصيدة (الحسن الآسر ص ٦٦ ، ٦٨) فى أبها ١٣٩٤ هـ ، وقصيدة (العذابان ص ٦٩ ، ٧٠) فى أبها عام ١٣٩٤ هـ ، وكذلك (رباعية ص ٧١) فى الرياض ١٣٩٥ هـ ، وقصيدة (الرحيل .. بلا وداع ص ٧٣ ، ٧٥) فى أبها ١٣٩٥ هـ ، وقصيدة (هزوجة خريفية ص ٧٧ ، ٨٠) فى أبها ١٣٩٦ هـ ،وقصيدة (غفوة .. ورؤيا ص ٨١ ، ٨٢) فى الرياض ١٣٩٦ هـ ، وقصيدة (كتابة على ضريح العشق ص ٨٣ ، ٨٤) فى الرياض ١٣٩٧ هـ .

أما الوجدان والتأمل فى ديوان الثانى (طيفان .. على نقطة الصفر)فيضم قصيدة (أبيات .. لأبى ص ٧ ، ١٠) ، وقصيدة (لهذا الحزين ص ٥١ ، ٥٢) فى أبها ١٣٩٤ هـ ، وقصيدة (الركض .. إلى الخلف ص ٥٣ ، ٥٥) فى أبى عريش ١٣٩٦ هـ ، وقصيدة (مجنون ص ٥٦ ، ٥٨) فى الرياض ١٣٩٥ هـ ، وقصيدة (الرحلة الطويلة ص ٥٩ ، ٦١) فى جدة ١٣٩٦ هـ ، وقصيدة (حينما يزمن الحزن ص ٦٢ ، ٦٤) فى الرياض ١٣٩٦ هـ ، وقصيدة (العرافة الكاذبة ص ٦٥ ، ٦٦) فى جيزان ١٣٩٧ هـ ، وقصيدة (منى .. وقلوب ص ٦٧ ، ٧٠) فى الرياض ١٣٩٨ هـ ، وقصيدة (خلود الحب

---

(١) الأرض .. والحب : ٣٦/٣١

ص ١٠٥ ، ١٠٦) فى أبها ١٣٩٥ هـ ، وقصيدة (أحلى نهاية ص ١٠٧ ، ١١٠) فى الرياض ١٣٩٤ هـ ، وقصيدة (كل الفصول ص ١١١ ، ١١٣) فى الرياض ١٣٩٦ هـ ، وقصيدة (أبتاع حزنا ص ١١٤ ، ١١٦) فى الرياض ١٣٩٩ هـ ، وقصيدة (رزق ص ١١٧ ، ١١٨) فى الرياض ١٣٩٩ هـ ، وقصيدة (السر العجيب ص ١٢٢ ، ١٢٦) فى الرياض ١٣٩٥ هـ ، ومقطوعة (هل الحب أعمى ؟! ص ١٢٧) فى أبها ١٣٩٧ هـ ، وقصيدة (الدمع الطهور ص ١٢٨ ، ١٢٩) فى الرياض ١٣٩٨ هـ .

وشعر الوجدان والتأمل عند بهكلى يتميز بالخصائص الفنية لهذا الغرض عند الشعراء الابتداعيين المجددين ، مثل الغوص فى أعماق الذات ، والتأمل فى جوانب النفس المختلفة ، وتصوير أحاسيسها العميقة ، ومشاعرها الرقيقة ، وذلك فى تجربة شعورية صادقة ، تشف عما يشعر به من ألم الحرمان ، وما تعتصره من آهات وآلام ، وما يسيطر عليه من الكآبة والحزن ، وأنه مهما قطع شوطا فى تحقيق آلامه ، فإنه يجد نفسه أمام السراب الخادع يحسبه الظمآن ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ، وهكذا فيعود ليصور آلام الفقد ولوعة الأسى والحرمان ومرارة الهزيمة والقنوط .

هذا من حيث ظاهر التصوير الأدبى فى شعره ، أما من حيث الواقع ، فان معاناة التجربة الشعرية هو فى ذاته تحقيق لهدف يؤمه الشاعر ، وهو التنفيس عما يعانيه . وذلك حينا يصور تجربته فى قصيدة ، فهى تشكل بناء فنيا خارجيا تجد فيه الشاعر سلوانا وعزاء ، وأنسا وإمتاعا ، يصرفه كل ذلك عن معاناة التجربة ، لأنها صارت عملا فنيا خارجيا ، وقد كانت قبل أن تخرج تلتهب فى وجدانه ألما ومرارة .

وبذلك يجد الشاعر الغاية فى القصيدة الضالة ، التى كان يبحث عن تجربتها داخل نفسه ، ويتذرع فى سبيلها الأسى واليأس ، الذى يعتصر أغوار ذاته ، وبهذا العمل الفنى يحقق الغاية التى كان الوجدان ينزف بها ، حين كان العمل الفنى تجربة ذاتية ، تؤجج جوانب النفس ، قبل أن تخرج إلى حيز الوجود الخارجى .

وهذا ما عاناه الشاعر بهكلى فى القصائد السابقة لهذا الغرض وسنقتصر على بعض الأمثلة ، التى تتجسم فيها الخصائص الفنية السابقة لمدرسة التحرر فى التجديد ، لتدل على ما لم نذكره من بقية القصائد ، يقول الشاعر فى قصيدة (أحبك) مطلعها :

أين وجهتِ فقلبى لك مغدى ومراحْ
أنت فيه النور .. كالنور ويغذيه الصباحْ
أنت فيه النفح .. كالنفح تزجيه الأقاح
يا جمالا ملهب التكرين معدوم السماح

أفصحى يا طفلتى عما تمطى فى فؤادك
إننى ما عدت ذا صبر على طول بعادك
أرسلى فى بقعة الصمت أصيلا من جيادك
ودعيه يفهم الصب المعنّى بمرادك

★ ★ ★

وأنا إن رحت أشكو أوأبث الوجد حبا
فلقد آليت أنى لن أصبّ الدمع صبًّا
ولو أنى صرت فى حبيك يا حسناء صبا
فالضعيف الفدم من عاش الهوى دمعا وندبا

★ ★ ★

ضجة العمر الشباب الحى حتى يتصرم
فإذا ولى فقد ولّت منى السعد المكرّم
وبقى فى يأسه المرء كئيبا يتبرم
يندب الأنس الذى كان حلالا يتحرم

★ ★ ★

إيه .. يا « .... » يا آهة تعدو وئيده
فى ضلوعى .. يا متاهات مسافاتى المديده
لم تزل عندى حكايات وأفكار جديده
سوف أحكيها لنفسى حين تضحى بعيده[1]

صورة شعرية تعبر عن حرارة الوجدان ولوعة الحرمان ، ومرارة البعد ، وألم الفراق ، فى خيالات عجيبة ، وصور أدبية بديعة فقلبه مغدى ومراح ، تملؤه بنورها المستمد من نور الصباح وتزكيه برائحتها الفواحة ، ينبغى أن تتجاوب معه فتبادله وتفصح عما استكن فى قلبها ، لأن الصبر قد نفد ، فأصبح يبث الوجد حبا ، ويصب الدمع صبا ، ويندب حياته ندبا ، لأن زهوة الشباب قد تصرم فأضحى كئيبا يتبرم ، لأن ما كان حلالا له قد تحرم ،وبعد اليأس أخد يردد لنفسه حكايات وأفكارا جديدة ، يتسلى بها بعد أن فقد الأمل وصارت عنه بعيدة .

---

(١) الأرض .. والحب : ٤٧/٤٢

هذه هى خصائص الشعر الوجدانى يتمدد الشاعر فى داخله يبث أحزانه وآلامه ، ويشكو حرمانه ، ويبكى شبابه ، وينعى حبه الذاهب ، وأمله الخائب فى تصوير أدبى يتفطر ألماً ودماً .

ومن خصائص شعر الوجدان عند بهكلى أن القصيدة عنده قامت على غرض واحد من مطلعها حتى نهاية القصيدة بلا تعدد أو خروج عن موضوعها ومن هنا تحقق فيها الوحدة الموضوعية والوحدة الفنية .

ومن خصائص هذا الغرض التحرر فى التجديد ، فتحرر الشاعر من عمودية الموسيقى ، فتعددت القوافى فيها ، وقامت على نظام المقطعات ، لكل مقطعة قافية تختلف عن الأخرى مع اتحاد الوزن والبحر العروضى . وفى هذا ثورة على العمود الشعرى ، فلا يلتزم الشاعر بما التزم به الشعراء القدامى ، ومن سار على نهجهم من المحدثين (الكلاسيسكيين) وما التزم به الشاعر هو الوزن ، والتغنى بذاته ، فمنافذ الادراك عنده أدارها الشاعر عن الخارج لتفتش فى ذاته وداخل نفسه ، غير خاضعة لمقاييس خارجة عن ذات الشاعر .

وعندما تأتى القصيدة عنده متحدة الوزن والقافية ، لا يكون ذلك التزاما لمنهج القدماء فى القالب الموسيقى عندهم ولكن ذلك دليل وكشف عن حريته المطلقة من الحركة من شكل إلى آخر بارادته ، وتجاوبا مع رغبات ذاته ، التى لا تلتزم بالرتابة قهراً لاتباع السابقين .

لذلك نجد بهكلى يقول القصيدة ذات الغرض الواحد على بحر واحد وقافية موحدة أيضا ، كما فى قصيدته (رسالة) ومطلعها : (١)

أحـــــبك لا لشيء غير أنى ... أحــــبك للتلهــــف والتمنــــى
وقــد صيرت رسمك فى خيــالى ... إسارا مالكـــا فكــرى وظنـــى
فأنت عروس شعرى حين أشدو ... وأنت بديع لحنــى إذ أغنـــى
أحـــبك دون أن أدرى لماذا ؟ ... وأحمل فيك بعـــدك والتجنـــى
كأنى لم أكـــن إلا لأضنـــى ... بحبك طول ذا الزمـــن المعنـى
غرامـــى لم يزل جذعـــا فتيـــا ... برغـــم مصائب الدهـــر المسنِّ
ولست أرى بأن هنـــاك شيئـــا ... يشكك فيـــه من إنس وجـــن
وهبـــــتك من ودادى ما أراه ... كفيـلا لى بأن يدنـيك منـــى

(١) الأرض .. والحب : ٤٩/٥٠ .

وما أعطيتني إلا وعودا تزيد أسى الفؤاد خلا تمنى
سوى أنى أدين وسوف أبقى أدين بأن حسنك أصل فنى
وبى شوق إليك يزيد دوما كأشواق العقيم إلى التبنى
فأنت عروس شعرى حين أشدو وأنغام الصبابة إذ أغنى

فاض وجدان الشاعر بالحب والوداد ، لكنه لم ير من محبوبه إلا الوعود الجوفاء ، بلا وصل ، فيغتلى الفؤاد أسى ومرارة ، ومع هذا فالشاعر يجد فيها عوضا عن الفقدان والحرمان ، فهى التى فجرت شاعريته بهذه الرسالة ، فتشكلت فى عمل فنى بعد أن كانت بددًا وحيرة فى نفسه ووجدانه ، فصارت عروس شعره وأنغام وجده ، وأوتار حبه ، يجد فيها أمله حين يغنى بشعره وإن كانت محبوبته بذاتها وهيكلها بعيدة .. بعيدة عنه .. كل البعد .

هذا هو جوهر التحرر فى التجديد عند الشاعر ، فحينما تتفجر شاعريته فى تصوير ما يحب ، لا يبتغى منه أكثر من أن تظهر ذاتية الشاعر فى فنه الأدبى ، والتغنى بذاته ووجدانه وحدهما ، لأنه لايرى ولا يملك غيرهما .

والذات البشرية إذا تمددت فى داخلها ستجد اليأس والقنوط ، والمرارة والألم والحرمان ، وغيرها من أصول الهروب عن الحياة والناس . أما إذا تجاوبت الذات مع غيرها ، وخرجت من اسارها وسجنها الداخلى ، إلى العطاء الاجتماعى ، تغرب عنها الوحدة والأسى ، وتنحسر المرارة والحرمان ، وهكذا يستمر بهكلى فى آلامه وحزنه حتى يزمن الحزن (حينما يزمن الحزن) يقول :

لا تقولى قضى الحزن وحل السـ ـعد إذ لاح على الأفق لقانا
لا تقولى تمت الفرحة لا .. لا تحسبى حقا أباطيل رؤانا
خدعة هذى فلا يخدعك ماضيـر دنيانا خداعا وامتهانا
حاذرى من طيبة الظن فما عا دتْ لتلقى فى مجالينا مكانا
مزمن حزنى باقٍ سهد عينىّ وفى حبيك ضيعت الأمانا
رغم لقياك فلا زلت حنينا يفرش النأى على فكرى خوانا
يا انتفاض الألق المزهوّ فى عينين ترفضّان سحرا وحنانا
والتوالى من مآسينا أقضّت مضجع السالف من حلو منانا
وانسلال اللحظات اللائى عشنا سَعْدها قد بات يستلُّ شجانا
تارة يسفحنا .. يغرى الحشا منا وطورا ينشر الدمع جمانا
وانثيال الذكريات الممرع الربْـع اهتزازا يحتوى منا الكيانا

إيـه يا بيـداء دنيانـا قطعنـا ك ولم نُسرج ـ على البعد ـ حصانا
لم تكن غير ثوابه ركض الدهـر بنا فيها .. فلم ندرك خطانا[1]

ومظاهر التحرر فى التجديد هنا ظاهرة ، على الرغم من أن الشاعر التقى هنا بمحبوبته ، فكان ينبغى أن يترك هذا اللقاء فى نفسه ما يطفىء نار الجوى ، ويروى ظمأ الحب ، ويروح نسائم الشوق فلا يبقى فى النفس لوعة وأسى ، ولا يترك فى الوجدان لهيبا عاصفا ، فيطوى آلام الماضى ، ويبدد سهد الليالى ، وتشرق الحياة الباسمة ، ويتعطر الوجود بالأمل العذب ، وينسج منه حبال الوصل ، وأسباب الأمانى ، التى تغيب به فى جنات المحبين الوارفة الظلال ، فتتفتح فيها الأزهار ، وتفوح أجواؤها بالعطور ، وتتجاوب مع الأنغام الشجية ، التى تعزفها مناقير الطيور ، لترفرف بالسعادة والحب والأمل فى جنات الخلد .

لكن الشاعر بدَّد جمال هذا اللقاء بحزنه المرير ، وآلامه المريرة ، فهو ينكر عليها أن الحزن قد ولى وذهب ، ولا يرى أن السعد قد لفهما بالأفق ، وأصبحت هى كذلك باطلا وخداعا ، فذهبت الحقيقة ، وتبدد الأمن ، وعلى الرغم من اللقاء فلا زالت بعيدة عنه ، يكتوى بآلام البعد والحرمان ، التى ثوت فى صدره ، واستبدت بعقله وقلبه ، وألهبت مضجعه ، وفجرت الدموع كحبات الفضة مما يدل على أن شعر الوجدان حتى مع الوصل فالشاعر يظل فى حرمانه وشكواه وبث أشجانه وآلامه ، وهذا ما يمتاز به هذا الغرض الأدبى .

يقول بهكلى فى قصيدة (خلود الحب) :

أتبقـى أمـانى لقانـا نثـارا وليـل التباعـد يتلـو النهارا
كأن مقاديرنـا أن نرى مآسينـا تحتوينـا جهـارا
ولكـن لماذا الهروب ولما ننلْ بعد شيئا يزيـل الأوارا
ألـيس الهروب انهزامـا وفينـا إطاقة جعـل البقـاء انـتصارا
أمـا قلت انك شوق عظيم إلى فلا تقدريـن اصطبـارا
أما قلت إنى حياتك ؟ يا مَنْ نبـذت حيـاتك عنك جهـارا
لماذا؟ وأرفـع صوتى لماذا ؟ ولـو عاد رجع صداه انـكسارا
وإنك حلمـى رواءًا ويُـبسًا وإنى أحـبك ماء ونـارا[1]

(١) طيفان .. على نقطة الصفر : ٦٤/٦٢ ـ رغم لقياك : خطأ عامى فى لغتنا الفصيحة والفصيح أن نقول : على الرغم من لقياك ، ولفظ على الرغم ذاته ليس لفظا شعريا ، لأن للشعر ألفاظه التى لا توحى بالتعليل والتدليل .

(١) طيفان .. على نقطة الصفر : ١٠٦/١٠٥

ثالثا ــ الشعر الاسلامى :

خلا ديوانه الأول (الأرض والحب) من الشعر الاسلامى بينما ضم ديوانه الثانى (طيفان .. على نقطة الصفر) هذا الغرض ، بل عنوان الديوان إنما هو عنوان لموضوع قصيدة اسلامية والشعر الاسلامى عند بهكلى يشمل قصيدة (غسيل الملائكة ص ١٤ ، ٢٥) ، وقصيدة (عبرات على خد الدعوة الاسلامية ص ٣٣ ، ٤٢) ، وقصيدة (أنشودة الفارس القادم ص ٢٦ ، ٣٢) ، وقصيدة (طيفان ص ٤٣ ، ٤٨) ،وقصيدة (من خالد بن الوليد ص ٩٣ ، ٩٧) ، وقصيدة (إلى سيد قطب ص ٩٨ ، ١٠٢) ، (وخماسية ص ١٢١) .

والقصة الشعرية (غسيل الملائكة) تقوم على حدث قصصى يبدأ حينما أذن المنادى للجهاد فى سبيل الله فى غزوة أحد ، ويلبى النداء الصحابى الجليل حنظلة بن أبى عامر ليلة دخوله على عروسه ويخرج إلى الجهاد وهو جنب لم يغتسل ، ثم يقتله الأسود بن شعوب وحنظلة يحاول قتل أبى سفيان ، وإذا برسول الله ﷺ يرى الملائكة وهى تغسله ، فأرسل إلى أهله فأخبروه بخبره ، يقول الشاعر فى هذه الأقصوصة الشعرية :

ليلة والنجوم تستغفر الليل ... وما حاز قدرة الغفران
وعواء الرياح يخفت حينا ... ثم يعلو كآهة الولهان
وهنا فى الخباء ينتجع الطهر ... فيجنى ثماره عِرسْان
وجذوع النخل راهنت الليل ... وللفجر شدة الغفران
لم تكن غير لحظة فإذا الليـ ... ـل طريد الرحيل فى إذعان
والندى يغسل الأزاهير ... والأطيار تشدو برائع الألحان
وصريخ علا بأن أناسا ... داهموا ربع الندى الفينان
صرخة أعنقت تخب فتجلو ... صدأ الاندهاش فى الآذان
كأن رجع الصريخ جلجلة الإيما ... ن يحمى مرابع الإيمان
ما ترى غير لابس درع حرب ... أو مغذٍّ السير فوق حصان
وازدهت حرة المدينة جندا ... ورسولا ومبدءًا قرآنى
رقص الفجر رقصة فتغنت ... أحد .. والتقى الجمعان
وانبرى حنظل يقارع ذاك ... القرم فى قوة وأيد جنان
ضربة إثر ضربة .. أشفِ سؤلى ... كيف مُرديك يا أبا سفيان
كنت فى الأسفل الحضيض وقد ... كان ملاقيك فى أعز مكان
هم بالوأد حنظل .. وتجلت ... قسوة منه أثبتتها اليدان
(أنجدونى) ترددت وأبو سفيا ... ن من موته على إيقان

واجتلى الفارسين (شداد) فارتا ... عت خطاه كما فؤاد الجبان
واستطالت وراء حنظل شلا ... ، بطعن لكالح الفعل جانى
طعنة .. والدم الزكى تسابيح ... تدق السماء فى رضوان
ولعينى حنظل ومضات ... أطفأتها من الردى ريحان
أى نعمى وهبْتَ يا ابن شعوب ... لابن حرب مجندل الفرسان ؟
ساعة وانتهى العراك وأصغى ... قومه للرسول والكل حان
قال : إن الملائك حفت ... بقتيل وأمسكت بأوانى
إنها تغسل القتيل .. وما كا ... ن سوى حنظل فتى الفتيان
اسألوا زوجه وجلجل فى ... القوم جواب سما عن الأذهان
أيها الفارس النبيل ولم تث ... نك عن عزمك الأكيد الثوانى
إن تكن أمس قد دخلت بعرس ... فبذا اليوم دخلة للجنان
نم قريرا .. فأنت لازلت رمز ... الاحتراق المرضى للانسان
إيه يا حنظل الفريد وكم قد ... عاش فينا أبوك طول الزمان
هو باق .. يحب .. ينجب لكن ... لم يطق بعد نجل حنظل ثان[1]

الغرض من هذه الأقصوصة الشعرية موضوعى إسلامى ، ومثل هذا الاتجاه لا يجيده شعراء التحرر فى التجديد ، الذين يعبرون عن ذاتهم ، ويفتشون عن أنفسهم ، وهم قابعون فى برجهم العاجى .

لذلك لم ينصهر الشاعر هنا فى بوتقة المعركة ، ليصورها بحرارة وصدق عاطفة ، فاضطربت التجربة الشعورية عنده ، ولم تكن عميقة تستقصى جزئيات الأحداث بدقة وواقعية ، واضطر الشاعر أن ينصرف عن الأحداث إلى الاهتمام بتصوير الطبيعة فتستجيب مظاهرها مع موضوع القصة ، فالنجوم تستغفر الليل ولا أدرى ماذا يقصد الشاعر من هذا الاستغفار ؟ والرياح تعوى ، وثمار الخباء مجتنى العروسين ، وجذوع النخل راهنت الليل . ولا أدرى لهذا معنى ؟ ، والفجر يشتد فى عنفه ، والليل طريد الرحيل ، لا يتناسب مع الندى يغسل الأزاهير ، ولا مع الأطيار التى تشدو بالألحان ، والفجر يرقص ، وأحد تتغنى بتلاحم الجمعان ، وغيرها من مظاهر الطبيعة ، التى لم يحسن الشاعر تطويعها ، واستخدامها بما يتناسب مع الوقار فى الموضوع ، وهيبة الموقف ، فلا يصح للفجر أن يرقص ، ولا للطير أن تشدو وتتغنى حين التقى الجمعان .

---

(١) طيفان .. على نقطة الصفر : ١٤/٢٥

ومما يدل أيضا على اضطراب التجربة ، وقلق التصوير الأدبى ، مثل اضطراب كلمة (كما) وعاميتها فليست لفظا شعريا لأن للشعر أدواته الخاصة ، وذلك فى قوله : (وارتاعت خطاه كما فؤاد الجبان) مما أحدث قلقا فى موسيقى البيت وشذاجة فى التصوير الأدبى .

ومثل صورة تسابيح الدم الزكى تدق السماء . إنها تتفتح لها أبواب السماء ، ولا تدقها ، لما فيه من معنى العنف والقهر .

ومثل صورة (أرى الملائك حفت بقتيل ، وصورة (إنها تغسل القتيل) ، وماهو بقتيل ؟! بل هو شهيد وأى شهيد والوزن واحد ، لم يضطرب .

وكذلك صورة : (نم قريراً .. فأنت مازلت رمز الاحتراق الرضى) تناقض فى التصوير الأدبى ، كيف ينام قرير العين وهو رمز الاحتراق الرضى .

وفى كل هذا الدلالة على أن الشاعر متحرر فى تجديده من القيود الموضوعية ، التى تتناسب مع أحداث القصة الشعرية فيعتسف طريقا آخر يعبر فيه عن ذاته لا عن موضوع القصة وأحداثها ألا وهو الهروب إلى الطبيعة ، بدون مبالاة لواقعية الأحداث ونموها ، ثم التحرر أيضا من الواقعية الموضوعية إلى الانطلاق فى ذات الشاعر ، والتغنى بها من خلال مظاهر الطبيعة ، مما أوقع الشاعر فى اضطراب التجربة الشعورية وقلق التصوير لها والتناقض بين أجزائها ، وعدم انسجامها مع الغرض من القصيدة .

والشاعر نفسه يعترف بهذه الحقيقة ، فيقول عن شعره فى ديوانه (طيفان على نقطة الصفر) : نلاحظ أن التناول لم يكن منصبا على سرد التفاصيل الحديثة ، بقدر ما يصف الأثر النفسى أو الانعكاسات الشرطية ، كما يسميها بذلك تلاميذ الغزالى ، وبافلوف .. إننى لا أميل كثيرا إلى الموضوعية فى الشعر ، فكلما كان الشعر موضوعيا كان بسيطا ، وكلما كان بسيطا فقد هيبته وفاعليته كداعية إلى التخيل والتفكير)[1] .

وليس هذا القول صحيحا إلا من جانب واحد فقط وهو أن الشاعر متحرر ينشد ذاته فقط ، ولا يحسن تصوير الأحداث فى الشعر الموضوعى ، ومن ينكر شاعرية شوقى فى مسرحياته ، وروعة التصوير فيها[2] فالتحرر عند بهكلى جعله لا يجيد تصوير شعر الموضوعات ، والتى تقوم على نمو الأحداث وسحر تصويرها .

والذى يؤكد وجهة نظرى هذه ، هو ما أحس به بهكلى نفسه حينما حاول أن يأخذ

---

(١) طيفان على نقطة الصفر : المقدمة

(٢) مثل مسرحية مجنون ليلى ، على بك الكبير ، العباسة وغيرها .

اتجاها جديدا فى ديوانه الثانى ، وهو تعدد الموضوعات ، والخروج من إطار الذاتية التى سيطرت على ديوانه الأول ، وهذا التحول كان بناء على رغبة القراء كما يقول ، وأعلن عن خوفه من الاتجاه الجديد ، وتمنى ألا تخل الموضوعية الجديدة بالقيمة الفنية لمحتوى القصيدة ولهذا الرجاء جاء بقصيدتين طويلتين ، وهى قصيدة (غسيل الملائكة)وقصيدة (ذهول الحس) يقول بهكلى :

« إننى أعلم جيدا أن القراء لا يستوون من حيث الميول والنزعات ، ولا من حيث المنحى الفكرى لذا آثرت تنويع موضوعات هذه المجموعة بشكل أرجو ألا يكون مخلا بالقيمة الفنية لمحتواها ، ومع أننى لا أشك إطلاقا فى الإيجاز الذى اعتمدته هنا ، وفيما مضى ، وسأعتمده مستقبلا بمشيئة الله ، مع ذلك فقد وردت بعض القصائد الطوال كقصيدة (غسيل الملائكة) وقصيدة (ذهول الحس (مثلا ..)[(١)]

والحديث عن الموضوعية فى شعر بهكلى لا يغض من شاعريته وخاصة فى الاتجاه الذى يجيده وهو الشعر الذاتى الغنائى الذى يصور الأثر النفسى عنده ، وهو بارع فيه وفى تصويره ، قوى فى ابداعه ، حتى فى الشعر الاسلامى ، الذى يعد دون الأغراض الأخرى فى الابداع والتصوير .

فالشاعر حين يصور أثر الشهيد (سيد قطب) الشخصية الاسلامية المعطاءة فى نفسه ، نجد شعرا رائعا قويا ، يدل على شخصية الشاعر ، وإبداعه الفنى ، يقول فى قصيدته (إلى سيد قطب) :

برغم الزحام .. برغم الظما ... يلو كان ذاك المدى المبهما
برغم الليالى حبالى عَشَى ... برغم الصبيحات سكرى عمى
برغم الذى جاء أو لم يجىء ... تمردت يا عاصفا ملهما
فلا شىء واجهت إلا ثوى ... كسيحا .. وحطمت تلك الدمى
عبرت زمان القصور إلى ... زمانٍ بدرع الوصول احتمى
وألغيت كل العذاب الذى ... قضى أمره زمنا مبرما
ولم تك يا سيدى ساحرا ... ولا ذا هوى بنجوم السما
ولكن ظللت شجاعا بلا ... مراء .. وأعلنتها مسلما
وقال لك الله كن بذرة ... تفتح يقينا وأثمر دما
وراحت خطاك بدرب الهدى ... تشع سنا يهتك المظلما
وحققت دعوته لترى ... على طرقات الهدى معلما

(١) طيفان .. على نقطة الصفر : المقدمة ص ٤

وكم من جهـول ردىء بغـى ... لك الخطب والحادث المؤلما ؟
تغشت على ناظريـه الـرؤى ... فلم ير ذاك السنا الأعظما
ولم يجتـل النـورَ من مسلـم ... وأن له الـنصر إمـا رمـى
إذا مت يا سيـدى مُعدَمـا ... فمـا مت يا سيـدى معدمـا
أتيـتك يا سيـدى لا تظـنَّ ... دمعـى عليـك إذا ما همَـا
لعمـرك لم أبك يومـا على ... شهيد قلى الأرض نحو السمـا
ولكـن حزنى على أمـة ... مَلّا عزهـا الكـون واستلمـا
وعـاث البغـاث بأحسابها ... وقد طاولت ــ سيـدى ــ الانجمـا
إذا الصقـر عن أيكة لم يذد ... رأيت النـور تجوس الحمـى
وإن أنجد الـذئب يومـا ومـا ... تأذى .. فليـث الشرى اتهمـا
أتيـتك يا سيـدى حينـى ... معـى وردة لم تزل برعمـا
حنانـيك ما كنت إلا كما ... ذوت بسمـة لم تجد مبسمـا(١)

رابعا ــ الرثـاء :

لا يوجد هذا الغرض إلا فى ديوانه الثانى (طيفان .. على نقطة الصفر) ويضم قصيدة (ذهول الحس ص ٧٣ ، ٨٢) فى اغتيال الملك فيصل بن عبد العزيز طيب الله ثراه أنشدها فى ١٣٩٥/٥/١٣ هـ بالرياض ، وقصيدة (حديث العياء ص ٨٢ ، ٨٥) فى رثاء رفيق الشاعر عبد العزيز أحمد هيجان فى ١٣٩٥/٤/١ هـ جيزان ، وقصيدة (البرىء ص ٨٦ ، ٩٠) ، مهداة إلى روح الشيخ على بن يحيى عباس رئيس بلدية أبى عريش سابقا .

يقول بهكلى فى (ذهول الحس) :

مثلمـا تهصر اليـد الـغصن هصرا ... ووريقاتـه تساقـط تتـرى
كما بعثرت حبيبـات رمـلٍ ... ريح صيفٍ تحوّل الحسن نكرا
مثـل هذا يجيئنا القـدر الصا ... رم يخطـو فمـا ندبـر حِذْرا
إن هربنـا وكيـف ذاك لم نسـ ... طع هروبا فنسلم الأمـر قسرا
إنما خطـوة القضا ألـف شبر ... إن تكـن خطـوة الخلائـق شبرا
هى أقدارنـا سوائم فى مر ... تع أعمارنـا تذل وتَضْرى
لم نأس إذا تعسفهـا الجو ... ع فجـاءت تجذ شوكا وزهـرا

(١) طيفان .. على نقطة الصفر : ١٠٢/٩٨

وإذا ما القضاء حلّ .. محال   رده فالقضاء أمضى وأجرى
إيه يا لهفة المحبين زيدى   واجأرى بالدعاء بالخير جأرا
فالذى شيد المحبة صرحا   فى الحنايا .. وبلور السعد بشرى
قد قضى بينما الليالى ابتهال   بقاه .. وغادة الحلم سكرى
والفيافى حدائق تتغانى   ووجوه الأقوام تطفح بشرا
بينما الحلم سارب فى رؤانا   يتهادى على المشاعر نهرا
وإذا بالصروف تقطع ذاك   الحلم كى تصنع النهاية غدرا
ورمتْه الرعناء — آه — فأصمت   سهمها .. والذهول بالحس أزرى
وإذا الموجة العظيمة تنقض   شتاتا قضته مدًّا وجزرا
والحبيب القريب منا مسجى   برداء .. وقد قضى الله أمرا
ويكاد التكذيب يثبت لولا   أن رَأْىَ العينين أصدق خُبرا
إنه مات لم نعاند .. ولكن   عاند الحب .. رب رحماك تترى
كان فى كل خافق أملًا يا   رب فاغفرْ له .. وأجز له أجرا
وأعنى فإنى لست أدرى   من أعزى فيمن فقدناه طرًّا
أأعزى المحراب وهو انتحاب   حين يضحى ضحى .. ويصبح فجرا
أم أعزى المنى وكانت تغنى   لحنها الراحل المجلل فخرا
حرتُ هل أبعث العزاء إلى مكة   والقدس تسطر الدمع سطرا
والبراءات هل أعزى ؟ وعين   النبل والمجد يا إلهى عبرى
هل أعزى الشآم والنيل باك   وعيون الفرات بالدمع سكرى
ويصيح البكاء فى مسمعى من   ربع عمان .. أم منازل بُصرى
ولصنعاء آهة لو وعتها   أذنى .. أصبحت تجلَّل وقرا
وقف الحزن كاتبا بيد الغد   ر على أوجه المحبين سفرا
والمآقى سفائن فى بحور الوجد   والوجد ينثر الدمع نثرا
إيه يا لهفة المحبين إنى   إن تزايدت استميحك عذرا
كلفينى البكاء والألم المغد   ق إنى بندب حبى أحرى
سأصوغ الليالى عقدًا على صد   ر حنينى .. وسوف أوليك شكرا
فالمصاب الجليل هتك أستا   ر التأسى .. فلم يذرفيه سترا
حملينى الشجى ولمض المعانا   ة وأوفى إلى فجرا وعصرا
غير أنى .. وإن تدجت سمائى   لن أظل الزمان أطلب بدرا
فعلى أفقى الرحيق بدور   تتبدى فتصنع النور صبرا
فالنفوس الظماء للعز تروى   من عيون تظل تزخر زخرا

إننــا صفحـــة إذا تم سطـــر كتب المجد فى الصحيفة سطـرا
وإذا فلّ صارم من قرع الخطب لم نفتقـــــد صوارم أخـــــرى
نحن من أمةتخيرهـــــــــا الله فأضحت بالله أعظــــــم قدرا
ستظــل الزمـــان تعلــو وتعلــو وتصوغ الجهـــاد حقـــا ونصرا
وإذا ما اقتطـــفت يا دهـــر ريحا نة آمالنـــا .. فلـــم نأت إصرا
إن فى الأفق نفحة من شذاها أرجـــاً ينـــجلى بهاء ونشرا
قد تموت الأشياء تفنى ولكـن يخلد الحق .. فهو أعمق جذرا(١)

كان لابد من ذكر القصيدة كلها ، لأوضح أمراً لابد منه هنا وهو أننى جعلت بعض القصائد فى رثاء الفيصل من الشعر الاسلامى ، ولم يدخل تحت باب الرثاء ، لأنها انصرفت عن تصوير المرثى إلى تصوير ما قام به من حضارة إسلامية ، وتثبيت لدعائم الشريعة ثم مواقفه العربية الاسلامية للدفاع عن الاسلام والعروبة وغيره مما جعل مثل هذه القصائد الاسلامية العربية لا تدخل فى باب الرثاء .

لكن هذه القصيدة (ذهول الحس) ليس بها من المرشحات السابقة ، التى تجعلها من الشعر الاسلامى إلا فى القليل من أبياتها ، فهى أدخل فى باب الرثاء ، ولا ينقص ذلك من قيمتها الأدبية فالرثاء ما زال غرضا أدبيا نبيلا وشريفا وعدم دخولها فى الشعر الاسلامى وانتسابها إلى غرض الرثاء يرجع لأسباب أهمها ، أن الشاعر يرجع إلى ذاته ، ويتمدد فى وجدانه ، ويهرب إلى الطبيعة هياما بها ، ولا يخضع لموضوع فى الشعر حتى يتقيد به ، بل يسير على مذهبه من التحرر فى التجديد ، وهكذا يمضى الشاعر من أول بيت فى القصيدة إلى آخر بيت فيها .

فالشاعر بهكلى يعبر عن مذهبه الأدبى فيها ، لأنه لا يصور آثار الفيصل طيب الله ثراه ، فى الأمة الاسلامية والعالم العربى وما شيده من حضارة ، وما حث عليه من التمسك بقيم الاسلام وتشريعه ،ولم يوضح مواقفه الشجاعة مع الأمة ضد أعداء العربية والاسلام .

لكن الشاعر صور أثر الصدمة العنيفة على نفسه ، التى رنت فى أذنيه تحمل نبأ الاستشهاد ، فأخذه (ذهول الحس) ، وصرفه عن وصف الأمجاد إلى تصوير الآثار النفسية للنبأ الذى هز وجدانه من أعماقه ، وهز وجدان العالم الاسلامى من حوله ، بحيث أبدى الجميع آثار هذه الهزة العنيفة على النفس ، فيصور مدى الأسى العميق ، الذى أصابها ، ويصور اليد الطائشة ، التى أججت الأسى ، ويصور القدر الذى فاجأ النفس بما لا ترغب مع الايمان به كل الايمان ، فى عشرين بيتا .

---

(١) طيفان .. على نقطة الصفر : ٨٢/٧٣

ثم يصور العزاء بعد ذلك ، وهو أثر نفسى أيضا فى ستة عشر بيتا ، وفى الأبيات الثمانية الأخيرة ، يصور أمجاد المرثى ، وغاية الأمر عنده فى هذا ، أن الفيصل صفحة من التاريخ سطرها المجد ، فهو سيف صارم ، والحق خالد بعد فنائه وتلك آثار نفسية أيضا ، وليست تصويرا للأمجاد والبطولات ، التى حفظها التاريخ لهذا الزعيم الاسلامى العربى الكبير .

لذلك كان الشاعر دقيقا وصادقا ، حينما جعل عنوان قصيدته (ذهول الحس) ، فكانت صدى لتصوير أحاسيسه ومشاعره ، وتجسيداً لأثر الحادث الأليم على النفس ، الذى فجر فى نفسه تلك التجربة الشعورية الحزينة المؤلمة فجعلت النفس تنزف دما ، وتتلظى ألما ، وتشتكى أمرها ، وهى مفزوعة حائرة تائهة لولا الايمان بالقدر الذى يثبتها على العقيدة السمحاء .

فالقصيدة مشدودة بمميزاتها السابقة إلى الخصائص الفنية لمدرسة الشاعر ، وهى التحرر فى التجديد ، التى يركب فيها الشاعر أجنحة الألم والحزن والشكوى والانطواء داخل الذات والنفس ، متحرراً عما هو موضوعى ، لأنه خارج عن ذاته وأعماق نفسه وأغوار وجدانه ، وبهذا يكون الشاعر صادقا مع مذهبه الأدبى ومخلص له كل الاخلاص .

لهذه الأسباب أدخلت قصيدته (ذهول الحس) فى باب الرثاء ، لا فى الشعر الاسلامى ، على العكس مما صنعته فى مواطن أخرى ، حيث انضم إلى الشعر الاسلامى ، لما يقوم عليه من موضوعية لا ذاتية ، واهتمام بتصوير آثار المرثى وأمجاده ، لا آثاره فى نفسه فقط ، وبذلك يكون الرثاء قد أخذ طوراً جديدا لم يكن له من قبل فى الشعر الحديث ولذلك فضلت أن يدخل فى الشعر الاسلامى فهو إليه أقرب من غرض الرثاء الموروث .



التصـوير الشـعرى

بين الوجدان الذاتى والالتزام الموضوعى :

بهكلى شاعر من مدرسة (التحرر فى التجديد) ، وخاصة فى ديوانه الأول (الأرض والحب) ، تغنى الشاعر فيه بمشاعره الذاتية ، وأحاسيسه الفردية ، ووجدانه النفسى ، ولا تجد له فى هذا الديوان شعرا ملتزما غالبا ، يعالج به موضوعات فى الواقع ، وإنما كان يعالج خلجات قلبه ، وحمم عواطفه ، وثورة وجدانه لكن على أنه فرد من أفراد المجتمع ، فيعالج المجتمع من خلال ذاته فقط ، ولا يعالجه من خارج ذاته ، بلا انفصال عنه ، لأنه فرد منه ينبغى أن ينظر إليه من داخل نفسه ، وأن يهتم به من خلال ذاته ووجدانه أولا ، وذلك فى شعره الوجدانى والتأملى ، الذى اشتمل عليه الديوان .

وشعر الطبيعة كذلك كان يتناوله الشاعر هروبا من واقعه ليناجى مظاهرها ، فتشاركه عواطفه ومشاعره ، فهو يصور نفسه من خلال مظاهر الطبيعة ، لأنها رمز يعبر عن وجدانه ، ومسرح لتأملاته ، ومعرض للتعرف على أسرار الجمال ، التى ينشدها فى مجاليها ، وبسطت القول فى ذلك فى أغراضه الأدبية .

أما الديوان الثانى (طيفان .. على نقطة الصفر) فقد تنوعت فيه الأغراض والموضوعات ، فاشتمل على أغراض موضوعية ، وخاصة فى شعره الاسلامى ، ولكنه مع ذلك غلب عليه التحرر فى شعره من الموضوعية والالتزام ، وأوضحت ذلك حين تناولت الشعر الاسلامى غرضا من أغراض شعره ، حين صور الشاعر أثر الموضوع فى نفسه ، لا ذات الموضوع بأحداثه وقد أقر الشاعر بذلك على نفسه ومنهجه فى الشعر كما قدمنا .

والشأن فى الموضوعات الاسلامية التى تناولها الديوان الثانى أن تعتمد على الالتزام والتصوير الواقعى للأحداث كما وقعت فى التاريخ ، ولكن تحرر الشاعر فى التجديد جعله لا يعبأ بتطور الأحداث ونموها ، وإنما كان يصور أثر هذه الأحداث فى نفسه ، ودرجة استجابة العاطفة والمشاعر لهذه الأحداث ، وضربت الأمثلة على ذلك من قصيدته (غسيل الملائكة) وغيرها .

الوحدة الفنية فى شعره :

فالوحدة الفنية فى شعره تكاد لا تخلو منها قصيدة أو مقطوعة ، حيث تقوم على غرض واحد ، وموضوع واحد ، يشتمل على أفكار تنمو من خلال الموضوع ، وتدور فى فلكه فى ترابط وتلاحم بين الألفاظ والأساليب والصور والأخيلة ، والايقاع والموسيقى حتى نهاية القصيدة ، وإذا رجعنا إلى قصيدة مما سبق ، أو مما سيأتى ، ستجد هذه الوحدة تسرى بين جوانبها المختلفة .

التشخيص فى التصوير الشعرى :

أما التشخيص عند بهكلى فيرجع الاهتمام به إلى خياله الواسع العميق ، الذى يبعث الحياة فى الجمادات والأرواح فى المعانى والمجردات ، فتتعاطف الكائنات معه ، وتتردد أصداء أحاسيسه ومشاعره بين أعماقها ، فيحبها وتحبه ، ويعشقها وتعشقه ويشتاق إليها ، وتشتاق إليه يقول بهكلى فى (السحر يلد أبها) :

صبوت وأضحى هائما مغرما قلبى ... وتهت ولى عذر فإدلالها يصبى
كأنى مجذوب لها وهى جاذب ... لحبل ودادى حيث قد أحكمت جذبى

إلى قوله :

حببتك حبا فوق جهدى وطاقتى ... وحبك يا أبها تغلغل فى القلب
أيا ذوب إحساس رقيق ويا مدى ... خيال وسيع الأفق فى عالم رحب
إذا كان فى مغنى (اليمانية) انتمى ... هواى فقد ذقت الصبابة فى (النصْب)

وتحت ظلال الأيك فى (السودة) انجلى ... لى الحسن مشدودا على ربعها الخصب
وأيدى النسيم الغض تهصر غادة ... من العرعر المزدان ذى الفنن الرطب
على حين صداح البلابل قائم ... يصوغ الرؤى بترنيمة حلوة تسبى
وينساب رقراقا نمير مدله ... كأن أساه من فراق ابنه السحب
وكم فى شفا (القرعاء) سرحت ناظرى ... ليرجع مبهورا من المنظر العذب
كأن لكف السحر تمريرة على ... عيون المياه الجاريات على الترب
تلمست أبغى دارة الحسن فى الدنا ... وساءلت عن مغنى العنادل فى دربى
وطفت أرود المرتع الخصب للهوى ... لألقاه فى أبها ابنة السحر والحب[1]

---

(١) الأرض .. والحب : ٩/٧

فأبها حبيبته التى أحبها وأحبته ، وفى كل حى من أحيائها تجاوبت مع عواطفه ، وفى كل مغنى من مغانيها استجابت مع مشاعره فحبها تغلغل فى القلب ، حتى تجاوز الجهد والطاقة ، فانتسب الشاعر إلى مغنى (اليمانية) وكثيرا ما ترددت عليها لأرى بنفسى تلك المغانى الجميلة الرائعة ، فى حضن أعلى جبل وسط مدينة أبها ، فى قمته محطة (تليفزيون) المنطقة الجنوبية .

وكما ذاق الشاعر مرارة الصبابة فى حى (النصب) ، الذى كنت أطل عليه بنفسى من شرفة مسكنى (عمارة الراجحى) صباح مساء ، وأتملى سحر الجمال فى جباله ، التى تحتضن بساتين أبها وأشجارها ومزارعها فى واد تتدفق إليه المياه الغزيرة فى فصل الشتاء وفصل الربيع وجزء من الصيف .

أما ظلال الأيك فى غابات (السودة) الساحرة ، فتميس فى سحر خلاب وحسن باهر ، متربعة على عرش ربع خصيب ، وهى أعلى منطقة فى أبها ، حيث ترتفع عن سطح المدينة ثلاثة آلاف قدم وتتعانق غابات العرعر الكثيفة ، التى تشدو بأغاريد البلابل خلال تربة خصبة ، وصخور متنوعة ، وجبال جدد سود وبيض وحمر مختلف ألوانه ، تنعكس عليها أشعة الشمس الساطعة الذهبية .

وأما المطر إذا سح لا يرحم أحدا فتتفتح السماء بالماء كأفواه القرب (كما يصف ذلك أحد المستشرقين) ، وكنت أتردد عليها من حين لآخر ، لأتلو آيات الله ، التى نظمتها طبيعة ساحرة فى أرض خصبة رابية وسط جبال شاهقة ، وصحراء تضن السماء على أهلها بالماء القليل ، هذا هو موطن الغرابة والدهشة ، التى كانت تستبد بقلبى ، وتجيش بخواطرى ، وتشدنى إلى هناك من حين لآخر .

وأما القرعاء فقد بهرت نظرة الشاعر ، حين تجرى العيون على تربتها الخصبة ، فتتسلل المياه من بين الأشجار الضخمة ، التى كنت أجنح إليها كثيرا ، فأتفيأ ظلالها من وقت لآخر .

فاليمانية ، والنصب ، والسودة ، والقرعاء ، كلها أماكن ساحرة فى أبها ، التى عاش تجربتها الشاعر ، وتجاوبت عاطفته ومشاعره معها ، وبين ربوعها ، وتلك خصائص التحرر عند الشاعر ، الذى أحب الطبيعة ، وتردد صدى الوجدان من خلالها .

ولاهتمام الشاعر بالطبيعة ومعالمها فى الجنوب ، تراه فى قصائده كثيرا ، يقول فى (يا منتدى الذكريات) :

ما عرفت الحنين حتى تباعـدت ... عن الأثل فى شفا القرعـاء
ما شكوت الخواء حتى تناديت ... فلم أدن من ربا حجلاء
ما تأسيت قبـل بعـدى عن ... نعمان مغنى الإثـارة الخضراء

كنت والحب فى مغانيك نحيا أملا راقيا وحلو رجاء
وأماسينا لقاءات نجوى نثرت من يمينك المعطاء[1]

فالقرعاء ونعمان وحجلا من مفاتن عسير ، وحجلاء كانت ولا تزال بها كلية التربية فرع جامعة الملك سعود (الرياض سابقا) والتى أعمل بها معارا من جامعة الأزهر ، وهى على بعد خمسة عشر كيلو مترا من أبها التى أسكن فيها ، والأماكن التى عاشها الشاعر وعشقها وهام بها يلح على ذكرها فى قصائد كثيرة يقول فى(الأرض والحب) :

أسائل عنك الليل والأنجم الزهرا لعل لديها عنك يا فتنتى خبرا
ولولا وفائى ما تلمضت صابرا بنار بعادى عن مرابعك الخضرا
أنا فيك يا جازان فلتزهر الرؤى بعينى غريب هام ربعه دهرا
أنا فيك فى (فيفا) نناجى جنانها وأخلق إعجابى بما احتضنت شعرا
وأنساب فى أنهار (بيش) مغنيا منازلها الفيحاء أو زرعها النضرا
وتمنحنى (صبيا) ولا زلت فى الصبا برود صبا تستأثر اللب والفكرا
وأغرق روحى فى هوى (ضمد) التى رعتنى عمرا بات من أعذب الذكرى
بروحى تلك الأرض من أثلها إلى منابت (سُعَّيد) قد انتشرت عطرا
على أننى ضيعت عمرى فى (أبى عريش) فإن خرفت يا جنتى عذرا
كأن لياليها سواحر بابل وما ضمنت تلك الليالى غدت سحرا
ولى فى ديار الأريحية والندى بسامطة قلبٌ تعانقه البشرى
كما عانقت جازان أذرع بحرها وعانقت التاريخ والمجد والفكرا[2]

فهذه الأماكن التى التهبت فى وجدان الشاعر ، وهى مدينة جازان غربى المنطقة الجنوبية تعانق بذراعيها البحر الأحمر ، ولها تاريخ حافل بالمجد والعلم والأدب والحضارة ، وجبال (فيفا) جميلة المناظر عليلة الهواء ، جيدة الثمار ، تقع فى شرقى المنطقة ، ومدينة (بيش) أكبر أودية المنطقة الزراعية ، (وصبيا) مدينة تاريخية ، تعد مركزا سكانيا وتجاريا ، من أهم مدن المنطقة الجنوبية ، وقرية (ضمد) من أكبر القرى ، وكذلك (أبو عريش) مدينة فى الوسط ، ومدينة (سامطة) فى الجنوب من عسير .

***

(١) الأرض .. والحب : ص ٢٠
(٢) المرجع السابق : ٣٥/٣٣

الخيال والصور الأدبية :

وتضطره اللهجة الجنوبية فى الأسلوب من حين لآخر أن يعبر بما يدور على اللسان العربى الفصيح فيها من إبدال الظاء ضاداً على عاداتهم منذ القدم ، فيقولون : (تلمضت) واللهجة القرشية تنطقها (تلمظت) بالظاء ، والمعنى واحد وتردد ذلك فى شعر البهكلى فيقول :

ولولا وفائى ما تلمضت صابرا[1]

ويقول فى موطن آخر :

وتلمضت على نار وقد جاءت رسالة[2]

ومن روائع صور الخيال القوية الحية ، ما جاء فى مقطوعته (بوح) يقول :

أبها .. ويبسم كل محروب   أبها .. ويفرح كل منكوب
أبها .. وكل الكون أبعدنى   وجذبتنى فرأيت تقريبى
وحضنتنى وأنا الشريد فلم   أحزن لمآساتى وتعذيبى
إنى انتهيت إلى حنانك يا   شجنى وسعدى، وتأويبى
من أين .. لا أدرى سوى سبب   لا زال يجذبنى ويغرى بى [3]

وكذلك نجد الخيال الخصب ، والتصوير البديع الرائع فى صور كثيرة ، مثل ما جاء فى قصيدة (شوق) :

يا شادنا وسرار القلب مرتعه   والحس إما غفت عيناه مضجعهُ
وفى الحشا منه نار بات يوقدها   هجرانه وصدود ظل يصنعهُ

أهات صبٍّ وأنات يرددها   ونحو عمق الشكاة الحزن يدفعهُ
تعنو إليه تباريح الجوى سحرا   وتحتويه مع الآصال أدمعه
متيم ليس يدرى كيف حل به   خطب الغرام فأضحى الهم يتبعه
وليس يدرى أذرْفُ الدمع يسعفه   أم أن ترديده آه الحزن ينفعه
يسامر الليل والأفلاك مكتئبا   لعلها من عذاب السهد تنزعه [4]

---

(١) الأرض .. والحب : ٣٣
(٢) طيفان .. على نقطة الصفر : ١٢٦
(٣) الأرض .. والحب : ٢٢
(٤) الأرض .. والحب : ٤١/٣٩

صور جزئية بديعة رائعة ، جاد بها خيال الشاعر ، وهو يحلق فى حزنه وآهاته وأناته ، فالهجران يوقد لهيبا فى أحشائه وهو فى صدود مستمر يردد الأنات ، وتدفعه الأحزان المريرة إلى الشكوى والتساؤل ، وتنتابه تباريح الجوى ، وحرارة الدموع فى الآصال وفى الأسحار ، فهو صريع لا يدرى من صرعه هل الغرام ؟ أم الهم ؟ ، كما لا يدرى هل الدموع المنهمرة هى التى تطفىء نار الشوق ، أم ترديد الآهات والأنات ، ويظل كذلك يساهر الليل مكتئبا ، ويرعى النجوم مسامرا ، لعلها تشغله عما يعانيه من سهد ، وما يتجرعه من مرارة الصبابة .

ومن هذه الصور الرائعة ما جاء فى قصيدة (عذابان) :

أنت أغلى فى فؤادى من دعاء مستجابْ
أنت يا ملهمتى أحلى من الشهد المذابْ
أدركينى فأنا أضنى وفاء لا انتحاب
وبلا أجنحة حلقت لكن لا أهاب
فالهوى ينساب من نبعك أحلى انسياب
اتركيه كى يروّى ظمئى من ذى الشراب
وحنين داخلى أضحى وصبرى فى احتراب
لست أدرى أى هذين قد استولى الركاب
فبقى فى القلب يحيا فى ذهاب وإياب
أهو الصبر أم الشوق وفى كل عذاب
تبت من ذنبى ولكن منك مالى متاب(١)

والخيال الرائع يظهر فى قوله : (هى أغلى من الدعاء المستجاب) ، وهى (أحلى من الشهد المذاب) ، وهو (يتعذب وفاء لا انتحاب) ، ويحلق بخياله بلا أجنحة ، والهوى كالماء ينساب أحلى انسياب ، والحنين والصبر فى احتراب ، والقلب يحيا فى ذهاب وإياب ، وهو لا يدرى أين العذاب فى الصبر أم فى الاشتياق ؟ ، والتوبة لا من الذنب ولكن منها المتاب .

صور بديعة تنساب فى التأثير على العاطفة والقلب كانسياب الماء إلى الظمآن ، ويهتز لها الوجدان ، كما تتمايل الأغصان لنسيم الصباح ، وكذلك من الصور اللطيفة العذبة ، والخيال الخفيف المحلق قوله فى قصيدة (السر العجيب) :

---

(١) الأرض .. والحب : ٦٩/٧٠

قلت فى نفسى ولم أضمن صوابا فى المقالهْ
ذاب محب مدنف .. يا قرّب الله وصاله
والمحبون دواما هم همو مثل الذباله
فى احتـــراق وعنـــاء وسهـــاد ونكالـــه
إن يكن ذا الكون كأسا فهمـو منـه العلالـة
أو يكن ذا الكون علما فهـمُ حرف الامالـةْ[1]

فالصور هنا عذبة خفيفة كخفة الوزن والايقاع ، لكن بعض العبارات غير الشاعرية ، كان ينبغى على الشاعر أن يتجنبها فى التصوير الشعرى ، مثل القلق والاضطراب غير المألوف فى قوله : (يا قرب الله) حيث أدخل ياء النداء على الفعل وليس هذا مألوفا فى استعمال العرب .

وكذلك النظم العلمى الجاف ، الذى لا يتناسب مع تصوير الشعر فى البيت الأخير ، حيث صور خيبة الأمل عند الحبيب بالايقاع الصوتى المائل فى حروف الإمالة ، وهذا تصوير علمى جاف لا روح فيه ولا حياة .

وكذلك الأساليب العامية التى ينبغى للشاعر أن يترفع عنها فى تصويره مثل قوله : (تنحنحت) فى قوله :

وتنحنحت أين ملكك يا قيصر فارتـاع فى هدوء السريـر[2]

ومنها ما جاء الغموض فيه تبعا لتركيب العبارة تركيبا غريبا مما دعاه أن يوضح ذلك فى آخر القصيدة مثل قوله : (حبالى عَشَى) ، وقوله (سكرى عمى) حين يقول :

برغـم الليـالى حبـالى عشى برغـم الصبيحات سكرى عمى

قال الشاعر فى التعقيب على البيت : عشى : العشى ضعف النظر واستخدام حبالى مضافة إليها هنا مبالغة فى إثبات الواقع القاصر فى زمن المرحوم سيد قطب .

وكذلك تفسيره : سكرى عمى : مبالغة فى التقرير : أى لا ترى شيئا .

ولولا الغموض الشديد لما لجأ الشاعر إلى توضيح ذلك عقب القصيدة ، والشعر الشاعر هو الذى يتسلل أثره إلى نفس القارىء بلا معين ، أو تعقيب ، ولو بطول نظر ، أو روية تأمل ، لأن ما وصل إلى القلب بعد التأمل تمكن منه ، وليس الأمر كذلك بعد البحث فى معاجم اللغة ، فالبون شاسع بينهما .

---

(١) طيفان .. على نقطة الصفر : ١٢٢
(٢) الديوان السابق : ٣٩

وكذلك كلمة رغم فى استعمالها هنا خطآن : أحدهما أنها ليست من حقل الشعر لأن للشعر كلماته التى توحى بالشاعرية لا بالتدليل ولا التعليل وارتباط الأسباب بالمسببات وهذا ما تدل عليه كلمة (رغم) . ثانيهما : أن الأصل فى استعمالها أن يقول الشاعر : (على الرغم من ...) ، وأما بالطريقة التى عرضها فهى استعمال علمى بلا ريب .

وكذلك لم تتلاءم بعض الصور مع معانيها وأغراضها التى تعبر عنها مثل الصورة التى مر التعقيب عليها فى قصته الشعرية (غسيل الملائكة) ، ومثل قوله فى قصيدة (طيفان) ويقصد الشاعر بهما النبى محمداً ﷺ وجبريل عليه السلام :

ويغطـــه جبريـــــل يعلمـــــــه باسم الإلـــه يقين ما جهـــــلا
ومحمـــد يجثـــو وقـــد حَبِـــلتْ أذنـــاه بالوحـــى الـــــذى نزلا
ولـــد الهدى يا للمخـــاض فيـــا دنيـــا اعـــــتلى إن المخاض علا[1]

ويقصد الشاعر (حبلَت) بفتح الحاء وكسر الباء ، وقد شكلها على هذا النحو فى الديوان ، وليته ما شكلها ؟ بل تركها للقارىء تحتمل الوجه الآخر وهو (حَبَل) بفتح الباء ، ليكون معناها على سبيل المجاز أليق بمقام النبوة ، فكأن الوحى على ذلك ربطه بالسماء وبالله عز وجل ، كما يربط الطرفان بالحبل ولكن الذى صرف هذا الاحتمال عند الشاعر أمران : الأول التشكيل بكسر الباء ، والثانى الإتيان بما يتناسب مع الحبلى من المخاض ، وهذه الصورة لا تليق بمقام النبوة الشريف وجلال الوحى ، وقدسية التنزيل ، لأن الشاعر جعل الأذن حبلى بالوحى الذى نزل على محمد ﷺ ، فتمخضت الحبلى حين المخاض وولدت الهدى للبشرية جمعاء ، وهذا لا يصح أن يقال فى هذا المجال ، ويبدو أن الشاعر شديد الاصرار لما ذكره فى البيت التالى من لفظ (الحمل) :

حملتـــه كفـــا مؤمـــن رحـــــل هيـــا اقـــبلى الايمان والرجـــــلا

وقولـه :

سمعتـــه هذى الأرض فانتـــفضت من دهشة وتلجلـــجت خجـــلا
والأرض بكـــر رغـــم ما عشقت لكنها لم تعـــرف القبـــــــلا

وليس تبريرا صحيحا ما يقوله الشاعر عن نفسه من أنه لا يراجع العمل الفنى بعد صدوره لأول مرة وذلك بالتهذيب والصقل ، فهذا القول لا يشفع له فى مثل هذه المواقف ،

---

(١) طيفان .. على نقطة الصفر :

فنوابغ الشعراء قديما وحديثا ، يراجعون تجاربهم الشعرية المرة بعد المرة ، لكى ينقدوا شعرهم حتى تخف عليهم حدة النقد فى انتاجهم .

وإننى أريد من كل شاعر أن يكون ناقدا ، لأن النقد هو الذى يدفع الشعر دائما إلى القوة والابداع والجمال ، ولا من الشاعر أن يردد هذا القول مرة ثانية فى الطبعة الثانية للديوان الثانى الذى ذكر فى مقدمته :

(ولا أخفى على قارئى العزيز بأننى ــ خصوصا نتاجى الشعرى ــ لا أعيد النظر ولا أضيف ولا أحذف يقينا منى بأن للتجربة الشعورية حكما لا يجوز تهذيبه فى اللحظات العادية ، لذا لم أجد بدا من الابقاء على كل ما رصفته فى هذه المجموعة واعتزمت دفعها للطبع)[١] .

الإيقاع والموسيقى :

الشاعر أحمد بهكلى التزم البحر الواحد فى القصيدة على النمط الخليلى فى البحور الشعرية العمودية ، ولم يتعسف مراكب الشعر الحر ، إيمانا منه بالاصالة المعتدلة المصوغة فى قالب تراثى يقول الشاعر فى المقدمة : (وإننى رضيت بكونى راكعا فى سفينة الأصالة المعتدلة ، والأصالة الشعرية فى نظرى الحداثة الفكرية فى قالب تراثى .. من هنا انطلق من الجذور .. لا أجتثها .. لا انفصل عنها .. ولست مكابرا .. وما أنا بحجر)[٢] .

لكن الشاعر نوع من القافية حيث جاءت قصائد فى شعره تعتمد على التعدد فى القوافى ، فى نظام المقطعات ، كل مقطع له قافية يختلف عن المقطع الآخر ، مثل قصيدة (أحبك) ، وسبق ذكرها فى موطن آخر ، وقصيدة (حديث العياء) يرثى بها عبد العزيز أحمد هيجان فى جيزان يقول :

أحدثكـــــم عن أصول الجوى ... وعـن لوعـة الـروح يوم النـــوى
أحدثكـــم عن سنـــاء الـــرؤى ... يغـــور وكيـــف يموت الهوى
وعـن الدمـــع ينساب نهرا على ... مآق تروت به ما ارتـــــوى
وأى رحيـــــل تنـــــاءى على ... منانـــا ..؟ وأى كيـــان هوى ؟!

★ ★ ★

(١) طيفان .. على نقطة الصفر : المقدمة
(٢) الديوان السابق : المقدمة

أود الحديث فلا أستطيـــــــع وعينـــى تودع ركب الربيـــــغْ
أحـــاول لكـــــن رزءا دهـــــى فعـــىّ الفصيـــح وصمّ السميـــع
تعسف سعـــــدى ولم يتئـــــد فراح يزيـــد صدوعـــى صدوع
وعبـــد العزيـــز قضى لـــم أكـــد أصدق لولا قتـــام الربـــــوع[1]

وهكذا إلى نهاية القصيدة التى تقوم على نظام المقطعات ، وقد يلتزم الشاعر مع المقطعات المختلفة القوافى قافية واحدة فى البيت الأخير من كل مقطعة ، مثل ما جاء فى قصيدة (من خالد بن الوليد)[2] :

أنا من ؟ لو لم يك الايمان فى دنياى دينى
لو لم يبصر فى طريق الرشد من طريق الظنون
لو لم يزح عن ناظرى سُتر الضلالة والفتون
فأسير لا ألوى .. وقد هربت شكوكى من يقينى
ويرفـرف فى شفتى لحن رائـــع .. الله أكبر

إلى قولـه :

ما فى شبر لم تعانقـه الصوارم والرمـــاحْ
لم تلغ وجدانى وتنشرنى على أغلى البطاحْ
يضنى الشجاع إذا قضى بين النوائح والنواحْ
أما الجبـان فموتـه .. كحياتـه موت ارتيـاحْ
إنى أحس الموت يشعـرنى بأن الله أكبـرْ[3]



(١) الديوان السابق : ٨٢/٨٥

(٢) طيفان .. على نقطة الصفر : ٩٣/٩٧

(٣) نسبة إلى قولته المشهورة (والله ما فى جسدى إلا وفيه ضربة من سيف أو طعنة من رمح وهآنذا أموت على فراشى كالبعير .. فلا نامت أعين الجبناء .

المصادر والمراجع

أولا ــ دواوين الشعراء :

١ ــ **ديوان نيل السول :**
الشيخ حافظ بن أحمد الحكمى ــ البلاد السعودية ــ مكة المكرمة

٢ ــ **نظم اللؤلؤ المكنون فى أحوال الأسانيد والمتون :**
الشيخ حافظ بن أحمد الحكمى ــ مطابع البلاد السعودية ــ مكة المكرمة

٣ ــ **ديوان عقد الجواهر المنضدة الحسان :**
سليمان بن سحمان ــ بمباى ١٣٤٣ هـ

٤ ــ **مجموعة أشعار الحسن بن عاكش :**
المكتبة العقيلية الخاصة ــ جازان

٥ ــ **نفحات من عسير :**
جمعه ونسقه محمد بن ابراهيم الحفظى ، وعبد الرحمن بن ابراهيم الحفظى عام ١٣٩٣ ــ ١٩٧٣ م ــ مطابع عسير ــ أبها

٦ ــ **ديوان القلائد :**
محمد بن على السنوسى ــ مطبعة دار الكتاب العربى عام ١٣٨٠ هـ القاهرة

٧ ــ **ديوان الأغاريد :**
محمد بن على السنوسى ــ مطابع الأصفهانى ــ جدة

٨ ــ **ديوان أزاهير :**
محمد بن على السنوسى ــ الأصفهانى ــ جدة ١٩٧٢ م

٩ ــ **ديوان الينابيع :**
محمد بن على السنوسى ــ نادى جازان الأدبى ــ مطابع المدينة المنورة ــ جدة

١٠ ــ ديوان نفحات الجنوب :
محمد بن على السنوسى ــ نادى جازان الأدبى ــ مطابع الروضة ــ جدة ــ الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ

١١ ــ ديوان الأنغام المضيئة :
محمد أحمد العقيلى ــ دار اليمامة ــ الرياض الطبعة الأولى ١٣٩١ ــ ١٩٧١

١٢ ــ ديوان عبير من عسير :
يحيى ابراهيم الألمعى ــ الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ

١٣ ــ ديوان الألمعيات :
زاهر عواض الألمعى ــ دار القلم ــ بيروت ١٣٩١ هـ

١٤ ــ على درب الجهاد :
زاهر عواض الألمعى ــ مطابع الفرزدق ــ الرياض ١٤٠٠ هـ

١٥ ــ كلمات وقصائد :
مطبوعات نادى أبها الأدبى ــ مطبعة عسير ١٤٠٠ هـ

١٦ ــ أزاهير من ربوع عسير :
مطبوعات نادى أبها الأدبى ــ مطبعة عسير ١٤٠٠ هـ

١٧ ــ مسابقة الشعر بنادى جازان الأدبى :
مطبوعات نادى جازان الأدبى عام ١٣٩٧ هـ

١٨ ــ ديوان فى متاهات الحياة :
أحمد على عسيرى ــ جدة ١٣٩٣ ــ ١٩٧٣

١٩ ــ ديوان الأرض والحب :
أحمد بهكلى ــ نادى جازان الأدبى ١٣٩٨ ــ ١٩٧٨

٢٠ ــ ديوان طيفان على نقطة الصفر :
أحمد بهكلى ــ نادى جازان الأدبى ــ الرياض ١٤٠٠ هـ

ثانيا ــ المراجع :

١ ــ طبقات الشعراء :
ابن سلام الجمحى

٢ ــ مروج الذهب ومعادن الجوهر :
على بن الحسين المسعودى ــ مصر ١٣٨٣ هـ

٣ ــ معجم البلدان :
ياقوت الحموى ــ مصر ١٣٢٥ هـ

٤ ــ **الشعر والشعراء :**
ابن قتيبة الدينورى
٥ ــ **الموازنة بين أبى تمام والبحترى :**
أبو الحسن الآمدى
٦ ــ **أسرار البلاغة :**
عبد القاهر الجرجانى ــ تحقيق محمد رشيد رضا ١٩٣٢
٧ ــ **شرح الحماسة :**
المرزوقى
٨ ــ **الطراز**
يحيى العلوى
٩ ــ **الصناعتين :**
أبو هلال العسكرى
١٠ ــ **صفة الجزيرة :**
للهمدانى ــ تحقيق محمد بن بلهيد النجدى ــ السعادة بالقاهرة ١٩٥٣ م
١١ ــ **صحيح الأخبار عما فى بلاد العرب من آثار :**
محمد بن بلهيد النجدى ــ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ــ المحمدية بالقاهرة ١٩٥٣ م
١٢ ــ **التيارات الأدبية والشعر العربى الحديث :**
د . عبد اللطيف خليص ــ القاهرة ١٩٧٧ م
١٣ ــ **الأعـلام :**
خير الدين الزركلى ــ مصر ١٩٥٩ م
١٤ ــ **ملوك العرب :**
أمين الريحانى ــ دار الريحانى ــ بيروت ١٩٦٠ م
١٥ ــ **مرآة الحرمين :**
ابراهيم اللواء رفعت باشا ــ دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٤٤ م
١٦ ــ **الأدب العربى المعاصر ومدارسه :**
د . محمد عبد المنعم خفاجى ــ المحمدية ــ الأزهر
١٧ ــ **فصول فى الأدب والنقد :**
د . محمد عبد المنعم خفاجى
١٨ ــ **النقد الأدبى الحديث :**
د . محمد غنيمى هلال ــ مصر ١٩٧١

١٩ ــ الرومانتيكية :
د . محمد غنيمى هلال
٢٠ ــ مذاهب النقد وقضاياه :
د . عبد الرحمن عثمان ــ مطابع الاعلانات الشرقية ١٩٧٥ م
٢١ ــ الأدب الحديث :
د . عبد الرحمن عثمان
٢٢ ــ الديمقراطية الاسلامية :
د . عثمان خليل ــ القاهرة ١٩٥٨ م
٢٣ ــ الدعوة فى الاسلام :
توماس ارنولد ــ النهضة المصرية ١٩٥٧ م
٢٤ ــ قضايا النقد :
د . محمد السعدى فرهود
٢٥ ــ الاتجاه الوجدانى فى الشعر العربى المعاصر :
د . عبد القادر القط ــ مكتبة الشباب ــ القاهرة ١٩٧٨ م
٢٦ ــ الأدب الحجازى فى النهضة الحديثة :
أحمد ابراهيم ــ نهضة مصر ــ القاهرة ١٩٤٨ م
٢٧ ــ دورنا فى الكفاح :
حسن عبد الله آل الشيخ ــ مطابع نجد ــ الرياض ١٣٨٣ هـ
٢٨ ــ الوحدة الاسلامية :
زيد بن فياض ــ مطابع القصيم بالرياض ١٣٨٨ ــ ١٩٦٨
٢٩ ــ الموسوعة الأدبية :
عبد السلام طاهر الساسى ــ دار الكتاب العربى ــ القاهرة ج ١ عام ١٩٧٠ م
٣٠ ــ شعراء الحجاز المعاصرون :
عبد السلام طاهر الساسى ــ دار قريش مكة ١٣٨٨ هـ
٣١ ــ أدب الحجاز :
محمد سرور الصبان ــ ط ثانية ــ مطبعة مصر ١٩٥٨ م
٣٢ ــ المعرض :
محمد سرور الصبان ــ مؤسسة مكة المكرمة ــ ١٩٤٥ م
٣٣ ــ التيارات الأدبية الحديثة فى قلب الجزيرة العربية :
عبد الله عبد الجبار ــ مطبوعات معهد الدراسات العربية العالية ــ القاهرة ١٩٥٩ م
٣٤ ــ قصة الأدب فى الحجاز :

د . محمد عبد المنعم خفاجى ــ عبد الله عبد الجبار ــ دار مصر للطباعة ــ القاهرة ١٩٥٨ م
٣٥ ــ **الحركة الأدبية فى المملكة العربية السعودية :**
د . بكر شيخ أمين ــ دار بيروت ١٣٩٣ ــ ١٩٧٣
٣٦ ــ **الحياة الفكرية والأدبية فى جنوبى البلاد السعودية :**
عبد الله محمد حسين أبو داهش ــ دار الأصالة ــ الرياض ١٤٠٢ هـ
٣٧ ــ **شعراء الجنوب :**
محمد أحمد العقيلى ــ محمد بن على السنوسى ــ مطبعة الكمال ــ عدن
٣٨ ــ **تاريخ عسير فى الماضى والحاضر :**
هاشم سعيد النعمى ــ مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر
٣٩ ــ **أخبار عسير :**
عبد الله بن على بن مسفر ــ المكتب الاسلامى ــ دمشق ــ بيروت ١٣٩٨ ــ ١٩٧٨
٤٠ ــ **السراج المنير فى سيرة أمراء عسير :**
عبد الله بن على بن مسفر ــ ط أولى ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت ١٣٩٨ ــ ١٩٧٨
٤١ ــ **شعراء العصر الحديث فى جزيرة العرب :**
عبد الكريم بن حمد الحقيل ــ ط أولى ــ ١٣٩٩ هـ
٤٢ ــ **تاريخ المخلاف السليمانى :**
محمد أحمد العقيلى ــ مطبعة دار الكتاب العربى ــ القاهرة ــ الجزء الثانى
٤٣ ــ **تاريخ المخلاف السليمانى :**
محمد أحمد العقيلى ــ مطابع الرياض ــ ١٣٧٨ ــ ١٩٥٨ ــ الجزء الأول
٤٤ ــ **بلاد زهران فى ماضيها وحاضرها :**
محمد مسفر الزهرانى ــ دار الثقافة ــ مكة المكرمة ١٣٩٠ هـ
٤٥ ــ **نيل الوطر من تراجم رجال اليمن فى القرن الثالث عشر :**
محمد محمد بن زباره ــ الجزء الثانى ــ السلفية ــ القاهرة ١٣٤٨ هـ
٤٦ ــ **فى ربوع عسير ــ ذكريات وتاريخ :**
محمد رفيع عمر ــ دار العهد الجديد للطباعة ــ القاهرة ١٣٧٣ هـ ــ ١٩٥٤ م
٤٧ ــ **فى بلاد عسير :**
فؤاد حمزة ــ دار الكتاب العربى ــ القاهرة ١٩٥١ م
٤٨ ــ **الشعر فى ظلال حركة الامام محمد بن عبد الوهاب :**

عبد الله الحامد ـ مطبوعات النادى الأدبى بالرياض ـ مطابع الجزيرة ـ الرياض ١٣٩٩ هـ

٤٩ ـ فى سراة غامد وزهران :

حمد الجاسر ـ دار اليمامة ـ الرياض ـ مطبعة المتنبى ـ بيروت ١٣٩١ ـ ١٩٧١

٥٠ ـ رحلات فى عسير ـ نصوص وانطباعات ووصف ومشاهدات :

يحيى ابراهيم الألمعى ـ دار الأصفهانى ـ جدة

٥١ ـ تاريخ الشعر العربى الحديث :

أحمد قبش ـ دمشق ١٩٧١ م

٥٢ ـ دراسات فى النقد العربى :

الدكتور حسن جاد حسن ـ القاهرة ١٩٧٧ م

٥٣ ـ تاريخ الدولة السعودية :

أمين سعيد ـ مطبعة كرم ـ بيروت ١٩٦٤

٥٤ ـ مجموع النفائس الشعرية والغرائب الشهية :

عبد الرحمن بن عبد العزيز ، وصالح سليمان بن سحمان ـ دار البيان ـ مصر ١٩٧١

٥٥ ـ الوثائق التاريخية لسياسة مصر فى البحر الأحمر (١٨٦٣ ـ ١٨٧٩ م) :

شوقى عطا الله الجمل ـ لجنة البيان ـ مصر

٥٦ ـ الحلقة الفقودة فى تاريخ العرب :

محمد جميل بيهم ـ ط أولى ـ الباب الحلبى ـ مصر ١٣٦٩ هـ ـ ١٩٥٠ م

٥٧ ـ الملك عبد العزيز فى مرآة الشعر :

عبد القدوس الأنصارى ـ مؤسسة مكة للطباعة والاعلام ـ مكة المكرمة ١٩٧٤ م

٥٨ ـ التفسير النفسى للأدب :

د . عز الدين اسماعيل ـ دار العودة ـ بيروت ١٩٧٦ م

٥٩ ـ الشعر العربى المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية :

د . عز الدين اسماعيل ـ ط ثالثة ـ دار الفكر العربى ١٩٧٨ م

٦٠ ـ مصادر الفكر العربى الاسلامى فى اليمن :

عبد الله محمد الحبشى ـ صنعاء ـ بيروت ـ دار العودة

٦١ ـ اتجاهات وآراء فى النقد الحديث :

دكتور محمد نايل أحمد ـ القاهرة ١٩٧١ م

٦٢ ـ الاصلاح الاجتماعى فى عهد الملك عبد العزيز :

عبد الفتاح حسن أبو علية ـ المطابع الأهلية ـ الرياض ١٣٩٦ ـ ١٩٧٦

٦٣ ـ الفنون الأدبية وأعلامها فى النهضة العربية الحديثة :

أنيس المقدسي ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت ١٩٦٣ م
٦٤ ــ قضايا الشعر المعاصر :
نازك الملائكة ــ مكتبة النهضة ــ بغداد ١٩٦٥ م
٦٥ ــ الثلاثاء الحزين :
عبد العزيز أحمد شكرى ــ الأصفهانى ــ ١٣٩٥ ــ ١٩٧٥ م
٦٦ ــ لمحات عن التطور الفكرى فى جزيرة العرب فى القرن العشرين :
فهد المارك ــ مطابع ابن زيدون ــ دمشق ١٣٨٢ هـ
٦٧ ــ الخليج العربى :
قدرى قلعجى ــ دار الكتاب العربى ــ بيروت ١٩٦٥ م
٦٨ ــ نجران الحديثة :
سيد الماحى
٦٩ ــ الاتجاهات الأدبية فى العالم العربى الحديث :
أنيس المقدسى ــ بيروت ١٩٦٠ م
٧٠ ــ معجم المؤلفين :
عمر رضا كحالة ــ مطبعة الترقى ــ دمشق ١٣٨٠ هـ
٧١ ــ الأدب العربى المعاصر ١٨٦٠ ــ ١٩٦٠ :
د . كامل السوافيرى ــ دار المعارف ١٩٧٩ م

ثالثا ــ الدوريات :

١ ــ جريدة البلاد ١٣٩٤/١١/١٧ هـ
٢ ــ جريدة البلاد ١٣٨٨/٧/٨ هـ
٣ ــ جريدة المدينة المنورة رجب ١٣٩٩ هـ
٤ ــ جريدة المدينة المنورة ١٣٩٣/٤/١٧ هـ
٥ ــ مجلة المنهل شهر جمادى الآخرة ١٣٧٦ هـ
٦ ــ مجلة المنهل المحرم وصفر ١٤٠٢ هـ
٧ ــ مجلة الأديب ١٣٩٤ هـ
٨ ــ رسالة فرع الجامعة ــ كلية التربية ــ جامعة الملك سعود ــ فرع أبها ــ العدد السابع ــ الأربعاء ١٤٠٢/٣/١٨ هـ

من كتب للمؤلف

١ ــ **البناء الفنى للصورة الأدبية فى شعر ابن الرومى**
الأمانة ــ القاهرة ١٩٧٦ م

٢ ــ **الأدب الاسلامى حتى نهاية القرن الرابع الهجرى**
دار الأنصار ــ الأمانة ١٩٧٦ م القاهرة

٣ ــ **عبقرية ابن الرومى**
الأمانة ١٩٧٤ م القاهرة

٤ ــ **الصورة الأدبية ــ تأريخ ونقد**
دار الحارثى ــ السعودية ــ الطائف ١٤٠١ هـ

٥ ــ **البناء الفنى للصورة الشعرية**
دار الحارثى ــ السعودية ــ الطائف ١٤٠١ هـ

٦ ــ **عمود الشعر العربى**
دار الحارثى ــ السعودية ــ الطائف ١٤٠٢ هـ

٧ ــ **من الأدب الحديث فى ضوء المذاهب الأدبية والنقدية**
السعودية ــ الرياض ــ دار المريخ ١٤٠١ هـ

٨ ــ **ابن الرومى بين الأصالة العربية ودعوى الرومية**
السعودية ــ الرياض ــ دار المريخ ١٤٠٢ هـ

٩ ــ **المذاهب الأدبية فى شعر الجنوب الحديث**
السعودية ــ جدة ــ دار تهامة

١٠ ــ **حضارة الاسلام فى الشعر العربى الحديث**
تحت الطبع

١١ ــ **حضارة الاسلام فى الشعر السعودى الحديث**
تحت الطبع

١٢ ــ **أدب عمر بن الخطاب رضى الله عنه**
تحت الطبع

١٣ ــ **صحيفة بشر بن المعتمر وأثرها فى النقد العربى**
مطبوعات نادى أبها الأدبى ١٤٠٢ السعودية

محتويات الكتاب

الموضـــوع | الصفحة

الفصل الأول

الفصل الثانى

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الموضـــوع	الصفحة

الفصل الخامس

الفصل السادس

الباب الثالث

الفصل الأول

الفصل الثانى

الفصل الثالث

الموضــــوع	الصفحة
نشأة الشاعر بهكلى وحياته	٣١٧
الأغراض الأدبية فى شعره	٣١٩
التصوير الشعرى	٣٣٦
الوحدة الفنية فى شعره	٣٣٧
التشخيص فى التصوير الشعرى	٣٣٧
الخيال والصور الأدبية	٣٤٠
الايقاع الموسيقى	٣٤٤
المصادر والمراجع	٣٤٧

